القصة الكاملة
للإسلام في الصين



ترجمة

د. رشا كمال

د. شيماء كمال

مراجعة وتدقيق

أحمد السعيد

أطلس

تأليف / وانغ لنغ قوي

القصة الكاملة

للإسلام في الصين

تأليف

وانغ لنغ قوي

ترجمة

دكتورة رشا كمال

مراجعة وتدقيق

أحمد السعيد

فهرس المحتويات

المقدمة

إن ظهور الدين نتيجة حتمية لتطبيق الجنس البشري للفكر المجرد. فتبدو كأنها تبعد تمام البعد عن الدنيوية، لكننا لن نتمكن من معرفة الملامح الحقيقية الأصلية للدين، وإدراك كونه ظاهرة تاريخية طوَّرها المجتمع الإنساني في فترة محددة، إلا إذا نأينا عن كل أشكال التحيز الفطري، وخلعنا النظارات السوداء كافة، وتخلينا تمامًا عن مواقف الغرور والهيمنة العقلية الذاتية، حتى نستطيع فَهْم الطبيعة الحقيقية لكينونته، وإدراك أنه ظاهرة تاريخية لتطور المجتمع البشري في فترة ما.

وبالرغم من أن الأديان تتمتع بطبيعة خاصة، لكنها جميعًا تظل أحد الأساليب المعبرة عن نمط الوعي لدى المجتمع، وهي جزء مكوِّن لثقافة الفكر الإنساني، إذ يتحدد وجودها من وجود المجتمع، كما تسهم في كما تسهم في تكوين نسق قيمي للدور المهم الذي تلعبه في المجتمع.. وكما قال إنجلز: "إن جميع الأديان هي مجرد انعكاس لخيالات في أذهان الناس عن وجود قوى خارجية، تتحكم في حياة الناس اليومية، وخلال هذا النوع من الانعكاس تتخذ القدرة البشرية العادية شكلًا من أشكال القوى الخارقة"[1].

لا يُستثنى الإسلاممن هذا الأمر؛ إذ إن نشأته وتطوره، بالإضافة إلى امتداد جذوره وترعرعه في الصين، كل هذا له أسباب متأصلة، كما صاحب ظروفًا تاريخية واجتماعية مختلفة، ومر بعملية التطور والتغيير الذاتي الحتمي، وتمثلت فيه مميزات ثرية ومتنوعة، إنه يتسم بالأمور الجديرة بالثناء، فضلاً عن أن ثمَّة موضوعات قد فقدت مصداقيتها. وفي هذا الكتاب محاولة لإرجاع "القوى الخارقة" إلى "حياة الناس الطبيعية اليومية"، وذلك انطلاقًا من ظهور الإسلام الأول وتطوره ومتابعة دخوله إلى الصين، وامتداد جذوره بهذه الدولة. سيعرض الكتاب على القارئ صورة عامة ومتكاملة للإسلام في الصين.

---

[1]- أنجلز: (نظرية رفض دوهرنغ)، (مجموعة ماركس وانغلس المختارة)، الجزء الثامن، ص٣٥٤، دار نشر الشعب، طبعة ١٩٩٥.

إن تطور الإسلام وتحوله في الصين قضية من الصعب جداً تلافيها في دراسة تطور الإسلام بشكل كامل وتطور الأمة الصينية على حد سواء. وقد أدرك العلماء المتخصصون داخل البلاد وخارجها - بدرجات مختلفة - مدى أهمية تلك القضية، وأجروا أبحاثاً في هذا الصدد، انطلاقاً من جوانب ومجالات مختلفة.

ولكن، في الوقت الراهن مازالت الأبحاث في تلك القضية ركيكة جداً. وطبقاً للنتائج التي أظهرتها الدراسات حالياً، يتضح أن الأبحاث كانت منتشرة بشكل رئيسي في مجالين رئيسيين، وهما الإسلام وتاريخه من ناحية، بالإضافة إلى قومية هوي الصينية من ناحية أخرى. ونظراً لمحدودية مادة البحث والموضوعات الرئيسية في هذا المجال، فإن النقاط الخاصة بالإسلام في حد ذاته وانتشاره في الصين تفتقر إلى الشرح المنظم والمتكامل، وبالنسبة للإسلام والأبحاث التي أُجريت عليه، فإن انتشار الإسلام في الصين يُعد جزءاً مهماً من انتشاره في جميع أنحاء العالم تقريباً، ولم تُقدِّم تلك الأبحاث توضيحاً كافياً للعلاقة بين الإسلام وحضارة الصين؛ حتى في الأبحاث حول قومية هوي الصينية لم تتعمق تلك الأبحاث في الإسلام بشكل كاف ومراحل تطوره وثرائه الشديد.

والجدير بالذكر أن هناك عشراً من القوميات الأقلية في الصين يدينون بدين الإسلام، لكنَّ تناوُل الأبحاث ينحصر في قومية هوي الصينية المسلمة فقط، وهذا يُعد تعرضاً للقضية من منظور واحد فحسب. ويعتقد الكاتب أنه في حالة البحث في قضية الإسلام في الصين، ينبغي الانتباه إلى خلفية كون الإسلام ديناً جاء من خارج الصين وامتزج وتطور فيها؛ أما بالنسبة للبحث حول الإسلام في العالم أجمع، فينبغي الاهتمام بشكل كبير بخصائص الإسلام في الصين ومميزاته الجلية. لذلك، فقد سعى الكاتب - جاهداً - للوقوف على النتائج التي أثمرتها أبحاث العلماء داخل الصين وخارجها في هذين المجالين الرئيسيين، وقام بمحاولة تطبيق بحث استكشافي متعدد الجوانب.

في ١٤ من أكتوبر عام ١٩٨٣ أشار الرفيق ماو تسي دونغ - في المؤتمر السادس في الدورة السادسة للحزب الشيوعي الصيني - قائلاً: "عادة، ينبغي على جميع أعضاء

الحزب الشيوعي الصيني الذين لديهم مهارات بحثية كبيرة البحث في نظريات ماركس وإنجلز ولينين وستالين. وينبغي أن يبحث جميعهم أيضاً في تاريخ أمتنا، وفي أوضاع الحركات الراهنة واتجاهاتها؛ ثم يتم من خلالهم تعليم أعضاء الحزب ذي المستوى الثقافي الأدنى. وقد ذكر بشكل خاص أن الكوادر ينبغي أن تدقق النظر حول هذه النقاط، وتحديداً أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني وكبار الكوادر، إذ يتحتم عليهم تكثيف الأعمال البحثية. إن الحزب الذي يقوم بتوجيه حركة ثورية كبيرة، إذا ما لم يتمتع بنظرية ثورية ومعرفة تاريخية، وفَهم عميق تجاه الحركة الثورية الفعلية، فلن يمكنه تحقيق النجاح أبداً"[٢].

وبالرغم من أن (ماو تسي دونغ) قد ألقى هذا الخطاب منذ أكثر من ٧٠ عاماً، لكن استرجاع هذا الحديث اليوم له مغزى عملي وإرشادي قوي جداً. إن الضمان المهم لتحقيق الشعب الصيني النهضة الكبرى في القرن ٢١ يتمثل في بناء مجتمع اشتراكي متناغم، والحفاظ على ديمومة الفرص الاستراتيجية المهمة. إن كيفية المعالجة الجيدة لمشكلة اعتناق الأديان بالنسبة لعشر قوميات أقلية صينية يدينون دين الإسلام، هي مشكلة مهمة تتعلق بالاستقرار السياسي والاجتماعي داخل الصين، وأيضاً لأن دين الإسلام دين عالمي فقد أصبح من القضايا الخارجية المهمة التي يجب العمل عليها. لذلك فإن دراسة الإسلام ودراسة تاريخ تطوره في الصين، تلعبان دوراً في إرشادنا للحفاظ على الاستقرار السياسي والاجتماعي داخل البلاد، بل والحفاظ على ديمومة الفرص الاستراتيجية المهمة، ويتمثل هذا الدور في تحقيق المغزى الاستراتيجي الفعلي والمهم جداً من نهضة الشعب الصيني العظيمة.

تنتشر في الأوساط الأكاديمية الغربية دائماً - بشكل كبير لا يحصى - الآراء المسيئة للحضارة الإسلامية والمناوئة لها، بل وتعمل ما تُدعى التحصيلات الأكاديمية - دون انقطاع - على زيادة العداء بين دول الغرب والعالم الإسلامي. ومن ضمن تلك

---

٢ - (أعمال ماو تسي تونغ المختارة)، الجزء الثاني، ص ٥٣٢-٥٣٣، دار نشر الشعب، الطبعة الثانية، ١٩٩١.

الحركات وأبرز تلك الأعمال (اغتنام اللحظة) (MOMENT THE SEIZE) لريتشارد نيكسون، و(نهاية التاريخ) (HIETORY OF END THE) لفرانسيس فوكو ياما، و(صراع الحضارات) لصمويل هنتنغتون. إن أولئك النخبة من الأكاديميين الغربيين الذين ينادون بهيمنة الغرب ثقافيًا وسياسيًا واقتصاديًا، في الوقت نفسه الذي يمجدون فيه – وبقوة – تميز ثقافتهم واستثنائيتها، يدعون علنًا لفكرة أن الشيوعية والإسلام العدوان الحقيقيان للحضارة الغربية.

بعد انتهاء الحرب الباردة، تفجرت المشاكل العرقية والدينية التي أخفتها الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي لفترة طويلة، وأصبحت تلك المشاكل واحدة من أهم أسباب توتر الأوضاع والصراعات في شتى أرجاء المعمورة . أما صمويل فقد استشهد بعبارات خارج السياق عن "نظرية الصراع الحضاري"، التي طرحها على أسس تاريخية مشوهة، وتحدث انطلاقًا من مغزى محدد؛ قائلًا إن تعميق مشكلة التحيز لدى مجتمع الغرب بشكل أكبر في القضايا العرقية والدينية، جعلتهم في هذا الصدد – خاصة بالنسبة لمعرفتهم بالأديان في الدول النامية – يلصقون بها أكثر سمات "الإرهاب" و"التطرف"، ويمضون في وسم القوميات الأقلية في الدول النامية بسمات "الانقسام" و"الهرطقة"، خاصة بعد حادثة "الحادي عشر من سبتمبر"؛ إذ اتضح أكثر الاتجاه نحو تشويه الإسلام من خلال "شيطنته" ووصمه "بالعنف" باعتباره دينًا مهمًا في الدول النامية.

دائمًا ما تتابع أمريكا ووسائل إعلامها الإسلام والمسلمين باهتمام شديد؛ بل إن معظمهم يحمل ذلك الانطباع المتشدد المبالغ فيه، ومشاعر العداء المندفعة كالموج الهادر " في الواقع، إن معتقدات الغرب حول دور الإسلام في حوادث اختطاف الطائرات وحوادث الإرهاب، وتهديد الدول المسلمة – أمثال إيران – لهم ولأسلوب حياتهم، وتفجير المباني، وتحطيم الطائرات المدنية، وتسميم مصادر المياه، وغيرها من المؤامرات، كل هذه المعتقدات تتزايد عند الغرب مع وقوع تلك الحوادث، كالسفينة التي ترتفع مع ارتفاع

الأمواج"، أصبحت هذه الأفكار مؤخرًا غاية في الغرابة؛ لكن العنصرية تجاه الجماعات الثقافية الأخرى، أو تشويه شكل الدين في الوقت الراهن، لا تضاهي على الإطلاق انعدام الضمير وأساليب الهجاء التي يتم بها تشويه صورة الإسلام. إن تعميم فكرة الهجوم على الإسلام يُعَد التصرف الثقافي الأجنبي الشنيع والوحيد الذي لا يمكن تقبله من جانب الغرب.[٣]

وإجمالًا، فإن الدول الغربية – خاصة بعض وسائل الإعلام والأوساط الأكاديمية في أمريكا – تعمل، عمدًا، على تشويه تصور الناس للعالم الإسلامي؛ بل ونشر فكرة أن "الإسلام من الناحية الروحية أقرب إلى (الشيوعية أو الفاشية) تلك الحركات المتشابهة، لكنه ليس دينًا تقليديًا، وهو في الوقت الحالي يهدد العالم كله، ويهددنا نحن"[٤]. ولا يمكن أن ننكر أنه تحت التأثير طويل المدى من جانب الرأي العام الغربي قد تبدل رأي الكثير من الناس دون أن يشعروا، وأصبحوا ضد الإسلام والمسلمين. ولذلك، فإن رسم صورة حقيقية للإسلام بشكل موضوعي وتاريخي، يسعى لإبراز الحقائق، سيساعد في محو "التشويه" الذي قامت به وسائل الإعلام الغربية تجاه الإسلام، ومن شأنه أن يرسخ – ويطور كذلك – علاقات الصداقة المتوارثة مع الدول الإسلامية. ففي الصين ثمَّة عشر قوميات أقلية يدينون بالإسلام، والتوجه إلى التشارك في مشروع العصر العظيم يُعِد بناء مجتمع اشتراكي متناغم.

إن الإسلام لب الثقافة الإسلامية، تلك الثقافة الجديدة التي تكونت من امتزاج الحضارات العربية والفارسية والهندية واليونانية، فهي تمثل الثقافات القديمة في القرون الوسطى، كما تحولت في مسار تطورها إلى ثقافة عالمية عظيمة. وقد قام

---

[٣] – إدوارد سعيد: ترجمة يان جي يو، (تغطية الإسلام: كيف تحدد وسائل الإعلام والخبراء الطريقة التي نرى فيها العالم)، ص ٥٠–٥١، شركة تايوان لي دجو الثقافية المحدودة، طبعة ٢٠٠٢.

[٤] – إدوارد سعيد: ترجمة يان جي يو، (تغطية الإسلام: كيف تحدد وسائل الإعلام والخبراء الطريقة التي نرى فيها العالم)، ص ٦٠، شركة تايوان لي دجو الثقافية المحدودة، طبعة ٢٠٠٢.

الأستاذ نا تشونغ - مؤرخ التاريخ العربي الشهير في الصين - بإجمال الثقافة الإسلامية وتلخيصها بشكل دقيق وعميق. وأشار إلى "أن الثقافة العربية - الإسلامية نتجت عن امتزاج ثلاثة أنواع من الثقافات: الثقافة العربية الفطرية، والثقافة الإسلامية، وثقافة الأمم الأجنبية مثل بلاد فارس والهند واليونان وروما، إلخ"[5].

انتقل الإسلام من موطنه العربي لينتشر في كل حدب وصوب، كما تكيف مع مجتمعات واقتصاديات وثقافات مرتبطة بكل منطقة وكل أمة، ومن ثم فقد كون ثقافة تجمع مميزات تلك المناطق والأمم كلها.

بعد انتشار الإسلام في الغرب، أنار الظلمة في أفق أوروبا، وكان ذا دور رائد ومحفز في ازدهار الأعمال الثقافية والعلمية ونهضتها في الغرب، إذ تعرف الأوروبيون من جديد على ثقافة اليونان القديمة، وتواصلوا معها من خلال الثقافة الإسلامية، ومن ثم قاموا ببناء حضارة الديانة المسيحية من جديد.

أقام الأستاذ بجامعة هارفرد الأمريكية، ورئيس المعهد الأعلى لبحوث العلوم الإنسانية التابع لجامعة بكين، السيد دو وي مينغ، الدورة السادسة لمنتدى بكين في نوفمبر عام ٢٠٠٩، واستمر المنتدى من يوم ٦ ليوم ٨ من نوفمبر، وأكد دو وي مينغ قائلًا: "بالنظر للأمور من الناحية التاريخية، إذا لم يقم أحد بتقديم خلاصة الثقافة العربية إلى الغرب، هل كان للنهضة الأدبية والفنية أن تقوم؟!!! ناهيك قولًا عن حركة التنوير والمجتمع الغربي في الوقت الراهن. واختصارًا للحديث، فإن المجتمع الغربي في العصور الوسطى استفاد استفادة هائلة من الحضارة الإسلامية"[6]. وبعد دخول الإسلام الصين، قدّمت الحضارة الإسلامية للأمة الصينية العريقة آنذاك معنى للعصور الغنية المتقدمة.

---

[5] - أحمد أمين (مصر): (تاريخ ثقافة العرب والإسلام)، الجزء الأول، ترجمة المقدمة لنا تشونغ، دار الكتب التجارية، طبعة ١٩٨٢، ص٣.

[6] - (جريدة القراءات الصينية)، في ١٨ من نوفمبر عام ٢٠٠٩، مقال في الطبعة ١٧ (استجابة لصعاب البشرية في القرن ٢١ — حوار الإسلام والكونفشيوسية والمسيحية).

وينبغي القول إنه على مدار تاريخ الصين، كان الإسلام أول من قدّم الثقافة الغربية إلى الصين بشكل شامل ومنظم.

في الوقت نفسه فإن العرب الذين اعتنقوا الإسلام نقلوا الاختراعات الأربعة العظيمة، التي تعلموها من الصين - كفنّ صناعة الأوراق والبوصلة والبارود - إلى أوروبا، وأنعشوا حياة الشعب الأوروبي، وزادوا من سرعة التطور الاقتصادي والثقافي بها، وبعد أن نقل العرب البارود إلى الغرب تحول إلى سلاح لإخضاع العالم[7] "إنهم

---

[7] - شو بينغ دون: (لا تدعى قيمة خرافية "للاختراعات الأربعة الكبرى")، نشر في (جريدة المعمورة تايمز)،١٦فبراير عام ٢٠٠٩، الطبعة ١١.

يشير هذا النص إلى أن "الاختراعات الأربعة العظيمة" لا يمكن أن تعبر عن أهمية الصين الحقيقية. أولًا: إن أهمية العصر التي تتمتع بها الإبداعات والاختراعات في العصر القديم في الصين لا تقف عند "الاختراعات الأربعة العظيمة". وضع مؤرخ العلم والتكنولوجيا العالمي الشهير الدكتور لي يويه سه قائمة لست وعشرين تقنية صينية انتقلت إلى الغرب، ويعتقد أن أهم الاختراعات الصينية لا تتوقف فقط عند "الاختراعات العظيمة الأربعة". كما طرح مؤخرًا أحد العلماء الصينيين ٢٣ اختراعًا الأكثر تمثيلًا للعصر القديم في الصين، ومن ضمن تلك الاختراعات، عمل صناعة الأرز، ونظام القيمة العشرية، والطلاء، والخزف، والورق، وفن الطباعة، والشاي، والبارود، والأسهم النارية، والبوصلة، إلى آخره، إذ أسهموا إسهامًا عظيمًا في حضارة البشرية. ويشير هذا النص إلى أن تعبير "الاختراعات الأربعة العظيمة" تعبير أجنبي. وتشير البيانات في هذا الصدد إلى أن أول من اعترف بالاختراعات الصينية هو الفيلسوف البريطاني فرانسيس بيكون، إذ أشار قائلًا: إن فن الطباعة، والبارود، والبوصلة، "تلك الاختراعات الثلاثة قد غيرت بالفعل الأوضاع وملامح الأشياء بشكل شامل على مستوى العالم: أما الاختراع الأول ففي مجال العلوم، والاختراع الثاني في مجال الحروب، والاختراع الثالث في مجال الملاحة". فيما بعد، ضم آي يويه سه - عالم الصينيات والتبشيري الذي جاء إلى الصين لأول مرة - فنَّ صناعة الورق إلى الاختراعات الثلاثة السابق ذكرها، وقال في أثناء مقارنة أجراها بين اليابان والصين: "ينبغي لنا أن نتذكر دائمًا، أنهم (مشيرًا إلى اليابانيين) ليس لديهم مثل تلك الاختراعات الفذة، كفن الطباعة أو صناعة الورق أو البوصلة أو البارود". ومن هنا يتضح لنا، أن تعبير "الاختراعات الأربعة العظيمة" جاء في البداية أيضًا من الغرب، إذ كان هذا التعبير تقييمًا من بعض العلماء لتأثير تلك الاختراعات في حضارة البشرية، خاصة الحضارة الغربية المعاصرة. والأهم من ذلك أنه بالرغم من أن "الاختراعات الأربعة العظيمة" قد حازت على قبول العالم، إلا أن الصين ليست المُفيد الحقيقي من تلك الاختراعات.. مثال على ذلك البوصلة، فبالرغم من أنها سهلت السبع رحلات البحرية لجينغ خه، إلا أنها لم يكن لها تأثير كبير في تطور الصين نفسها. في حين أنه بعد انتقال هذا الاختراع إلى الغرب، ظهرت لديهم "الحضارة الزرقاء"؛ ولم يجلب اختراع البارود للصين سوى=

سفراء عظام يستحقون تخليد ذكراهم، فهم سفراء التبادل الثقافي والاقتصادي بين الشرق والغرب"[8].

لذلك، فإذا قلنا إن الإسلام آنذاك كان دينًا ناشئًا لتوِّه في الجزيرة العربية - ففي بداية تأسيسه ومن خلال نشأة علاقة ذات مغزى فلسفي ونظري بين النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والصين - فإنه بعد دخوله الصين، ومرورًا بأكثر من ١٣٥٠ عامًا[9] من التطور الإقليمي المليء بالمنحنيات صعودًا وهبوطًا، امتص الإسلام أرقى ما في الحضارة

=استمرار الاحتفالات لآلاف السنين، فحتى الآن مازالت الألعاب والمفرقعات النارية الصينية ليس لها مثيل. لكن حينما انتقل هذا الاختراع إلى الغرب، عن طريق العرب، تحول إلى سلاح لإخضاع العالم، وأكثرُ من تعرضوا للأذى بسببه هم تحديدًا مخترعوه الصينيون. ومن هذا المنطلق نقول إن من استخدم هذا الاختراع استخدامًا فعليًا الغرب وليست الصين. إذن، فما الأشياء الأخرى التي يمكن أن نتفاخر بها ونعتز؟ وبالنظر إلى الأربعة والعشرين اختراعًا في الصين القديمة التي أقرها العلماء الصينيون، نجد ظاهرة تستحق بالفعل تفكيرًا عميقًا. من بين الـ٢٤ اختراعًا، بدأ اختراع ٤ في عصور ما قبل التاريخ، و٣ في الفترة من عصر شيا حتي فترة الربيع والخريف، و٧ في فترة الدول المتحاربة لتشين وهان، و١٠ اختراعات أخرى مقسمة بين العصور القديمة والعصور الوسطى، فثمَّة ٦ اختراعات في عهد سونغ، واختراع واحد في عهد يوان وآخر في عهد مينغ، وحتى عهد تشينغ وبعد انتهاء عهده لم تظهر مرة أخرى أي اختراعات إبداعية. يمكننا بالطبع أن نفخر لأجدادنا، لكن ليس لدينا الأسباب التي نفخر لأجلها بأنفسنا، لأننا لم ننتج بعد لأنفسنا (رصيدًا) ما يستحق أن نفخر به.

[8] - قوه ينغ ده: (موجز التاريخ العربي)، ص ٣- دار نشر الجريدة الاقتصادية اليومية، مارس ١٩٩٧- الطبعة الثانية.

[9] - إن العصور الأولى التي دخل فيها الإسلام الصين بشكل رسمي في الوقت الحالي لم تحددها الأوساط الأكاديمية بعد. وفق (مستخلص يوميات أسرة تانغ) للطبعة المطبوعة من دار كتب دجيانغ سو- عهد تشينغ جوانغ شوه: "السنة الثانية لحكم الإمبراطور تانغ جاو تزونغ، في السنة الثانية شهر أغسطس، أرسل المسلمون برسول يقدم هدايا للإمبراطور". "دا شيه"، كما أطلق عليهم أيضًا "تياو جه". لم يطلق على العرب مسمى "تياو جه" حتى سافر تشانغ تشيان رسولًا إلى المناطق الغربية في عصر الإمبراطور خان وو دي. وهذا المسمى تحويل صوتي للكلمة الفارسية Tajik أو Tazi، وهو مسمى العرب لدى الفرس. وهو أقدم بيانات تاريخية يمكن إيجادها في بلادي، ويوضح أنه حتى في عام ٦٥١ ميلاديًا أي عام ٣١ هجريًا، كان هناك بالفعل مسلمون دخلوا الصين بشكل رسمي.

الصينية. وبالفعل امتدت جذوره في ١٠ قوميات صينية[10]، أي ما يبلغ أكثر من ٢٠ مليون شخص[11]، بل شكّل ثقافة إسلامية صينية فريدة من نوعها، إنه جزء مهم من حضارة الأمة الصينية. إن تطور الإسلام داخل الصين قد أثبت تفرد الأمة الصينية بالقدرة على التسامح والتماسك. لذا انخرطت فيما بعد الأرثوذكسية والكاثوليكية والإسلام، واتسم معتنقوها ببعض سمات الصين، كما غرسوا جذورهم في التربة الصينية، وأزهرت ورودهم في بساتينها، وأكد السيد (شو تيا لو) من قبل - بشكل خاص - في مؤلَّفه (دراسات عميقة حول كلاسيكيات أسرة يوان) قائلًا: "إن التناغم والتعايش الموجودين في الصين بين الثلاثة أديان الكبرى، معجزة في تاريخ البشرية، كما أنه مظهر دال على سعة الصدر الواسعة في ثقافة الشعب الصيني. ففقط بسبب التعايش والتناغم بين الأديان الثلاثة في الصين، زاد التسامح لدى الأمة الصينية تجاه الثقافات المغايرة، بما في ذلك الأديان الأجنبية، لذلك فإن الأديان التي دخلت تباعًا الصينَ فيما بعدُ، كالمسيحية والإسلام والكاثوليكية، تمكنت أيضًا - على درجات مختلفة - من أن تأخذ الطابع الصيني، وتنتشر وتتفتح أزهارها في الصين"[12].

في الدورة السادسة لمنتدى بكين، الذي استمر من ٦من نوفمبر حتى ٨ من الشهر نفسه عام ٢٠٠٩، قام سيد حسين نصر - الأستاذ في جامعة جورج واشنطن ورئيس صندوق الأبحاث التقليدية - بعرض رائع لرأيه فيما يخص حوار الحضارات بين

[10] - بالصين قومية هوي، وقومية الويغور، وقومية القازاق، وقومية دونغشيانغ، وقومية القرغيز، وقومية سالار، وقومية الطاجيك، وقومية البونان، وقومية التتار، إلى آخره من عشر قوميات أقلية يدين جميع أفرادها بدين الإسلام، وللإسلام أثر مهم على تلك القوميات. فضلًا عن ذلك، ثمَّة عدد قليل من المسلمين في قوميات المنغولية، والتبتية، وباي، وداي إلى آخره من القوميات الأقلية.

[11] - يبلغ عدد سكان العشر قوميات المسلمة في الصين ٢٠٣٢٠٥٨٠. أما القوميات الأخرى فبها أيضًا عدد قليل من المسلمين، لكن هذا الرقم الإحصائي غير متضمن تلك القوميات. تأتي هذه الأرقام وفقًا للإحصائيات (إحصاءات سكانية استنادًا إلى القوميات على مستوى الدولة - عام ٢٠٠٠)، نقلاً عن (الحولية السنوية للإحصاءات القومية الصينية) عام ٢٠٠٤، ص٤٨٧

[12] - (مختارات الصين الجديدة): عدد ١١- عام ٢٠٠٩، ص ١١٠.

الحضارة الكنفوشية والإسلامية؛ إذ قال: "إن الحضارة الإسلامية والكنفوشية معًا أثرا فيما يقرب من نصف سكان العالم، وينبغي علينا فيما يخص الحوار بين الحضارتين الإسلامية والكنفوشية أن نبحث، ليس فقط بين العالم الإسلامي والكنفوشي، بل أيضًا في كيفية تبادل التأثير بين الحضارتين بعضهم البعض. وانطلاقًا من العديد من الأسباب، فهناك ضرورة لتسجيل التبادلات التاريخية بين الإسلام والصين تسجيلًا كاملًا، بَدْءًا من العلم والتكنولوجيا إلى علم الفلك، وحتى الفلسفة، إلى آخره من المجالات الكثيرة، ومن ضمن تلك الأسباب هناك سبب لا يمكن الاستهانة به؛ هو أن التبادلات بين الطرفين بمثابة الصفحة الأكثر إشراقًا في تاريخ الحضارات. فضلاً عن ذلك فإن المعاملات بين الطرفين على مدار التاريخ الطويل لعبت دورًا أساسيًا في بناء الوئام بين الحضارتين، وإن أساس الوئام غير مقتصر فقط على الاعتبارات العلمية"[١٣].

إن جوهر هذه الحضارة يكمن في اتباع "حب الوطن من الإيمان الذي ورد في كتب التراث الإسلامي"، و"المصير يتحدد من الوطن"، إلى آخره من قواعد الشريعة الإسلامية، كما يطرح "حماية الوطن حماية للدين"، و"كذلك ضرورة النضال لأجل الوطن قبل النضال لأجل الدين، فوجود الدين مرهون بوجود الدولة"، إلى آخره من دعوات العقيدة. إن الجمهور العريض من المسلمين يرى حب الوطن وحب الدين وحدةً واحدةً، ويدمجون أخلاق حب الوطن الحميدة داخل نفس الأمة وشعورها ووعيها، ويعكسون بذلك الوطنية المتأصلة على مدار التاريخ الطويل، ويعكسون القلب المخلص النقي المحب لوطنهم الأم.

قام سيد حسين نصر – الأستاذ في جامعة جورج واشنطن، ورئيس صندوق الأبحاث التقليدية – بالإشارة، بشكل دقيق، إلى "أن هناك تشابهًا – إلى حد كبير – بين المجتمع الصيني والإسلامي؛ مثل النظر إلى الأخلاقيات نظرة مقدسة، والإيمان بأن كل شيء في

[١٣]- (جريدة القراءات الصينية)، في ١٨ من نوفمبر عام ٢٠٠٩، مقال في الطبعة ١٧، (استجابة لصعاب البشرية في القرن ٢١ – حوار الإسلام والكونفشيوسية والمسيحية).

العالم يخضع إلى قانون الطبيعة، وأن سلوكيات الإنسان تخضع لقوة الكون، وأيضًا فيما يتعلق بالمسؤولية تجاه الأسرة، واحترام القانون، فضلًا عن ذلك فإن الأمة الصينية مثل الأمة المسلمة، أمة تؤمن بالوسطية. فإنهم معتدلون في أفعالهم، ويتجنبون التطرف"[١٤].

ودائمًا كان الحزب الشيوعي الصيني مطبقًا لسياسة المساواة بين أفراد الشعب والقوميات، بين قوميات أغلبية وأقلية، ويهتم الحزب بدرجة كبيرة بقضية الإسلام، ويولي عنايته برفاهية الشعب المسلم العريض.

بعد "اجتماع السابع من أغسطس" للحزب الشيوعي الصيني، قام الحزب بشكل متوالٍ بتأسيس النظام السوفيتي في عدد من الأحياء المأهولة بالمسلمين، (وهو شكل النظام السياسي الذي قامت عليه عملية الكفاح الشعبي الثوري العمالي في الاتحاد السوفيتي سابقًا). وفي هذه المسيرة الطويلة، ساعد الحزب – أيضًا – جماهير المسلمين في (نينغشيا) من أجل بناء حكومة ذاتية الحكم لقومية هوي في مدينة (يو هاي) بمقاطعة نينغشيا. ويُعد هذا أول نظام حكم ذاتي لمنطقة تقطنها قومية على مستوى المدن في الصين، في فترة يانآن والفترة التي تلتها. ولكي يبني الحزب جبهة حرب موحدة للشعب بأكمله لمواجهة اليابان، ومن أجل السيطرة على سلطة البلاد كاملة، ومن أجل تطوير الصين الجديدة وبنائها، والأكثر من ذلك لتعزيز البحث في قضية الإسلام في الصين بشكل أكبر، طرح الحزب الكثير من المقترحات التي تتناسب مع واقع الأمور في الصين آنذاك، كما نشر الكثير من السياسات التي لاقت قبولًا من قبل الشعب، كما أعد بعض الوثائق المنهجية المهمة.

ومما يدلل على ذلك أنه في عام ١٩٤٠ قام الرفيق لي وي هان – الأمين العام آنذاك للجنة الأعمال بشمال غربي الصين، التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني – على نحو خاص بنشر مقالات في مجلة (التحرير)؛ مثل (أهالي قومية هوي والقمع

[١٤]- (جريدة القراءات الصينية)، في ١٨ من نوفمبر عام ٢٠٠٩، مقال في الطبعة ١٧، (استجابة لصعاب البشرية في القرن ٢١ – حوار الإسلام والكونفشيوسية والمسيحية).

والنضال طويل الأمد)، و(دراسة في قضية مسلمي هوي)، إلى آخره من المقالات. فيما بعد أقر مكتب الأمين العام للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني طباعة (مسودة القضايا المتعلقة بقومية هوي) ونشرها. وتُعد هذه أول وثيقة منهجية في تاريخ الحزب[١٥] تتعلق بقضية الإسلام. وتحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني أسهمت كل قومية مسلمة في الصين إسهامًا عظيمًا في مقاومة الغزو الياباني الإمبريالي، وبناء صين جديدة وتطويرها.

وفي الوقت نفسه لا يمكننا أن ننكر أنه في ظل تغير الأوضاع المحلية والدولية، خاصة بعد حادثة "١١ من سبتمبر" والبلبلة التي حدثت في الرأي العام الدولي والأوساط الأكاديمية الدولية، ظهرت لنا بعض التحديات و الصعوبات الجديدة في كيفية معالجة الإشكاليات المتعلقة بالإسلام التي تولدت نتيجة لأحداث سبتمبر. لذلك – وبالنظر إلى الناحية التاريخية – فمن أجل التطور، والنظرة العميقة نحو تطور الإسلام في الصين، ننمي بشكل أفضل – ونستحضر – لدى الصينيين المسلمين التقاليد الجميلة لحب

---

[١٥] - في تاريخ الصين، سُمّي الإسلام في الماضي بعدة أسماء؛ مثل دين هوي هوي، ودين هوي، وسمي كذلك قانون شه فا، ودين المنطقة الغربية، وطائفة هوي هوي الدينية، ودين التشينغ جين(الطهارة)، ودين تشنغ جين القديم، ودين مكة، ودين محمد، ودياو من، والدين الحق، وفي نهاية عصر مينغ وبداية تشينغ ذكر وانغ داي يو في مؤلفه (شروح الدين الحق) أن دين الإسلام "الدين الذي لا تحيد مفاهيمه عن الحق أبدا"، كان يدعى قديمًا الدين الحق إلخ. وكان الذين يدينون بالإسلام يسمون قوم هوي أو هوي هوي. في عام ١٩٥٦م، حينما كان شوان لاي رئيس الوزراء يدقق الوثائق المختصة بقضية الإسلام، كان هناك في الصين إضافة إلى قومية هوي تسع قوميات أخرى يدين جميع أفرادها بالإسلام، لذلك فتسمية دين الإسلام والمؤمنين به باسم دين هوي، وقوم هوي، إلى آخره من المسميات أمرٌ غير دقيق الصحة، فينبغي تغيير مسمى دين هوي إلى دين الإسلام، وتوحيد مسمى من يدينون الإسلام تحت اسم المسلمين. وفي فبراير عام ١٩٥٦م، أصدر مجلس الدولة الصيني بيانًا أشار فيه قائلًا: "إن دين الإسلام دين دولي، ومسمى الإسلام متداول دوليًا"، "من الآن فصاعدًا لن يستخدم أبدا دين هوي لتسمية الإسلام، ويجب تسميته دين الإسلام". ومنذ ذلك الحين، أصبحت الصين في جميع نواحيها تستخدم مسميات الإسلام والمسلمين، هذه المسميات الأكثر انتشارًا. لكن في هونج كونج، وماكاو، وتايوان، بعض الغربيين الصينيين في جنوب شرق آسيا مازالوا حتى الآن مستمرين في مسميات مثل دين هوي أو الهوي الهوي.

الوطن وحب الدين والوحدة القوية، وإن هذا من أجل بناء مجتمع اشتراكي ومتناغم في العصر الحديث، له مغزى استراتيجي عميق ومغزى عملي على درجة عالية من الأهمية. إن ما يستحق تأكيده حقًا أنه "في وقتنا الراهن اختلاط عولمة الاقتصاد بالاستهلاكية وتضخم الجشع، إلى آخره من أشكال الإدراك المنافية للقوانين الإنسانية والاجتماعية والطبيعية، خرجت إلينا تتلف أرواحنا، وتفسد العلاقات الطبيعية الودية والمتآلفة بين الناس، بل تشوه أصل طباع الإنسان الطيبة النقية. وبهذا الشكل لن تتحقق السكينة أبدًا في المجتمع، ولن تتحقق في العالم كله.

وسواء كانت حرب العراق، أو الأزمة المالية التي ترهب الجميع، فإن لُب هذا الأمر أنه في ظل هذا العالم المضطرب – في وقتنا الراهن – استطاعت الصين مواجهة ذلك؛ فالصين الوحيدة التي تتمتع "بالمناظر الطبيعية الخلابة"، فتهيئ مناخًا من السلام والتناغم والهدوء، حتى في مواجهة الكوارث الطبيعية والأزمات التي يسببها الإنسان تستطيع – أيضًا – التعامل مع كل ذلك بهدوء وثبات، وتجعل الاستفزاز يفشل، وتذلل الصعاب. هل هذا متجلٍّ بمحض الصدفة؟ لا! إن هذا يرجع إلى تميز أنظمتها، وقوة قيادتها المترسخة، وشعبها المحبوب؛ ويخترق ذلك النظامَ وتلك القيادة – بل يخترق الإدراك النفسي للشعب – روحُ العصر لدى الشعب الصيني، المفعمة بثقافته المتآلفة والاشتراكية. وتحت سماء هذا العالم ذات السحب المضطربة غير المستقرة، لن تتبوأ الصين مقعد الفشل، فسوف تسهم بدورها الفريد من أجل سلام العالم ورخائه، وينبغي حتمًا تنمية ثقافة الشعب الصيني الأصيلة والفريدة، والإفادة الكاملة من دور الإسلام في بناء مجتمع اشتراكي متناغم، بإعمال الحوار والمعاملات المتبادلة بين الصين وكل دولة من دول العالم".

الباب الأول

الاندماج بين الإسلام والثقافة الصينية التقليدية

"إن الألمان شعب يدين بالمسيحية ويتبع المذهب الروحاني، وكانت الثورة التي مروا بها ثورة فلسفية؛ أما الشعب الفرنسي فيؤمن بمذهب المادية القديمة، ولأنهم أمة سياسية، فينبغي لهم أن يمروا بطريق السياسة لينجزوا الثورة؛ وبالنسبة للهوية القومية للإنجليز فهي مزيج من العاملين الألماني والفرنسي معًا، وهذان العاملان يتضمنان جانبين متناقضين"، لذلك "فإن مثل تلك الهوية الوطنية لدى الإنجليز أوقعتهم في ثورة مجتمعية على مدى أوسع"[١٦]. ومن ثم، فإن أي أمة أو دين، في نشأتهم وتطورهم لا بد أن يخضعوا لقيود العوامل الخارجية، بل أن يخضعوا أكثر لأغلال العوامل الداخلية. وفي بعض الأحيان، فإن العوامل الداخلية، خاصة ما تولده من محفزات تتلاءم مع البيئة الخارجية، يكون لها أيضًا مغزى تقريري تجاه نشأة تلك الأمة وتطورها وذلك الدين.

في أثناء مرحلة تكون المجتمع الصيني متعدد القوميات، كانت الأديان المحلية - التي جاءت من الخارج هي الأخرى - تواجه مشكلة التكيف الذاتي مع المجتمع الواقعي. وفي أثناء عملية التكيف المعقدة هذه تلاشت بعض الأديان، وتوقفت أخرى بعد التطور، لكنَّ ثمَّة أديانًا أخرى لم تجد فقط داعمًا قويًّا لها في مرحلة التكيف، بل تمكنت من الامتزاج مع تيار الثقافة الأساسي، ولاقت تطورًا متبادلًا.

بالنسبة لدخول الإسلام الصين، ينبغي أن نقول إن نتيجة هذا الدخول ليست مبادرة لنشره، أو حتى نتيجة النتائج الثانوية من المعاملات التجارية وإرسال الهدايا. لكن في بداية نشر الإسلام، في عهد إمبراطورية تانغ، كان أكثر ما يشكِّل الدعم الرئيسي والقنوات الرئيسية لدخول الإسلام إلى الصين هم التجار والرسل، وكان عدد قليل جدًا من المسلمين الأجانب المقيمين ونسلهم في الصين ممن لهم قرابة دم أو علاقة نسب مع الصينيين، ومن ثم فإن تأثيرهم على قومية هان كان ضعيفًا جدًّا. لكن في حياتهم - وسط زخم مجتمع قومية الهان - كان من غير الممكن ألا يقتبسوا من الثقافة التقليدية الصينية، كما أن زواجهم من قومية هان عجّل من تطبعهم بالطباع الصينية.

---

[١٦]- (الأعمال المختارة لماركس وأنجلز)، الجزء الأول، صفحة ٦٥٨، دار نشر الشعب، عام ١٩٦٠، شهر ديسمبر، الطبعة الأولى.

إذا تحدثنا عن فترة بداية الانتشار، فلم تهتم الطبقة الحاكمة كثيرًا بالإسلام وأتباعه، ومن أجل تجنب الغوص في صراع المجتمع الحاد، ومع التوسع المستمر لدعم التدين بهذا الدين، أصبحت فئة المسلمين فئة هامة في المجتمع، ومع هذا التطور تمت إدارة أمور الإسلام ووضع حدود لها من قبل الحكام.

وفي الوقت نفسه - في وسط تغيرات سياسات الحكام غير المستقرة - كان الإسلام يسعى إلى تحقيق الوجود والتطور الذاتي، وتدريجيًا تكونت داخل هذا الدين مبادرة ذاتية للتكيف مع المجتمع الواقعي. وكان بناء نظام الإسلام وتكوينه في الصين نتيجة تلك المبادرة. وفي الوقت الذي كان الإسلام يمتزج فيه مع تيار الثقافة الرئيسي في الصين، كانت هناك أيضًا تغيرات عظيمة يشهدها الإسلام في العالم أجمع. بالرغم من أن تطور الإسلام في الصين قد تأثر بعملية تطوره في العالم ككل، وتأثره بالثقافة الصينية، لكن بالنظر إلى عملية التغير التي شهدها الإسلام نجد أن تأثير تيار الثقافة الصينية عليه يحتل بالفعل المكانة الرئيسية؛ فهي عملية مستمرة للامتزاج مع تيار الثقافة الصيني، والثقافة المحلية الموجودة منذ الأزل لدى القوميات ومع عادات المجتمع الصيني.

وفي أثناء هذه العملية، لعب المسلمون دور الوسيط والمحفز، وأصبحوا المُفيدين بشكل مباشر من نتيجة الاغتراب، كما أن الاندماج والتطور في مثل تلك المبادرة، قد أسهما إسهامًا مهمًا في ثراء الحضارة الصينية، بل وأصبح جزءًا مهمًا من تلك الحضارة، وفي أثناء نشأة الإسلام وتطوره انتشرت الثقافة الإسلامية على المدى الطويل في تاريخ بلاد الصين، وامتزجت بتقاليد الصين القديمة والعتيقة وثقافتها، وتأثر كل منهما بالآخر، وتشكلت تدريجيًا الثقافة الإسلامية التي تحمل طابع الأمة الصينية.

أولًا: حتمية تكيف الإسلام مع البيئة الصينية:

"إن الدين التنهيدة التي يزفرها المظلومون، إنه المشاعر في عالم بلا مشاعر"[17]. إن

١٧- (الأعمال المختارة لماركس وإنجلز)، الجزء ١، صفحة٢، دار نشر الشعب. عام١٩٩٥ شهر يوليو، الطبعة ٢.

الدين وليد تقديس الناس لقوة الطبيعة، وبعد ظهور المجتمع الطبقي أصبح إحدى الأدوات المهمة التي يقوم الحكام بتحكم إدارة العالم الروحي والمجال الفكري للناس من خلالها. ومهما كان نوع الدين، سواء كان بدائيًا أو متطورًا، فإن جوهر الاتجاه الأساسي للدين واحد، أما الاختلاف بين دين وآخر فيكون في نشأته الذاتية ومراحل تطوره، أو أن طرق تغيره وتطوره مختلفة، ومن ثم فإن كل دين كوَّن خصائصه الذاتية الداعمة الفريدة، والوجود في المناطق المختلفة، وملامح العصر الخاصة به، إلى آخره من التراث التاريخي. إن الإسلام - بوصفه دينًا وافدًا انتقل إلى التربة الصينية - لم يبدأ التغير تدريجيًا في أثناء مسيرة التطور الطويلة حتى كان عهد إمبراطورية مينغ. إن هذا التغير جعل الإسلام الذي دخل الصين تتشكل فيه الكثير من خصائص المجتمع الصيني، الأمر الذي جعل الإسلام في الصين يختلف عن الإسلام في الدول والمناطق الأخرى.

◆ وحدة الإسلام واختلافاته:

إن هذا التغير الذي حدث للإسلام، لم يكن ظاهرةً أتت بمحض الصدفة، لكنه حتمية تاريخية؛ لقد نشأ الإسلام في شبه الجزيرة العربية، حيث تكوَّن في ظل البيئة التاريخية للعالم العربي آنذاك. في بداية نشأته كان انعكاسًا لشكل الوعي والفكر واعتبارات أخرى أعلى من ذلك لدى الأمة العربية، فينبغي أن نقول إنه كان دينًا يخص منطقة محددة (دين محلي). لكن في أثناء عملية خروج الإسلام تدريجيًا من نطاق شبه الجزيرة العربية، وتحوله في النهاية إلى دين عالمي، كان اقتباسه من حضارات المناطق التي فتحها وحضارات المناطق الأخرى في العالم إنجازًا، وفي ظل مسيرة الإسلام لتأميه الشعوب المختلفة وتمركزه في المناطق المتباينة - تحت الأوضاع المتبادلة من التغلغل ووضع القيود - كانت النتيجة أن الإسلام اختار ما يقتبسه ويرثه من الحضارات الأجنبية، فإن تطور ثقافة الإسلام وازدهارها المتواصل، كان من شأنه أن يزيد من التواؤم والتسامح لدى الإسلام ذاتيًا، بل وأخذ تدريجيًا يحل محل الديانات الأصلية للمناطق الجديدة التي انتشر فيها، وأصبح دينًا عالميًا. وطبقًا لإحصائيات غير متكاملة،

فإن الإسلام حالياً منتشر في ٣٣٧ مجموعة عرقية لعدد ١١٧ دولة ومنطقة، وإن عدد من يدينون بهذا الدين مليار شخص، أي يحتلون حوالي ١٧,٦٪ من سكان العالم، وإذا لم تكن هناك عملية التغير تلك التي تمثلت في التأميم والتمركز، لكان من الصعب جداً تخيل أن يؤمن بهذا الدين تلك المناطق الشاسعة والسكان من الأعراق الكثيرة جداً [١٨]. إن تجربة التطور التي مر بها الإسلام ظاهرة منظمة لتطور الثقافة الإنسانية، كما أنها أيضاً من الخصائص المنظمة لانتقال هذا الدين وتطوره.

إن عملية التطور – المتمثلة في التأثر بطباع القوميات الأخرى وخصائص تلك المناطق – التي مر بها الإسلام، دامت لأكثر من ١٣٠٠ عام، وشكَّلت الإسلام الذي يراه الناس ويشعرون به اليوم. فعندما يقيم الناس الإسلام فهم دائماً يتجهون إلى النواحي المتعلقة بالبصر والسمع بوصفهما مادتَيْن للتدقيق والتقييم، ويكون تقييمهم لنقاط اتحاده واختلافه مختلف شدة الاختلاف. ومن ضمن أهم الأسباب أن تأثُّر الإسلام بالأمم والمناطق الأخرى، لا ينفي على الإطلاق وحدة عقيدة الإسلام نفسه، وعلى العكس من ذلك، فإنه فقط عن طريق ذلك التأثر بالمناطق والأمم المختلفة، استطاع حقيقةً أن يكون ديناً كونياً في العالم، أو بطريقة أخرى نقول إن الانتشار الكوني لهذا الدين العالمي ظهر فقط في مميزاته الخاصة بالأماكن والأمم؛ وغير صحيح الحديث الذي يقول إنه مجرد دين يخص أمة، وإنه ليس ديناً عالمياً، "ومن الواضح أنه دين موحد، ويتمتع أيضاً بخصائص شعوب ومناطق عدة"[١٩].

وانطلاقاً من وحدة الإسلام نقول: جوهر عقيدة الإسلام لا تغيير فيها، إنما التغيير يكون في المضمون المحدد للشرائع المختلفة. والسبب الجذري الذي شكَّل هذه الاختلافات، هو المذاهب المختلفة للإسلام والمذاهب المتفرعة منه. والاختلاف الذي يفصل بين مذهب السنة ومذهب الشيعة تحديد الخليفة بعد النبي محمد (صلى الله

[١٨]- جين إي جيو: (الدين الإسلامي)، ص ٤٩٩، دار نشر الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، من أكتوبر عام ١٩٩٧.

[١٩]- جين إي جيو: (الدين الإسلامي)، ص ٤٩٩، دار نشر الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، من أكتوبر عام ١٩٩٧.

عليه وسلم)، وسبب وجود المذاهب المتفرعة داخل الطائفة السُّنِّية يرجع إلى اختلاف فَهْمهم لشريعة الإسلام وفقهه؛ أما سبب وجود المذاهب المتفرعة داخل طائفة الشيعة فيرجع إلى تقسيم الأئمة.

لذلك، ففي دين الإسلام، المليء بالأمور المتعددة والمتشابكة، وبالرغم من المذاهب الكثيرة كالشجر في الغابة التي يتمسك فيها كلٌّ برأيه، إلا أن الأمر عندما يتعلق بالإيمان بالله تجد وحدة لا مثيل لها. فضلاً عن ذلك، فإن ما يتعلق بالمناسبات الدينية، والأحاديث المجمعة، وتطور المذاهب الدينية، هذا كان يؤدي إلى المشاكل، فنظراً لأن كل منطقة مختلفة لها ظروفها وبيئتها المحددة، فكانت مسارات تطورها مختلفة بدورها، بالتالي تشكَّلت لكل منها خصائصها، واختلافاتها عن الأخرى. لذلك، فإن الإسلام بوصفه ديناً عالمياً،يرجع السبب في اتساعه ليتخطى الآفاق وحدود المكان والشعوب المختلفة إلى وحدة العقيدة الجوهرية.

وانطلاقاً من ناحية الاختلافات في الدين، فإن المسلمين هم داعمو الإسلام، فاسمهم له معنى واسع. إن المسلمين يتألفون من أفراد ينتمون إلى مناطق وشعوب مختلفة، وأيضاً من أشخاص آمنوا بالإسلام في أزمنة مختلفة.

ونتيجة للاختلافات المكانية، والعرقية، وحتى الزمنية، نتيجة لذلك تكونت اختلافات بينهم في فَهْم الإسلام. "بالنسبة للمسلمين في صحراء جنوب إفريقيا اختلط الإيمان لديهم بمفهوم الروحانية، أما بالنسبة لسكان المناطق الجبلية بماليزيا فتختلف لديهم تلك المفاهيم، وغنيٌّ عن الذكر اختلاف فَهمهم لدين الإسلام عن الأمم الأخرى. وبالمثل، فمن الصعب جداً أن نقول إنه ليست هناك فروقات بين المسلمين في المناطق والشعوب المختلفة، في طرق الحياة والوعي الفكري والتقاليد الثقافية والعادات والتقاليد والمشاعر النفسية، إلى آخره من النواحي. مثال على ذلك الاختلافات بين العرب والإيرانيين، والأتراك والباكستانيين في شتى المجالات المذكورة آنفاً، إنها واضحة جداً.

إن وجود تلك الخصائص لأمم المناطق المختلفة لم تتحول بإرادة الناس. أي أنهم لم يتغيروا لمجرد إيمانهم بهذا الدين أو ذاك"[20].

◆ الوحدة والاختلاف في الإسلام، ووظائفهم المختلفة:

إن تأكيد وحدة الإسلام لأنه دين متكامل، وهو مختلف عن باقي الأديان؛ أما الاختلافات الموجودة فيه فإن الإسلام يعبر بنفسه عن خصائص المناطق والأمم المختلفة والمتنوعة.

◆ عدم الاتساق في تحولات تطور الإسلام في الصين:

إن الإسلام بصفته دينًا جاء من خارج الصين، في البداية كان وجوده مجرد دين داخلي يؤمن به المسلمون المقيمون في الصين، وظل الصينيون لفترات طويلة يعدونه نوعًا من أنواع "الأعراف الغريبة". وثمَّة ميزة في بداية دخول الإسلام الصين؛ إذ قرر المسلمون ألا يحتدم مع تيار الثقافة الرئيسي في الصين أو الأديان الأخرى، هذا فضلًا عن الترفع عن الصراعات السياسية والدينية، الأمر الذي جعل الإسلام يتلافى الكثير من الأزمات، وأوجد لمد جذوره في الصين ظروفًا مواتية. وهذه أيضًا تُعد ميزة فريدة نوعًا ما في تاريخ تطور الإسلام في جميع أنحاء العالم. وبالفعل كانت تلك الميزة التي قللت الكثير من القيود الفطرية في أثناء عملية الاقتباس والاندماج مع الثقافة التقليدية الصينية، وزادت من انفتاح الإسلام وتواؤمه.

وعبْر التطور طويل الأمد للمجتمع الإقطاعي الصيني، كان هذا المجتمع قد كوَّن بالفعل نظامًا إقطاعيًا متكاملًا، وسلوكيات الوعي المتوائمة معه. وكان الحكام على مر الإمبراطوريات المختلفة يسمحون لكل أنواع الأديان بالوجود والتطور، لكنهم لم يسمحوا قطٌّ من قبل للسلطة الدينية أن تعلو السلطة الملكية، أو أن يتخطى الحكم الديني الحكم البيروقراطي، أو أن يعلو ملك السماء على ملك الدنيا. لذلك، قامت الأُسر الحاكمة في

[20]- جين اي جيو: (الدين الإسلامي)، ص ٥٠٠، دار نشر الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، من أكتوبر عام ١٩٩٧.

اختيارها لأدوات الحكم باختيار الفكر الكنفوشي، ولم يختاروا في النهاية الديانة البوذية، إلى آخره من الديانات واسعة الانتشار. لذا، فبعد دخول المسلمين الأجانب الصين، اختاروا السبيل الذي ينسجم فيه الإسلام مع تعاليم الكنفوشية، في محاولة لتحقيق وجودهم والسعي نحو التطور.

وقد جعلت هذه العوامل الإسلام يحمل خصائص الثقافة الكنفوشية التي كان يتمتع بها العصر الإقطاعي في الصين، تلك الثقافة التي تحمل خصائص التمثيلية وسلطة الحكم. في الوقت نفسه. نظرًا لامتداد جذور الإسلام في بيئة المجتمع الصيني تحديدًا. استطاع أن يبادر بالاقتباس والامتزاج مع الثقافة الصينية التقليدية وتيار الفكر الرئيسي، بل تأثر وعدَّل في ثقافته المحلية الأصلية الداعمة، وثقافته المتعلقة بالمكان والعادات والتقاليد الشعبية. إن دين الإسلام في الصين بعد التغير الذي طرأ عليه والسبق في الاقتباس، ليس مجرد الإسلام ذي المعاني النقية فقط، أو حتى الثقافة الصينية التقليدية ذات المعاني النقية؛ بل كان هذا نقاء الطرفين معًا الذي شكَّل الإسلام في الصين. إن الإسلام في الصين – مع اشتراكه في الخصائص العامة للإسلام في جميع المناطق الأخرى في العالم – مازال يتمتع أيضًا بخصائصه المستقلة والفريدة.

والجدير بالذكر حقًا، أنه منذ عهد مينغ حتى عهد تشينغ، أصبح تطور الإسلام بشكل أكبر هو الانسياب مع تيار الثقافة الرئيسي في الصين، أما بالنسبة لتطور الإسلام في المناطق الأخرى في العالم، فكان تأثيرها عليه ضعيفًا جدًا.

وثمَّة فئة من العلماء الذين ينتقدون الإسلام قائلين: "ليس ثمَّة دين مثل الإسلام وما لديه من الشعبية الواسعة، كما أنه لا يوجد دين كدين الإسلام بهذه الدنيوية"، "فمن العسير جدًا التمييز بين ما هو ديني وما هو دنيوي في الإسلام"[21]. وربما قد يكون هذا القول متطرفًا بعض الشيء، لكن بالنظر إلى تطور الإسلام في المناطق المختلفة على

[21]- ما ده لين: (الدين – ظاهرة ثقافية)، ص١٢٥، دار نشر الشعب بشانغهاي، طبعة ١٩٩١.

مستوى العالم يتضح لنا أن الإسلام في الصين - بالفعل - له طابعه المميز، فهو الدين الذي يشترك في الإيمان به عشر قوميات صينية، وهو شكل من أشكال القومية، كما أنه الانعكاس المباشر للسياسة والاقتصاد في مجتمع المسلمين الصينيين. وما ينبغي أن نؤكده، أنه في المناطق المختلفة وفي العشر قوميات الذين يدينون الإسلام، تمثلت فيهم أيضًا مميزات الإسلام النظامية في انتشاره وتطوره في العالم أجمع، إن المسلمين في المناطق المختلفة والقوميات المختلفة في الصين لكل منهم تاريخه الطويل في مجالات الاحتفال والثقافة والأعراف، فلا يتسقون في النواحي المتعلقة بتأثير الثقافة الصينية التقليدية فيهم، وبشكل خاص تأثير الثقافة الكنفوشية. حتى أن هناك من يقول إن الصينيين المسلمين يختلفون في إيمانهم بمضمون الشريعة الأساسية[٢٢].

◆ الظروف الفطرية التي تأثر في ظلها الإسلام في الصين بالفكر الكنفوشي:

إن الفكر الكنفوشي - كونه التيار الرئيسي في الثقافة التقليدية الصينية - تمكن من التأثير في فكر الإسلام في الصين وتطوره؛ ففضلاً عن تأقلم الإسلام مع البيئة الصينية وسعيه لتحقيق متطلبات وجوده الذاتي وتطوره - ثمَّة سبب مهم جدًا، وهو توفُّر الظروف الفطرية في الإسلام نفسه ليتقبل تأثير الفكر الكنفوشي وتغلغله.

إن شريعة الإسلام والفكر الكنفوشي بينهما الكثير من المواضع المتصلة والمتشابهة، الأمر الذي أوجد لامتزاج الطرفين أساسًا فكريًا بشكل تلقائي. وثمَّة مَثَل شهير لدى المسلمين في الصين يقول: "الراهب البوذي يرى الجنة في العرب، ومعتنق الطاوية يرى الفردوس في البحر الشرقي"، فقط متبعو الكونفشيوسية هم الأكثر عقلانية وواقعية، إذ رأوا أن جنات عدن قد توجد في أي وقت وأي مكان وفقًا لعمل الإنسان.[٢٣] ويتضح لنا من سلوك الوعي والفكر في المجتمع الإقطاعي أن ثمَّة الكثير من المواضع المتشابهة بين الإسلام والفكر الكنفوشي. ومن وجهة نظر العالم، فإن الاثنين معًا ينتميان إلى المثالية

[٢٢] - ليو دجه: (شروح لأهم مختارات الشعائر الإسلامية)، الجزء الأول،

[٢٣] - (سجل استفسارات شو يو دجوو)، الجزء الحادي عشر،

الموضوعية، وإن لب الاثنين قائم على نظرية الجبرية (القضاء والقدر) القدرية. وانطلاقًا من وجهة نظر العالم المثالية، فإن نظرية علم المنهج في رصد المجتمع ومعرفته لدى الطرفين متشابهة في الأساس. إذ إن الاثنين يعارضان التنسّك في الديانة البوذية والطاوية، ويتشابهان في اهتمامهما بالحياة الدنيا، لذلك يهتمان جدًا بمستوى الأخلاق والمبادئ في حياة الإنسان وصيانة النظام الكائن. إن الكنفوشية تؤمن بأن "التسرع في الأشياء الصغيرة يخرِّب الأشياء الكبيرة"، والإسلام يركِّز على "الطاعة" و"الثبات"؛ وتدعو الكنفوشية إلى "منطق الوسطية"، وتعتقد في أن "المبالغة في فعل الشيء كالتقصير في عمله، فكلاهما غير صحيح"، في حين أن الإسلام يدعو إلى "الصراط المستقيم"، ويعارض "السلوكيات المبالغ فيها"، إلى آخره، فإن الطرفين متشابهان في الأساس في بعض القضايا المتعلقة بالمبادئ.

والأمر الجدير بالذكر حقًا، أنه في أثناء تطور الكنفوشية نفسها وُجِدَت أيضًا ظاهرة التدينية[٢٤] أو تطبيع الأمور بالطابع الديني، وفي فترة حكم هان اختلفت كثيرًا أحاديث تشونغ شه حول علم الكنفوشية بالمقارنة مع علم الكنفوشية لدى كونفوشيوس ومنشيوس، وهما ممثلا الكنفوشية، إذ قام أتباع تشونغ شه باقتباس أساليب الديانة الطاوية والطاويين مثل "العناصر الخمسة، وقراءة الأبراج والتنجيم والتنبؤ بالكوارث والاعتقاد في خرافات تشان الطاوية - تحية الآلهة تطرد الأرواح الشريرة - وطرق طلب المطر والرياح من الآلهة"، إلى آخره من الطرق الطاوية، ودمجوها في الفكر الكنفوشي، فتضافرت الطاوية والكنفوشية، وتحولت الطاوية بعد عهد هان إلى جزء مهم من الفكر الكنفوشي، إذ ألَّهت العلم الكنفوشي. ووصولاً إلى عهد سونغ، ثمَّة علماء في الفلسفة المثالية الكنفوشية - أمثال جو تشونغ - اقتبسوا بشكل أكبر من التطبيقات الدينية والنظريات الدنيوية للديانة البوذية والطاوية، إذ جعلوا العلم الكنفوشي يتخذ بشكل أكبر طابعًا دينيًا. إن جميع الدعوات اللاهوتية التي دعت لها النظريات في عهد سونغ مينغ لهذا النوع من التدينية، على سبيل المثال دعوة ضبط النفس والتصوف والانكباب على "التفرقة بين العدالة الإلهية والرغبات الإنسانية"، إذ ينبغي على الناس

[٢٤] - ما يشبه التنسك و الالتزام فى الديانات الأخرى

"تعزيز وجود العدالة الإلهية وطمس الرغبات الإنسانية" إلخ.

مما يوصِّل بسهولة للاعتراف بالإسلام في الصين المتعلق بلاهوت الأديان أن توافق جزء من الفكر الأساسي وتواصله، جعل الإسلام من تلقاء نفسه يتقبل تأثير الفكر الكنفوشي وتغلغله، وأن يكون للإسلام أساس فكري راسخ بعض الشيء.

بعد دخول الإسلام الصين تأثر المسلمون في الصين بثقافة الفكر الكنفوشي، وتطبعوا بطباع هذا الفكر، بسبب الملاصقة لبيئتهم، كما وضعوا قاعدة جماهيرية عريضة لتغلغل الفكر الكنفوشي وتأثيره في الإسلام بالصين. ومنذ بداية عهد تانغ كان المسلمون يبعثون الرسل بالجزية إلى الإمبراطور، ومرورًا بإمبراطورية تانغ وسونغ ويوان ومينغ إلى آخره من الإمبراطوريات، كان المسلمون في الصين يدرسون دائمًا ثقافة قومية الهان القديمة بشكل جدي وإيجابي، وتطبعوا مع مرور الأجيال بثقافة الفكر الكنفوشي، وخرج منهم الكثير من الفلاسفة والأدباء والفنيين الذين درسوا الثقافة الكنفوشية وبحثوا فيها ونشروها، وظهر منهم الكثيرون من الموظفين الأكفاء في إدارة شؤون البلاد.

ومنذ قديم الزمان لم يكن - فقط - المثقفون من المسلمين في الصين والطبقة الراقية منهم المتقبلين لنظرة الفكر الكنفوشي المثالية تجاه العالم ونظريته في المعرفة، وعلم الإنسان، ووجهة نظر الكنفوشية تجاه الأخلاق؛ بل إن الطبقة المتوسطة العريضة من المسلمين في الصين قد تأثرت بشكل غير مباشر بتلك النظريات، وأصبحت أحد المفاهيم الأساسية لديهم.

إن هذا التأثير التدريجي الذي أحدثه الفكر الكنفوشي كان عميق الدرجة، وبعيد المدى في تأثيره، لدرجة أنه جعل المسلمين في النهاية يتعاملون مع الدين الذي يؤمنون به ويفهمونه بنظرة كنفوشية. لذلك فإن طريقة دمج الإسلام مع الفكر الكنفوشي لنشر شريعة الإسلام أمر منطقي جدًا، كما أن هذه الطريقة سهلت على المسلمين الصينيين تقبل الأمور وجعلتهم يتقبلونها بسعادة[25].

[25]- فنغ جين يوان: (تأثير واختراق الفكر الكونفشيوسي للإسلام في الصين من خلال المؤلفات الإسلامية الصينية المترجمة للصينية)، نقلًا عن (الإسلام في الصين)، ص ٢٧٨ - ٢٨٠، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، سبتمبر ١٩٨٢.

ثانيًا: نشأة منهج الكلام:

نشأة المنهج[26]: إن منهجَ الكلام فكرُ الإسلام الصيني الذي يتسم بشرح شريعة الإسلام، بالاستعانة بالفكر الكنفوشي وغيره من الأفكار. وتكوَّن هذا المنهج من خلال عملية طويلة الأمد، حيث التعليم المسجدي بالإضافة إلى النهضة التي تبعت ذلك في الأنشطة الكنفوشية والبوذية. كان علامة مميزة في نهاية عصر مينغ وبداية عصر تشينغ، وكانت تلك العلامة تعبرعن الاكتمال التدريجي لعملية تكوُّن منهج الكلام.

في فترة الحكم العباسي، من أجل التأقلم مع تطور الإسلام، أُنشئ نظام تعليمي أولي يعتمد على المساجد محورًا له، وتشكَّلت الخاصية المبدئية للتعليم، وهي اهتمام الإسلام بنشر الشريعة الإسلامية من خلال المساجد[27]. وبعد دخول الإسلام الصين، تم الاحتفاظ إلى حد ما بهذا التقليد. لكن نظرًا للظروف التاريخية المقيدة في ذلك الوقت، كانت أعمال المساجد لنشر شريعة الدين تقوم بشكل رئيسي على أساليب التعليم الشفهية التي تحمل في ثناياها الفهم الحقيقي، وتفتقر إلى المادة العلمية النموذجية وإلى المعايير المطلوبة، الأمر الذي أدى إلى وقوع الكثير من اللَّبس والخطأ في الفَهم.

في عهد مينغ - فترة حكم الإمبراطور جيا جينغ التي تتراوح بين (سنة ١٥٢٢-١٥٦٦ ميلادية) - أحس خوو دنغ تشو، المسلم الذي ترجع أصوله لمقاطعة شانشي، من أعماق قلبه بمدى تخلف أساليب التعليم القديمة في المساجد ومساوئها الكثيرة، وكان في طليعة من طرحوا فكرة الإصلاح في التعليم المسجدي، وأسس نظام التعليم المسجدي الإسلامي بالصين في العصر الحديث.

فيما بعد، تبع المسلمون في يون نان وشان دونغ فكر خوو دنغ تشو؛ إذ نفَّذوا الشكل الجديد للتعليم المسجدي في هاتين المقاطعتين. وكان نظام التعليم الجديد في المساجد

[26]- هي ترجمة صوتية من اللغة العربية، ومعنى الكلمة (الكلام).

[27]- سيتم تفصيل متن تلك المسألة في الفصل الأول من الباب الأول بالكتاب.

يستخدم بشكل أكبر كتب المطالعة باللغة العربية أو الفارسية، وفُتحت الأبواب لتلقي الدروس، وكان الدارسون يطلق عليهم (خليفة)[28] أو (مولى)[29]، وبعد استكمال دراسة المواد المحددة يرتدون العمامة والعباءة، ليشير إلى تخرجهم.

ومع نهضة الشكل الجديد من التعليم المسجدي وتطوره، أصبحت ممارسة التدريس باستخدام كتب المطالعة المكتوبة باللغة الفارسية أو العربية غير ملبية لاحتياجات الدارسين شيئًا فشيئًا. لذلك، بدأ بعض العلماء المسلمين في الصين في محاولة ترجمة (القرآن الكريم) والبحث في شريعة الإسلام، وفي نهاية عهد مينغ وبداية عهد تشينغ نشأ اتجاه قوي نحو الترجمة، والعمل من منطلق الكنفوشية والبوذية لشرح ثقافة الإسلام، وكانت نان جينغ مركز هذا الاتجاه، وتصدره وانغ داي يو (١٥٧٠ - ١٦٦٠ ميلادية)، وما جو (١٦٤٠ - ١٧٤١ ميلادية)، وليو جه (١٦٦٠ - ١٧٢٠ ميلادية)، وما ده شين (١٧٩٤ - ١٨٧٤ ميلادية).

إن التراجم التي ترجمها المسلمون والأعمال التي استندوا فيها إلى الكنفوشية والبوذية لشرح ثقافة الإسلام وفلسفته معًا هي أمور وليدة ذلك العصر، كما أنها نتيجة لدخول الإسلام في مرحلة جديدة من التطور. وغني التحدث عن الأعمال القائمة على الكنفوشية والبوذية والإسلام، أما بالنسبة للترجمة فتبدو كأنها عملية تفسير وترجمة للقرآن والحديث والكتب الإسلامية القادمة من خارج الصين، لكن تلك التراجم في الواقع نوع من أنواع إعادة التأليف بعد النهْل من ثقافة الصين التقليدية طبقًا للخصائص الصينية. "إن المنبعين الرئيسيين للتراجم باللغة الصينية هما الشريعة الإسلامية وفكر الفلسفة المثالية الكنفوشية، إذ كانوا جميعًا في ذلك الوقت ينتميان إلى

---

[28]- ترجمة صوتية أخرى لكلمة الخليفة. إن دعوة المعلمين إلى تسمية طلابهم بالخليفة تتضمن في معناها تطلع الطلاب إلى إتقان القرآن المعظَّم، وتطلعهم لأن يخلفوا من قبلهم في قضية الإسلام.

[29]- وسموا أيضًا مان تسه، وهو اسم دال على الاحترام لعلماء المسلمين في اللغة الفارسية، وترجم أيضًا إلى ماو لا. فالمناطق التي تستخدم لغة الهان - اللغة الصينية الفصحى في الصين - أطلقوا أيضًا اسم مان لا على دارسي القرآن من المسلمين في المساجد.

السلوك الإدراكي ذي الجوهر الإقطاعي، الأمر الذي أرسى أساسًا لاندماج الاثنين"[30].

ومن هذا المنطلق نقول إن أعمال الترجمة والاعتماد على الكنفوشية والبوذية لشرح فلسفة الإسلام عبارة عن تفسيرات مختلفة للشيء الواحد، لذلك يمكن أيضًا أن نطلق عليها مسمى الكلام.

◆ الخلفية التاريخية لنشأة علم الكلام:

إن نشأة علم الكلام كانت وليدة لتطور الإسلام في الصين ودخوله مرحلة جديدة، وفي الوقت نفسه نتيجة للتأثير متعدد النواحي الذي أحدثته الكثير من ظروف العصر آنذاك. ومن ضمن الظروف الرئيسية:

أولا: التكيف مع التيار الرئيسي للعصر آنذاك:

تطور الفكر الكنفوشي في أواسط عهد مينغ وأواخره، واحتلت الفلسفة المثالية الكنفوشية لتشنغ وجو مكانة رائدة في ذلك الوقت. وفي ظل هذه الخلفية لهذا العصر، كانت الترجمة باللغة الصينية، وكتابة المؤلفات بها، واستخدامُ الفلسفة المثالية الكنفوشية لتشنغ دجو - التي احتلت مكانة رائدة في وعي الناس وإدراكهم آنذاك في تفسير الإسلام وتوضيحه - أمرٌ قد لبَّى احتياجات الحكام، وتناسَبَ مع تيار تطور الثقافة الصينية التقليدية.

ثانيًا: توفر الكفاءات المطلوبة:

منذ بداية عهد تانغ، كان سبيلُ المسلمين في الصين للارتقاء في حياتهم المهنية أداءَ اختبار الفحوص الإمبراطورية. وكان على من يريد أن ينجح في هذا الاختبار أن يتقن الفكر الكنفوشي والثقافة الكنفوشية إتقانًا جيدًا. ومن ثم ـ ومرورًا بوقت طويل جدًا ـ تكونت مجموعة من المسلمين لديهم معرفة واسعة بالثقافة الصينية التقليدية، ويُعد وانغ

---

[30]- يانغ خواي تشونغ، يو تشن جوي: (الإسلام والثقافة الصينية)، ص٣٨٣، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الثانية، ديسمبر ١٩٩٦.

داي يوما جو وليو جه وما ده شين، من الرموز التي تمثّل تلك المجموعة. وفي هذا الإطار ثمّة جملة شهيرة تقول: إن كثرة نصح الناس ليس مثل تركهم يفكرون ويتأملون بأنفسهم. فمن الممكن أن تنصح عامة الناس بعمل شيء ما وكيفية أدائه، لكنك لن تستطيع أن تجعله يفهم لماذا يفعله ولماذا يفعله بتلك الكيفية، لذا فبالنسبة لترجمة كتاب المسلمين المعظَّم (القرآن) فلا داعي لترجمته.

ثالثًا: مفاهيم الفكر القديم بدأت تصبح أكثر مرونة:

من وجهة نظر المسلمين فالقرآن وحي من الله، ولا يمكن قراءته أو ترتيله أو تفسيره وفهمه إلا من خلال اللغة العربية، وإلا فقد جوهره، بل ووقع فيه تحريف للنص، أو حدوث فهم خاطئ. لذلك ففي بداية تأسيس الإسلام كانت ترجمة "القرآن الكريم" إلى لغات أجنبية تُعد سلوكًا مشينًا، لذا لم تظهر أول ترجمة للقرآن باللغة الفارسية حتى عام ٩٥٦ ميلادية. وظل المسلمون يعتقدون لفترة طويلة في عدم تفسير "القرآن" أو ترجمته، أما غيره من أمهات الكتب في الإسلام فعلى العكس من ذلك"[٣١].

وبعد أواسط فترة حكم مينغ، بدأ فكر الصوفية ينتشر بين المسلمين المحليين، إذ إن الصوفية من خلال توضيحهم غاية الإسلام للمسلمين، ومن أجل أن ينيروا عقيدة الإيمان بالله لدى المسلمين، بدأوا في خلخلة الاعتقاد المنتشر بين المسلمين نحو عدم نشر وبحث شريعة الإسلام. إن هذا المفهوم الجديد قد مد ظهور علم الكلام بتربة وأساس شرعي، بل يُعد أمرًا متوافقًا مع عمل المعروف في الشريعة الإسلامية.

رابعًا: توافر الظروف التقنية الضرورية:

في أواخر عهد مينغ، لم تكن فقط الأديانُ الأخرى جميعها داخل الصين - التي قد ألَّفت بالفعل كتبًا دينية خاصة بمناهجها، بل حتى الدين المسيحي، وهو من خارج

[٢٥]- نقلاً عن (نص نصب إعادة بناء مسجد تشوان تشو، في السنة السابعة والثلاثين من حكم الإمبراطور مينغ شن تزوغ).

الصين، بدأ كذلك في حركة نشر مؤلفات باللغة الصينية وطباعتها - ذاتَ طابع أجنبي[٣٢]. وكانت هذه الحركة بمثابة درس مفيد للعلماء في الإسلام.

وحقًّا بسبب خلفية ذاك العصر سابق الذكر، حمل علمُ الكلام معه عصرًا مشرقًا ومميزات صينية:

أولاً: الاستناد إلى المفاهيم الكنفوشية في عمل ترجمة تفسيرية لكتب الإسلام المعظَّمة، والأشخاصُ الممثلون لهذا التيار هم من دعوا أيضًا إلى "استخدام النصوص الكنفوشية في نشر التعليم الغربي"، و"الاستناد إلى النصوص الكنفوشية في توضيح المغزى"، والإفادة من أعمال كبار الأدباء الصينيين في شرح مغزى الإسلام ومعتقداته.

ثانيًا: الاستناد إلى المفاهيم الكنفوشية وعمل ترجمة انتقائية، في ظل خلفية العصر آنذاك، "مهما كان الدين، فمن خلال الاعتماد على القواعد الكنفوشية، إذا اقترب من الكونفوشيين فهو صحيح وحق، أما إذا ابتعد عنهم فهو باطل"[٣٣]. لذلك استند الأشخاص البارزون في علم الكلام إلى المفاهيم الكنفوشية "كأبحاث وثائقية لمصادر مجمعة"، واعتمدوا واحدًا أو عددًا من أمهات الكتب في الإسلام مرجعًا لهم، ثم يعودون مرة أخرى إلى مؤلفات أخرى مختلفة، ويقومون بالترجمة الانتقائية للمحتوى الذي يتناسب مع مبادئ الأخلاق الكنفوشية والأركان الثلاثة والمكارم الأزلية الخمس الكنفوشية، ثم يقومون بعملية تجميع لكل تلك المصادر والمراجع. ومن ضمن تلك الأعمال، نقطة الانطلاق التي حققها ليو جه في الترجمة الانتقائية، إذ اعتمد الفكرَ الكنفوشي في إثبات صحة المؤلفات الإسلامية

[٣٢]- وطبقًا لما سجله ده لي زان في مؤلفه، قام المبشر الديني لوه مينغ ديان في عام ١٥٨٤م بنشره، وقام لي ما دو في عام ١٦٠٤م بنشره، وحتى عام ١٦٦٤م وصل عدد أنواع المؤلفات الدينية التي طبعها مبشرو الرهبانية اليسوعيون إلى ما لا يقل عن ١٥٠ نوعًا، ووصلت كمية الإصدارات للمؤلفات الخاصة بتعاليم الكاثوليكية إلى العدد نفسه تقريبًا.

[٣٣]- تانغ بو خوي: مقدمة (آداب الترجمة الإسلامية التفسيرية).

التي انتقاها للترجمة. وقام وانغ داي يو بعمل مقارنة بين الشريعة الإسلامية والثقافة الصينية والربط بينهما، وتبادل الإثباتات بينهما.

ثالثًا: الاستناد إلى شريعة الإسلام بصفتها منهجًا رئيسيًا، وتطبيق منطق جمع المدارس الفلسفية المختلفة. بمعنى "عرض جميع الأفكار والرؤى، والتوفيق فيما بينها وصولاً للصيغة الإسلامية". فبالنسبة إليهم "الدين هو الإسلام، وتعبيراتهم كنفوشية"، و"الاعتماد على الثقافة الصينية بصفتها بوتقة ماهيتهم، والاستعانة بالثقافة الأجنبية لتحديد الكيف"، وبعد تجميع فكر المذاهب المائة المختلفة في ثقافة الصين التقليدية وضعوا مجموعة مراجع ومصادر تعتمد الشريعة الإسلامية منهجًا أساسيًا، واعتمدوا مؤلفات كونفوشيوس ومنشيوس أساسًا في الأعمال المترجمة، و"احترام الفلسفة الصينية، والاستعانة بترجمة أعمال كونفوشيوس ومنشيوس ترجمة تفسيرية". ويُعد العمل البارز في هذا المجال هو "لما ده شي".

رابعًا: اعتماد الكنفوشية والبوذية لشرح الإسلام. إذ كانوا يترجمون أجزاء من الشريعة الإسلامية باختصار، ثم يستعينون بالكثير من التعاليم الكنفوشية لتوضيح تلك الأجزاء وتفسيرها، وهو ما يعنيه "الإيضاح التام والتفسير من خلال كتب الكنفوشية". إن هذه الطريقة تبدو في ظاهرها ترجمة، لكنها في واقع الأمر إعادة تأليف (إعادة إنتاج من الكاتب). و(جامع العلوم الإسلامية) أيضًا من الأعمال الرائدة. وثمَّة من دمج شريعة الإسلام مع الفكر الكنفوشي وربطهما معًا، وأعاد إبراز المعاني الموجودة فيهما، وأنشأ منهجًا فكريًا جديدًا، مثل (أصول الحكمة الإسلامية).

خامسًا: إبراز التعاليم الكنفوشية من خلال دين الإسلام. إن الفكر الكنفوشي فكر ينتمي إلى الواقعية، إذ إن مجالات النصح والإرشاد فيه تخص فترة ما بين الحياة والموت التي يعيشها الإنسان، لكنه لم يجبْ عن القضايا الفلسفية التي تسأل: من أين أتى الإنسان؟ وإلى أين يذهب؟ لذلك قام علماء المسلمين بإضافة محتوى ما كانوا يعرفونه ولا يقولونه إلى الكنفوشية. ويُعد العمل البارز في هذا المجال هو "الفصوص" لـ(ما ده شين).

◆ امتزاج علم الكلام مع الإسلام والثقافة الصينية:

إن ما استند إليه علم الكلام من الفكر الكنفوشي فيما يخص الإسلام من الفلسفة الدينية، ووجهة نظر الإسلام تجاه العالم، ووجهة نظر الإسلام تجاه حياة الإنسان، ونظرية الطبيعة الإنسانية، والأخلاقيات ومبادئها، وتاريخ دين الإسلام، وأحكام الآداب، وعادات الأمم وتقاليدها، إلى آخره من القضايا المفسرة لُغويًا، لذا يمكن أن نقول إنها قضايا شاسعة جدًا. ولتسهيل عملية البحث سوف يكون هذا الجزء خاصًا فقط بفلسفة دين الإسلام في الصين، كونها نقطة اختراق لإجراء تحليل.

إن امتزاج الإسلام بالثقافة الصينية التقليدية، لم يعمل فقط على الارتقاء والإثراء الهائل لمحتوى دين الإسلام في الصين وقدرته على التعبير، كذلك ما ولّده هذا الامتزاج من مفاهيم وفكر تفرد بها الإسلام في الصين عن الإسلام في دول أخرى كثيرة، بل إن هذا الامتزاج قد أكمل التواؤم بين شريعة الإسلام والفكر الصيني التقليدي المعتمد في جوهره على الكنفوشية، وعمل أيضًا على تطوير الشريعة الإسلامية.

◆ تشابه "الحق" مع "تاي جي":[٣٤]

جوهرُ عقيدة الإسلام عبادةُ إله الحق، ويسمى "الحق – تشن إي"، وهذا من الخصائص التي يتفرد بها الإسلام. وفيما يتعلق بقضية المبادئ الرئيسية هذه، قام علماء المسلمين بتوحيد مفهوم التشن مع مفهوم التاي جي والتوحد معهم. إذ اقتبس ليوجه وغيره من الأشخاص ما ذُكر في الفلسفة المثالية الكنفوشية عن اتحاد كل شيء في

---

[٣٤]- (تاي جي- الامتزاج بين القوى السلبية والإيجابية): تعتقد الديانة الطاوية أن الكون قد مر بخمس فترات بين مرحلة اللاقطبية ومرحلة انفصال السماء عن الأرض؛ وهي: (تاي إي – تاي تشو – تاي شه – تاي سوو – تاي جي)، فالأولى مرحلة ما قبل ظهور أي شكل من أشكال الحياة حتى الغاز، وبذلك لا وجود للأكسجين أو الضوء. والثانية مرحلة ظهور الغاز، والثالثة مرحلة التشكل، والرابعة مرحلة تكون المادة، لكن حتى هذه المرحلة لم يحدث امتزاج بين أي من عناصر الكون، وفي المرحلة الخامسة يحدث الامتزاج بين ما يعرف بالقوى السلبية والإيجابية. (المترجم).

الكون في العناصر الخمسة، واتحاد العناصر الخمسة في الشمس والقمر، واتحاد الشمس والقمر في التاي جي، وكلمة تادي كانت في الأصل تُقال وودي، وما كان مذكورًا من قبل تايدي ووودي يوجد أيضًا "المالك الحقيقي للكون"، هو أيضًا التشن إي[٣٥]، فهو بذاته خالق السماوات والأرض والأشخاص، فهو الجذر الرئيسي لجميع الأشياء والكائنات في العالم. ومن خلال هذا التفسير، قال علماء المسلمين في الصين إن العقيدة الأساسية في الإسلام "لا إله للكون سوى الله" تتفق مع التاي جي في الفلسفة المثالية الكنفوشية اتفاقًا مثاليًا، وأدرجوا التاي جي في المكانة نفسها التي تخص الإله الواحد.

إن هذا التجاوز في المغزى الفلسفي جعل التاي جي - بضخامته وعمقه - ينتمي إلى الإله الواحد، ومن ثم فقد أوجد أساسًا نظريًا واقعيًا لفكر الصينيين المسلمين في الإخلاص لله والإخلاص للحكام أو أولي الأمر، ألا وهو "الإخلاص الثنائي".

◆ اتحاد البحث في الأشياء والوصول إلى المعرفة:

البحث والتحقيق في الأشياء هو أيضًا دراسة موجهة نحو الأشياء، فالاستبطانُ استيضاحُ حقيقة الشيء من خلال دراسته. ويُعد هذا نظرية منهجية لدراسة القضايا ومعرفة الحقائق. لقد قام كل من وانغ داي يو وليو جه وما جو باقتباس النظرية المعرفية لدى جو شي، المتعلقة "ببحث الأشياء ومعرفة حقيقتها"، وتعتقد تلك النظرية بأن بحث الأشياء ومعرفة أسبابها وغاياتها لا تكون عن طريق معرفة الشيء نفسه؛ إنما عن طريق إدراك مشيئة السماء وتعاليمها، فإن بحث الأشياء وأسبابها وغاياتها هو من أجل تحقيق وضوح الرؤية لتلك الأشياء، أي "السماء لها تعاليمها، والإنسان له معايير الأخلاق، والأشياء لها قوانينها، والتعبير عن منطق الأشياء ومغزاها بصورة مباشرة واضحة"، "إن الحصول على المعرفة من خلال بحث الأشياء، مازال يأتي من مهمة اختيار الدراسات الكثيرة"، ولا يمكن بحث الأشياء والحصول على المعرفة، إلا إذا وجدت قدرة التخلي عن الأفكار الدنيوية المشتتة ورؤية حقيقة الأشياء، واتباع الفطرة والتنسك، وجميع الأحاديث

٣٥- ليو جه: (شروح لأهم مختارات الشعائر الإسلامية)، الجزء الأول، (مجلد الديانات البدائية).

المرشدة أيضًا"[٣٦]. والجانبُ الخاص بالغاية من البحث معرفةُ الحقيقة، فإن الاثنين يصبان في البوتقة نفسها، إذ إن كلمة "معرفة" التي أكدها جو شي - الموجودة في عبارة البحث ومعرفة الحقيقة - تشير إلى المعرفة بسياسات الطبقة الحاكمة وأخلاقياتها، واعتمادها أسلوبًا من أساليب تهذيب الأخلاق، ووضْع معيار لقول المرء وفعله، بحيث يجعل كل منهم مناسب لمتطلبات الطبقة الحاكمة في الأخلاق. وأكد العلماء المسلمون أن تلك الكلمة، وهي "المعرفة"، موجودة في معرفة الله، والوصول إلى غاية تبجيله وخشيته وطاعته. أما طاعة الله، المذكورة هنا، فتتضمن في معناها أيضًا طاعة إرادة الله في أن يُطاع الحاكم. وفي بحث الأشياء والوصول للحقيقة، ذلك الأسلوب المحدد، تعتقد الفلسفة المثالية الكنفوشية بأن بحث الأشياء المحسوسة لا يمكن أن يوصلنا إلى الحقيقة الكاملة، فقط من خلال الإدراك المفاجئ يمكن الوصول إلى منزلة المعرفة الكاملة، وهذه عملية مسعاها معقد وشاق. لكنَّ علماء المسلمين لا يعتقدون صحة ذلك الكلام، وذكروا بشكل واضح ومحدد قائلين: "أقر بالشيء حالما أراه".[٣٧]

◆ اتساق نظرية القدرية ونظرية الطبيعة الإنسانية:

يذكر القرآن أن كل شيء في الوجود مصيره محتوم مسبقًا من الله. وإن هذه العقيدة تسمى نظرية القدرية، وقد صنفها الصينيون المسلمون بالأركان الخمسة في الإسلام. وقد أخذ وانغ داي يو - وغيره من الأشخاص - من الفكر الكنفوشي خصائص نظرية المصيرية، وخصائص المزايا، إلى آخره من فكر نظرية الطبيعة الإنسانية، وجعلوا من كل هذا نقطة انطلاق وحجر أساس في نظرياتهم. وطرحوا النظرية التي تقول: "الدنيا هي للحياة، والآخرة وفق طباع الإنسان، فالحياة هي البذرة، والطباع هي الثمرة"، ويعتقدون أن طباع الإنسان يمكن أن تقسم إلى ثلاثة أنواع؛ هي: أولياء وصالحون وحمقى، "إن سحر الربيع لا يعلو عليه شيء، إنما الأفرع المزهرة هي التي تختلف طولاً

٣٦- ليو جه: (شروح لأهم مختارات الشعائر الإسلامية)، الجزء الثالث، (مجلد المعرفة).

٣٧- ما تشو: (المرشد الحق)، الجزء الثالث، الاستبطان.

وقصرًا". وذلك المعنى يقترب من المغزى المنقول عن كونفوشيوس، لكن دعا علماء الإسلام في الصين - استنادًا لهذه القاعدة - إلى أن السامي لا يفوقه شيء في السمو، والأدنى لا يفوقه شيء في الدنو، ولكل منهما معنى ومغزى، لذا اتَّخذت تلك النظرية قوة إلى حد ما.

◆ اتساق أركان الإسلام الخمسة مع المكارم الأزلية الخمس:

إن الإسلام يسمي شهادة أن لا إله إلا الله والحفاظ على الصلاة والمواظبة على الصوم وإيتاء الزكاة وحج البيت "الأركان الخمسة". أما المكارم الأزلية الخمس فهي البر، والاستقامة، والأدب، والحكمة، والإخلاص، وهي معايير الأخلاق التي أسستها طبقة الحكام في الصين للحفاظ على النظام الطبقي. إن أركان الإسلام الخمسة والمكارم الأزلية الخمس تنتمي في الأساس إلى مناهج فكرية مختلفة تمامًا، لكنّ وانغ داي يو اعتمد على منطقه، وشرَح أركان الإسلام الخمسة باستخدام الطقوس الدينية في الصين الإقطاعية والموجودة في المكارم الخمس. إذ يعتقد أن أول ما ذُكِر في المكارم الأزلية الخمس يعادل الشهادة بالإيمان في أركان الإسلام، لأن الشهادة الدائمة بالإيمان تحقق هدف عدم نسيان الله، فيكون القلب "بارًا"؛ وثاني ما ذكر في المكارم الخمس يعادل الحفاظ على الصلاة، فالصلاة نوعان؛ أما الأول فالصلاة لله، والآخر الصلاة للإمبراطور والوالدين، وهذه طقوس طبيعية؛ أما ما ذكر ثالثًا في المكارم الخمس فيعادل المواظبة على الصيام، فالصائم يصوم عن شهواته أيضًا، بالتالي فإن الشخص الذي يستطيع الصوم يحقق الحكمة في التحكم في نفسه، أما ما جاء رابعًا في المكارم الخمس فيعادل إيتاء الزكاة، إذ يقوم الفرد بتوزيع ما أتاه الله من ممتلكات على الفقراء، ويكون قلبه بذلك معبرًا عن رحمة الله، ويكون هذا هو العدل الذي يطلب تحقيقه الإسلام. وما جاء خامسًا في المكارم الخمس يعادل حج البيت الحرام، والحج تجمعٌ عظيم للمسلمين، والشرط الأول لحدوث هذا التجمع أن تكون كل التوقيتات بشكل صحيح، واحترام هذه التوقيتات، وهذا ما يسمَّى بالإيمان. فضلًا عن ذلك، قال وانغ داي يو أيضًا: "في حياة

الإنسان بالدنيا ثمَّة ثلاثة موضوعات كبرى رئيسية؛ وهي: طاعة الله، وطاعة الإمبراطور، أيضًا طاعة الوالدين. ومَن يخالف تلك الأمور الثلاثة فهو ليس مخلصًا، ليس مستقيمًا، وليس بارًا". عملت هذه المقولة على ربط الأركان الثلاثة للآداب الكنفوشية بدين الإسلام ربطًا وثيقًا.

◆ اتحاد الكلمة والمعنى:

في الثقافة الصينية التقليدية ثمَّة ثلاث كلمات وهي: "الحق"، و"الأخلاق"، و"الواحد"؛ وهي ثلاثة مفاهيم استخدمتها المذاهب الثلاثة الكنفوشية والبوذية والطاوية. وقد استخدم علماء المسلمين في الصين تلك الرموز الثلاثة وما تتضمنه من معان، وأنشأوا أسلوبًا متفردًا في تفسير الصين للإسلام. إن كلمة "الحق" يأتي مصدرها من كلمة قبل عهد مينغ، كان الرمزان (تشينغ- جين) من المفردات الشائعة، في بعض الأحيان يُستَخدَمان بوصفهما معنيَيْنِ إيجابيين في متاجر الكتب، وفي أحيان أخرى يُستَخدمان لتسمية الطاويين والنظريات الطاوية. أو يُستَخدَمان أحيانًا في تسمية المعابد البوذية. بعد فترة أواسط عهد مينغ، استخدم علماء المسلمين في الصين هذه الكلمة لتسمية الإسلام، والتعبير عن أن الإسلام دين "الطهارة والصدق"، فيما بعد كان التركيز بشكل أكبر على المعاني المتضمنة "للصدق والاستقامة"، والاستناد إلى ذلك في الله الذي يعبده المسلمون بالإله الحق zhu-zhen 真主، أو المهيمن الحق zai-zhen 真宰، وتسمية "القرآن" بالكتاب الحق jing-zhen真经، وتسمية مكان أداء الصلوات مصلى التشينغ جين (المسجد).

إن "الأخلاق" مفهوم فلسفي ذكره (لاو تسي) في مؤلفه "كتاب الأخلاق"، وقد استخدم علماء المسلمين في الصين هذا المفهوم بشكل واسع في علم الكلام، وقد تم تعريفه بأنه "المبادئ الطبيعية لتعاليم السماء"، وفيما يتعلق بهذا المفهوم طرحوا الأخلاق الشائعة والأخلاق الوسطية والأخلاق السامية، حتى الطرق الصوفية والإنسانية، إلى آخره من المفاهيم.

أما مفهوم "الوحدانية" في تعاليم الكنفوشية والطاوية فإنه مفهوم فلسفي مهم جداً، ولكي يقوم علماء المسلمين في الصين بتفسير وحدانية الإيمان بالله، اهتموا كثيراً بالاستعانة بمفهوم "الوحدانية"، وقالوا إنه "الدين الحق العزيز الواحد"، وربطوا الكثير من الأفكار الدينية بمفهوم "الوحدانية"، مثل تسمية الله بالإله الواحد "في الكلاسيكيات الكنفوشية يخترق صفحاتها الواحدة تلو الأخرى الرمز المشير إلى الوحدانية".

◆ الشخصيات البارزة في علم الكلام وفكرهم:

من الأسباب المهمة لنهضة علم الكلام وتطوره الوجودُ الثنائي لمجموعة العلماء المسلمين في الصين والغرب. فلكي ينهضوا بالإسلام في الصين، قاموا - بكامل رغبتهم - بالاقتباس من الثقافة الصينية الثرية، وأسهموا إسهاماً عظيماً في تطور الإسلام.

◆ وانغ داي يو وأفكاره:

وانغ داي يو أولُ عالم ديني من المسلمين في الصين بحث بمنهجية في النظريات الفلسفية للإسلام، وطبع أعماله المترجمة باللغة الصينية ونشرها. وظل أجداده يشتغلون لفترة طويلة في التشين تيان ديان للهوي هوي، لذلك فقد تلقى منذ صغره تعليماً منهجياً لدين الإسلام. وقبل أن يصبح رجلًا راشداً أحسّ في أعماقه بمدى أهمية الاستعانة بطريقة فكر قومية الهان وضرورتها ولغة الهان في نشر فكر دين الإسلام، لذلك درس - بكل جد - كتب السجلات التاريخية للنظريات الطبيعية الإنسانية والمبادئ السماوية، بالإضافة إلى مؤلفات من المذاهب الفلسفية المختلفة"، وأصبح من الأساتذة الجامعيين الأقلاء في ذلك العصر الذين لديهم معرفة عميقة بالأديان الأربعة؛ وهي البوذية والطاوية والكنفوشية والإسلام. وقد أصدر من قبل المؤلفات الثلاثة (شروح الدين الحق) و(جامع العلوم الإسلامية) و(الإجابات الحقيقية). وحاول في كتاب "شروح الدين الحق" - الذي كُتِب في السنة الخامسة عشرة لحكم الإمبراطور تشونغ دجين بأسرة مينغ (عام ١٦٤٢ ميلادية) - تقديم تفسير كامل لعقيدة الإسلام. و"جامع العلوم

الإسلامية" مؤلَّفٌ رائد من أعمال وانغ داي يو، حاكَى فيه مؤلف "الإجابات الحقيقية" لتفسير عقيدة دين الإسلام. فهو مؤلف قام فيه طلبة وانغ داي يو بتسجيل أقواله وأفعاله في أثناء حياته. وبوصفه عالمًا دينياً تتمثل النظريات التي أتى بها وانغ داي يو في أعماله - بشكل رئيسي - في هذه الجوانب:

الجانب الأول: فيه اقتبس وانغ داي يو نظرية الأركان الثلاثة والمكارم الأزلية الخمس من الآداب الإقطاعية في الصين، وأسَّس وجهة نظر سياسية؛ وهي "الإخلاص الحقيقي للطريق المستقيم". إن الصين بصفتها دولة غير مسلمة طالما واجه فيها المسلمون مشكلة سياسية عويصة، إذ إنهم يتحتم عليهم أن يطيعوا الله الواحد الأحد، وفي الوقت نفسه ينبغي عليهم أن يخلصوا للإمبراطور المعظم، لكن الإمبراطور ليس مسلمًا. وجاء إسهام وانغ داي يو في أنه ذكر أن الإخلاص لله والإخلاص للإمبراطور في الوقت نفسه أمران لا يتعارضان، ومن ثم أنشأ نظريته السياسية "الإخلاص الحقيقي للطريق المستقيم"، فهو يعتقد أن "الإخلاص لله، وأيضًا الإخلاص للإمبراطور والوالدين، هو التوجه للطريق المستقيم"، "لكن إذا اطاع الانسان الله و حمد الله و صلي لله وشعر برحمته، لكن لم يستطع أن يخلص للإمبرطور، فذلك يتنافي و مبادئ الاخلاص الحقيقي للطريق المستقيم" [٣٨]. فكره في "الإخلاص الحقيقي للطريق المستقيم" كان أساسًا فكريًا ومعرفيًا اتفقت فيه الدولة مع الصينيين المسلمين بشكل دائم، وعمِل هذا الفكر - على المستوى النظري - على تجميع وزيادة الاعتماد المتبادل والوحدة الشديدة في العلاقات بين الصينيين المسلمين والقوميات الأخرى لمئات السنين، وكان له مغزى فعلي تجاه حماية وحدة الوطن وتضامن أمته.

الجانب الثاني: اقتبس وانغ داي يو فكر استبطان الأشياء والوصول إلى الحقيقة من الفكر الكنفوشي، كما أوجد نظرية المعرفة في الإسلام بالصين. فيعتقد أن معرفة

٣٨- وانغ داي يو: (شروح الدين الحق)، مجلد الطاعة، ص٣٢، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، مايو عام ١٩٨٨.

الله تأتي وتبدأ أولًا من معرفة النفس، فطرح فكر "معرفة المعرفة"، و"رؤية المعرفة"، و"زيادة المعرفة". ويعتقد أن "معرفة المعرفة هي الاستنارة والاستيضاح، ورؤية المعرفة هي التقرب، وزيادة المعرفة هي التوافق"، ومعنى هذا الحديث أن "معرفة المعرفة" إدراك وجود الله، و"رؤية المعرفة" ليست الإحساس بوجود الله فحسب، لكن أيضًا تقريب المسافة الفاصلة بينه وبين الإنسان، أما "زيادة المعرفة" فهي التوحد والتوافق الشديد بين الله والإنسان. وتلك "المعارف الثلاث" التي طرحها وانغ داي يو كان لها تأثير مباشر فيما بعد على الأخلاق الشائعة والأخلاق الوسطية والأخلاق السامية.

الجانب الثالث: اقتبس وانغ داي يو من الفكر الكنفوشي نظرية خلق الكون وصورة التاي جي للمعلم العظيم تشو دون إي، ودمجهما مع "نظرية الوحدانية" في الفلسفة الإسلامية، وكوَّن بذلك نظريته المثالية حول عملية نشأة العالم بذاته والكون، فضلًا عن ذلك فقد اقتبس أيضا من مفاهيم الكنفوشية والطاوية، وحل - إلى حد ما - الخلافات الكثيرة بين وحدانية ذات الله والخلافات حول تعدد الفضائل، ولاقت تلك الحلول القبول من المسلمين في الصين.

◆ ما تشو وعقيدته الفكرية:

يُقال إن ما تشو الحفيدُ الخامس عشر من سلالة السيد الجليل شمس الدين عمر[٣٩]، وتولى ما تشو خلال فترة شبابه منصب كاتب سر في البلاط الإمبراطوري لأسرة مينغ الجنوبية، كذلك شغل منصب مساعد مرموق للإمبراطور، وغيرهما من المناصب. وقد عكف بعد ذلك على البحث في الكونفوشية والإسلام، حتى صار أشهر مُعلمي الإسلام في عصره. وألَّف الكثير من المؤلفات على مدار حياته، لكن لا يزال مؤلَّفه المكوَّن من مائتي ألف رمز (المرشد الحق) فقط الذي يحظى بانتشار واسع. ولقد قال في مقدمة كتابه: "في ضوء العادات الكونفشيوسية ذات الشهرة الخداعة"، "والأرثوذكسية

٣٩- (١٢١١ - ١٢٧٩)، يعتقد أنه من سلالة بيت النبي عليه الصلاة والسلام، وتدرج في المناصب القيادية بأسرة يوان، إذ كان حاكمًا لمنطقة شيان يانغ حتى أصبح من كبار الوزراء وأعتاهم في ذلك العهد.

التي عفا عليها الزمن - التي اتجهت لطريق الهرطقة - مضللة قلوب البشر، بالرغم من شهرتها بأنها الدليل المقدس"، كما أوضح قائلًا إن المضمون الأهم في هذا المؤلَّف: "إيضاح حقيقة الاختلاف والتشابه بين الأديان كافة، والحقائق الخفية والظاهرة للموت والحياة، وأهمية بذل قصارى الجهد لتهذيب النفس وإصلاحها خلال فترات الرفاهية وعدم تأجيل هذا لوقت لاحق". إن أهم ما يميز نظرية ما تشو "قراءته الفاحصة للتسوية السياسية التي قام بها السياسي المحنك في الصين القديمة (جوه) مع بلاد العرب"، ويجمع في وسط مؤلَّفه (المرشد الحق) ما استخلصه من مجموعة من "المختارات الكلاسيكية"، ثم يبدأ في نقد آرائه الفكرية. لذا يُعد كتاب (المرشد الحق) - في واقع الأمر - مجموعة من الكلمات التي تؤيد فلسفة ما تشو الدينية، وتعد أبرز العناصر في المؤلف في أغلبها عناصر مترجمة. ونستعرض أهم الآراء في النقاط التالية:

أولاً: الربط بين المعتقدِ الديني في الإسلام بوحدانية الإله ونظريةِ التاي جي في الكونفوشية. إذ أقر بالتشابه مع نظرية التاي جى في الكونفوشية، واضعًا في عين الاعتبار أن تعريف المذهب الكونفوشي للتاي جي ليس له حد حقيقي، ففي بداية التاي جي والوو جي[٤٠] نجد الإله الواحد القادر "الذي يرى ما لا يُرى، يسمع ما لا يُسمع، ويتغلغل في كل عميق"، "لا ينفصل التكوين عن الطبيعة، ولا تنفصل الطبيعة عن الحياة، ولا تنفصل الحياة عن الحقيقة، ولا تنفصل الحقيقة عن الإله الواحد".

ثانيًا: البحث في المذهب الكونفوشي للوصول إلى كيفية استخدام منهج النظرية الكونفوشية في شرح الإسلام. أقر ما تشو أن هدفه من البحث في نظرية المذهب الكونفوشي معرفة فكرة القدر وحقيقة الإله، وقد انصبت أهم نقاط بحثه على تقوية الأخلاق الإنسانية وتهذيبها. كما يعتقد أن "حقائق الكون تخدم

٤٠- (وو جي- اللاقطبية): يقصد بها ما قبل الخلق وقبل الوجود، إذ لا حدود للزمان أو المكان. في المرحلة الأقدم التي تسبق انفصال السماء عن الأرض، لذا فهي بداية البداية، إذ لا قطب ولا حد (اللا قطبية).

الإنسان بشكل لا نهائي"، "وأن العقل قادر على قياس حقيقة الكون". أما عن الاختلافات فلقد عرَّف ما تشو "المعرفة" في أعلى درجاتها بأنها "الخلق يعود لله"، بينما يرى المذهب الكونفوشي "المعرفة" بأنها انسجام مع المبادئ الأخلاقية لطبقة الحكام.

ثالثًا: الربط بين النظرية الأخلاقية في الكونفوشية، والاعتقاد في وحدانية الله في الإسلام. طرح ما تشو نظرية أخلاقية أسماها "قوانين البشرية الخمسة"؛ وجوهرها الاعتقاد بأن الحاكم ولهو تجسيد لله، فهو ينوب عن الله في توزيع الحظ والنصيب، ويدير جميع المخلوقات في الأرض والسماء، وهو أب لكل سكان الأرض، ويُعد عدم الوفاء للحاكم بمثابة مخالفة لأوامر الله، وهي تظهر كالتالي: "عندما يتمتع الناس بالثراء الفاحش، لا يحترمون الحاكم. لذا ينوب الحاكم عن الله. كما كُلف بإدارة شئون الكائنات جميعهم في السماء والأرض، بحيث يحصل كل منهم على نصيبه ويصل موضعه المناسب". كما أطلق على الحاكم ابن السماء، كما ادعى أن ابن السماء أبو البشر والعامة. ولقد انبثقت من هذا الأركانُ الثلاثة[41]، والمكارم الأزلية الخمس[42].

رابعًا: تجاهل المذهب الصوفي. يعد المذهب الصوفي واحدًا من المذاهب الروحانية في الإسلام، وينقسم إلى مذهب اتباع القواعد ومذهب عدم اتباع القواعد. ويُعد اعتناق مذهب اتباع القواعد في الصوفية هو السير على نهج جوهر الإسلام والسُّنة النبوية؛ أما مذهب عدم اتباع القواعد فبالرغم من إشهار أصحابه الإيمان بالله الواحد، إلا أنهم لا يسيرون وفقًا للسُّنة النبوية، ويقللون من أهمية الفروض التي أقرها الإسلام، ويرفعون من اتباع تهذيب الروح. وبعد دخول المذهب الصوفي أرجاء الصين، لاقى هذان المذهبان ردود أفعال متساوية بين المسلمين الصينيين. ولقد تقبل ما تشو في

---

[41] سلطة الملك على الرعية، وسلطة الأب على الابن، وسلطة الزوج على الزوجة.

[42] البر، والاستقامة، والأدب، والحكمة، والإخلاص.

كتابه – بشكل جزئي – الفكر الفلسفي النقدي والفكر الروحي للمذهب الصوفي، لكن كان رأيه واضحًا تمامًا فيما يتعلق بمذهبَي الصوفية: مذهب اتباع القواعد ومذهب عدم اتباع القواعد. إذ كان داعمًا لمذهب اتباع القواعد، بينما أعرب عن معارضته الراسخة لمذهب عدم اتباع القواعد، إذ نادى صارخًا: "يسهل تمييز الهرطقة الناجمة عن الخروج عن الطريق الحق، لكن يصعب إيضاح الهرطقة في الدين الحق"، معتقدًا أن الإسلام قد يأفل نجمه في مذهب عدم اتباع القواعد، بسبب "ادعاء النقاء، والارتداد عن الحق، وممارسة الخطأ"، راجيًا عودة الصينيين المسلمين إلى طريق الإسلام الحق.

◆ ليو دجه وعقيدته الفكرية:

وُلِد ليو دجه في مدينة نان جينغ، في أسرة مسلمة متدينة، وتلقى منذ الصغر تعليمًا جيدًا جدًا على مستوى الدين والمذهب الكونفوشي، "درس في صغره كتب التراث العربية، ودرس في شبابه المذهب الكونفوشي". واشتغل بالبحث والدراسة على مدار حياته، إذ اتسم بمعرفة واسعة في مجالات عدة، لكنه "لم يهتم كثيرًا بالتوسع في دراسة الطاوية والبوذية، ودراسة اللغات الأوروبية". ومن أبرز ما ألف على مدار حياته: (أصول الحكمة الإسلامية)، و(شعائر إسلامية)، و(قصص الأنبياء)، وأيضًا (شرح أركان الإسلام الخمسة)، و(شرح العقيدة الإسلامية بفن الشعر)، و(فَهم أبجدية العرب)، وغيرها من المؤلفات. ويُعد ليو دجه معلم الإسلام في الصين، فبالإضافة لأبحاثه في المذهب الديني في الإسلام يُعد واحدًا من أوائل مؤرخي التاريخ الإسلامي في الصين. ويُعد النظام الفكري له الأكثر مثالية مقارنةً بالأنظمة الفكرية لمن عاصروه، إذ أسس نظامًا فلسفيًا إسلاميًا متكاملًا يتمتع بالطابع الصيني.

أولاً: النظرة العالمية المثالية الموضوعية لنشأة العالم:

طرَح ليو دجه مفهوم "التاي جي"، طبقًا لنظرية التاي جي المذكورة في (إي جينغ)،

وفِكر الوو جي الخاص بتشو دون إي، والأقوال المأثورة عن لاو تسي في الطاوية، بالتطرق لوجود عالم فطري "مجهول" يسبق العالم المادي، وأن هناك ست مراحل للانتقال من العالم الفطري إلى العالم المادي. ويستطرد موضحًا أن هذا العالم الفطري كان قائمًا بالكامل على الوحدانية، مما يعكس عقيدته الإسلامية.

ثانيًا: نظرية المعرفة المثالية الموضوعية عن التكامل بين الله والإنسان:

ربط ليو دجه بين المذهب الفلسفي للكونفوشية ومذهب الأخلاق، وأيضًا نظرية الوجودية الإسلامية (الأنطولوجيا) ونظرية المعرفة ونظرية الطبيعة الإنسانية معًا. ليكوِّن نظريته المعرفية الخاصة بالتكامل بين الله والإنسان، موضحًا ثمار أبحاثه خلال محاولته الوصول إلى حل للخلافات الكثيرة حول وحدانية الله والأخلاق، مما جعل الفلسفة تصبح من أهم أدوات شرح الدين ومعرفته.

ثالثًا: التفكير الجدلي المادي من خلال المعارضة والتوحد:

ظهرت مفاهيم في مؤلَّفات ليو دجه؛ مثل التدرج والزمن والفراغ، ومفاهيم ثنائية الطابع مثل: الإله والإنسان، والعالم العلوي والعالم السفلي، والدنيا والآخرة، والطبيعة والحقيقة، والمادة والاستخدام، والمرئي وغير المرئي، وغيرها. نبعت هذه المفاهيم المتقابلة من مفهوم أعلى درجة، وهو مفهوم التشعيب والتقسيم، تجسيداً للفكر الجدلي في تقسيم الواحد إلى اثنين؛ أي أن جميع مصادر المفاهيم المتقابلة لا بد لها أن تعود إلى بوتقة المفاهيم الأعلى منها درجة، وأن يُطبَّق الفكر الجدلي إذ يتم دمج اثنين لتكوين أصل واحد، من بين المفاهيم المتقابلة، على سبيل المثال ثمَّة بين الكبير والصغير معارضة واختلاف، واعتماد متبادل، وغير ذلك، وهذا يمثل بداية الفكر الجدلي المادي. ولم يَظهر هذا النوع من الفكر الجدلي المادي كثيرًا في مؤلفات الكتَّاب الذين يقومون بدراسة الدين.

◆ ما ده شين وعقيدته الفكرية:

وُلِد ما ده شين في مدينة داه لي بمقاطعة يون نان، خلال سنوات طفولته درس اللغة العربية واللغة الفارسية بصحبة والده، وهو حفيد من الجيل الخامس للمعلم الإسلامي مؤسس التعليم الديني المسجدي "خو دنغ تشو". زار ما ده شين مكة المكرمة عدة مرات لأداء الحج والعمرة وطلب العلم، وخلال ذلك زار مصر واليمن وسنغافورة وغيرها من البلدان للسياحة، وجمع خلال زياراته مجموعة من المؤلفات الدينية، كما قام بطباعة القيِّم منها، كذلك كان يستقي العلم من الدارسين المسلمين في هذه البلدان.

قضى ما ده شين الشطر الآخر من حياته خلال انتفاضة قومية الهوي المسلمة بيون نان، تحت قيادة القائد دوه ون شيو، وبالإضافة لكون ما ده شين من الدارسين الإسلاميين، قام بالاشتراك في هذه الانتفاضة، وكان بينه وبين حكومة يون نان اتصالات سرية، ليساعد حكومة تشينغ الحاكمة في عزل جيش الانتفاضة، لكن قتلته حكومة تشينغ في النهاية. وكان لهذه التجارِب أثرها البارز في تشكيل فكره الديني. وألَّف على مدار حياته الكثير من المؤلفات بالعربية والصينية، وكانت المادةُ الدراسية الأساسية بها التعليمَ الديني في المساجد، ومن أهم أعماله (المختصرات الأربعة)، و(الفصوص). كما انكب على الدراسة بدقة شديدة، فتميز أسلوبه في الكتابة بالإتقان والمنطقية، وكان يدعو إلى الاهتمام بمساعدة الإنسان، وعارض الخطب الدينية الرنانة التي تتحدث في ما لا يفيد، وتتعمد تهويل الأمور وتعقيدها، وتحاول اكتساب تأييد الناس بالكلام الرنان. وكانت له إسهامات عظيمة في تطور الإسلام في منطقة يون نان. وتضمنت آراؤه العلمية عن الإسلام بشكل رئيسي النقاط التالية:

أولاً: قام بإقصاء العرض وانتقاء الجوهر، ونبذ المزيف وتمسك بالصحيح من أفكار السابقين، وطورها إلى حد ما. كما قام "بالبحث في المؤلفات بهدف الإبقاء على الصحيح، وتصويب الأخطاء، وإلغاء المعقد، ليحل محله البسيط. كما أعاد ما تم تزييفه من كلام السيد دو إلى نصابه الصحيح، حتى يسهل اتباعه من قبل طلاب

العلم، ويصبح من الصعب على المعلمين أن يحيدوا عنه"، كذا نظَّم مؤلفات كلٍّ من وانغ داي يو وما تشو وليو دجه وغيرهم من المؤلفين. وقد طور من أفكار الأجيال السابقة خلال عملية تنظيم هذه المؤلفات، موضحًا تأثير شرح مفهوم وحدانية خالق الكون في تطور مفاهيم الوقت والفراغ، كما استطاع أن يتعمق - إلى حد ما - في نظريات المعرفة والمنهج العلمي في الإسلام.

ثانيًا: الدعوة الحثيثة إلى الفكر الروحاني في المذهب الصوفي. فلقد اختلفت نظرية ما ده شين عن نظريات السابقين عليه؛ إذ تأثر بشدة بفكر المذهب الصوفي، فعلى صعيد قضية التكامل بين الله والإنسان، اتبع مذهب الفكر الصوفي، إذ اعتقد بأنه يجب على المسلمين أن يجتنبوا ملذات العالم الفاني، "وأن يحافظوا على ما أثمرته أبحاثهم من نتائج، راغبين إلى يوم الجمع، حتى تظهر الحقيقة في العالم الآخر". أما على صعيد قضية التمسك بالإصلاح الديني، فلقد رأى أنه يجب على كل مسلم أن يسير على درب الإصلاح الديني، ساعيًا نحو التواصل مع الله، والتكامل معه. كما رأى على صعيد قضية المُعلمين أن سيّرهم على نهج الإصلاح الذي يتَّبعه المصلحون، هو ما سيحدد دورهم، "إن المعلم الصادق يمثل السفينة في البحر، بدونها لن نتمكن من اجتياز البحر"، يجب أن يقوم الزاهدون المصلحون "بإقناع المُعلمين بأن "جميع الأمور يجب أن يتم الإنصات إليها على مدى الحياة". أما فيما يخص الجدل في المذهب الصوفي، فإن الإسلام في الصين يُثني على مذهب اتباع القواعد، بينما يرفض مذهب عدم اتباع القواعد، وعلى النقيض يرى ما ده شين أنه لا يمكن التمييز أو الفصل بين الفكرَيْنِ، إذ أشار قائلاً: "لا يمكن أن يضاهي محيط معرفة الإنسان محيط معرفة الله، بالمثل لا يمكن مقارنة المصباح بالقمر، أو مقارنة القمر بالشمس"، إنه يرى أن المذاهب المختلفة داخل المذهب الصوفي تتلاقى في النهاية.

ثالثًا: الاعتماد على الثقافة والعادات الصينية في شرح الإسلام. اعتمد ما ده شين بشكل

كبير - في مؤلفاته وما أعاد تنظيمه من أعمال - على الأقاويل والحكايات المتداولة بين عموم الناس في الصين، وأيضًا على نظرة البوذية لأسباب الثواب والعقاب ونتائجهما "الجزاء"، خلال توضيحه نظرةَ الإسلام للحياة الآخرة. كما اعتقد أن "الحياة والآخرة واضحتان وبديهيتان"، فهو يرى أن "الله سيكافئ الصالحين بالجنة، بينما الأرض هي المكان الذي يجمع بين الصالحين والآثمين".

◆ أهم إسهامات علم الكلام:

يُعد علم الكلام وليدًا حتميًا لتطور الإسلام في الصين. إذ استخدم دارسو الإسلام لغة المذهب الكونفوشي وفكره وآراءه لبحث المذهب الديني للإسلام وتنظيمه واستنتاجه. وكان لترجمة أجزاء من الكتاب الإسلامي المعظَّم "القرآن الكريم" ونشره - بحيث تكون ترجمة القرآن الكريم كفيلة بتوضيح معانيه - لها أبلغ الأثر في مساعدة الناس في فَهم الإسلام، ومنحهم أساسًا للبحث. كما قدَّم علم الكلام في الوقت نفسه مادة دراسية غزيرة للدراسة في المساجد، مما أدى إلى ظهور جيل جديد من المسلمين. ولم يكن لعلم الكلام - فحسب - تأثير إيجابي على الامتزاج بين الإسلام وثقافة الصين وتقاليدها، وإنجاز مذهب ديني إسلامي ذي طابع صيني؛ بل امتد تأثيره ليشمل إثراء التاريخ الفكري والديني في الصين، إذ أصبح لهما مفهومهما الخاص.

أولاً: إنشاء أسس فكرية متقاربة. يتبع الغالبية العظمى من المسلمين في الصين المذهب السُّني، أي أنهم يؤمنون بالمذهب التقليدي الإسلامي. وحاول الدارسون المسلمون تقوية الامتزاج الفكري بين الإسلام والكونفوشية من خلال علم الكلام، إذ ظهرت بعض المضامين التي لا تحتل مكانة هامة في المذهب الديني للإسلام، إلا أنه كان لها بالغ الأثر على إصلاح مضمون الإيمان بالإسلام في الصين. فعلى سبيل المثال يعتمد المذهب التقليدي الإسلامي على النظريات ليثبت أن الإسلام أعلى مقامًا من اليهودية والمسيحية، لكن خلال ترجمة علم الكلام إلى الصينية، تم تطوير هذه النظرية بشكل ملاحَظ، إذ صارت إثباتًا لتقارب الأسس بين الإسلام والكونفوشية.

مثال آخر: يُعد الإسلام بمثابة العصا السحرية التي استعادت وحدة الروح في شبه الجزيرة العربية، فكان مقياس العلاقات الإنسانية وأخلاقيات المجتمع في المذهب الديني الإسلامي يحمل طابع شبه الجزيرة العربية، واستوعب الدارسون المسلمون معايير المذهب الديني الإسلامي بالكامل، وقاموا بمزجه بالواقع الصيني، وبتلخيص العلاقة بين الراعي والرعية، والوالد والابن، والزوج والزوجة، والإخوة، والأصدقاء عند المسلمين الصينيين، مطلقين عليها المكارم الأزلية الخمس؛ وتلخيص مضمون الطعام والشراب، والحياة اليومية، والإيمان والعقيدة، والحياة الدينية، والمراسم والشعائر، وغيرها، مطلقين عليها المبادئ الأبدية الخمسة.

فلقد زعموا أن المكارم الأزلية الخمس هي منهج البشر، أما المبادئ الأبدية الخمسة فهي منهج الله. وقد أسهم هذا في تفسير القرآن الكريم، ففي أثناء تفسير القرآن من مفهوم محدد نجده يتماشى مع فكر المذهب الكونفوشي. مثال ثالث: أثنى الإسلام في الصين على مذاهب شنغ الثلاثة[43]، فهي في الواقع تمثل دعوة الدين إلى تهذيب النفس، وهذا هو فكر المذهب الصوفي. ودعت طبقة المثقفين خلال فترة الفكر الإقطاعي في الصين إلى تهذيب النفس والاهتمام بالأخلاق، وأن يعيش الإنسان حياة بسيطة هادفة. لذا اهتم مترجمو علم الكلام بشرح مذاهب شنغ الثلاثة وتفصيلها، وتقريب المسافة بين الفكر الإسلامي والكونفوشي، ليُقنِعوا مثقفي قومية الهان[44] بإقرار الفكر الديني الإسلامي.

ثانيًا: الوصول إلى حل للخلافات الكثيرة المتعلقة بوحدانية الله والأخلاق. توصل دارسو علم الكلام من المسلمين الصينيين، خلال انغماسهم في البحث في الثقافة الكونفوشية، والطاوية، والبوذية في الصين، إلى أنه بالرغم من أن الثلاث قادرة

[43]- علم من علوم البوذية، ينقسم إلى ثلاثة مذاهب، يدعو الأول إلى راحة العقل والتخلص من الغضب، ويدعو الثاني إلى الحياة وفقًا لقوانين الدين، ويدعو الأخير إلى مساعدة جميع البشر.

[44]- القومية الصينية ذات الأغلبية العظمى في الصين.

على تفسير قضية أصل الكون، إلا أن الاختلاف الثقافي أدى إلى الكثير من الاختلافات في جوهر القضية. إنه عند طرح هذه الخلافات على الدارسين المسلمين لم تقف عائقًا لهم؛ بل استخلصوا من الأفكار الثلاثة المفاهيم والأفكار المناسبة، إذ تمكنوا من الوصول لحلٍّ للقضايا الشائكة المتمثلة في وحدانية الله والأخلاق، فعلى سبيل المثال: عندما طرح وانغ داي يوه هذه القضية مزجها بالواقع الداخلي الصيني، قائلاً: "لكل أسرة عائل، ولكل مقاطعة حام، ولكل ولاية راع، ولكل دولة حاكم، وبالمثل فللعالَم إله".

ثالثًا: تطوير الميادين الجديدة لتاريخ الفكر الصيني. منذ قديم الأزل كوَّنت الكونفوشية والطاوية والبوذية ثلاث جبهات مذهبية قوية في الصين، شاعت بينها الخلافات. فاستطاع الإسلام أن يمتص أفكار المذاهب الثلاثة ومفاهيمها، كما هيأت الترجمات الصينية للإسلام للمذاهب الثلاثة الكونفوشية والطاوية والبوذية الفرصة لفَهم الفكر الديني والفلسفي الإسلامي، مُنهية بذلك حالة الانقسام الفكري في الصين، التي استمرت طويلاً بسبب المذاهب الثلاثة.

رابعًا: إثراء منهج الحقيقة والطبيعة في الكونفوشية. طوَّر الدارسون المسلمون منهج الحقيقة والطبيعة، معتمدين على منهج الحقيقة والطبيعة في الكونفوشية، ودفَع فكر "تقارب الطباع، وتباعد العادات"، و"مفهوم القضاء والقدر، ومعنى الاستقامة" نحو مستوى العلوم الروحية، وطرَح "قدسية الطبيعة الإنسانية، ومثالية الطباع الموروثة، وأن القضاء والقدر بيد الله، والاختلاف بين العادات"، و"الطبيعة الإنسانية والإيمان بالقضاء والقدر، والإقرار بمنهج الله". قادت هذه الأفكار إلى التوصل لمعالجة منبع قضية منهج الحقيقة والطبيعة في الإسلام، وغيرها من القضايا، مما أسهم في تطور ملاحَظ في منهج الحقيقة والطبيعة في الكونفوشية.

ثالثًا: ترجمات معاني القرآن الكريم للغة الصينية:

إن القرآن الكريم كتاب الإسلام المعظَّم، وهو الوحي الذي أوحى به الله لرسوله (صلى الله عليه وسلم). ظل القرآن الكريم لفترة طويلة ينتشر فقط باللغة العربية. واعتقد الدارسون للمؤلفات الإسلامية أنه انطلاقًا من أن القرآنَ الكريم الكتابُ المعظَّم الذي يضم الوحي الذي أوحَى به الله، فستنتج في حالة ترجمته إلى أيَّة لغة أخرى أخطاء في تفسيره وشرحه، لذا تم منع ترجمة القرآن الكريم خلال الفترة الأولى للخلافة الإسلامية. يرى الكاتب أن السبب الرئيسي وراء ظهور هذه الظاهرة أنه خلال الفتوحات الكبيرة التي شهدتها الخلافة الإسلامية، كان يتم تطبيق الثقافة الإسلامية في البلدان التي يتم فتحها، وأصبحت اللغة العربية هي اللغة المتداولة فيها، لذا لم تظهر مشكلة الترجمة. لكن من ناحية أخرى نتيجة لتحول سكان البلدان التي تم فتحها ليدينوا بالإسلام، ولفَهم دين مَن يحكمهم واستيعابه، لم يكن هناك مفر من دراسة لغة القرآن الكريم، مما ساعد على سرعة تعميم اللغة العربية. وكان هذا هو السبب السياسي الذي جعل الحكام خلال الفترة الأولى من الخلافة الإسلامية يمنعون ترجمة القرآن الكريم.

بدأت مشكلة ترجمة القرآن الكريم تلوح في الأفق، بعد انتقال الإسلام من نطاق المحلية إلى النطاق العالمي، خاصة خلال الفترة الأخيرة من حكم الخلافة الإسلامية. إذ كان سكان البلدان التي تم فتحها مثل الفرس والأتراك وغيرهم، في الواقع، يتمتعون بحق القيادة السياسية في دولهم، لذا طبقوا الثقافة الإسلامية، لكن لم يطبقوا الثقافة العربية. وكان هذا أيضًا السببَ التاريخي الذي أدى لظهور الترجمة الأولى للقرآن الكريم إلى الفارسية. ولقد زاد اهتمام الأوروبيين بالإسلام، نتيجة لما قدَّمه الإسلام من إسهامات على صعيدَي الثقافة والصدام الأوروبي، مما أدى لظهور ترجمات للقرآن الكريم باللغات الأوروبية.

ظل الإسلام بعد انتشاره في الصين، لفترة طويلة، يتم النظر إليه على أنه شكل عقائدي دخيل، تعامل معه التيار الرئيسي في المجتمع الصيني على أنه نوع من الأعراف

المختلفة. وصولاً إلى بداية حقبة أسرة تشينغ، كانت طبقة المثقفين في الصين لا تزال معرفتها عن الإسلام لا تتعدى مجموعة من الكلمات والمصطلحات المتفرقة، لم ترتقِ إلى حد المعرفة المنهجية. وقد أورد كتاب (المرشد الحق[45])، الموافق عام ١٦٧٩ ميلادية، والعام الثامن عشر لتولي الإمبراطور كانغ شي[46] الحكم، توجُّه جلالته إلى مدينة لي لممارسة الصيد البري، وعندما صعد إلى مقصورة المسلمين، رأى الكتاب المعظَّم موضوعًا على الرفوف، أخذ يتجول تتملَّكه الحيرة، وكان غير قادر على المغادرة، ثم أصدر مرسومًا إمبراطوريًّا يسمح لشيوخ المسجد أن ينشروا الدعوة، لكن سكان مدينة لي لم يمتثلوا للأمر الإمبراطوري. وفي خريف العام الحادي والعشرين من حكم الإمبراطور كانغ شي، استغل الوزراء من المناطق الغربية بالكتاب المعظَّم، ليتمكنوا من دخول العاصمة، حيث نص مرسوم الإمبراطور على أن وزارة المراسم[47] تقوم بمساعدة الناس للتنقل من العاصمة وإليها، وداخل حدودها وخارجها، وهو ما استغلته الرعية لصعود جبل ووه تاي[48] وتمنِّي السعادة، بينما كان الإمبراطور قد صعد جبل جينغ لاستقبالهم، إذ كان ميعاد استقباله لهم قد تحدد له عصر اليوم الموافق ليوم تمني السعادة على جبل ووه تاي. وهنا أصدر الإمبراطور مرسومًا أمر فيه بالسماح بممارسة شعائر الإسلام، لكنه منع نشر الدعوة إلى الإسلام. ولمساعدة الرعية على استعادة المرسوم الأول، قال الإمبراطور: "سيادتنا كذلك لدينا الكثير من المهام، سنأمر بعودة المرسوم الأول بشكل مؤقت، إذ يُسمَح بنشر الدعوة إلى ما قبل بَدْء الرحلات زيارةَ جبل ووه تاي، نأمل أن لا يخيب أملنا". توضح هذه الفقرة من السجلات أن الأجانب من المسلمين استمروا في التطبع بالطباع الصينية، بينما كان عدد المسلمين الصينيين الذين

---

[45]- "في نهاية الجي: الجي هو العام السادس وفقًا للتقويم الصيني القمري، كذا يحتل الجي المرتبة السادسة من الجذوع السماوية والفروع الأرضية".

[46]- هو الإمبراطور الرابع من أسرة تشينغ "١٦٥٤-١٧٢٢".

[47]- وزارة قديمة كانت موجودة في الصين الإقطاعية.

[48]- هو الجبل الأول من الجبال الأربعة البوذية في الصين.

يفهمون العربية والفارسية قليلًا جدًا، إذ اقتصر فَهمهم للقرآن الكريم وباقي الكتب الدينية على حد "ممارسة الشعائر وعدم نشر الدعوة". لكن مع زيادة أعداد المسلمين في الصين، ولتحقيق متطلبات الحياة الدينية، أصبح من المهم جدًا ترجمة القرآن الكريم والمؤلفات الدينية.

سار كلٌ من الصينيين والأجانب على النهج نفسه تقريبًا في ترجمة القرآن الكريم. ووفقًا لما جاءت به السُّنة النبوية نجد أن ترجمة القرآن الكريم ما بين الرفض في بادئ الأمر ثم الدعوة إليها، جعل منها طريقًا ينتهجه المسلمون لفعل الخير؛ ويتضح من ترجمة اللغة أن غير المسلمين من دارسي اللغة هم من قاموا بعملية الترجمة في بادئ الأمر، ثم سار الدارسون المسلمون على نهجهم سريعًا؛ أما عملية الترجمة فسارت على النحو التالي: ترجمة الركائز الأساسية مرورًا بالترجمات المتفرقة، ثم الوصول إلى مرحلة ترجمة النص كاملاً. كما أخذت ترجمة القرآن الكريم إلى الصينية نهج ترجمته إلى اللغات الأجنبية الأخرى، مثل اليابانية والإنجليزية وغيرهما من اللغات.

◆ تسلسل تطور حركة ترجمة القرآن الكريم:

ثمَّة في الصين في الوقت الراهن ما يقرب من اثني عشر نوعًا من ترجمات القرآن الكريم. فمنذ دخول القرآن الكريم إلى الصين، خلال حقبة أسرة تانغ، كان المسلمون الصينيون يعتمدون التفسير الشفهي للأئمة، أو يرتلون بعض أجزاء القرآن الكريم باللغة العربية، مما أدى إلى ظاهرة وجود أعداد كبيرة من المسلمين الصينيين القادرين فقط على قراءة القرآن، لكنهم لا يفقهون معانيه. ومع ظهور علم الكلام شرعت مجموعة من الدارسين الإسلاميين الصينيين، مثل وانغ داي يوه، وما تشوه، وليو تجه، وغيرهم، في ترجمة القرآن الكريم، لكن لاهتمامهم الشديد بقدسية القرآن الكريم لم يترجموا منه أجزاء كبيرة، فقط قاموا بمحاولات لترجمة قليل من الأجزاء خلال أبحاثهم، وكانوا في كل مرة يصرحون قائلين: "بقراءة القرآن الكريم، يتضح أن النص بالكامل يتمتع بمهارة فائقة، لا جدوى من استخدام لغة منمقة لمضاهاته، وكان من الصعب جدًا التوصل إلى

ما يوافقه في اللغة الصينية، لقد بذلنا قصارى جهدنا، راجين أن ننال رضاكم". وواجه بعض الدارسين خلال بحثهم وتفسيرهم للمنهج الديني الإسلامي بعض المشكلات التي لم يكن بمقدورهم تفاديها، لذا اعتمدوا منهج نقْل جوهر الكلام عند ترجمة الكتب الدينية الأجنبية. ولقد ظهرت بعض الخصائص خلال حركة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الصينية؛ وهي:

أولاً: ظهور بعض المختارات المترجمة من القرآن الكريم إلى الصينية، وظهور مؤلفات بالرموز الصوتية للقرآن الكريم تماشيًا مع الانتشار التدريجي للتعليم الديني في المساجد، ولتحقيق متطلبات المراسم والشعائر الدينية.

ثانيًا: تم إعداد تراجم مبوبة للمحتويات المتعلقة بالقرآن الكريم، وفقًا لما يتناسب مع الاحتياجات الدينية للمسلمين الصينيين. ومن ثم ظهرت أول ترجمة كاملة للقرآن الكريم إلى اللغة الصينية في عام ١٩٢٧ ميلادية، بناءً على الأساس الذي وضعه الدارسون الإسلاميون.

◆ السمات الرئيسية للنسخة الصينية المترجمة عن القرآن الكريم:

كانت حركة ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الصينية في بادئ الأمر عبارة عن ترجمات متفرقة، إلى أن وصلت إلى الترجمة الكاملة للقرآن الكريم، مما يوضح التبلور والنضج المستمرين للإسلام في الصين، كما ساعد ذلك على فَهم طبقة المثقفين الصينيين للإسلام بشكل أفضل. لذا، يُعد ظهور حركة ترجمة القرآن الكريم، خاصة الترجمة الكاملة له، مظهر انصهار الإسلام مع الثقافة الصينية.

◆ ترجمة تييه جينغ:

كان تييه جينغ صاحب أول ترجمة كاملة للقرآن الكريم إلى اللغة الصينية، وهو دارس من قومية الهان، ولا يجيد اللغة العربية. وقام بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الصينية نقلاً عن الترجمة اليابانية للقرآن الكريم، التي قام بها سكاموتو كانيتشي، كما

اقتبس من الترجمة الإنجليزية لرودويل، وقد صدرت ترجمته للقرآن الكريم في عام ١٩٢٧ ميلادية، بعد تأسيس الجمهورية الصينية (١٩١٢-١٩٤٩) بستة عشر عامًا، من دار باي بينغ الصين للطباعة والنشر، تحت اسم (القرآن المعظَّم).

لكن لم تملأ ترجمة تيه جينغ فحسب الفراغ التاريخي للإسلام في الصين؛ بل عززت حركة الترجمة عند الدارسين المسلمين وشجعتها. كانت هذه الترجمة بالنسبة للتاريخ الإسلامي الصيني بمثابة المثل القائل: (بداية الغيث قطرة).

واعتمدت هذه الترجمة أسلوب الكتابة الصيني الكلاسيكي، كانت دقيقة إلى حد ما، ومقتضبة، كما كان ترتيب الكلمات مناسبًا إلى حد ما ودقيقًا وبسيطًا يسهل فَهمه. لكن أثَّر الاستخدام غير الثابت للمصطلحات في مخطوطة الترجمة، كذلك الاستخدام الخاطئ للضمائر، وغير ذلك من العيوب، في الفهم الصحيح للمعنى الأصلي للنص.

◆ ترجمة خا تونغ[49]

بعد إصدار ترجمة تيه جينغ بثلاثة أعوام استقدم تاجرُ شانغهاي اليهودي خا تونغ مجموعةً من الدارسين الإسلاميين والدارسين من قومية الهان، إذ تم إصدار الترجمة الثانية للقرآن الكريم إلى اللغة الصينية في شهر مارس عام ١٩٣١ ميلادية، تحت اسم (الترجمة الصينية للقرآن الكريم).

واتُّخذت هذه الترجمة من النسخة العربية للقرآن الكريم مرجعًا، كما قرأوا التراجم الإنجليزية واليابانية للقرآن الكريم لتكون مرجعًا لهم، ومن ثم تم صقل الترجمة وتنقيحها من قبل علماء لغة من قومية الهان، وسُميت بترجمة خا تونغ. كما أُطلق عليها أيضًا ترجمة دجون ديه مي؛ نتيجة لإشراف رئيس الخدم دجون ديه مي على أعمال الترجمة. ولقد قال إنه بسبب رغبته في "استعادة المنهج الإسلامي، واستعادة قُدسيته"، لذا "أقدم هذه الترجمة لمساعدة من يفهم الصينية فقط، وغير قادر على قراءة القرآن

٤٩- سيلاس أرون هاردون ١٨٤٩-١٩٣١م.

الكريم وفهمه باللغة العربية"، لكن "لا يمكنني القول إن هذه الترجمة تنوب عن القرآن الكريم". ولقد أبرزت مقدمة الترجمة (الترجمة الصينية للقرآن الكريم) بشكل واضح أصل هذه الترجمة ومصدرها. وذكرت زوجة السيد خا تونغ بعد نشر ترجمة الكتاب المعظَّم أنه "بالرغم من أن السيد سيلاس هاردون ﴿خا تونغ﴾ يحمل الجنسية الإنجليزية، إلا أن اليهودية وطنه الأم، يؤمن اليهود بأن النبي موسى هو مؤسس الدين، وأنه صاحب الفضل الأكبر في أن تجتمع بلاد العرب وتتبع النبي محمدًا (صلى الله عليه وسلم) من بعده، ولأن السيد نشأ وترعرع في تركيا، ، وبالرغم من انتقاله للصين منذ ستين عامًا إلا أن إيمانه ظل راسخًا لم يتزعزع، وكان مذهب مو شي بالرغم من ازدهاره الشديد، إلا أنه كان يتمتع بطموح واسع، إذ عمل جاهدًا لبسط نطاق مذهبه في منطقة جديدة، لذا قام بترتيل أجزاء القرآن الثلاثين بكل اجتهاد، حتى أنه استخدم اللغة العربية الشفهية لنشر مذهبه. ومنذ عهد أسرتَيّ سونغ وتانغ كانت حركة الترجمة إلى الصينية نادرة جدًا.

وصولاً لحقبة أسرة تشينغ سعى بعض معتنقي الإسلام لمزاولة الترجمة، لكن تُوُفِّيَ البعض منهم قبل الانتهاء من الترجمة، والبعض الآخر أنهى المسودة فقط وكانت غير مرتبة، لا يمكن تجميعها على هيئة أجزاء. كما لم تُستكمل محاولات الترجمة عن اليابانية واللغات الأوروبية. وعندما قرأ السيد خا تونغ عن هذا عقد العزم على الإسهام في الترجمة إلى الصينية.

لذا قام السيد خا تونغ بتكليف دجون ديه مي بالبحث عن أشخاص يتقنون العربية واللغات الأوروبية واليابانية؛ ليقوموا بإعداد مسودات، بحيث يكون دجون ديه مي مشرفًا على الأعمال". امتازت مخطوطة الترجمة بمستوى راقٍ، كما امتازت الطباعة والتصميم والتجليد بالدقة الشديدة، نتيجة للموارد المادية الضخمة التي قام السيد خا تونغ بضخها، مما مثَّل دعامة لهذا العمل، كذلك نتيجة للمستوى المتميز للمترجمين، وأيضًا نتيجة للاستناد إلى التراجم اليابانية والإنجليزية. وتمت كتابة هذه الترجمة

باللغة الصينية التقليدية، لكن عند مقارنتها بترجمة تييه جينغ نجد أن الأخطاء في هذه الترجمة أقل بكثير، وهي أكثر سلاسة ويسهل فَهمها، حتى أن المسلمين الذين يتمتعون بمستوى متوسط في اللغة الصينية يستطيعون قراءتها وفَهمها.

◆ الترجمات الثلاث لوانغ دجينغ دجاي:

يُعد وانغ دجينغ دجاي (١٨٧٩-١٩٤٨) أول صيني مسلم يقوم بترجمة القرآن الكريم، كما أنه أول دارس صيني مسلم يترجم القرآن الكريم عدة مرات، ثمَّة ثلاث ترجمات جرت العادة بتسميتها (الترجمة الشارحة للقرآن الكريم) بأجزائها الأول والثاني والثالث. وكان وانغ دجينغ دجاي مسلمًا من تيان جين، بدأ في الثامنة من عمره في تلقي التعليم المسجدي، إذ درس اللغة العربية والفارسية، كما درس بنفسه كلاً من اللغة الإنجليزية واللغة الصينية، وكان واسع الاطلاع، وهو ما كوَّن عنده أساسًا ساعده على تأليف الكتب فيما بعد.

وفي عمر السادسة والعشرين، بعد أن أتم دراسته في المسجد، شغل منصب إمام مسجد في كلٍّ من خه باي، وشن يانغ، وشان دونغ، وبكين، وخاي لونغ تجيانغ، وتايوان، وغيرها من المناطق. في عام ١٩٢٢م ذهب إلى مصر ليتابع دراسته في جامعة الأزهر، وخلال هذه الفترة ذهب إلى مكة لأداء الحج، كما زار تركيا وغيرها من البلدان.

شهدت تراجم زانغ دجينغ دجاي الثلاث للقرآن الكريم الانتقال من استخدام اللغة الصينية التقليدية إلى استخدام اللغة الصينية الحديثة، إذ استخدم اللغة الصينية الحديثة في ترجمته الثالثة "بينغ" للقرآن الكريم، فكانت تمتاز بالوضوح والسلاسة، مما يسر على عموم المسلمين فَهمها ودراستها.

أما ما لا يقدر بثمن فقيامه - بناءً على ما درسه - بتفسير بعض القضايا الهامة التي تشغل المسلمين تفسيرًا مفصلا،؛ مثل سماح الإسلام بتعدد الزوجات، وتحريم تناول لحم الخنزير، وغير ذلك من القضايا، هادفًا تيسير فَهم محتوى القرآن الكريم على

المسلمين. وبوصفه دارسًا للإسلام اهتم وانغ دجينغ دجاي - بشدة - بصياغة المعنى الأصلي كما هو خلال ترجمته القرآن الكريم، لذا برزت مصداقية ترجمته، مما ساعد على استمرار المسلمين في استخدامها إلى الآن.

◆ ترجمة ليو جين بياو:

الترجمة التامة الرابعة للقرآن الكريم إلى اللغة الصينية صدرت في عام ١٩٤٣ ميلادية، بواسطة دار نشر الشعب الجديدة في باي الشمالية، تحت مسمى (الترجمة الصينية للقرآن الكريم مع الشرح)، للمترجم ليو جين بياو. "صدرت هذه الترجمة في بداية عام ١٩٤٣ ميلادية، بدراسة الظروف التاريخية والجغرافية، فإنه يبدو جليًّا أن واقعية المترجم قد لاقت ترحيبًا كبيرًا حتى من قبل أعدائه، فلقد رأوا أنها وسيلة يمكن اعتمادها". وأصبح ليو جين بياو أداة للحكم الاستعماري الياباني في الصين، "كان رهينة لكوارث الغزو الأجنبي، وزلت قدمه في الخطر، لكن سيحكم التاريخ عليه اعتمادًا على الرأي العام"، لكن فيما يتعلق بترجمته فإن لها قيمة اطلاعية كبيرة عند البحث في الثقافة الصينية الإسلامية.

تنقسم (الترجمة الصينية للقرآن الكريم مع الشرح) إلى جزأين "المعظَّم" و"الشرح"، فـ"المعظَّم" ترجمة (القرآن الكريم)، أما جزء "الشرح" فإنه تفسير المترجم وشرحه واستشهاداته. وسعى المترجم جاهدًا في جزء "الشرح" أن يعتمد ثقافة قومية الهان، لشرح المذهب الديني للإسلام وتوضيحه، كما اعتمد نظريات لا تسو في كتابه (كتاب الأخلاق) ليوضح معنى وحدانية الله، وهذا لم يكن موجودًا في الترجمات الأخرى. لكن نتيجة لاستخدام الاستعمار الياباني له أداةً، روَّج ليو جين بياو خلال ترجمته القرآن الكريم - بشكل علني - لما يروج له المعتدون اليابانيون "شرق آسيا الكبرى معًا إلى دائرة المجد"، بل دافع عنه ونشره، كما دس في جزء "الشرح" الكثير من الآراء التي تنتمي لمعسكر العدو، مما يجعل المرء يتقزز. وكان هذا هو السبب الرئيسي وراء عدم انتشار هذه الترجمة.

◆ ترجمة يانغ جينغ شيو:

تُعد (المبادئ الكبرى في القرآن الكريم) سابع ترجمة تامة للقرآن الكريم، التي ترجمها المترجم الخامس، صدرت في باي الشمالية من قبل شركة النشر الإسلامية في شهر أغسطس من عام ١٩٤٧م، وكان المترجمُ الدارسَ الإسلامي يانغ جينغ شيو (١٨٧٠-١٩٥٢). واعتمدت هذه الترجمة على اللغة الصينية التقليدية، وصدر منها عدد محدود جداً، مما أدى إلى عدم انتشارها إلى الآن.

ولقد نالت هذه الترجمة ثناء الدارسين الإسلاميين، لما تمتاز به من أسلوب راقٍ، ورصانة ومصداقية، وهي من أرقى نماذج ترجمة القرآن الكريم إلى الصينية، مما أتاح لها أن تحتل مكانة هامة بين ترجمات القرآن الكريم إلى الصينية.

◆ ترجمة شه تزه تشو:

يُعد مؤلَّف شه تزه تشو (١٨٧٩-١٩٦٩) (القرآن الكريم ترجمته وشرحه باللغة الصينية المحلية) الترجمة الثامنة التامة للقرآن الكريم إلى اللغة الصينية، وقام بها المترجم السادس. وصدرت هذه الترجمة في شهر فبراير من عام ١٩٥٨م عن طريق هيئة البحوث الإسلامية في المعهد الصيني الأكاديمي في تاي باي، وصدرت منها الطبعة الثانية بواسطة الرابطة الإسلامية بهونج كونج، ولاقت رواجًا كبيرًا بشكل خاص في كلٍّ من تايوان، وهونج كونج، وبين المسلمين الصينيين المهاجرين إلى الخارج في مناطق عدة.

كما شغل شه تزه تشو منصب مدير الشئون التعليمية للمدارس المتوسطة، في نان كاي، بتيان تجينغ، ولقد تم إيقافه وحبسه لمدة تتجاوز الشهرين في مكتب حراسة تيان تجينغ، مع كلٍّ من تشوه إين لأي، وما تجون، وما تشيان لي، وغيرهم، بسبب مقاطعتهم البضائع اليابانية ودعوتهم لمقاومة الاحتلال الياباني.

بعد ذلك شغل منصب رئيس قسم التعليم في الحكومة الوطنية بكلٍّ من مقاطعتَي نينغشيا وخيه باي، كما شغل منصب مدير وعضو لجنة مقر حزب الكومينتانغ في مدينة

تيان تجينغ، ورئيس مؤقت للبرلمان في مدينة تيان تجينغ، وانتقل إلى تايوان في شهر أكتوبر من عام ١٩٤٨م. وخلال وجوده هناك كان يقوم بشرح المذهب الديني للقرآن الكريم وتفسيره بمساجد تاي باي، لكن بسبب عدم تمكنه من إيجاد ترجمات مناسبة للقرآن الكريم، "إما بسبب غموض الأسلوب، فلا يتمكن الناس من فَهمه؛ أو بسبب ترجمة المعنى الأشمل فقط، مما قلل من مصداقية الترجمة؛ أو بسبب محدودية الإصدار وقلة الانتشار، فإن ما حمله زملاؤه الأئمة معهم للخارج من ترجمات محدود جداً"، فلم "يشعر فقط بمعاناة تعليم أبناء الوطن الدين"، لكن شعر بمعاناة الأجانب أيضاً "فكان الوضع أكثر صعوبة"، لذا قرر أن يبدأ بنفسه في ترجمة القرآن الكريم. وكان شـ تزه تشو يجيد الإنجليزية بدرجة كبيرة، لكنه لا يجيد اللغة العربية، لذا فيما يتعلـ بمصداقية الترجمة، فقد قام بدعوة ثلاثة من المسلمين المتمرسين في اللغة العربيـ ليقوموا بأعمال المراجعة والتصحيح لترجمته.

اشتملت هذه الترجمة في النهاية على ألفين ومائة وسبع عشرة فقرة، لذا فلقد تضـ أكبر عدد من الفقرات من بين جميع الترجمات الأخرى في هذا العصر. واعتمد شه تزه على الكثير من الاقتباساتِ الصينية، والتفسيرِ الموجود بالترجمة الإنجليزية للقرآن الكـ كما أضاف الكثير من فَهمه ومعرفته بالقرآن الكريم، فأظهرت هذه العناصر الأسلوب ا مُؤَلَّفه (القرآن الكريم ترجمته وشرحه باللغة الصينية المحلية)، كما أبرزت خصائصه الـ كما عالج إصدار ترجمة شه تزه تشو النقص في الحياة الدينية التي يعاني منها الـ بتايوان، نتيجة ظروف عزلتهم وانغلاقهم بين ساحلي المضيق.

◆ ترجمة ما جيان:

استغرقت ترجمة ما جيان (١٩٠٦-١٩٧٨) خلال حركة ترجمة القرآن الكـ اللغة الصينية المدة الأطول، كما استغرقت مراحل الإعداد فترة طويلة، وكان الأوسع على الإطلاق، ولاقت أصداء كبيرة بين أوساط المجتمع.

ولقد تم إصدارها في عام ١٩٨١م في بادئ الأمر ببكين، عن طريق معهد العلوم الاجتماعية الصينية، ولقد لاقت انتشاراً واسعًا على المستوى العالمي، حتى أن مؤسسة العاهل السعودي الملك فهد لطباعة القرآن الكريم ونشره قامت بنشر نسخة من القرآن الكريم، تعتمد الترجمة المقارنة باللغتين العربية والصينية، استنادًا إلى ترجمة ما جيان. عند إعداد بحث علمي دولي في الصين عن التعريف بمحتوى القرآن الكريم، في معظم الأحيان يتم اعتماد هذه الترجمة مرجعًا، حتى أن محتوى هذا الكتاب بأكمله مقتبس عن ترجمة ما جيان.

وُلد ما جيان في يون نان، لأسرة مسلمة تمتاز بالورع والتقوى، خلال طفولته كان يكد في دراسة اللغة العربية، بجانب دراسته للغة الصينية. في عام ١٩٣١م كان ما جيان واحدًا من الفوج الأول للطلاب الصينيين المغتربين في جامعة الأزهر، واستمر في طلب العلم بمصر لمدة ثماني سنوات. خلال فترة دراسته بالأزهر، كان بعد فترة الدراسة لا يتوقف عن الكتابة، حتى أنه قام بترجمة (كتاب الحوار لكونفوشيوس) - أحد أهم إنجازات الأدب الصيني - إلى اللغة العربية، وتم نشره في مجلات وصحف مصرية؛ كما ترجم الكتب والمقالات المتعلقة بالإسلام إلى اللغة الصينية، وقد تم نشرها في الصين، وكانت له اسهامات كبيرة في تعزيز التبادل الثقافي بين العرب والصين.

بعد أن أنهى ما جيان دراسته وقفل عائدًا إلى الصين، تلقى دعوة من معلمه الإمام خا ده تشنغ[ه]، لينتقل إلى شانغهاي ويقوم بترجمة القرآن الكريم. "استمرت ترجمته للقرآن الكريم من بدايتها إلى نهايتها حوالي عشرة أعوام، حتى أنه تحت ظروف الحياة الصعبة والمعاناة خلال حرب المقاومة ضد اليابان (١٩٣٧- ١٩٤٥) لم يتوقف عن الترجمة.

ويتضمن النص متابعته وبحثه في ترجمات الأجيال السابقة، كما يعكس إنجازه غير المسبوق، إذ بذل جهودًا مضنية في التمسك بمبادئ الصدق والوضوح والسلاسة" .

ه- هلال الدين ١٨٨٨-١٩٤٢م.

◆ ترجمة لين سونغ:

يُعد مؤلف (الترجمة المسجوعة للقرآن الكريم)، المؤلف الثاني في ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، الذي يلي ترجمة ما جيان بعد إنشاء الصين الحديثة. تم إصداره في بكين بواسطة دار نشر معهد القوميات المركزي في شهر يوليو من عام ١٩٨٨م. عمل المؤلف لمدة طويلة في معهد القوميات المركزي باحثًا ومدرسًا للأدب الكلاسيكي، اعتمد أسلوب الترجمة السجعية في ترجمة القرآن الكريم، وتُعد محاولته الأولى من نوعها داخل الصين. ولقد أسهم إصدار هذه الترجمة في تقديم نوع جديد من الترجمة للمسلمين الصينيين، يساعدهم خلال دراستهم وبحثهم في القرآن الكريم، إضافة للترجمة في المساجد، والترجمة باللغة الصينية التقليدية، والترجمة باللغة الصينية الحديثة، ألا وهو الترجمة الصوتية التي تمتاز بالنغمات الرنانة والسلاسة التي تعشقها الأذن، إضافة لكونها أصيلة ومفعمة بالحياة.

◆ ترجمة تونغ داو تشونغ:

يُعد مؤلَّف (القرآن الكريم بالترجمة المقارنة بين العربية والصينية مع التفسير) الترجمة الأولى للقرآن الكريم التي يسهم بها الصينيون المسلمون بالخارج.

بعد دخول الإسلام الصين، بدأت جذوره تمتد في الصين، حتى اندمج مع الحضارة الصينية، مكونًا الإسلام ذا الطابع الصيني المميز. ومن ثم، مع هجرة بعض الصينيين إلى خارج البلاد، حملوا معهم الإسلام إلى الخارج، إذ استقروا في القارة الأمريكية، وأوروبا، وأستراليا، وغيرها من المناطق.

حافظ هؤلاء الصينيون المسلمون على الطابع الصيني والإسلامي في حياتهم الدينية اليومية، حتى أنهم ظلوا راغبين في القدوم إلى الصين لدراسة المذهب الديني والعلوم الدينية الإسلامية، لذا قرر بعض الدارسين استنادًا إلى أبحاثهم في القرآن الكريم، أن يترجموا القرآن الكريم إلى الصينية. ويُعد مؤلَّف (القرآن الكريم بالترجمة المقارنة بين

العربية والصينية مع التفسير) للصيني المسلم – الذي يحمل الجنسية الأمريكية – تونغ داو تشونغ خير دليل على هذا. استندت هذه الترجمة إلى التراجم الإنجليزية والصينية والفرنسية وتسع عشرة ترجمة أخرى للقرآن الكريم بلغات مختلفة، وامتدت فترة الترجمة سبعة عشر عامًا، ثم انتهى التدقيق النهائي للمسودة، إلى أن تمت طباعتها ونشرها في شهر نوفمبر من عام ١٩٨٩م، بواسطة دار نان تشينغ للترجمة والنشر. بمقارنة ترجمة تونغ داو تشونغ مع غيرها من التراجم، فهي تمتاز بمجموعة من الخصائص المميزة المتمثلة في:

أولاً: إضافة ملخص بالمحتوى قبل كل فصل، وإضافة ملخص للفقرات بين الفصول الطويلة، تسهيلاً على القارئ ليفهم معنى النص المعظَّم.

ثانيًا: بساطة اللغة وسلاستها. امتازت التراجم السابقة بالتمسك بالعقيدة الدينية، وخلال ترجمة القرآن الكريم في معظم الأحيان كان يرتبط تفسيره بالمنظور الديني، بينما قام تونغ داو تشونغ بالتفسير وفقًا للحياة الواقعية، ثم ربط الدين بالحياة الواقعية، لذا تمتاز الترجمة بالإيجاز البليغ، والدقة، والترتيب، مما يجعل فَهمها أمرًا سهلاً.

ثالثًا: الشرح البسيط الموجز. كانت التراجم السابقة خلال عملية التفسير نجده فيها أطول بكثير من النص الأصلي، بالرغم من سهولة فَهمه عند قراءته، إلا أنه يثير الريبة بسبب حلول الدخيل محل الأصلي فيه، أما ترجمة تونغ داو تشونغ أحدثت تحسنًا في هذا النطاق، إذ اتبع أسلوب التفصيل بعد الإجمال، فأبرز ركيزة النص الأصلي، كما يسر على القراء دراسة النص الأصلي.

رابعًا: أضاف (الاقتباس من القرآن الكريم وتفسيره) في نهاية المؤلف. فاعتمد في وضع محتوى هذا الجزء على ما اطلع عليه من مراجع وكتب مترجمة باللغات المختلفة، هادفًا تيسير فَهم النص الأصلي للقرآن الكريم واستيعاب القراء المحتوى، عن طريق هذا العمل المتخصص.

خامسًا: استخدم التعبيرات المتعارف عليها التي اعتاد المسلمون الصينيون استخدامها، للتعبير عن بعض المسميات والاصطلاحات الفنية المتخصصة.

◆ ترجمة تشو تشونغ شي:

صدرت هذه الترجمة للقرآن الكريم في عام ١٩٩٠م في سنغافورة، وتُعد هذه الترجمة الثانية عشرة بين جميع ترجمات القرآن الكريم إلى اللغة الصينية، وأيضًا هي الترجمة الثانية للمسلمين الصينيين المقيمين بالخارج بعد ترجمة تونغ داو تشونغ، وهي للمترجم تشو تشونغ شي. وتابع المترجم دراسته للغة العربية ولغة الأوردو خلال وجوده في باكستان، كما اجتهد في دراسة الإسلام والمقررات الدراسية الدينية، وبعد تخرجه استقر في باكستان يجري أبحاثًا حول الثقافة الإسلامية.

انقطع المؤلف تقريبًا عن كل مباهج الحياة، ليتمكن من إنجاز ترجمة القرآن الكريم.
وتمتاز هذه الترجمة عن الترجمات السابقة بالخصائص التالية:

أولاً: استخدم أسلوب الترجمة المباشرة للمعنى، عند ترجمة المعاني المبهمة في النص الأصلي. بينما اعتمدت باقي الترجمات في العادة الترجمةَ الصوتية في نقل المعاني المبهمة، ثم وضْع تفسير لها في الجزء الخاص بالشرح والتفسير. واعتمدت ترجمة تشو تشونغ شي في الجزء الخاص بالتفسير على توضيح الأساس الذي استند إليه المترجم لاستخدام أسلوب الترجمة المباشرة للمعنى.

ثانيًا: الاختلاف الواضح بين ترجمة أجزاء القرآن الكريم إلى اللغة الصينية في هذه الترجمة عن الترجمات الأخرى. فكانت الترجمات الأخرى مكبَّلة بسبب الشروح الدينية والاقتباسات التاريخية من اللغة العربية، إذ انصب اهتمامهم على مصداقية الكلمات المستخدمة في الترجمة، بينما اعتمد تشو تشونغ شي في مجال مصداقية الترجمة استخدامَ الأقوال والعبارات التي يسهل على الصينيين إدراكها، على الرغم من اختلاف ترجمته عن نظيراتها، إلا أنها ترجمة بارعة وبليغة.

ثالثًا: غنى المواد الإضافية المستخدمة في الشرح. فعلى سبيل المثال يحتوي ال السورة المائة واثنا عشر على حوالي أربعين أو ما يزيد قليلاً من الرموز، في حين استخدم تشو تشونغ شي ما يزيد على خمسمائة وسبعين رمزًا في الشرح. ويتكون التفسير من سبعة مقالات، تتكون من ما يزيد على ألف وأربعمائة رمز، لذا حازت هذه الترجمة على ترحيب الكثيرين من الدارسين المبتدئين.

◆ الترجمة بلغات القوميات الأقلية:

بالإضافة لوجود تراجم للقرآن الكريم إلى اللغة الصينية، شهدت شينجيانغ رواجًا كبيرًا في ترجمة القرآن الكريم إلى لغات القوميات الأقلية، كان من أبرزها ترجمات القرآن الكريم إلى لغة الويغور والقازاق[51]. فبعد تأسيس الصين الحديثة، خاصة بعد الانفتاح، قامت دار نشر القوميات ودار نشر جامعة القوميات المركزية ببكين - بصورة رسمية بالتتابع - بنشر ترجمة القرآن الكريم وإصدارها بلغة الويغور والقازاق، تلبيةً للاحتياجات الدينية وضروريات الاطلاع عند قوميات الويغور، والقازاق، والقرغيز، والتاجيك، والأوزبك، والتتار، وغيرها من القوميات الأقلية المسلمة.

غيرت حركة ترجمة القرآن الكريم في الصين الوضع السائد، إذ صار من الممكن للقوميات الأقلية العشر المسلمة أن يدرسوا القرآن الكريم ويفهموه بشكل مباشر، بعد أن كان عدد قليل فقط من الناس هم من يستطيعون قراءة القرآن الكريم وفَهمه، بينما لا تستطيع الغالبية العظمى فَهم معانيه، مما كان له بالغ الأثر في تطور الإسلام في الصين. وبالنظر إلى ظروف حركة ترجمة القرآن الكريم نجد أن مشاركة كلٍّ من الدارسين من قومية الهان، والدارسين المسلمين، والأجانب، والصينيين، والمسلمين الصينيين المغتربين، بالإضافة إلى الدارسين المسلمين من القوميات الأقلية في ترجمة القرآن الكريم، تعكس نضج الإسلام في الصين، كما تعكس انصهار الإسلام مع الثقافة الصينية، ليصلا إلى حد صعوبة الفصل أو التمييز بينهما.

[51]- من القوميات العشر المسلمة في الصين.

رابعًا: نشأة المفاهيم الأخلاقية للدين الإسلامي بالصين

كان للإسلام تأثير كبير على القوميات الأقلية العشر التي آمنت به، فخلال تطور قومية الهوي، وقومية الويغور، وقومية القازاق، وقومية دونغ شيانغ، وقومية القرغيز، وقومية السالار، وقومية الطاجيك، وقومية الأوزبك، وقومية الباو آن، وقومية التتار، تأثر مفهوم الأخلاق عند هذه القوميات بشكل كبير بالطابع الإسلامي، و لقد تطور مفهوم الأخلاق لجموع المسلمين في كل قومية تبعًا للظروف التاريخية، ووفقًا لمتطلبات الواقع والبيئة المحيطة التي تشكلت على مدار التاريخ". يعد تكوُّن فكر الأخلاق الإسلامية الصينية في الصين، تدريجيًا حتى اكتماله، واحدًا من أهم جوانب دراسة الإسلام في الصين.

◆ العلاقات الأسرية:

"يقوم الناس يوميًا بتجديد إنتاج حياتهم، عن طريق إنتاج أشخاص جدد (التوالد). هذه هي العلاقة بين الزوج والزوجة، والعلاقة بين الأب والأم والأبناء، هذه هي الأسرة". يُعد شكل العلاقة الأسرية الإسلامية الصينية أهم ما يحافظ على الفكر الأخلاقي الإسلامي الصيني، فاستمراره أدى إلى تطور الإسلام ونموه في الصين بصورة مستمرة. ووفقًا لنظرية كارل ماركس وفريدريك إينجلز، فإن تكاثر الأسرة المسلمة يساعد على تماسكها، بسبب اعتناق الأسرة مذهبًا دينيًا واحدًا، لا يجوز للمرأة المسلمة أن تتزوج من غير مسلم، بينما يحق للرجل المسلم أن يتزوج من امرأة غير مسلمة، هذا لم يساعد فحسب على استقرار الأسرة، لكنه حافظ كذلك على إمكانية تطورها بشكل محدد. ومنذ عهد أسرة يوان، كانت الأسر المسلمة تمثل وحدة اقتصادية اجتماعية، ومع التأثر بالعقيدة الإسلامية لم يكن هناك مفر من التأثر بالسياسة الدينية والتأثر بالنظام السائد خلال فترات الحكم المختلفة، مما أدى إلى ظهور خصائص الثقافة الصينية تدريجيًا.

◆ شكل العلاقة بين الزوج والزوجة:

تُعد العلاقة بين الزوجين الجوهرَ والرابط المكون للأسرة في جميع القوميات التي تعتنق الإسلام. ويرى الدارسون المسلمون والغالبية العظمى من المسلمين أن الشاب والشابة بمجرد زواجهما يجب عليهما تحمل مجموعة من المسئوليات والالتزامات المحددة، فيجب عليهما احترام الوالدين وكبار السن، ودعْم أبنائهما والأصغر سنًّا منهما وتعليمهم، ويجب أن يتبع الرجل والمرأة المذهب الديني الإسلامي، وأن يديرا العلاقة بينهما بشكل جيد.

يدعو الإسلام إلى المساواة بين الرجل والمرأة، وينادي باحترام المرأة وتقديرها. لكن، نتيجة للخلفية الإقطاعية الطويلة، فإن الأوضاع عند المسلمين الصينيين كانت مماثلة لنظيرتها عند قومية الهان، فلم تتمكن النساء المسلمات من التحرر من التبعية للرجل، وكانت المرأة تحتل مكانة متدنية على المستوى السياسي والاقتصادي والثقافي، وتحولت المرأة إلى تابعة لزوجها.

استمر وجود الأعراف الإقطاعية المتمثلة في احترام الرجل واحتقار المرأة في الأسر المسلمة أيضًا فترة طويلة. فعند اختيار الزوجة، لا يتم الاختيار عادةً بين الأقارب، وهذه المسألة تمثل نقطة اختلاف واضحة مع البلاد العربية، إذ يظهر التأثر الكبير بثقافة قومية الهان.

◆ العلاقة بين الآباء والأبناء:

اهتم الإسلام كثيرًا ببر الوالدين، إن البر بالوالدين وتكريمهما من أهم مصادر الحسنات والثواب. وقام الدارسون المسلمون - خلال نشرهم هذا الفكر الأخلاقي - باقتباس فكر الوفاء في التقاليد الصينية، ودمْج ظروف تطور الإسلام وعوامله في الصين مع البيئة المحيطة، كما رسَّخوا خُلق بر الوالدين عن طريق شرحه وتفسيره بصورة تفصيلية، مما أسهم في إعطاء هذا الخُلق مضمونًا أكثر شمولية وتنظيمًا. حتى صار يمثل المعيار الأخلاقي

الأساسي والأكثر أهمية لدى المسلمين الصينيين، كما أنه يمثل واحدة من أهم نقاط الاختلاف بين الفكر الأخلاقي للإسلام في الصين وفي خارج الصين.

لذا كانت الدعوة إلى بر الوالدين بين القوميات الأقلية الصينية المسلمة دعوة واسعة المدى. يبذل الآباء والأمهات قصارى جهدهم في سبيل تنشئة أبنائهم حتى يصيروا أشخاصًا بالغين، لذا يجب على الأبناء أن يردوا المعروف لآبائهم وأمهاتهم، فإن بر الوالدين وطاعتهما ودعمهما من الواجبات التي يجب على الأبناء الالتزام بها. وتتفق متطلبات هذه القضية في الإسلام مع نظيرتها في التقاليد والثقافة الصينية. لكنَّ تأثُّر المسلمين بالتقاليد الصينية المتبعة، التي تؤكد حقوق الآباء، أدى إلى تطور خُلق بر الوالدين وطاعتهما، من مجرد الامتثال التام لأوامر الأب والأم، ليصبح قانونًا ثابتًا.

◆ العلاقة بين الأهل والأقارب:

تتفق الأسر المنتمية للقوميات الصينية المسلمة مع نظيرتها المنتمية لقومية الهان، فبالإضافة إلى العلاقة الأساسية بين الأب والابن، والزوج والزوجة، ثمَّة أيضًا علاقة الإخوة والأخوات، وعلاقة العم وأبناء الأخ، وعلاقة الخال وأبناء الأخت، وعلاقة زوجة الأخ الأكبر وزوجة الأخ الأصغر، وعلاقة أبناء الأعمام والعمات والأخوال والخالات، وغيرها من العلاقات. والإخوة والأخوات هم أهل بيت واحد، يتم ترتيبهم وفقًا لسنة ميلاد كل منهم وشهره، ويُسمى الأخ الأكبر للأب "بوه بوه"، بينما يسمى الأخ الأصغر للأب "شو شو"[٥٢]، وتتكون بينهما وبين الأبناء علاقة العم وأولاد الأخ؛ ويُطلق على زوجة العم الأكبر "بو بو"، واسم "بوه مو - زوجة العم الأكبر"، بينما يُطلق على زوجة "شو شو" اسم "شن شن"، ويعد الخال أقرب رجل من الكبار بالنسبة لأبناء الأخت؛ وينادي الأبناء على أخت الأم الكبرى والصغرى بلقب "إي - الخالة"، وتكون العلاقة بين أبناء الإخوة بعضهم البعض علاقة أبناء العمومة؛ ويُلقَّب إخوانُ الأم بلقب "تجيو تجيو" (الخال)،

٥٢- تعني العم باللغة العربية، لكن اعتاد الصينيون استخدام ألقاب مختلفة للتفريق بين الأقارب من حيث الأعمار.

بينما يُطلق على أخوات الأب الكبرى والصغرى لقب "قوه قوه" (العمة). إن بعض هذه العلاقات المعقدة لا يمكن إيجاد مثيلاتها في القرآن الكريم، فمعظمها نابع من التسميات التقليدية لقومية الهان.

لعب الدارسون المسلمون دورًا كبيرًا خلال عملية تشكيل أخلاقيات الأسرة الصينية المسلمة؛ فاعتمد كلٌ من وانغ داي يوه، وما تشوه، وليو تجه، وغيرهم، دراسةَ الفكر الكونفوشي لشرح الإسلام وتفسيره، كما اتخذ زانغ دجينغ دجاي وغيره من الأركان الثلاثة والمكارم الأزلية الخمس - الخاصة بالمذهب الكونفوشي - مرجعًا خلال ترجمة القرآن الكريم وتفسيره، وطرحوا المكارم الخمس الأبدية. وتشير المكارم الأبدية الخمس إلى المكارم الأزلية الخمس في الكونفوشية، فلقد شكّلت مع الأركان الثلاثة الأساس الأخلاقي للحكم الإقطاعي.

يرى الدارسون المسلمون الصينيون أن المكارم الأزلية الخمس تعادل أهمية أركان الإسلام الخمسة، موضحين أن أركان الإسلام الخمس تمثل المنهج الإلهي، بينما تمثل المكارم الأزلية الخمس منهج البشر، وانسجامُهما معًا يمكّن المسلمين من الالتزام بواجباتهم كافة، وإتمامها على خير وجه. كما أكدوا أنه بجانب التزام المسلم بأركان الإسلام الخمسة، المتمثلة في شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة والزكاة والصوم والحج، يجب أن يحافظ على المكارم الخمس الأبدية، المتمثلة في العلاقة بين الراعي والرعية، والأب والابن، والإخوة، والزوج والزوجة، والأصدقاء. "بهذا يُمكن الالتزام التام بالحياة الدينية الإسلامية الطبيعية، كما أن هذا سيساعد في الحصول على دعم طبقة الحكام لبقاء الإسلام، وفيما يخص هذه المسألة لعب الدارسون المسلمون دورًا هامًّا خلال طبْع الإسلام بطابع الثقافة الكونفوشية".

◆ المعيار الأخلاقي في المجتمع:

اعتمد الدارسون المسلمون النظريةَ المعرفية التي تنص على "فصل الدين، عدم

فصل الأخلاق"، خلال تفسيرهم فكرة المعيار الأخلاقي ونشرها، كما اقتبسوا من الثقافة التقليدية الصينية فكرة النية الصادقة واللطف، ومن ثم دمجوا هذه الأفكار مع متطلبات المذهب الديني الإسلامي، مكونين نظامًا أخلاقيًّا فريدًا من نوعه في المجتمع.

◆ التلطف مع الآخرين:

شكّل المجتمع الصيني المسلم معايير أخلاقية مجتمعية ذات نطاق واسع، وقوة إلزامية فيما يتعلق بالعطف على اليتيم، وإكرام الضيف، ومساعدة الفقراء، وحب الأهل والأصدقاء، وغيرها من الأمور. لأن نبي الله محمدًا (صلى الله عليه وسلم) كان يتيمًا، لذا جعل الإسلام من العطف على اليتيم واحدًا من أهم المعايير الأخلاقية، قال تعالى في الآية ٣٤ من سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾، وأيضًا قال تعالى في الآية ١٠ من سورة النساء: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾. ويعود تاريخ خُلق إكرام الضيف إلى أسلوب الحياة في شبه الجزيرة العربية؛ إذ يعيش معظم الناس هناك في حالة ترحال دائمة، وبسبب قساوة الظروف، تُعد حياة الترحال شاقة جداً. ويعيش المسلمون الصينيون بشكل رئيسي في مجتمعات زراعية، وحياتهم مستقرة إلى حد بعيد، لكنهم تقبلوا مفهوم إكرام الضيف، وحتى وقتنا الحاضرلا يزالون محافظين على تقليد إكرام الضيف، إذ انتشرت مجموعة من المقولات؛ منها "جميع أفراد قومية الهوي أسرة واحدة"، "عندما يلتقي أفراد الهوي يكونون في شدة الحميمية"، "لا يبخل الهوي بالحبوب الغذائية الموجودة بألف ميل". ويرفض الإسلام نظرة المجتمع المتفاوتة نحو الفقراء، بناء على هذا دعا الإسلام إلى التصدق على الفقراء الذين لا حول لهم ولا قوة وشجع ذلك، فلا يحق للمسلم أن يتمتع بمفرده باللباس الدافئ والطعام الكافي، لذا طالب الإسلام الأغنياء بتحمل المسؤولية تجاه الفقراء، وأن يتصرفوا بإيجابية، ويقدموا للفقراء يد العون، قال تعالى في الآية ٢٧١ من سورة البقرة: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

أسس الإسلام نظام الزكاة، لضمان توفير المساعدات المادية، يكمن الجانب الأخلاقي فيها في أنها غير إلزامية، أو محددة بشكل صارم، إنما تعتمد على الرغبة الشخصية في تقديمها.

حافظ الصينيون المسلمون على مدار الأجيال على نظام الزكاة، وجعلوا منه مطلبًا أخلاقيًا مجتمعيًا واضحًا. وقام الدارسون المسلمون بدمج الثقافة التقليدية الصينية بما يتوافق مع القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، إذ طرحوا محبة الأقارب والأصدقاء، والوحدة الأخوية، والاعتقاد بأهمية الحب المتبادل بين الجيران القريبين، كذلك محبة الجيران الذين يسكنون بعيدًا كأنهم أقارب، وإظهار الحب والاهتمام للأقارب، كذلك حب مَن هم ليسوا بأصدقاء أو أقارب واحترامهم؛ وحب المسلمين كافة، كذلك حب غير المسلمين ما لم يستأسدوا على الإسلام، وغيرها من أساسيات تحقيق التعايش السلمي والوحدة، ومن بينها "يعتنق كلٌّ من الهوي والهان دينين مختلفين، لكن أخلاقياتهم واحدة"، وأيضًا "طالما أن الهوي والهان على قلب رجل واحد، يمكن تحويل الرمال الصفراء إلى ذهب" وغيرهما من الأفكار التي لا تزال لها أهمية وتأثير كبيران حتى عصرنا هذا.

◆ الاهتمام بالمعيار الأخلاقي للطهارة والنظافة:

يُعبر المسلمون الصينيون عن اهتمامهم بالطهارة وحبهم للنظافة بمقولة "إذا لم تتوضأ خمس مرات في اليوم، لن تكون من مسلمي الهوي الجيدين". تُعد هذه الخاصية من عادات جميع القوميات الصينية التي تؤمن بالإسلام، كما أنها من المعايير الأخلاقية التي لا يمكن أن يتخلى عنها المسلمون الصينيون، مما يميزها عن نظيراتها من الأخلاقيات.

ويعود تكوُّن مفهوم الاهتمام بالنظافة إلى عادات تاريخية قديمة، وهي في الأساس نابعة من تأثير الإسلام، قال تعالى في الآية ٥ من سورة المدثر ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾. فإذا كان الجسد غير نظيف يُمنَع الإنسان من دخول المسجد. ولقد توارث الصينيون المسلمون

متطلبات المذهب الإسلامي المتمثلة في حب النظافة، بل تخطَّوا النطاق الديني، مكونين فكرة وثقافة مجتمعية. وقدَّم الدارسون المسلمون تفسيرات كثيرة لمعايير الاهتمام بالصحة والنظافة، إذ زادوا مفهوم الصحة والنظافة عمقًا، ليكون جزءًا من التهذيب الأخلاقي وفَهم الأخلاق، "عند غسل اليدين، يجب أن نفكر في البعد عن السرقة، والميسر والمال الحرام، لا بد من الاعتماد على عمل أيدينا، وأن نعمل جاهدين للحصول على الرزق. وعند غسل الوجه، لا بد من التفكير في احترام كرامة الناس، وتجنب قلة الحياء وفعل الأمور المخجلة. وعند المضمضة، علينا أن نفكر في عدم اختلاق الإشاعات، وعدم الخبط في الحديث خبطًا عشوائيًا، وعدم الافتراء على الناس، وعدم احترام الناس في وجودهم ثم إهانتهم في غيابهم، لا بد أن يُظهِر الإنسان مثل ما يُبطن، وأن يقول الكلام الذي يعود بالنفع على الجميع، يقول الصدق، يقول الكلام المنصف، وأن يتجنب قول الأمور التي تجرح الآخرين ... (فكِّر في الأمر جيدًا قبل القيام به، تجنب القيام بالأمور التي تسيء للغير، يجب أن تكون أعمالنا ليست عليها ذرة غبار، ظاهرها وباطنها سواء، وأن نكون أشخاصًا طاهرين ونزيهين)".

لا بد أن ننظر إلى النظافة على أنها خلق نبيل يجب أن يتمتع به الإنسان، يجب أن تسير عملية الاهتمام بالصحة جنبًا إلى جنب مع تهذيب الأخلاق، ومن الممكن أن نقول إنها تمثل خاصية هامة للمعيار الأخلاقي عند المسلمين الصينيين. ويمكن الجزم - من خلال هذا المفهوم - بأن هذا المطلب من المعايير الأخلاقية عند المسلمين الصينيين يتفق في الهدف، وإن كان يختلف في الطريقة، مع الفكر الكونفوشي في التربية، "كل يوم أُقيِّم نفسي بثلاثة أساليب مختلفة"، أو يمكن القول إن الدارسين المسلمين اقتبسوا هذه الفكرة من الكونفوشية، لتتشكل في صورة أبسط وأوسع نطاقًا.

ويدل تناوُل المسلمين الصينيين الطعام الصحي على اهتمامهم بالمعيار الأخلاقي للصحة والنظافة. فثمَّة مقولة تقول: "إن تناول الطعام غير الطاهر يعادل هجر العبادات والفرائض لمدة أربعين يومًا".

توارث المسلمون الصينيون جيلاً بعد جيل عادة تحريم بعض أنواع الطعام، وهذا يُظهر مدى تأثرهم بالإسلام. قال تعالى في سورة البقرة الآية ١٧٣ ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾، لذا شكّل المسلمون الصينيون في مجال الطعام والشراب ما يسمّى بالمحرمات الأربعة. وفيما يتعلق بقضية تحريم تناول لحم الخنزير شرَح ليو دجه في كتابه (شعائر إسلامية) هذه القضية شرحًا تفصيليًا؛ إذ قال: "طبعه الجشع، يتنفس بصوت خشن، قلبه ضال، لحمه غير مفيد، وله أضرار كثيرة، يستمتع بالقذارة". ومن هنا تتضح أسباب تحريم تناول لحم الخنزير، بَدْءًا من قذارته وصولاً إلى طباعه، فإن أكثر الصفات التي يكرهها الصينيون المسلمون هي "الجشع، والتنفس بصوت خشن، وضلال القلب"، ويُعد ربط الطعام بالأخلاق من أهم ما يميز المسلمين الصينيين. وبالرغم من تحريم هذه الأنواع الأربعة من المأكولات إلا أنه جاء في قوله تعالى في سورة البقرة الآية ١٧٣ ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، وهذا يدلل على جوهر المزج بين الفروض الصارمة وإيجاد حلول سريعة للظروف الاستثنائية.

◆ المعيار الأخلاقي لحسن التدبير والاقتصاد:

اهتم الإسلام بالمنفعة المادية للبشر، أعطاهم حق امتلاك ثروات وأملاك، لكن يجب وفقًا للظروف المتاحة أن يعمل الإنسان قدر استطاعته لزيادة دخله. يرفض الإسلام الاهتمام بالرفاهية الشخصية وعدم مراعاة معاناة الآخرين. إذ ينظر إلى الشخص الذي يبحث عن رفاهيته الشخصية فقط على أنه مبذر ومسرف، وسيتحول إلى شخص غير منصف ومذنب، قال تعالى في سورة الإسراء الآية ٢٧ ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾، كما قال تعالى في سورة هود الآية ١١٦ ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾.

لقد مزج الدارسون الصينيون – خلال تفسيرهم – بين هذا الفكر والفكر الأخلاقي الصيني القديم "الأخلاق في الفقر، والفساد في الغنى"، إذ رأوا أن حسن التدبير خُلق

نبيل يتمتع به الحكماء. ويدعو الإسلام إلى حسن التدبير، لكنه يرفض البخل، قال تعالى في سورة الفرقان الآية ٦٧ ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾، كما قال تعالى في سورة الإسراء الآية ٢٩ ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾.

استشهد الدارسون المسلمون خلال تفسير هذه القضية بالمنهج الوسطي في الكونفوشية، قائلين: "عدم التصدّق بما يجب التصدّق به يُسمى شُحًّا وبخلًا، بينما يُسمى التصدّق بما لا يجب التصدّق به تهورًا؛ أما عدم أخذ ما يحق لنا أخذه يُسمى تزمتًا وجمودًا، وأخذ ما لا يحق لنا أخذه يُسمى اختلاسًا. فعندما يكون معيار التصدق مبهمًا وغير واضح تكون العواقب وخيمة".

◆ خُلق تعظيم العلم والسعي خلف المعرفة:

يهتم الإسلام اهتمامًا شديدًا بالعلم والمعرفة، وقد جاء الحث على طلب العلم في أكثر من مائة موضع في القرآن الكريم؛ مثل قوله تعالى في سورة طه الآية ١١٤ ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾، وقوله تعالى في سورة سبأ الآية ٦ ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ﴾، كذلك في قوله تعالى في سورة الزمر الآية ٩ ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. وتم تفسير المتطلبات المتعلقة بالمعرفة من زاوية عقائدية، اعتقادًا بأن الدراسة وحدها هي ما تقود إلى المعرفة، وبالمعرفة يمكن إدراك طبيعة المخلوقات وعظيم قدرة الله، فيترسخ الإيمان.

طوّر الدارسون الصينيون المسلمون الذين تعمقوا في الثقافة الكونفوشية وتأثروا بها مفهومَ طلب العلم بشكلٍ كبير، خلال نشرهم مذهب طلب المعرفة في الإسلام. ويعتقد هؤلاء في وجود تكافل وتعايش بين الأخلاق والمعرفة، فإن الشخص الذي لا يملك المعرفة يكون غير قادر على التمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر. وقد اقتبس ليو تجه من المعيار الصيني القديم "المتعلم نبيل، والجاهل أحمق"، مفسرًا: إن دراسة جوهر الخير

وفهمه، هو ما يحقق للإنسان مكانة أرقى بين باقي المخلوقات، كما أن دراسة فطرة النفس تساعد على فَهم حقيقتها، وعلى صعيد آخر قال واعتمادًا على منطق "هذّب النفس وفقًا لحضارة تشي تشيا"[٥٣]، يستقيم ما تحت السماء".

قال وانغ داي يوه: "ثمَّة ثلاثة أنواع من التعليم: التعليم الجامعي، والتعليم المتوسط، والتعليم على مدى الحياة. التعليم الجامعي طريق العودة إلى الحق والبساطة، وطلاب التعليم المتوسط يمتازون بالنزاهة، أما من يتبع سبيل التعلم على مدى الحياة فهو يتبع سبيل تهذيب النفس. والعودةُ للحق تجعلنا ندرك وجود الله، والنزاهة تظهر الأخلاق، بينما تهذيب النفس يساعد على إدارة الدولة". كما أشاد الدارسون المسلمون بالمبادئ الأساسية لكونفوشيوس[٥٤] (. "ثلاث لا بد أن يمتلكها الإنسان: كيف يكون معلمًا لنفسه، وأن يختار التصرف وفقًا للخير الذي بداخله، وأن يغيِّر ما به من عيوب"، وخلال شرحهم القرآن الكريم، مثل قوله تعالى في سورة الزمر الآية ١٨ ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾، آمنوا بأن التعلم والمعرفة لا يُستقان من الكتب فحسب، لكن يجب أن نتعمق في مختلف المجالات، ويجب علينا أن ننتبه، وأن نأخذ من كل مكان تطأه أقدامنا الثقافة والمعرفة، متبعين البيت الشعري الصيني القديم القائل: "استفسر من أين يأتي الماء النقي إلى الترعة، لتجد ينبوع المياه الجارية"، وهذا يوضح أن الاستمرار في تحصيل المعرفة السبيل الوحيد للوصول إلى الحكمة، إذ يشبه المعرفة بينبوع المياه الجارية الذي لا ينضب أبدًا. واستشهادًا بالمقولة الصينية القديمة "مهما تعلمنا، ستظل معرفتنا غير كافية"، فسَّروا قوله تعالى في سورة لقمان الآية ١٨ ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

◆ السمات الأخلاقية للإسلام في الصين:

تكوَّنت من خلال تشكّل المفهوم الأخلاقي الإسلامي في الصين وتطوره مجموعةٌ من

---

[٥٣]- ٢٤٠٠ قبل الميلاد – ١٩٠٠ قبل الميلاد تمثل حضارة العصر البرونزي في الصين، التي نشأت على ضفاف النهر الأصفر.

[٥٤]-٥٥١ قبل الميلاد – ٤٧٩ قبل الميلاد، وهو فيلسوف صيني، صاحب المذهب الكونفوشي

السمات الأخلاقية؛ منها ما يتعلق بالخير والشر، والالتزامات والواجبات، والفطرة والعفوية، والعدالة والإنصاف، وغيرها. هذه الفئات تمثل وجهة نظر المسلمين الصينيين للحياة وفكرهم الأخلاقي، فإن تنقية السلوك الأخلاقي والأخلاق تمثلان المبدأ الأخلاقي الأساسي والسلسلة الرئيسية للمعيار الأخلاقي عند الصينيين المسلمين، كما تشكلان مجال بحث هام لخصوصية تطور الإسلام في الصين وتفرده.

◆ السمات الأخلاقية المتعلقة بالخير والشر:

يُعد مفهوم الخير والشر مطلبًا عامًّا في النظام الأخلاقي الإنساني، وهو المظهر الأخلاقي المجتمعي الأساسي في مجال الأخلاق، "التناقض بين الخير والشر يكمن داخل المجال الأخلاقي، ويمثل الحركة المنتمية لمجال التاريخ البشري". إن مفهوم الإسلام وتفسيره للخير والشر بالرغم من خصوصيته في بعض النقاط، إلا أنه في الواقع لا يمكن عزله عن الملامح العامة للأنظمة الأخلاقية الإنسانية الأخرى، خاصة النطاق والمتطلبات الأساسية للمفهوم الأخلاقي الصيني. وبالنظر إلى هدف إرساء مفهوم الخير والشر، نجد أن هدفَ أي نظام أخلاقي إعلاءُ الخير والقضاء على الشر. فقد شهد تأسيس معيار للخير والشر التلاحم بين تطور الإسلام وتطور المجتمع الصيني، ليخوضا معًا تجربة طويلة حتى يتكون هذا المعيار ويكتمل.

أكد الدارسون الصينيون المسلمون – خلال تفسيرهم هذه القضية – ما يلي: "تتغير النظرة للخير والشر من قومية لأخرى، ومن عصر لعصر، تغيرًا كبيرًا، مما يؤدي إلى الصراع الدائم بينهما". لكن، إذا جاء من يدحض ذلك قائلاً إن المكارم الأزلية الخمس تدعو إلى الخير وليس الشر، وإن الشر ليس كالخير؛ وفي حالة الخلط بينهما، ستنتهي الأخلاق كافة، وسيقوم كل شخص بإشباع رغباته. لذا فسر الإسلام في الصين مفهوم الخير والشر تفسيرًا عميقًا ووافيًا، فثمَّة المعنى العام أو الشامل، والمعنى الضيق أو المحدود.

ويشير المعنى الضيق إلى الخير والشر إلى أنهما أخلاقيات، بينما توسَّع المعنى العام للخير والشر ليشمل الأشياء كافة. وقسّم الدارسون الصينيون المسلمون الخير والشر إلى تجسيد الخير والشر وأخلاقيات الخير والشر، وبناءً على النوع تم التقسيم إلى الخير النسبي والشر النسبي، والخير المطلق والشر المطلق. وفسّر الدراسون المسلمون في الصين ما تم ذكره في القرآن فيما يتعلق بالخير والشر معتمدين تحديدَ معيار الخير والشر أداةً في التفسير، إذ حددوا مفهوم الخير والشر تحديداً دقيقًا من خلال ترجمة القرآن الكريم وترجمات الكتب التراثية والتعليم في المساجد.

أخذ الدارسون الصينيون المسلمون من المذهب الكونفوشي شكل تفسيره لفئات الخير والشر والمحتوى المتعلق بفئات الخير والشر، ومن خلال شرحهم وتفسيرهم للخير والشر دمجوا خبراتهم وآراءهم الشخصية. على سبيل المثال: فيما يخص قضية الخير والشر والطبيعة البشرية، يرى وانغ داي أن الطبيعة البشرية هي "حياة الإنسان"، هي "أنه ينتمي إلى البشرية فقط، ولا ينتمي لسواها"، وكي يصل إلى حدود الخير عليه أن "يوظف طباعه" و"يروض طباعه ويطوعها"، وهذا ما يتفق مع نظرية "تميز الإنسان عن الحيوانات والطيور" التي جاءت في كتاب (مينشيوس)[55].

◆ **السمات الأخلاقية المتعلقة بالالتزامات والواجبات:**

إن الالتزام الأخلاقي أن يكون الإنسان واعيًا لواجباته تجاه الآخرين والمجتمع، انطلاقًا من شعوره بتحمل المسئولية وإيمانه الداخلي. ويتحمل المسلمون في المجتمع الصيني الإسلامي الكثير من الالتزامات والواجبات، منها الالتزامات الدينية، وواجبات العمل، والالتزامات الأخلاقية، والالتزام بالقانون، والواجبات السياسية، وغيرها. وبالرغم من وجود بعض الاختلافات المتبادلة بين هذه الواجبات والالتزامات إلا أن لكلٍّ منها ملامحه الواضحة، لكنها جميعًا مترابطة، إذ تتطابق مضامينها.

٥٥- مينشيوس فيلسوف صيني شهير، ثمَّة خلاف في تاريخ ميلاده ووفاته، لكن المرجح أنه ولد عام ٣٧٢ قبل الميلاد وتُوُفي عام ٢٨٩ قبل الميلاد.

تأتي العلاقة بين الأخلاق والالتزامات والواجبات في الإسلام في الصين لتدل على اسم الله، لذا تحمل الالتزامات والواجبات طابعًا دينيًا، لكن في واقع الأمر، فإن الالتزامات والواجبات في الإسلام في الصين، في الوقت نفسه، تتحدد وفقًا لظروف الحياة المادية في المجتمع، ووضْع الإنسان داخل إطار العلاقات المجتمعية المناسبة، وتتبع من عملية التطور الموضوعي للإسلام في الصين، والمتطلبات الموضوعية للعلاقات المجتمعية، كذا تتبع من ما يعود بالفائدة على المجتمع ومتطلبات تقسيم العمل. ويمكن تقسيم فئات الالتزامات والواجبات عند المسلمين الصينيين إلى: علاقة الإنسان بالإنسان؛ مثل واجبات الأبناء تجاه الوالدين، والتزامات الآباء تجاه الأبناء، وواجبات الأغنياء تجاه الفقراء، وواجب العطف على اليتيم وغيرها. وواجبات الفرد تجاه المجتمع؛ مثل طاعة الله والإخلاص للحاكم، وتقديم إسهامات للوطن وغيرها. والتزامات دينية؛ مثل أركان الإسلام الخمسة وغيرها. وواجبات الإنسان تجاه ذاته؛ مثل الاهتمام بالصحة، وعدم تناول الطعام غير الطاهر، ورفض الانتحار وغيرها.

وما يستحق الطرح أن هذه الواجبات والالتزامات إجبارية وإلزامية. هذا الإلزام جعل من المعرفة العميقة لقيمة الالتزامات الأخلاقية أساسًا، لذا ينجز الإنسان واجباته راضيًا، غير مُلزَم أو مُجبَر، "من الأفضل القول إن الالتزامات تعطينا الحريات". هذا النوع من الرضا، من خلال تركيب الوعي الأخلاقي، يُعلي من دور التحكم في الذات، ليصبح النبع الأصيل لقيمة الحفاظ على الأخلاق في الإسلام في الصين.

◆ **السمات الأخلاقية المتعلقة بالفطرة:**

يُطلَق على الفطرة – وفقًا لما جاء في تفسيرات الدارسين الصينيين المسلمين – الضمير، وروح المسئولية، وغيرهما، إذ يرون أن الضمير عند المسلمين يكمن في تمسكهم بالواجب والمسئولية الأخلاقية، وهو القدرة على محاسبة النفس، ويتكون وفقًا للتعليم والبيئة المحيطة. وأكد الدارسون الصينيون المسلمون، فيما يتعلق بقضية الضمير، أن للبيئة الاجتماعية وعنصر التعليم أثرًا كبيرًا على الضمير، ويمتلك الضميرُ عنصرَي

الإيجابية والعدالة، تماماً مثل ما قال كارل ماركس: "الفطرة هي الاعتماد على معرفة الإنسان وجميع أساليب الحياة وأشكالها لتقرر مصيرك". ولا يمكن – بالطبع – أن يُطبق الإسلام في الصين نظرية ماركس تطبيقاً أعمى، لكن الجوهر فيهما متفق ومتشابه. هذا هو تلاقي طرق الحقيقة.

◆ السمات الأخلاقية المتعلقة بالعدالة:

العدل واحد من أقدم السمات الأخلاقية، كما أنه فئة هامة في الإسلام في الصين. وقد ورد العدل في القرآن الكريم عدة مرات. والتحيز أحد الوجوه المغايرة للعدل، قال تعالى في سورة الشورى الآية ١٥ ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾، وقوله تعالى فيها الآية ١٧ ﴿اللَّهُ الَّذِي أَنزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ﴾. وتوضح هاتان الآيتان المعظّمتان أن العدل والتحيز متناقضان، لا يمكن أن يكونا على مستوى واحد.

يرى الدارسون الصينيون المسلمون أن السبب وراء كل المشاكل في العالم غياب العدل، والسبب وراء غياب العدل كثرة الأشخاص الذين يتصفون بالأنانية. هذه النظرة تتفق مع معنى العدل المتمثل في التحيز وعدم التحيز وفقاً للثقافة الصينية، مثل ما جاء في كتاب جوان تزه[٥٦] "إن السماء عادلة حيادية، تفعل الخير أو الشر فلا تعود لتنتقم منك، أما عدالة الأرض فتكمن في أنك تفعل أمراً جليلاً أو دقيقاً ولا يتم تسجيله".

كما قال بان جو (٣٢ -٩٢م) خلال فترة حكم أسرة هان: "العدل كلمة، العدل هو النزاهة". ويتضمن العدل في الإسلام – بشكل رئيسي – عدالة الصفقات، والعدل في المعاملة، والتمييز بين الحق والباطل، والتمسك بالعدالة، وعدم الاهتمام بالربح، وامتلاك الجرأة على التطور في الاتجاه السليم، وإزالة الأنانية من القلب، وإصدار الأحكام بعدل وإنصاف، وغيرها.

٥٦- جوان تزه: أحد أهم الكتب التراثية الصينية؛ عبارة عن تجميع لمجموعة من الأبحاث في مجالات مختلفة بين السياسة والثقافة والفن والأدب، وسُمّيَ هكذا تيمناً بلقب معلم المؤلف.

السمات الأخلاقية المتعلقة بالكرامة:

طرح الدارسون الصينيون المسلمون تفسير الكرامة، ليخدم مفهوم الدين بشكل رئيسي، معتقدين أن كرامة الإنسان وذُله نوعان: يقال الكرامة الحقيقية والذُل الحقيقي، ويقال كرامة الحياة وذُل الحياة، وهذا يشير إلى أن "الكرامة والذل في الحقيقة يكونان وفقاً للنصيب، نحصل عليهما، الإستقامة و الإنحراف ، الموت والحياة، العمر المديد أو الموت في ريعان الشباب، و حتى الملابس والراتب كلها ترتبط بالنصيب و القدر"، فالكرامة والذُل في الحياة، يبدآن بالطباع والمزايا، ومن ثم يتحولان إلى السطحية، وهما موجودان في هذه الحياة"، تعكس كلاً من "الكرامة الحقيقية، الذُل الحقيقي" و"الكرامة في الحياة، والذُل في الحياة.

وتنظرة الإسلام إلى قضية الكرامة في الحياة الدنيا والآخرة لها مدلولان؛ الأول هو مكافأة المجتمع للفرد، فهي بمثابة إقرار أخلاقي من المجتمع للمسلمين؛ والآخر هو شعور الفرد بالكرامة والشرف تجاه تصرفاته الأخلاقية، وهذا يمثل الإقرار والوعي الذاتي، مثل احترام الذات وغيرها. أما الذُل ما يناظر الكرامة، وهو أيضاً له مدلولان: الأول تنديد المجتمع وفرضه عقوبات تجاه التصرفات غير الأخلاقية التي يقوم بها الفرد، والآخر رفض المُسلم تصرفاتِه غير الأخلاقية، ويُعرف تنديد المرء ورفضه لما قام به من تصرفات غير أخلاقية بحياء القلب، ويُقر الإسلام مفهوم الحياء إقراراً تاماً. ووفقاً للمسلمين الصينيين، إن كنت لا تتمتع بالحياء فلن تكون قادراً على الفَهم الحقيقي للكرامة، وإن لم تكن صادقاً، لن تحصد ثماراً خيّرة. مثل ما جاء به كارل ماركس قائلاً: "إن الذُل شعور داخلي بالغضب. إذا شعرت كل دولة بالذُل، ستصبح كالأسد الجاثم، الذي يستعد للانقضاض". وترتبط الكرامة في الإسلام في الصين باحترام الذات، ولتحقيق احترام الذات لا بد من التواضع واليقظة، ولتتمتع بالحياء والصدق لا بد ألا تنظر إلى ما هو غير أخلاقي، لا تنصت إلى ما هو غير أخلاقي، لا تفعل ما هو غير أخلاقي، وبالتوازي عليك أن تتحكم بعقلانية في تصرفاتك، وتدرب عزيمتك وغيرها من الأمور، حتى لا تفعل ما لا يجوز فعله.

خامساً: تصيين العادات والتقاليد الإسلامية:

يتضمن الإسلام - بوصفه واحداً من الأديان الهامة والشهيرة - عادات وتقاليد ثقافية وأنظمة اجتماعية سياسية واقتصادية وقانونية، إلخ. خلال عملية الانسجام بين الإسلام والثقافة الصينية، وبسبب الصراعات الطبقية، والصراعات القومية المعقدة. ولم يظهر أثر الإسلام في الجوانب السياسية والاقتصادية وغيرها من الجوانب فحسب؛ بل ظهر كذلك على صعيد قضايا أخرى مثل العادات والتقاليد والثقافة وغيرها من القضايا. فعلى صعيد العادات والتقاليد والثقافة، بالإضافة إلى التأثير المتبادل بين الإسلام والثقافة الصينية والاندماج بينهما، على مدار التاريخ قام الحكام الإقطاعيون بتطبيق سياسات القمع والتمييز العنصري ضد القوميات، كما كانوا يتدخلون بشكل سيئ في عادات القوميات وتقاليدها، حتى أنهم زرعوا الفوضى والانقسامات بين القوميات، مما أدى لصراعات بين القوميات، فاعتمدوا أسلوب التقسيم ليعالجوا هذه الصراعات. وكان لذلك دور كبير في تحفيز العادات والتقاليد أو الثقافة الإسلامية الصينية؛ فعلى سبيل المثال خلال حكم أسرة يوان، طالب الحكام المغول من المسلمين اتباع العادات والتقاليد المغولية، حتى إنهم طالبوا جميع محطات خيالة البريد[57] بألا تهتم بشكل استثنائي بأبناء قومية الهوي، فعليهم أن يأكلوا ويشربوا مثل المغول، وفي حالة رفضهم الامتثال لهذا يتم حرمانهم من الإمداد بالمياه. أما في عهد أسرة مينغ، كانت الأحوال أشد قسوة؛ إذ كانوا يهينون المسلمين ويؤذونهم بسبب اختلاف العادات والتقاليد، فنجم عن ذلك الكثير من الخلافات والنزاعات. أدت هذه الأحوال من ناحية إلى معاناة المسلمين الصينيين من التمييز العنصري على صعيد العادات والتقاليد، فحاولوا حماية عاداتهم وتقاليدهم عن طريق مقاومة القمع. لكن من ناحية أخرى، وبهدف البقاء والتطور، لم يجد معظم المسلمين الصينيين بداً من بث الروح في بعض

[57]- عندما ظهرت خدمات البريد كانت تقتضى حمل الخيالة للرسائل ليصلوا الى محطة معينة ، ثم يسلم الرسائل لزملائهم، على ان يخلدوا و احصنتهم للراحة بعد عناء الرحلة.

ما نص عليه الدين، وجعله يلائم حياتهم، ويحمل بعض خصائص المكان، حتى أنهم فقدوا المفهوم الأساسي للدين، لكن تدريجياً أصبح هذا جزءاً من عادات القوميات وتقاليدها". لقد اقتبس الإسلام أفكار المذاهب الثلاثة ومفاهيمها، الكونفوشية والطاوية والبوذية، وخلال اندماج الأفكار الأخلاقية الأساسية للدين مع الأفكار التقليدية الصينية، تأثر على صعيد الأنشطة الدينية بالكثير من العادات والتقاليد الصينية، ليتكون للدين الإسلامي في الصين خصائص فريدة تميزه عن الإسلام في باقي الدول. وقد ظهر هذا بوضوح في ثلاثة جوانب: العمارة الدينية، والأعياد الدينية، والعادات والتقاليد الدينية.

◆ مجال العمارة الدينية:

تمثل المساجد، بالنسبة للمسلمين، مكان إقامة الشعائر الدينية والأنشطة المجتمعية، كما أن لها أهمية كبرى من الناحية الدينية وعلى صعيد الحياة اليومية بالنسبة للمسلمين. فبالإضافة إلى ممارستهم شعائر الإسلام فيها، كذلك يتبادلون فيها التحية، والاتصالات الودية، والتواصل الفكري، وتبادل الأخبار، حتى أن الكثير من المساجد تقوم بدور المدرسة. لذا لا بد من بناء مسجد في كل مكان يوجد فيه تجمع للمسلمين.

تحتوي المساجد في البلاد الإسلامية عادةً على المُصلى "قاعة الصلاة"، والصحن "الساحة"، والمحراب، والمنبر، والمئذنة، والمرافق الصحية. ويمثل كلٌّ من المُصلى والمرافق الصحية العنصرين اللذين لا يمكن الاستغناء عنهما في بناء المسجد، أما باقي المكونات فتكون وفقاً لما يلائم شروط البناء.

المُصلى مكان إقامة المسلمين للصلاة، وهو الجزء الرئيسي في عمارة المسجد. وثمَّة في منتصف المُصلى حائط عليه سهم، يشير إلى اتجاه الصلاة "اتجاه القِبلة".

يمثل الصحن امتداداً للمُصلى، وهو مكان التجمع وممارسة الأنشطة الدينية. يوجد

المحراب في مركز الجدار المواجه للقبلة، وهو نتوء نصف دائري، يشير إلى اتجاه القبلة، كما أنه المكان الذي يقف عنده الخطيب أو الإمام ليلقِي الخطب أو يؤمّ الصلاة، ويُعد أكثر الأماكن طهارة وقدسية داخل المسجد، إذ يتم الاهتمام بزخرفته بشكل كبير.

أما المنبر فهو مكان يشبه الدرج، يقف عليه الخطيب خلال إلقائه الخطب، وعادةً ما يتم صنعه من الخشب. والمئذنةُ البرجُ العالي في المسجد الذي يستخدمه المؤذن لينادي المسلمين، ويدعوهم لإقامة الصلاة. والمرافق الصحية (كما تُسمى غرفة الاغتسال) المكانُ الذي يغتسل فيه المسلمون قبل أداء الصلاة (الاغتسال، الوضوء)، ويجب أن تكون المياه فيه مياهًا جارية أو مياهًا نقية، لا بد أن تكون المياه نظيفة وطاهرة، وعادةً ما يتم تجهيز المرافق الصحية بمعدات الاغتسال مثل الكيزان والأجرة المعلقة.

ثمَّة تصميمان أساسيان للمساجد في الصين: التصميم العربي، وتصميم القصور. ويشير التغيير في تصميمات المساجد الصينية إلى التغيير الذي طرأ على الإسلام في الصين. ولقد تم استخدام التصميم العربي في إنشاء المساجد قديمًا في الصين، ومن المكن مشاهدة المساجد المصمَّمة بهذا التصميم حتى يومنا هذا في منطقة شين تجيانغ. وتحررت معظم المساجد في الصين من تصميمات العمارة العربية، مستخدمةً أسلوب العمارة الصيني التقليدي، طراز الدار الشرقية الرباعية المُستخدم في بناء القصور.

ظهر هذا الأسلوب في عهد أسرة مينغ، ومن ثم بدأ ينتشر تدريجيًا، إن أهم ما يميز هذا الطراز بناء مجموعة من الساحات تمتد على طول المحور المركزي، مما يجعل كل صحن له خصائص ووظيفة مختلفة، لتكون مجموعة متكاملة من العمارة الإسلامية. ويتم استخدام طراز بوابة المعابد الصينية لتجهيز بوابات المساجد، وغالبًا ما تتم صناعتها من الخشب، وثمَّة ثلاث غرف وخمسة روافد أفقية، ويتم بناء الأسقف إما على طراز الينغ شان باستخدام مقاطع من قناة البامبو والقرميد، أو على طراز شيه شان إذ استخدام القرميد (الفخار) المطلي بالمينا، وثمَّة نقشات خمسة تلال وستة حيوانات كالمستخدمة في معبد فانغ كونغ، أو البوابة السابعة من القصر الإمبراطوري، وهناك

الجدران المفلطحة، وروافد الجوف الصينية، أما أمام البوابة فثمَّة قوس تذكاري مصنوع من الخشب أو الحجر، وسياج. وبأعلى البوابة الرئيسية ثمَّة برج من ثلاثة طوابق مصنوع من الخشب، وهو ما يميز المساجد، كما أنه يميز البوابة الرئيسية.

يتكون المُصلى من ثلاثة أجزاء؛ سياج أسطواني، والقاعة، وخلف القاعة، ويربط السطحُ الأجزاء الثلاثة معًا، إذ يستخدم أسلوب التمليط في الأعلى لربط الأجزاء معًا، لتكون في النهاية قاعة كبيرة مجسمة ومتكاملة. وتتنوَّع أشكال التصاميم المستخدمة بالقاعة الرئيسية للمُصلى؛ إذ منها على شكل مستطيل، وعلامة الجمع + (شكل الصليب)، والطراز البارز، وطراز على شكل حرف I ... إلخ. أما طراز الجزء الخلفي من القاعة فإما يكون مُدعمًا برفراف بسيط، أو رفراف معقد، أو رفراف مُركب على طراز علامة الجمع +، أو يكون مُدعمًا كطراز المقصورة، أو غيرها من الأشكال.

اندمجت أساليب الزخرفة الإسلامية مع مهارة الزخرفة التقليدية الصينية في أسلوب طراز القصور، إذ اعتمدت مهارةَ الزخرفة الصينية التقليدية، لتُظهِر المفهوم الديني للإسلام. فعلى سبيل المثال في مجال الأعمال الفنية الملونة، بالإضافة إلى التصاميم الزخرفية التقليدية الإسلامية، والخط العربي، ثمَّة رسومات ملونة صينية تقليدية للأزهار والنباتات؛ أما في مجال النحت فثمَّة الكثير من الأعمال الخشبية والحجرية الرائعة، المُستخدم فيها أسلوب الحفر النافر، وهذه المواد تختلف عن المواد المستخدمة في النحت في الدول الإسلامية.

أما في مجال الأعمال الفنية بالحجر، فتتجسد في مجموعة من الأعمال التي تحمل الطابع الصيني؛ مثل الطبلة الحجرية، والتنين الحجري، وعمود مزخرف بالأزهار، كذلك التنينان اللذان يلعبان باللؤلؤة على الجدار والحاجز، وأيضًا حيوان وحيد القرن الصيني، وغيرها من الأعمال.

أما عن الأعمال الفنية في الصحن، فيقومون بزراعة أزهار وأعشاب وأشجار داخل

المسجد، ويبنون المباخر، وأحواض الأسماك، وينشئون نصبًا تذكاريًا تُعلَّق عليه لوحة ثناء، وقمة من الركام المكدس، وهذا ما يختلف مع الأجواء المهيبة والوقورة التي تمتاز بها المساجد في البلدان الإسلامية.

أهمُّ الأمثلة التي تعكس استخدام طراز القصور في المساجد مسجدُ خوا جويه في شيآن، ومسجد دنغ تجوه في خيباي، ومسجد نيوه جيه ومسجد دونغ سه في بكين، ومسجد تشياو من الكبير وبلان تشوه في قانسو، ومسجد نانجوان الكبير في لينشيا، ومسجد تجينغ تجوه، والمسجد الشرقي الكبير في كاي فنغ، ومسجد تشين يانغ بخه نان، والمسجد الجنوبي الكبير في تجي نان، والمسجد الشرقي الكبير والمسجد الغربي الكبير في تجي نينغ، ومسجد مو تشي الكبير في ووه لوه، ومسجد ينتشوان الكبير في نينغشيا، ومسجد الاتحاد، ومسجد لونغ تشوان في جوي يانغ، ومسجد تسانغ تشوه في خباي، والمسجد الشمالي الكبير في تيانجين، والمسجد الجنوبي الكبير في شنيانغ، والمسجد الشرقي في هاربينغ، ومسجد مدينة الإمبراطور في تشينغدو، ومسجد البوابة الجنوبية بدالي في يونان، ومسجد مقاطعة آنهوي، وغيرها من المساجد.

وقارن بعض الدارسين بين المساجد في الصين والمساجد في الخارج، قائلين: "إذا رأيت المساجد داخل الصين، بطرازها الذي يشبه طراز القصور، وكلما اقتربت منها، كلما لاحظت الاختلاف بينها وبين المساجد في الخارج"، و"إذا رأيت المساجد الموجودة بالخارج، ستلاحظ الاختلاف الكبير بينها وبين المعابد هنا". وأيضًا ثمَّة اختلاف واضح بين طراز الأضرحة وتصميمها وزوايا العبادة الخاصة بالمسلمين في الصين، ونظيراتها في البلاد الإسلامية.

◆ الأعياد الدينية:

بالإضافة إلى اهتمام المسلمين الصينيين بتطبيق أركان الإسلام، كذلك يظهر اهتمامهم الشديد بالأعياد الدينية. ويحتفل المسلمون داخل الصين وخارجها بثلاثة

أعياد تقليدية ورئيسية؛ هي: عيد الفطر، وعيد الأضحى، وعيد المولد النبوي الشريف. ويُطلق الصينيون على عيد الأضحى اسم عيد الوفاء وطاعة الوالدين، ومن هذه التسمية يتضح أثر الثقافة الصينية.

يمثل المولد النبوي ذكرى ميلاد نبي الله محمد، صلى الله عليه وسلم، يحتفل به المسلمون خارج الصين من خلال تلاوة القرآن الكريم ورواية السيرة النبوية الشريفة، ويجتمع الناس لتبادل التهاني والاحتفال. بينما لا يقتصر المولد النبوي في الصين على يوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول، أو الشهر الثالث وفقًا للتاريخ الهجري الإسلامي فحسب؛ لكن يتم الاحتفال به كل ثلاثة أشهر في أيام مختلفة، مثل الاحتفال بالذكرى السنوية للسلف[58]، تعبيرًا عن الألم والحسرة، إذ يتخذون من عيد المولد النبوي الشريف ذكرى لمعاناة الرسول صلى الله عليه وسلم.

بالإضافة لهذه الأعياد الرئيسية، يهتم مسلمي الصين بالاحتفال بيوم عاشوراء وعيد فاطمة. ويتفق يوم عاشوراء عند الصينيين المسلمين السُّنَّة والشِّيعَة في الاسم، لكنه يختلف في المغزى، فيخلِّد الشيعة ذكرى استشهاد الحسين ابن الخليفة علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - في سبيل الدين من خلال احتفالهم بيوم عاشوراء، (الموافق تعبيرًا عن حزنهم على وفاته). أما الاحتفال بيوم عاشوراء عند الصينيين المسلمين السُّنيين فهو تخليد لذكرى إنقاذ نبي الله نوح للناس الذين كانوا معه على الفلك المشحون، إذ يقومون بتوزيع عصيدة البقوليات لمساعدة الناس. إذ يتناول جميع المسلمين في هذا اليوم عصيدة البقوليات، أو كما تُسمى "وجبة استعادة ذكرى المعاناة"، حتى لا ينسوا المعروف الذي قدمه النبي. هذا العيد قليلاً ما يتم الاحتفال به خارج الصين. والسيدة فاطمة هي ابنة رسول الله محمد، صلى الله عليه وسلم، وزوجة الخليفة علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، ، ويتم الاحتفال به في ١٤ من شهر رمضان، ويُطلق عليه أيضًا "عيد ذكرى السيدة المقدسة". وفي هذا اليوم، تتولى النساء الدور الأساسي، فتطلبن من

58- يعتاد المسلمون الصينيون الاحتفال بذكرى مولد و وفاة أسلافهم و يهتمون بهذا الامر للغاية.

الشيوخ قراءة القرآن، وتقدِّمن القرابين. وهذا العيد الذي يحتفل به المسلمون الصينيون نادرًا ما يُحتفل به خارج الصين، كما أن احترامَ السيدة فاطمة أكثر من احترام السيدة خديجة زوجة رسول الله محمد، صلى الله عليه وسلم، أمرٌ يختلف تمامًا عن ما هو متعارف عليه في باقي الدول الإسلامية.

يعظِّم المسلمون الكثير من المناطق، خاصة المناطق الشمالية الغربية، للأولياء والأضرحة من المنتمين للمنطقة نفسها وللدين نفسه، فهم يعتقدون أنهم أشخاص مثل مؤسسي المذاهب الدينية من الأجيال السابقة، والأفراد الأجلاء في الأسرة والعشيرة، وأيضًا من جاد بحياته لصالح الدين، هؤلاء الأشخاص قد عاشوا من قبل المعجزات، أو أنهم قادرون على إظهار المعجزات، كما يُلقبونهم بالشيخ أو الشيخة، والجد، والجدة ... إلخ، كذلك يبنون لهم القباب.

ثمَّة عدد كبير من المسلمين الذين يتوافدون لزيارة الأضرحة، وتلاوة القرآن. وخلال الاحتفال بذكرى المتوفَّى يقدِّم المسلمون ما يسمى بالهدية، وذبح الأضاحي من خراف وأبقار، وتقديم القرابين. وفي بعض الأحيان يكون مشهد تقديم القرابين عظيمًا جداً، إذ تصل أعداد الحاضرين لمئات الآلاف. هذا النوع من الأعياد نادرًا ما نراه خارج الصين، خاصة أن زيارة القبور والأضرحة لأحياء ذكرى الميلاد و الوفاة ليست من الأمور المعتادة في الدول الإسلامية.

◆ العادات والتقاليد الدينية:

بدأ المسلمون الصينيون منذ عهد أسرة مينغ في التخلي عن اللغات الأصلية لقومياتهم، لتصبح لغة الهان (اللغة الصينية) اللغةَ المتداولة، كما أنهم استمدوا الكثير من التوجه الثقافي والديناميكية الثقافية من قومية الهان. فعلى صعيد انتقاء الملابس، بدأوا تدريجيًا في السير على نهج قومية الهان. وعلى مستوى الأسماء، شرعوا في استخدام أسماء وألقاب خاصة بقومية الهان، حتى أنهم اتخذوها لتكون أسماءهم وألقابهم الأساسية.

لم يتجلَّ هذا التغير على مستوى الحياة اليومية فحسب؛ بل امتد ليظهر بجلاء على مستوى العادات والتقاليد الدينية. مثل المراسم المرتبطة بالزواج والوفاة، وكان القرآن الكريم والكتب الدينية قد حددوها بشكل واضح. إلا أن المسلمين الصينيين على مدار التاريخ، وخلال مواجهتهم البيئة المجتمعية الصينية، صارت لديهم أساسيات قومية الهان نفسها، المرتبطة بهذه القضايا. وبالرغم من التزامهم بإجراء المراسم الدينية الخاصة بالنكاح عند الزواج، وأنهم يطلبون من الشيخ عقد القران وتلاوة القرآن، إلا أنهم لازالوا يطبِّقون نظام "كلمة الخاطبة، وأوامر الوالدين". وخلال إتمام الزواج، ووفقًا للشريعة الإسلامية تُستخدم الدفوف ومثيلاتها من الآلات النقرية البسيطة، أما الآلات الموسيقية الأخرى كالمزامير فهي محرمة، إلا أن بعض الصينيين المسلمين لا يلتزمون بالقواعد الدينية، ويحاكون تقاليد قومية الهان، ويستخدمون الموسيقى للتعبير عن الاحتفال والتهنئة خلال جميع مناسبات الزفاف. أما فيما يتعلق بمراسم الوفاة، وفقًا لما أقره الإسلام، فإن إكرام الميت في سرعة دفنه. إلا أن بعض الصينيين المسلمين يقومون ببعض التصرفات الخارجة عن إطار المراسم التي قد أقرها الإسلام؛ إذ يطيلون في إقامة مراسم الحداد، مثل ارتداء ملابس الحداد، والنحيب والعويل، وحمل الهراوات والأعلام خلال الجنازة، وتزيين القبور، وأيضًا الصلاة وتلاوة القرآن للميت بعد أسبوع من وفاته، وبعد أسبوعين، وبعد ثلاثة أسابيع، ثم بعد أربعين يومًا، ثم كل عام، وبعد ثلاث سنوات، وهكذا، هادفين التكفير عن الذنوب وتجنب العقاب. وتعود جميع هذه التقاليد في الواقع إلى تقاليد قومية الهان، وهي تختلف كثيرًا عن ما أقره الإسلام.

الباب الثاني

طريق الحرير ومبعوثو أسرة تانغ والتجار الأجانب المقيمون بالصين

إن العلاقة بين الصين والعرب أقدم من العلاقة بين الصين وتعرُّفها على الديانة الإسلامية. ولقد تغلغلت الثقافة والعادات والتقاليد العربية في الصين فيما بعد ظهور الديانة الإسلامية، وكان هذا أيضًا قبل انتشار الديانة الإسلامية في الصين.

وإذا قلنا إن الإسلام قد دخل الصين عن طريق قوافل العرب، فإن إبل القوافل حملت على ظهورها في بادئ الأمر الكثير والكثير من البضائع. إذ دخل البخور العربي ذو الرائحة الجميلة النفاذة إلى الصين، كما نُقل الحرير الفاخر الأنيق إلى العرب.

وقد تعرَّف العرب على التقنيات الصينية المتقدمة؛ مثل البوصلة وفن صناعة الورق والبارود الصيني، وهذا من خلال المساومات المالية خلال تبادل البخور والحرير، وبهذا بدأت الديانة الإسلامية والثقافة الإسلامية في ضرب جذورها في تربة البر الصيني.

ويمكننا القول بشكل محدد إن تأصل الديانة الإسلامية في الصين لم يأتِ نتيجة للدعوة للدين الجديد عمدًا في الصين، لكنه جاء نتيجة للانفتاح الحضاري الصيني والتشبع بالثقافات الخارجية، أي نتيجة للصداقة والتبادلات بين القوميتين الصينية والعربية.

أولًا: التبادلات الصينية العربية قبل ظهور الإسلام:

"نشأت التبادلات بين الصين والعرب منذ القدم، فالصداقة بين الشعب الصيني والشعوب العربية ترجع إلى قديم الزمان"[٥٩]. ويمكننا دراسة تاريخ الصداقة والتبادلات بين الشعبين الصيني والعربي من خلال شقّي الطريق البري والطريق البحري.

◆ التبادلات الصينية العربية في العصور المبكرة من خلال الأساطير:

قد أحصت الأوساط الأكاديمية داخل الصين وخارجها تاريخ التبادلات بين الشعب

---

[٥٩]- قوه ينغ ده: (موجز التاريخ)،صـ٢٥٧، دار نشر العلوم الاجتماعية الصينية - الطبعة الأولى، شهر ٣ عام ١٩٩١م.

الصيني والعربي، وأرجعت تاريخ تلك العلاقة إلى عصر تشانغ تشيان[٦٠] في عهد أسرة خان الغربية. أما فيما قبل تشانغ تشيان فقد كانت هناك تبادلات محدودة المدى بين الشعبين.

وقد سجلت هذه التبادلات في المؤلفات التراثية الكلاسيكية الصينية، وأرجعت هذه التبادلات إلى "ربيع السنة التاسعة والعشرين لحكم الإمبراطور ياو واسمهتاو تانغ شه، كما أرجعت هذه العلاقة إلى منطقة جياو جياو ومنطقة مو يو"[٦١].

وبالرغم من صعوبة تحديد المكان الفعلي لمنطقة جياو جياو إلا أن كتاب "سجلات طبوغرافية" يرى أن هذه المنطقة كائنة في جنوب مملكة تشين، أما منطقة مو يو فقد أُطلق عليها هذا الاسم نسبة إلى المر، وهو من العقاقير الطبية التي تثمر وتنتج في شبه الجزيرة العربية فقط.

ومن هنا يمكننا أن نستنتج – بشكل عام – أن منطقة جياو جياو قد تكون واقعة في شبه الجزيرة العربية، أو في نطاقها وجوارها، أو أن ثمَّة علاقة ما تربطها بهذا الأمر. لذا يمكننا القول إن نشأة العلاقات المباشرة وغير المباشرة بين الشعبين الصيني والعربي ترجع إلى حكم الإمبراطور ياو، الذي يتبع عصر الأباطرة الخمسة"[٦٢].

وقد أشار السيد تشانغ شينغ لانغ إلى ذلك وبشكل قاطع: "وجدت المواصلات بين

[٦٠]- تشانغ تشيان: (١٦٤ – ١١٤ قبل الميلاد) مستكشف ورحالة ودبلوماسي بعصر أسرة هان الغربية، وله الكثير من الإسهامات في تاريخ طريق الحرير.

[٦١]- "سجلات البامبو" الجزء الأول، نقلاً عن كتاب تشانغ شينغ لانغ، مراجعة تشو جيه تشين: (تصنيف المصادر التاريخية للمواصلات الصينية الغربية)، الجزء الأول ص٢٧، دار الكتب الصينية – يونيه عام ٢٠٠٣- الطبعة الأولى.

[٦٢]- الخمسة أباطرة هم: الإمبراطور خوانغ – الإمبراطور جوان شو- الإمبراطور كو- الإمبراطور ياو- الإمبراطور شون، وقد كان عصر الأباطرة الخمسة حوالي القرن السادس والعشرين قبل الميلاد إلى القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد.

الصين والغرب فيما قبل حكم الإمبراطور هان وو[٦٣]، ولم يكن أحد ليصدق أن الاتصال بالغرب قد بدأ منذ عصر ابن أسرة خان الغربية البار الإمبراطور وو"[٦٤].

وثمَّة أربعة أسباب رئيسية تبين الاتصال بالمناطق الغربية في عصر الإمبراطور خان وو: أولها "قصة سه ما تشيان المشوشة، فبعد ارتكاب تشيان جريمةَ فساد ما، أعرب عن غضبه في كل حدب وصوب حيال الإجراءات التي اتخذها الإمبراطور خان وو، وقد بلغ غضبه مداه؛ فأخذ يسخر منه ويخلط الحق بالباطل. فالاتصال مع المناطق الغربية قد بدأ في عصر الإمبراطور خوانغ، لكن تشيان حرَّف الكلام بأن تشانغ تشيان هو الذي بدأ الاتصال بالمناطق الغربية"[٦٥].

السبب الثاني أنه "لم تتوافر مؤلفات تاريخية عظيمة قبل سه ما تشيان تضاهي مؤلفه (سجلات تاريخية)، وهذه المؤلفات بأكملها من السهل التحقق منها"[٦٦]، والثالث "أوْلَى الكُتَّاب منذ القدم اهتمامهم فقط بكتب السِّير، أي السجلات ذات الأربعة والعشرين جزءًا، وغيرها من السجلات الرسمية، بينما انحازوا للمؤلفات الخاصة والآراء الذاتية"[٦٧]، رابعًا "أنه مما لا يحتمل شكًّا أن المواصلات بين مملكة تشين والمناطق الغربية كانت متوفرة قبل عهد الإمبراطور تشين شه، أول أباطرة مملكة تشين، ولم تكن للقائمين على السياسة في عصر خان الغربية والكثير من أولادهم وأتباعهم أيَّة علاقة

[٦٣]- الإمبراطور هان وو: اسمه الحقيقي ليو تش، ولد في ١٥٦ قبل الميلاد، السابع في ترتيب أباطرة أسرة خان الغربي، سياسي واستراتيجي وشاعر متميز.

[٦٤]- تشانغ شينغ لانغ، مراجعة تشو جيه تشين: (تصنيف المصادر التاريخية للمواصلات الصينية الغربية)، الجزء الأول، ص٦ دار الكتب الصينية، يونيو.٢٠٠٣م.

[٦٥]- تشانغ شينغ لانغ، مراجعة تشو جيه تشين: (تصنيف المصادر التاريخية للمواصلات الصينية الغربية)، الجزء الأول، ص٦ دار الكتب الصينية، يونيو ٢٠٠٣م، الطبعة الأولى.

[٦٦]- تشانغ شينغ لانغ، مراجعة تشو جيه تشين: (تصنيف المصادر التاريخية للمواصلات الصينية الغربية)، الجزء الأول، ص٨ دار الكتب الصينية، يونيو ٢٠٠٣م، الطبعة الأولى.

[٦٧]- تشانغ شينغ لانغ، مراجعة تشو جيه تشين: (تصنيف المصادر التاريخية للمواصلات الصينية الغربية)، الجزء الأول، ص٨، دار الكتب الصينية، يونيو ٢٠٠٣م، الطبعة الأولى.

بأسرة تشين. وكان للحكايات المنقولة عن أسرة تشين الفضل في استنتاج عدم وجود وثائق رسمية أو سجلات تاريخية للمواصلات بين أسرة تشين والمناطق الغربية. وبعد انهيار أسرة يوان وقيام أسرة مينغ، لم يعرف المواطنون في عصر أسرة خان معلومات حول المواصلات التي وصلت بين منغوليا وقارة أوروبا. وأشار كتاب (تاريخ مينغ) إلى أن إيطاليا كالأبرياء[68] لم تربطها بالصين أي مواصلات قديمًا، وعبر دفّتي صفحات كتاب (وثائق العلاقات الصينية الروسية[69]) - الذي بُدئ تسجيله في سنوات الحكم الأولى للإمبراطور كانغ شى ثاني أباطرة أسرة تشينغ - أن روسيا لم تربطها أيضًا بالصين أي مواصلات منذ القدم"[70].

وعرض السيد تشانغ شينغ لانغ لنظرية أن الغضب الناجم عن نسيان الكثير من المؤلفات التراثية لأمجاد الأجداد يبدو تحيزًا لوجهة نظر متطرفة نوعًا ما. لكن عند التأمل في أن أحوال الصين الواقعية وتوالي الأسر التاريخية هو الذي أدى إلى انهيار الثقافة والعادات والتقاليد، فإنه ليس ثمَّة برهان مؤكد حيال هذه النظرية.

◆ إسهامات تشانغ تشيان وجان ينغ:

لنطرح الفترات التاريخية غير متضحة الملامح جانبًا مبدئيًا، لنعتمد التاريخَ المسجل في المراجع التاريخية برهانًا قاطعًا. وطبقًا لأول المصادر التاريخية المتاحة الآن يمكننا القول إنه كان ثمَّة اتصال بين الصين والعرب عن طريق الطريق البري، يرجع إلى قديم الأزل، أي عام ١٣٩ قبل الميلاد (السنة الثانية من نشأة أسرة خان الغربية).

حينئذ بعث تشانغ تشيان سفراءه إلى المناطق الغربية، وهي الكثير من الممالك

---

[68]- الترجمة حاليًا "إيطاليا كالابريا".

[69]- الترجمة الحرفية لاسم الكتاب: (استراتيجيات تهدئة الأرواح الشريرة).

[70]- تشانغ شينغ لانغ، مراجعة تشو جيه تشين: (تصنيف المصادر التاريخية للمواصلات الصينية الغربية)، الجزء الأول، صـ٨، ٩ دار الكتب الصينية، يونيو ٢٠٠٣م، الطبعة الأولى.

والدول بغرب الصين في ذاك الوقت، ومنها دا يوا شه - دا شيا - دا وان - كانغ جو[71] إلخ. ومن خلال البعثات والأسفار تعرف تشانغ تشيان على بعض الأحوال والظروف في غرب آسيا وشبه الجزيرة العربية.

أطلق مواطنو أسرة خان الغربية على العرب حينها بالأفنان (تياو دجه). وقد سُجلت بإيجاز أحوالهم في الجزء الـ١٢٣ بعنوان (روايات تاريخية عن قومية دا وان) من كتاب (سجلات تاريخية)، وقد أشار هذا الجزء أيضًا إلى أن "تناقلت حكايات الشيوخ المُتَوفين بما يدل على أن العرب "الأفنان" لديهم رواسب نهرية، لكنهم لا يعرفون الإله شي وانغ مو".

وأوضح (كتاب ما بعد أسرة خان) الكثير من أحوال العرب، أما في الجزء الـ ٨٨ وهو كتاب (سيرة المناطق الغربية) فقد ذكر فيه أن "مدن العرب تقع في الجبال، إذ تحيطها تعرجات الجبال إلى أكثر من ٤٠ كيلو مترًا، ويحدها البحر من الغرب، إذ تنعطف مياه البحر لتحيط بالجنوب والشمال الشرقي، وتتخلله الطرق من ثلاثة جوانب، وتُعد الجهة الشمالية الغربية للمدن العربية الجهة الوحيدة للاتصال بالطريق البري، وتتسم هذه البلاد بالجو الحار الرطب"، وهذا الوصف يُعد وصفًا دقيقًا نسبيًا لشبه الجزيرة العربية.

أُرسل جان ينغ، بأوامر من المسئول الرسمي عن المناطق الغربية بان تشاو، في عام ٩٧ ميلاديًا، إلى دا تشي "الإمبراطورية الرومانية قديمًا" (متضمنة الآن مصر وسوريا إلى آخر هذه المناطق) وبلاد الحضر، وقد عرقله البحر الغربي (خليج الفرس)، فرجع من الشرق بعد أن خاب أمله أمام البحر الواسع.[72]

وقد كُتب بابٌ اختص عن "الحضر" في الجزء ١٩٢ من كتاب (تونغ ديان)، فسجل

---

[71]- كل هذه المناطق تتبع مقاطعة شينجيانغ حاليًا، التي تعرف أيضًا بتركمانستان الشرقية.

[72]- مقتبس من ترجمة السيد نا تشونغ لكتاب الفرنسي تشانغ ره مينغ: (الصين في عصر أسرة تانغ وعلاقتها بمسلمي العرب والفرس)، صـ١، دار نشر الشعب بنينغشيا - طبعة عام ٢٠٠٢م. في الواق ذهب جان ينغ إلى الإمبراطورية الرومانية، وليست الإمبراطورية البيزنطية الرومانية، فقد تأسست الإمبراطورية البيزنطية سنة ٣٩٥ ميلاديًا، وقد كان هذا بعد مجيء جان ينغ بـ ٢٩٨ سنة.

فيه بشكل محدد أنه قد "علّقت أسرة خان أملاً عظيمًا في الاتصال بالحضر، لذا فإن المسافة التي تلزم للوصول للحدود - أي إلى هضبة البامير - ٢٢ ألفًا ومائة كيلو متر"، "أرسل خان لهذه المسافة الكبيرة جداً شي تجه"، "وقد قام بان تشاو في ظل عصر الإمبراطور خاو خه بإرسال جان ينغ إلى دا تشين "روما القديمة"، وبلاد الحضر.

وقد رغب جان ينغ في عبور البحر الكبير الذي على الحدود، لكن البحارة على الحدود الغربية لأشكانيان قالوا لينغ: "إن البحر موجه عالٍ، وثمَّة رياح عاتية تأتي ذهابًا وإيابًا، لذا فستلزمنا ثلاثة أشهر لعبور البحر، كذلك سنتعرض لصعوبات الرياح والمطر، ومعنا أيضًا أطفال في الثالثة من عمرهم، لذا فقد استمع ينغ لهم، وتراجع عن عبور الحدود".

إن طريق الاتصال الذي سار فيه كلٌّ من تشانغ تشيان وجان ينغ إلى بلاد العرب هو طريق الحرير البري المشهور حتى الآن، الذي يحلو للناس الحديث عنه.[٧٣] وبصفة عامة لا يهم إذا كان "تشانغ تشيان هو الذي قام بالاتصال بالغرب" أم "أن جان ينغ هو الذي استمع إلى النصيحة ولم يعبر النهر واتجه للطريق البري"، فرحلتهما إلى المناطق الغربية هي التي أثرت بقوة في معرفة الصينيين في عصر أُسرة خان ببلاد وسط آسيا وغربها وبلاد العرب، وقد كانت هناك مآثر عظيمة جراء شق هذا الطريق، كما أسهم هذا الطريق في التبادلات الاقتصادية والثقافية بين الصين والعرب منذ القدم.

◆ شق شرياني "طريق الحرير" وإسهاماتهما:

لقد أصبحت هناك إمكانية للتبادلات من خلال البحر بين الصين والعرب، وهذا يعد اتساقًا مع التقدم المستمر في التقنيات البحرية. وتبدأ الرحلة البحرية من موانئ الصين،

٧٣- "طريق الحرير" تعبير عام، ويمكننا القول إن بداية طريق الحرير منطقة شي إن الصينية الآن، ونهاية طريق الحرير سوريا الآن، أما الأماكن التي كان يعبر بها الطريق اختلفت كثيرًا، فالطريق الأساسي لطريق الحرير يبدأ من شي إن ويعبر من خلال غرب النهر مرورا بمنطقة شين ديانج، ثم يعبر منتصف آسيا وصولًا بالقرب من بغداد عاصمة العراق، كما يعبر الكثير من الطرق وصولاً لسوريا.

وهي اليوم جوانج جو، وتشوا جو، ونينغ بواينغ جو إلى آخر هذه الموانئ، وتبحر باتجاه الجنوب، وتخترق مضيق ميلاك، وتعبر الحدود الجنوبية من سيريلانكا وشبه جزيرة الهند، وفي النهاية تصل إلى البحر الغربي (خليج الفرس) أو البحر الأحمر، وهذا الطريق هو "طريق البخور" المعروف في التاريخ، وهو يسمى كذلك بـ "طريق الحرير" البحري.

ويتفرع "طريق الحرير" عند دخوله في خليج الفرس، وقد ذكر المؤرخ العربي المشهور المسعودي في مؤلفه المشهور (مروج الذهب) أن: السفن التجارية الصينية اعتادت في القرن السادس على المجيء إلى خليج الفرس، ومنه إلى نهر الفرات، وقد كانت ترسو السفن الصينية بالقرب من المدن اليونانية، التي تبعد عن أطلال حصن بابليون القديم حوالي ٣ كيلو متر، وقد أقام الصينيون علاقات تجارية مع العرب القابعين في هذه المنطقة.

وفي الواقع فقد سجّلت المصادر التاريخية العربية أنه كانت هناك بضائع صينية في سوق البضائع ببات جونيا بالقرب من نهر الفرات، وهذا منذ القدم عام ٣٦٠ ميلاديًا، وهذه البضائع بعضها يمكن أن تكون آتية مع السفن الصينية.

وذكر (كتاب سونغ) - الذي نُشر حوالي عام ٥٠٠م - أن "بضائع السفن كانت تتابع سيرها، وكانت ثمَّة تجارة وتبادل للأصناف التجارية" بين الصين ودا تشين "روما القديمة" (أي سوريا ومصر التابعة للإمبراطورية البيزنطية) وتيان جو (الهند)، وقد تفرع "طريق الحرير" بعد دخوله مياه البحر الأحمر، ووصل بشكل رئيسي إلى ميناء عدن والمخاء باليمن اليوم.

وتصطف البضائع بعد ذلك بشمال الساحل الغربي لشبه الجزيرة العربية، وتُنقل هذه البضائع إلى فلسطين وسوريا ومصر إلى آخر هذه المناطق عبر مكة. وهذا الطريق هو طريق الحجاز التجاري الشهير. وقد سيطرت قبيلة قريش بمكة على هذا الطريق لأمد طويل، وهذا منذ بداية القرن السادس الميلادي، وهو أيضًا أحد الأسباب الرئيسية

لمعرفة سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) - وهو أحد أبناء قبيلة قريش - وفهمه للصين وللثقافة الصينية.

وفي الوقت نفسه ذكر هودسون في كتاب (علاقات أوروبا والصين) أنه ربما قد تكون سفن العرب قد أبحرت إلى الصين بعد القرن الأول الميلادي، وهذه الظروف توضح أن "طريق الحرير" البحري طريقٌ مزدوج. ونشأةُ هذا الطريق وتأثيره على الشعبين الصيني والعربي بالضرورة تأثيرٌ مزدوج.

إن شق "طريق الحرير" البري والبحري قد كوَّن ممراً هاماً للتبادل الصيني العربي منذ القدم، مما كوَّن شريانين كبيرين للتواصل بين الشرق والغرب منذ القدم.

وقد ذكر ديا دين عالم الجغرافيا - الذي عين رئيساً للوزراء في عصر أُسرة تانغ (عام ٧٨٥- ٨٠٥)، في السنة الأولى من حكم ده تزونغ جين - أن ثمَّة طريقين يصلان الصين بالعرب والفرس، هما طريق "من انشي المؤدي إلى المناطق الغربية"، وطريق "قوانغشتو الموصل إلى خاي إي"، وهذان هما الطريقان البري والبحري لطريق الحرير، وقد أصبح هذان الطريقان فيما بعد الممر الرئيسي والأصلي لدخول الإسلام الصين.

وكان للعرب دور الوساطة الحيوي في النشاطات التجارية في الصين ودول الغرب، فقد قاموا "بنقل الحرير الصيني والبضائع الأخرى إلى أنطاكيا"[٧٤]، كما قاموا بدور الوساطة التجارية بين أشكانيان وروما"[٧٥]، "كما قاموا - بشكل رائع - بتنظيم نقل الحرير الصيني، والحفاظ على أمن القوافل التجارية وتقديم الخدمات لها، لذلك فقد نُقلت التجارة الرومانية والهندية من البحر الأحمر ومصر إلى الفرس وروسيا"[٧٦]. ومن هذا المنطلق يمكننا القول إن العرب القدامى هم المحرك للنشاطات التجارية الصينية والأوروبية في العصور الأولى، كما كانت للعرب إسهامات هامة في التبادلات الصينية الغربية.

---

[٧٤]- أنطاكيا: عاصمة الإمبراطورية السلوقية القديمة (٣١٢ قبل الميلاد - ٦٤ قبل الميلاد)، وتقع في جنوب تركيا الآن، ويطلق عليها الأتراك أنطاكيا.

[٧٥]- هودسون (أمريكا): (العلاقات الأوروبية الصينية)، صـ٨١-٨٢، بوسطن، عام ١٩٦١م..

[٧٦]-هيتي (أمريكا)، ترجمة محمد مكين: (التاريخ العربي)، صـ٦٢-٦٨- دار النشر التجارية - شهر ١٢ سنة ١٩٧٩م، الطبعة الأولى.

ثانياً: مسألة متى دخل الإسلام الصين؟

بالرغم من عراقة تاريخ التواصل بين الصين والعرب، إلا أن التوقيت المحدد لدخول الإسلام الصين لم يذكره التاريخ بشكل دقيق؛ وقد تضاربت الآراء في المراجع التاريخية الصينية والأجنبية حول هذا الأمر، ومن الآراء الشائعة نسبياً في الوقت الراهن: "القول بظهور الإسلام في بداية إمبراطورية أُسرة سوي"[٧٧]، "أسرة تانغ في ظل حكم الإمبراطور يين ده"[٧٨]، "أسرة تانغ السنوات الأولى لچين چوان"[٧٩]، "أسرة تانغ العام الثاني ليونغ خوي"[٨٠]، "بداية القرن الثامن"[٨١] إلى آخر الآراء.

◆ بالنسبة للرأي القائل بدخول الإسلام في بداية عصر أسرة سوي:

وتعد انطلاقة هذا الرأي من "النقش الحجري بمسجد خوا دويا شيانغ"، بمقاطعة شان شي مدينة شي آن. وقيل عن هذا المسجد إنه قد تأسس في عصر أسرة تانغ عام ٧٤٢م، ويطلق عليه اسم مسجد تانغ مينغ، وتخبرنا النقوش: "أنه بعد ميلاد كونفوشيوس، ظهر في المناطق الغربية رسول يُدعى محمداً (صلى الله عليه وسلم)، ويسكن بلاد العرب"، "ودخلت تعاليمه وانتشرت تدريجياً في الصين في ظل عصر بداية إمبراطورية سوي"[٨٢]. بعد ذلك قال ووه ديان، الذي عاصر فترة العشر سنوات التي تلت بداية حكم أسرة يوان (عام ١٣٥٠م)، من خلال نقوشه التي كتبها في مسجد "جونغ لي

---

[٧٧]-خانغ شه جيون: (مختارات داو جوو تانغ)، الجزء الـ ٢٥.

[٧٨]-خه تشياو يوان: (مين شو) - الجزء ٧ (فانغ يو چي. لينغ شان تياو) .

[٧٩]-جين جي تانغ: (أصول هوي هوي)،الجزء١.

[٨٠]- تشين يوان: (موجز تاريخ دخول تعاليم هوي هوي إلى الصين)، مجلة (الشرق)، الجزء ٢٥ رقم ١.

[٨١]-مجلس أعمال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بشمال غربي الصين: (الخطوط العريضة لقضايا قوميات هوي هوي)، دار نشر التحرير بيان آن - طبعة عام ١٩٤١م.

[٨٢]- "النقش الحجري بمسجد خوا دويا شيانغ" بمقاطعة شان شي مدينة شي آن. مقتبس من يو جنغ قوي، ليه شياو جينغ: (سجل قومية هوي الصينية)، صـ١٨١، دار نشر الشعب بنينغ شيا - نوفمبر ٢٠٠١م- الطبعة الأولى.

في تشوان جو[83]، الآتي: "في البداية وُلِد محمد بن عبد الله في المدينة المنورة ثم نزل عليه الوحي[84]، وكان ذا أخلاق رفيعة، وقد خضعت له كل المناطق الغربية، وأطلق عليه رسول". "وقد قام سعد بن أبي وقاص في فترة السبع سنوات الأولى من حكم إمبراطورية سوي بالإبحار - بكل جرأة - إلى مقاطعة قوانغدونغ، وقد بنى مسجداً بمنطقة قوانغشتو، أطلق عليه مسجد خواي شينغ"[85]. "كما أبحر نجيب مزهر الدين من سيراف (ميناء بإيران) إلى مدينة تشوان جو، في العام الأول من فترة شاو شينغ، من عهد أسرة سونغ[86]، وبنى مسجداً بجنوب هذه المدينة"[87].

وقد قامت فيما بعد السجلات التاريخية الآتية (سجل قوانين خوانغ مينغ)، (الأوضاع الرسمية لأسرة مينغ)، و(أرشيف الرموز) إلخ، بتبني الرأي القائل بدخول الإسلام الصين في بداية حكم إمبراطورية سوي.

وأثار بعض العلماء الصينيين الكثير من الشكوك حول الرأي القائل بدخول الإسلام الصين في بداية حكم إمبراطورية سوي، من خلال البحث المتعمق حيال الزمن الذي كتبت فيه النقوش الصينية بالمساجد، وأسلوب هذه النقوش، والمعاني اللغوية الخاصة بها ومصطلحاتها، وأيضاً البحث في التحويل بين التقويم الهجري وبداية العصور الصينية والأخطاء الشائعة في هذا القبيل، إلى آخر الجوانب الأخرى.

83- يقال إن هذا المسجد قد أنشأه فارسي يدعى (نجيب مزهر الدين) السيرافي، في عام ١٠٠٩ ميلادياً أو عام ١٠١٠م، وهو أحد أقدم مساجد الصين، وقد أعيد ترميمه عام ١٣١٠ و١٣٥٠ ميلادياً، وقد سجلت النقوش الحجرية به عند إعادة ترميمه عام ١٣١٠ و١٣٥٠م.

84-(ما دي نه) الترجمة الصوتية الحالية لـ (موه ده نه "المدينة المنورة"). (أن با ار. موه خان موه ده) الترجمة القديمة للاسم الكامل للرسول، والترجمة الحالية للاسم الكامل لمحمد هي (محمد بن عبد الله)، ويمكننا القول إن النقوش المكتوبة تعني؛ ان با ار تعني "عبد الله"، و موه خان موه ده تعني "محمد".

85- دا شي: تعني العرب أو الجزيرة العربية.

86- (نجيب مزهر الدين) ترجمة صوتية أخرى لـ(نه چي بوه مو زي شي لو دينغ).

87- "النقوش المسجلة بمسجد تشونغ لي" بمقاطعة فوجيان بمدينة تشوان جو مأخوذة من (سجل قومية هوي الصينية) ليو جنغ قوى، ليه شياو جينغ: الصفحة٦٧ – دار نشر الشعب بنينغشيا – نوفمبر ٢٠٠١- الطبعة الأولى.

كما عرض بعض العلماء نصبين حجريين، وهما "زائفان"، مما يعد تزييفًا للأجيال القادمة. ولإثبات صحة هذا الأمر، يجب حساب الوقت منذ ظهور الإسلام، مما يمكننا من التمييز بين الحقيقي والمزيف بطريقة صحيحة. فالإسلام ظهر في شهر سبتمبر من عام ٦١٠ ميلاديًا، بينما فترة إمبراطورية سوي من عام ٥٨١ – ٦٠١ ميلاديًا، والعام السابع من إمبراطورية سوي عام ٥٨٨ ميلاديًا. لذلك ليس من الممكن أن يدخل الإسلام الصين قبل أن يظهر، لذا فإن الرأي الخاص بإمبراطورية سوي لم يكن موجودًا بعد.

في الواقع إن هذه القضية تتسم بالطابع الثقافي الصيني العتيق الجميل. فدائمًا ما تسترجع الماضي لإظهار عراقة تاريخ ديانة ما. ولم تكن لدى الناس المقدرة على التفكير بدقة والإتيان بالبراهين على توقيت دخول الإسلام الصين، لذلك نجدهم يتناقلون الروايات الخاطئة حيال هذا الأمر حتى الآن.

◆ الرأي القائل بدخول الاسلام في عهد الإمبراطور تانغ وو ده:

استُمِد هذا الرأي من "سجلات فانغ يو. طريق لينغ شان" من كتاب "مين شو" للكاتب (خه تشياو يوان)، ففي عهد مينغ فإن سنوات الوحي (١٦٢١ – ١٦٢٨م) تخبرنا: "أنه كان بالمدينة المنورة رسول الله محمد"[88] "وكان من أتباعه الخلفاء الراشدون الأربعة، وانتشرت تعاليم الإسلام في الصين تدريجيًا، إذ كان تانغ وو ده قادمًا إلى الصين". وقد قام المؤرخ الصيني (جانغ شينغ لانغ) كذلك بنقد رأي (خه تشياو يوان)، قائلاً: "إنه في بدايات أسرة تانغ كانت وسائل النقل البحرية كثيرة، وكان رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم)[89] على دراية بأن الصين دولة كبرى في الشرق، وحث أتباعه على التوجه إلى الصين لدراسة العلوم. وعند بداية نشر الدعوة أرسل الرسول (صلى الله عليه وسلم) أتباعه لنشر الإسلام في الصين".[90] وتحدث أيضًا السيد (جين يي جيو) بشكل مبهم

88- خه تشياو يوان: (مين شو)، المجلد السابع، (سجلات فانغ يو . طريق لينغ شان).

89- "مواه كه مواه" ترجمة صوتية قديمة لاسم "مو خان مواه ده (محمد)".

90- تشانغ شينغ لانغ: (تصنيف المصادر التاريخية للمواصلات الصينية الغربية)، القسم ٢، ص ٧٤١، هيئة الكتب الصينية، الطبعة الأولى، يونيو ٢٠٠٣م.

قائلاً: "ثمَّة بالصين في الفترة الأخيرة مجموعة من العلماء يَعرِضون أيضًا وجهات نظر متشابهة، من خلال المقالات والمؤلفات،إذ يرى هؤلاء أنه من الممكن أن تكون تلك الفترة هي فترة دخول الإسلام الصين، استنادًا إلى الخلفيات التاريخية في ذلك الوقت، وكثرة وسائل المواصلات البحرية العربية والصينية، ففي الوقت نفسه الذي كان رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) يؤسس الدولة الإسلامية، تمكن الكثير والكثير من التجار العرب - ومن ضمنهم المسلمون - من المجيء إلى الصين من خلال جوانغ جو وتشوان جو وو يانغ جو، إلى آخر الموانئ الرئيسية الأخرى، وقد تطابق هذا الرأي في الوقت نفسه مع بعض المراجع التاريخية"[٩١].

وقد عرض وانغ دجه شين في كتاب (الملخصات التاريخية للأفكار السياسية الصينية) - بوضوح كبير - أن دخول الإسلام الصين كان في العام الخامس لأسرة تانغ، فترة حكم الجد الأكبر ووه ده (عام ٦٢٢م)، وكان جوانغ جو المكانَ الذي دخل الإسلام فيه الصين. ويرى المؤلف أن هذا الرأي رأي يستحق النقاش. وتمتد فترة تانغ ووه ده من (عام ٦١٨-٦٢٧م)، وهي بالضبط الفترة نفسها التي حُوصِر فيها محمد (صلى الله عليه وسلم) وأتباعه من قبَل بني أمية، في مكة، بوادي الشعب (٦١٧-٦١٩م)، وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة في (سبتمبر عام ٦٢٢م)، كذلك هي فترة نشوب صراعات عسكرية شديدة مع جيوش مكة (عام ٦٢٤م غزوة بدر، وعام ٦٢٧م غزوة الخندق)[٩٢]. وتُعد هذه الفترة الزمنية الفترة الأكثر صعوبة وقسوة في تاريخ نشر محمد رسول الله تعاليمَ الإسلام، إذ كان البقاء أمرًا ضروريًّا وشديد الحتمية، ونسبة احتمالية إرسال أشخاص إلى بلاد الصين البعيدة ضئيلة جداً، وليس من الممكن إرسال الرجال الأفاضل الأربعة

[٩١]- جين إي جيو: (القاموس الإسلامي المصغر)، ص ٤٣٨، مطبعة الثقافة الدينية، الطبعة الأولى، شهر أكتوبر ١٩٩٧م.

[٩٢]- الاطلاع على هذه الفترة التاريخية في الفصل ٢,٤ والفصل ٢,٥ من الباب الأول من هذا الكتاب، والسبب في استخدام هذا الكتاب أسلوب المقارنة في شرح الأسباب الهامة لتاريخ تطور الإسلام عدم الاستماع للأقاويل المغلوطة.

"الخلفاء الراشدين الأربعة"[٩٣] من صحابة رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) للمجيء إلى الصين. لذا يمكننا التوصل إلى أن هذا الرأي يميل أكثر إلى الحقيقة والواقعية.

◆ الرأي القائل بدخول الإسلام الصين في السنوات الأولى من حكم تانغ جين جوان:

ويتضمن هذا الرأي عدة أقاويل واضحة؛ ومنها أن الإسلام قد دخل الصين في السنوات الأولى لحكم تانغ جين جوان، ومنها أنه دخل الصين في العام الثاني لحكمه، ومنها أنه دخل تقريبًا العام الثالث لحكمه، أو العام السادس له، إلى آخره. وبالرغم من أن فارق السنوات قليل، إلا أن الجميع يعتقد أن صحابة محمد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) هم من نشروا الإسلام في الصين في مطلع حكم تانغ جين جوان.

وقد أيد شوكة الرأي القائل بدخول الإسلام الصين في السنوات الأولى لحكم تانغ جين جوان ما ذُكِر في كتاب (مختارات "ديوان" تشين باي) من "أن الإسلام قد دخل الصين في مطلع حكم جين جوان".

وقد أيد ليو سان جيا الرأي القائل بدخول الإسلام الصين في العام الثاني لحكم جين جوان؛ فقد حدثنا في كتابه "أصول مسلمي هوي هوي" "أن الإمبراطور قد حلم بعصابة رأس بيضاء، في ليل اليوم الثامن عشر من شهر مارس للعام الثاني من حكم جين جوان، وحلم أيضًا أنه يطارد الأشباح، وقد أفاق مندهشًا، ولم يعرف أي فأل هذا، لذا فقد سأل وزراء البلاط الملكي ورجاله في هذا اليوم عن ماهية الحلم، وقد أجابه المسئول عن قراءة الأحلام قائلاً إن هذه العصابة البيضاء فوق الرأس لها صلة بقومية خوي في المناطق الغربية"، "وأن هذه العصابة البيضاء تعلن عن وجود كتاب منزل من السماء في المناطق الغربية، وأن هذا الكتاب المنزل اسمه "الفرقان"، وهو يشبه أمهات

[٩٣]- "الأربعة رجال العظماء" هم خلفاء الرسول محمد الأربعة.

الكتب الخمسة عند الصينيين، لكن التعاليم الدينية تختلف بين الصين والغرب"[٩٤].

ومن الأجيال التي أتت بعد ذلك جين جيه تانغ؛ إذ أثنَى كذلك على هذه المقولة نفسها في كتاب "بحث تاريخي للإسلام في الصين". وقد أيد ليو فينج ووه الرأي القائل بدخول الإسلام الصين في حوالي العام الثالث لحكم جين جوان، فقد أشار في كتاب (توقيت دخول الإسلام الصين) إلى "أن انتشار تعاليم الإسلام في الصين كان تقريبًا عام ٦٢٩م (العام الثالث لحكم تانغ تاي تزونج جين جوان)"، ووافق أيضًا على هذه الرواية شو تشونج خاو، في كتاب (موجز لسجلات الإسلام). إن المصادر التي تدعم رواية ظهور الإسلام في الصين في العام السادس لحكم جين جوان بها بعض الغرابة والعجب؛ إذ إنه في عام ١٨٧٨م (العام الحادي عشر لحكم تشينغ تونغ جه) حصل رئيس أساقفة روسيا لدى بكين البطريرك بلاديوس على وثيقة قديمة مكتوبة برموز صينية كبيرة. هذه الوثيقة كانت مترجمة من العربية إلى الصينية. وتصف مقدمة الوثيقة مآثر دخول الإسلام الصين. وقد ترجم الإنجليزي مرجان هذه الوثيقة إلى الإنجليزية ونشرها في "مجلة العنقاء" في شهر مارس لعام ١٨٧٢م، ولم يستطع أحد أن يحصل على النص الأصلي المكتوب بالرموز الصينية، وقد تَرجم جوتا النص إلى الصينية على النحو التالي: وصل معدل المهاجرين من أتباع رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وعمه حمزة إلى ثلاثة آلاف شخص، حاملين معهم القرآن الكريم إلى الصين، وهذا في العام السادس لحكم تانغ جين جوان (عام ٦٣٢م).

إذ عُرف حمزة بأخلاقه الرفيعة والعالية، مما أسعد الإمبراطور تاي تزونج برؤيته، كذلك المهاجرون لِمَا عُرف عنهم من لباقتهم وأدبهم الرفيع. ومكثوا في مدينة تشانج آن، ومن أجل بناء مسجد أقاموا بها. بعد ذلك تنامت أعداد المهاجرين، وبنوا المساجد في ديانغ نينغ وجوانج جو، وقام حمزة بالحديث عن أحكام القرآن الكريم والمناقشة مع

---

[٩٤]- ليو سان جيا: "أصول مسلمي هوي هوي"، مجلد ١. "فو ار جا ني" ترجمة صوتية قديمة لكلمة القرآن، تسمية المنطقة الشمالية الغربية وتشان تو لأبناء قومية هوي هوي.

الجماهير، إرساءً لقواعد الدين، للحفاظ عليها، وصنّف رجال الدين إلى ثلاثة مستويات، وهذا يعود بالنفع على عملية الترويج لتعاليم الإسلام"[٩٥]. ومن الآراء السابقة سنجد أن هناك مشكلتين يستحقان التفكير:

الأولى: مشكلة التوقيت الذي جاء فيه حمزة، وهو من صحابة رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) وعمه. فلقد كان لدى رسول الله بالفعل صحابي جليل يدعى أبا وقاص، لكن لم يأت إلى الصين قط ابنه سعد ابن أبي وقاص، وهو قائد كبير فَتَح العراق في الفترة الأولى من ظهور الإسلام، وتُوُفِّي عام ٦٧٥م، وتم دفنه في المدينة المنورة، وهو أيضًا لم يأت إلى الصين قط.

وبالنسبة إلى أقوال مجيء وقاص إلى الصين، فكُتُب التاريخ العربية لم تذكر ذلك. وُيقال إن هناك شخصًا اسمه وقاص تُوُفِّيَ في الصين، ودُفن عند ضفة جسر جوانج جو، وأن هذا الشخص من المحتمل أن يكون من التجار العرب الذين جاءوا إلى الصين للتجارة، واسمه يتطابق مع وقاص نفسه الذي كان في عهد رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم)، وذلك من أجل التفسير للأجيال الأخرى[٩٦].

الأخرى: أنه قبل العام السادس لحكم جين جوان ليس من الممكن أن تكون هناك نسخة مكتوبة من القرآن الكريم، (تُوُفِّيَ رسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) في اليوم الثامن من شهر يونيو لعام ٦٣٢م[٩٧]). لذلك هذه الآراء وما تستند إليه تشبه الأساطير، بالإضافة إلى عدم وجود مصادر موثقة، إذ إن الثقة في المصادر لا تزال في حاجة إلى مزيد من الإثبات والتأكيد.. وقال تشانغ شينغ لينغ:

---

[٩٥]- جانغ شينغ ليانغ: "تصنيف المصادر التاريخية للمواصلات الصينية الغربية"، الجزء الثاني، ص ٧٤٧، دار النشر الصينية، الطبعة الأولى، شهر يونيو لعام ٢٠٠٣م.

[٩٦]- بحث تفصيلي للإمام وانج جاي اه، الفصل الثاني.

[٩٧]- انظر في هذا الصدد الكتاب في الفصل 2 القسم ٢،١

"المسلمون منذ قديم، ولديهم مثل هذه الروايات والأقاويل، وقد قام الكتاب بصقل هذه الأقاويل وتنقيحها، لتصبح بمثابة الكتب الفكاهية"[98].

◆ الرأي القائل إن الإسلام دخل الصين في أسرة تانغ في السنة الثانية من حكم الإمبراطور يونغ واي:

سجّل كتاب (تونغ ديان)، وكتاب (تانغ القديمة. مخطوطات من عصر الإمبراطور جاو تزونغ)، وكتاب (سه فو يوان جوي) إلى آخر هذه الكتب جميعًا - الأقاويلَ التي تقول إن المسلمين قاموا في عصر أسرة تانغ في السنة الثانية من حكم الإمبراطور يونغ واي بإرسال الرسل للمثول بين يدي الملك، وتقديم الهدايا له، ومن بين الكتب التي ذكرت هذا أيضًا كتاب "تونغ ديان" الذي يُعد في الوقت الراهن أقدم مصدر أوليّ للمعلومات عن المسلمين، ويقول هذا الكتاب: "أرسل المسلمون في السنة الثانية من حكم يونغ يوان الرسل للمثول بين يدي الملك وتقديم الهدايا له، ومنهم يون، وكانت بلده في غرب بلاد فارس"، "عند تأسيس الدولة في السنة الرابعة والثلاثين من أسرة تانغ، عندما تُوُفِّيَ الملك الأول توارث الحكم الآن الثالث"[99]، واعتمادًا على ما قد قيل في هذا الكتاب فقد اعتقد العلماء بعد ذلك أن هذه بداية دخول الإسلام الصين، وقد ذكر كلٌّ من كتاب "تانغ القديمة" وكتاب "تسه فو يوان" "أن العرب قد أرسلوا الرسل للمثول بين يدي الملك، في السنة الثانية من حكم يونغ واي، لكن لم يعرفوا تحديدًا متى دخل الإسلام الصين".

"إذ تذكر السجلات التاريخية أنه في عهد أسرة تانغ، التزم بنظام علامات الاسم النحاسية، إذ تنقش أسماء الدول التي يمثلها السفراء أمامهم حتى يسهل على الإمبراطور التعرف عليهم، وتذكر السجلات أن أحد السفراء قابل الإمبراطور بدون هذه العلامة، إذ لم يتم نقشها لضيق الوقت، مما يدل على أن هذا السفير جاء للصين للمرة

[98]- جانغ شينج ليانغ: "تصنيف المصادر التاريخية للمواصلات الصينية الغربية"، الجزء الثاني، ص ٧٤٣، دار النشر الصينية، الطبعة الأولى، شهر يونيو لعام ٢٠٠٣م.

[99]- (تونغ ديان): الجزء ١٩٣، ص ٢١.

الأولى". وقد قال تزانغ شيانغ ووه في كتاب "تاريخ التجارة الصينية مع المناطق الغربية" إن العصر المؤكَّد لدخول الإسلام الصين السنة الثانية من حكم يونغ واي "بعد أن أرسل العرب للمرة الأولى الهدايا للصين"، وقد أشار بو تونغ شيان في كتاب "تاريخ الديانة الإسلامية في الصين" إلى أن العلاقة الرسمية بين الديانة الإسلامية والصين كانت في السنة الثانية من حكم يونغ واي، وقبل هذا التاريخ كان الناس يأتون للتجارة وليس لنشر الديانة الإسلامية، أو حتى لم يكن ثمَّة من يذكر الديانة الإسلامية، ويؤكد متن كتاب (تاريخ قومية هوي المبسط) الذي أُلِّف بجامعة العلوم الاجتماعية الصينية بمعهد الدراسات القومية أن "الإسلام قد دخل الصين بعد ظهوره بفترة قصيرة، وهذا بواسطة معتنقي الإسلام من العرب الذين يأتون للصين، وقد اتخذ المؤرخون من مجيء الرسل العرب إلى الصين في العام الثاني من حكم يونغ معيارًا لدخول الإسلام الصين".

وقد وسَّع الخليفة الرسمي الثالث في تاريخ الديانة الإسلامية عثمان بن عفان - في السنة ٦٥١ ميلاديًا - في فترة حكمه خريطةَ الإمبراطورية الإسلامية، لتصل حدودَ خُراسان وآذربيجان إلخ، بهذا فقد قلص المسافة بين الإمبراطورية العربية وإمبراطورية أُسرة تانغ، وأصبحت هناك إمكانية للتواصل بين البلدين، لكن هذا لا ينفي أن الإسلام حدد بداية دخوله الصين في فترة السنة الثانية من حكم يونغ واي، وهذا الحديث هو ما يجب أن نُعمِل عقولنا فيه؛ وقد تشكك شخص ما في هذا الحديث قائلاً: "إن الحديث القائل إن الرسل العرب قد أُرسلوا في السنة الثانية من حكم يونغ واي برهان لبداية دخول الإسلام الصين، بالتالي نشأت علاقات من الناحية السياسية بين العرب والصين على الصعيد الدولي"[100]. وقد قال السيد باي شو إي شيئًا يستحق الذكر؛ وهو "أنه يجب أن نعُدَّ دخول الرسل العرب الصين أمرًا مستقلًا بذاته عن أمر دخول الإسلام الصين، فهذا يعد أيضًا أمرًا مستقلًا بذاته، نحن نقول إن دخول الإسلام الصين له علاقة بالرسل العرب التجار والآتين للمثول بين يدي الملك لتقديم الجزية،

[100]- جين يو تانغ "دراسات تاريخ دخول الإسلام الصين"، ص٤٩، مطبعة المعلمين ب باي بينغ، سنة ١٩٣٥م.

وهذا أمر ممكن، لكننا لا يجب أن نجزم أن دخول الإسلام الصين له علاقة بإرسال الرسل من أيَّة جهة كانت، فهذا الأمر غير ممكنِ الجزم به، بالإضافة إلى ذلك أيضًا فإنه بالرغم من أن الرسل العرب بدأوا يأتون الصين في العام الثاني من حكم يونغ واي إلا أنه مَن يجرؤ على القول إنه لم يأتِ الصينَ معتنقٌ الديانةَ الإسلامية من قبل"[101].

◆ **الرأي القائل بدخول الإسلام الصين في بدايات القرن الثامن الميلادي:**

ذكر دنغ جيان في كتاب "وثائق أحوال البلاد (تاريخ مينغ. سيرة المناطق الغربية)" أن الوقت الفعلي لدخول الإسلام الصين في نصف القرن الثامن، قائلًا: "لقد ظهر هذا الدين في الصين، في أثناء حكم تانغ سو، العصر الثاني لأسرة تزونغ". لكن التحليل الفعلي لهذه المقولة أنه في عام ١٩٤١م نَشَر مجلس أعمال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بشمال غربي الصين: (الخطوط العريضة لقضايا قوميات هوي هوي). وهذه الوثيقة ترى أن تعاليم الإسلام انتشرت بشكل رسمي في الصين تقريبًا في بدايات القرن الثامن، وبدأ الكثيرون من الأشخاص اعتناق الإسلام في بعض القوميات الموجودة داخل الحدود الصينية. وتشير هذه الوثيقة إلى أنه بعد استيلاء قتيبة[102] قائد جيوش الدولة الأموية على دول آسيا الوسطى، واجتياز تسونج لينج وغزو يو تيان، حاول الهجوم على كه شان. فأرسل الإمبراطور تانغ روي تزونغ رسولًا إلى الجيش للتفاوض من أجل السلام والمصالحة، فأرسل قتيبة كذلك عشرة أشخاص من رجال الإسلام وعلماء الفلك، من أجل إقامة علاقات ودية، "ويسجل هذا التاريخ بداية دخول رجال الإسلام الصين. وقد تمتع رجال الدين الذين جاءوا إلى الصين آنذاك بخصائص المبعوثين الدبلوماسيين، ومن الصعب الجزم أنه قد تم نشر تعاليم الإسلام داخل الأراضي الصينية أم لا (المكان – أو الأرض – الذي تقطنه قومية خان)".

تعد هذه المقولة في الوقت الراهن الشائعة في البلاد الأخرى (البلاد الأجنبية)، إذ يرى العالم المشهور إيسه تساي لي – العالم المتخصص في المسائل الإسلامية – في كتابه "الإسلام في الصين"، أن الإسلام دخل الصين قديمًا في أسرة تانغ (من القرن السابع إلى القرن التاسع)، تقريبًا فترة القرن الثامن. وقد أجرَى علماء صينيون وأجانب جميعهم

---

[101]- باي شو اي: "تاريخ موجز لدخول الإسلام الصين"، مطبعة المكتبة التجارية بتشونغ شين، سنة ١٩٤٣م.

[102]- (الخطوط العريضة لقضايا قوميات هوي هوي) ذكر "قتيبة". كما ترجمته كتب التراث الصينية شو دي بوه.

أبحاثًا جادة على الأقاويل السابقة، وذكروا تباعًا آراءهم ووجهات نظرهم الشخصية. لكن بناءً على رؤية الكاتب، ونتيجة لندرة المصادر والمراجع التاريخية الصينية والأجنبية الخاصة بدخول الإسلام الصين، فعلى الصعيد الصيني، يرى الكاتب أن المظاهر الموجودة من نقوش المساجد وشواهد القبور وشجرة الأنساب قليلة، بل أيضًا نتيجة لطول الفترة الزمنية، فإننا في حاجة إلى التمييز بدقة بين ما هو حقيقي وصادق وما هو مزيف، إذ لا يمكننا تصديق كل شيء بشكل مطلق، بالإضافة إلى أن فَهم مؤرخي العصر القديم للتاريخ الإسلامي وتطوره سطحي، كذلك ثمَّة عدد كبير من الأبحاث الخاصة بالإسلام غير متعمقة، كما أن المعايير التي تقاس بها الفترة التي دخل فيها الإسلام الصين غير متشابهة، لذلك نحن مازلنا في حاجة إلى البحث المستمر.

أما على الصعيد الخارجي، يقال إن الإمام (وانغ جينغ جاي) قد بحث عن مراجع موثقة عن دخول الإسلام الصين في المكتبات المصرية. لكن جاو جين قال في كتابه "مؤلفات سوي جينغ شي": "قام الإمام وو وانغ جينغ جاي بعد فترة جين بالتساؤل إذا كانت المكتبات المصرية قد اهتمت أم لا بالكتب التاريخية التي تسجل دخول الإسلام الصين، وبناء على رد الإمام بعد ذلك قال" إنهم لم يهتموا بهذا الشيء، ففي الواقع إنه لم تَرِد بالمكتبات المصرية كتب تاريخية عن حقيقة دخول الإسلام الصين. وقد سألت كبار السن في هذه المنطقة عن الشكوك التي كانت تثار آنذاك عن حقيقة دخول الإسلام في الصين، واستعنت بحاملي البكالوريوس (الجامعيين) رغبةً في سؤالهم عن الكتب الخاصة بالمتعلمين المسلمين في الصين، كما ساعدت بالتمويل المالي لأجد برهانًا ما". وقد استمعت لـ بو – وهو أحد الجامعيين الصينيين – بشكل مؤقت – وقد أجابني قائلاً: إنه من ناحية شرح الإسلام في الصين، فالجميع يقول إن الإسلام دخل الصين بدخول سعد بن أبي وقاص الصين، وهذا الرأي تُشكك فيه عامة الناس مؤخرًا وانتقدوا من قبلهم، وبالرغم من أن مقابر ووه شه مازالت تقع بعد مسجد المنارة المنورة "مسجد خواي شينغ"، ففي الواقع إن مقابر ووه شه داخل الحدود العربية، وليس ثمَّة أي برهان على أن سعد بن وقاص صحابي النبي (صلى الله عليه وسلم) مدفون بهذه المقابر، كما أنه ليس ثمَّة برهان على أنه دُفن[103] في الصين بقوانغشتو، أو أنه من ضمن المتوفين بقوانغشتو، أم أن ثمَّة شخصًا آخر اسمه سعد بن أبي وقاص واسمه مشابه للصحابي

---

[103]- نطق الكلمة "بي" وتعني يدفن.

سعد بن أبي وقاص؟ من الممكن أن يكون هناك اختلاف بين الشخصين"[١٠٤]. لذلك فقد ذكر كتاب "تاريخ مينغ" بشكل موضوعي أن كل هذه الأقاويل خيالات، ومن بينها الأساطير التي كان يمزجها الصينيون والمسلمون.

وبالرغم من تضارب آراء الجميع في أوقات محددة - فضلًا عن النظريات الخمس السابقة، بالإضافة إلى نظرية الإمبراطور سوي كاي - إلا أن الفترة الزمنية التي تتضمن أكثر من ٤ نظريات كانت بين عام ٦٢٢م إلى بدايات القرن الثامن، أي أن المدة بين الفترتين لا تصل إلى ١٠٠ عام، وهذا التاريخ بالنسبة لتطور الدين يعد قصيرًا. لذلك يمكننا القول إنه على أقصى حد في بدايات القرن الثامن كانت ثمَّة مصادر ومراجع دقيقة وموثقة مكتوبة، قام رجال الدين المسلمون بإدخالها الصين، وهذه مسألة يجب الوثوق بها. ومن هذه المسألة "المُلَاحَظة" يمكننا أن نرى "مبعوث أسرة تانغ"[١٠٥]، من المؤكد أن لديه وثائق تاريخية رسمية عن المسلمين العرب القدامى الذين جاءوا إلى الصين.

---

[١٠٤]- كتاب "تاريخ مينغ"، المجلد الـ٣٢٢، صـ٨٦٢٥.

[١٠٥]- طبقًا لما ذكر في مؤلفات أسرة تانغ "سه فو يوان جوى"، "تونغ ديان"، "كتاب تانغ" فإن المبعوثين العرب دخلوا الصين في أسرة تانغ بالترتيب الآتي: السنة الثانية من حكم يونغ واي، السنة السادسة من حكم يونغ واي، السنة الثانية من حكم يونغ لونغ، السنة الأولى من حكم يونغ خنغ، العام الأول من وان سوى تونغ تيان، السنة الثانية من حكم تشانغ ان، السنة الثانية من حكم دينغ يون، السنة الرابعة من حكم كاي يوان، السنة الثانية عشرة من حكم كاي يوان، السنة الثالثة عشرة من حكم كاي يوان، السنة السادسة عشرة من حكم كاي يوان، السنة السابعة عشرة من حكم كاي يوان، السنة الحادية والعشرين من حكم كاي يوان، السنة التاسعة عشرة من حكم كاي يوان، السنة الثالثة من حكم تيان باو، السنة الرابعة من حكم تيان باو، السنة السادسة من حكم تيان باو، السنة الحادية عشرة من حكم تيان باو، السنة الثالثة عشرة من حكم تيان باو، السنة الرابعة عشرة من حكم تيان باو، السنة الخامسة عشرة من حكم تيان باو، السنة الأولى من حكم دة يوان، السنة الأولى من حكم يوان يوان، السنة الأولى من حكم باو ينغ، السنة الرابعة من حكم دا لي، السنة السابعة من حكم دا لي، السنة السابعة من حكم دا لي، السنة التاسعة من حكم دا لي، السنة السابعة من حكم تجين يوان، السنة الرابعة عشرة من حكم تجين يوان، إلخ.

المنتجات المحلية التي كان العرب يأتون بها إلى الصين جزيةً: أشهر الأحصنة، والأسود، والعباءات المطرزة بخيوط الذهب، والمجوهرات، وزجاجات الخمر، وروائح الكافور، والقماش الصوفي، والفهود، إلخ، المنجاة التي كانوا ينقلونها للصين هي: العقيق، والزجاج، واليشم، وأحجار على شكل عين، وزيت خليط البترول وزيت الفول السوداني، والأفيون، ونبات دم الثية، وشجر اللبني، وحبَة حلب، والغردينيا، وماء الورد، والقرنفل، والرمان، والصبار، والنعام، والخرفان ذات الذيل الكبير، والظبي، والويبرنوم، والمجوهرات، وسن الفيل، والقرن الكركدن، إلخ.

ثالثًا، التجار الأجانب المقيمون بالصين والفان فانغ (مساكن تجار المسلمين)

نفَذت أسرة تانغ - التي تأسست في ظل الاتحاد والتآلف الكبير للقوميات - سياسة محددة في المجال السياسي؛ وهي "أمن الصين يكمن في اندماج العلاقات بين قوميات شرق الصين"، كما نفذت سياسة "المزج بين كل المجالات الفكرية والثقافية" في مجال الفكر الثقافي، واتبعت أيضًا سياسة الانفتاح في مجال علاقات التواصل مع الخارج، لذلك لاقت كل أنواع الفكر الثقافي رواجًا واسع النطاق، مما حث على التطور الثقافي في عصر أُسرة تانغ، ولقد أدخلت الصين - لأسباب مختلفة ولحسن الحظ، بالتدريج - الموسيقى والرقص والفن وفن العمارة والتكنيك الطبي وعلم حساب التقويم والتكنولوجيا العلمية، إلى آخره، المستمدة من أوروبا الغربية ومناطق وسط أوروبا وجنوبها، كما أدخلت الصين كل الثقافات والأفكار الرئيسية مثل الديانة الإسلامية والبوذية والمجوسية والمذهب النسطوري، وهو أحد مذاهب الديانة المسيحية، والديانة المانيشية، وقد كان لهذا دوره في ضخ الحيوية والنشاط لتطوير المجتمع والثقافة في عصر أسرة تانغ، كما أوجد هذا مناخًا خصبًا للتبادلات والتطور في ظل مناخ الانفتاح الذي كان موجودًا في عصر أسرة تانغ.

◆ ظهور تجار العرب والفرس:

جذب المناخ المنفتح الذي كان موجودًا في أسرة تانغ عددًا كبيرًا من التجار والسفراء "الرُسل"، الذين كانوا يقدّمون الجزية للإمبراطور، من البلدان والمناطق المحيطة بالصين، ومنهم من كانوا يأتون إلى الصين مرات كثيرة، ويمكثون بها مدة كبيرة، وأيضًا كانوا محملين بمختلف الأنواع من السلع، وكان الكثيرون من هؤلاء التجار من العرب والفرس إلخ.

وقد أرسل العرب إلى الصين، من العام الثاني لعهد الإمبراطور يونغ واي في أسرة تانغ (من سنة ٦٥١ ميلاديًا) إلى العام الرابع عشر من عهد الإمبراطور تجين يوان (سنة

٧٩٨ ميلاديًا) - أي فترة "١٤٨ سنة" - أكثر من ٣٩ وفدًا من العرب[106]، وكانت كمية كبيرة من البضائع التي جاء بها العرب عبارة عن أجود الأحصنة والعباءات المطرزة بخيوط الذهب، وزجاجات الخمر وعطور الكافور، إلى آخر هذه البضائع المحلية. وقد ذكر الجزء الـ ١٩٨من (كتاب تانغ القديم) أنه "قد أرسِل رسلٌ من العرب في السنة الرابعة من حكم كاي يوان في شهر يوليه" سنة ٧١٣ ميلاديًا "وقد أدخلوا الأحصنة والأحجار النفيسة إلى آخر هذه المنتجات المحلية"، كما ذكر الجزء ٩٧١ من كتاب (سه فو يوان جوي) أن أمير المؤمنين سليمان قد أرسل رسلَه إلى الصين، وقد قدموا العباءات المطرزة بخيوط الذهب والأحجار الكريمة النفيسة، وزجاجات الخمر بمختلف أنواعها. وفي الواقع فقد كان أكثر هؤلاء المبعوثين من "التجار" الذين نابوا عنه، وقد قدموا ما معهم من بضائع لأسرة تانغ، وقايضوه ببضائع ثمينة، وأيضًا مزاولة النشاطات التجارية.[107]

وثمة بعض المبعوثين والتجار العرب، هم من التجار المهاجرين في أسرة تانغ، ويحصلون على إذن "رخصة" للهجرة والمكوث في الصين، وهذا ما يطلق عليه في التاريخ "مهاجرو أسرة تانغ"، ومنهم من سكن في المناطق المركزية التجارية والسياسية مثل تشانغ إن وقوانغشتو وتشوان تجو ويانغ تجو، لمدة تتراوح بين العشر سنوات وأكثر. وقد أطلق على مثل هؤلاء المهاجرين في أسرة تانغ مصطلح "فان كه"[108] أو "ضيوف قوميات الأقلية - تجار أجانب"، وقد أحضر هؤلاء المهاجرون معهم زوجاتهم وأبناءهم وبناتهم، ومنهم من قام بالعكس أي تزوج من فتيات صينيات، وأطلق على أبنائهم وبناتهم المولودين في أرض الصين "ضيوف الأقليات المولودون على أرض صينية"، وقد كانت مدينة تشانغ إن

[106]- من بينهم (كتاب تانغ القديم) الذي ذكر أن مجموعات العرب التي ذهبت إلى الصين بلغت ٤ مجموعات، أما كتاب "سه فو يوان جوي" فقال إن عدد المجموعات المرسلة ٣٥.

[107]- تشو شيه فان، شا تشيو تجين: "الإسلام في الصين"،صـ٤٣، مطبعة الأدب الصيني. شهر يوليه سنة ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى.

[108]- فان: تعني قوميات الأقلية في الصين القديمة.

عاصمة أسرة تانغ في ذلك الوقت، كما كانت أكثر مدينة يتجمع فيها ضيوف الأقليات من العرب والفرس الذين مكثوا في الصين، وقد قيل إن ظلالهم تُرى في الشوارع والأزقة وفي كل مكان، أما النساء اللائي جئن مع العرب والفرس ويلبسن الحلقان الثمينة ويرتدين الملابس الزاهية فقد كان يطلق عليهن من قبل الصينيين نساء الفرس أو الجميلة البوذية، وهذا الاسم "الجميلة البوذية" له علاقة بأوزان الموشحات الصينية المأخوذة من كلمات الشعر الصيني القديم.

وقد فتح التجار العرب والفرس محلات بمدن الغرب والشرق للعاصمة تشانغ إن، وقد كانوا يبيعون في تلك المحلات سن الفيل وقرن الكركدن والمواد العطرية والمجوهرات الآتية من غرب أوروبا وقارة إفريقيا، بل كانوا أيضًا من خلال هذا ينقلون "العادات والتقاليد الخاصة بالعرب والفرس" إلى العاصمة تشانغ إن، "وكانت معلومات[109] قوميات المناطق الغربية والشمالية في الصين وأخبارها" في ذلك الوقت منتشرة جداً، فطعام أهل هذه المناطق وملابسهم وقبعاتهم وطريقة تزينهم وموسيقاهم ورقصهم كان على مرأى في كل مكان[110].

كما قال راهب معروف، يدعى خوي تشاو، في أسرة تانغ، من عهد شوان تزونج، في كتابه (رواية تيان جو في خمسة أيام): إنه بالإضافة إلى أن التجار العرب والفرس يقومون بالنقل التجاري لبضائعهم من بلادهم، فإنهم أيضًا يشترون الكنوز الثمينة من بلد الأسد "سيريلانكا حاليًا"، كما يتجهون إلى كون لون (ماليزيا حاليًا) لشراء الذهب، وينقلون كل هذا إلى قوانغشتو لمقايضته بالحرير الشامي المغزول، إلى آخر هذه البضائع، كما لاحظ الراهب أن كل القوميات بغرب المناطق الغربية وشمالها قد سكنت من قبل العرب. والسكان المقيمون هناك قد غيروا اعتقاداتهم الدينية. ومزج أكثر من

[109]- هو: تطلق على قوميات المناطق الغربية والشمالية في الصين قديماً.

[110]- تشو شيه فان، شا تشيو تجين: "الإسلام في الصين"،ص٦٤، مطبعة الأدب الصيني. شهر يوليه، سنة ٢٠٠٢م، الطبعة الأولى.

نصف التجار الذين أتوا إلى الصين بعد ذلك بين الصينيين وعادات الإسلام وتقاليده.

◆ **ظهور الفان فانغ:**

تعايش كلٌّ من الصينيين والتجار العرب والفرس معًا في بادئ الأمر، بعد ذلك أسس حكام أسرة تانغ منظمة لهم في أكثر مدينة يجتمعون فيها، وهذا لمراعاة عاداتهم وتقاليدهم الحياتية والديانة التي يدينون بها، وهذه المنطقة تُعد أقدم منطقة للمسلمين طبقًا لعاداتهم وأعراف الديانة الإسلامية وتقاليدها، وتُعد مدينة قوانغشتو أقدم المدن التي ظهر بها مسلمون، وقد ذكر فانغ تشيان لي في كتابه (كتابات أدبية عن الأماكن المقفرة)، في أسرة تانغ، أن "التجار العرب والفرس الذين يقطنون في قوانغشتو يستخدمون - بكثرة - عسل النحل ورائحة المسك عند تقديمهم الطعام، أما بالنسبة للماعون الذي يقدَّم فيه السمك فبالرغم من رائحته الطيبة إلا أن رائحة السمك المتفسخ تظهر منه وبشكل قوي".

سَرَد جو يو من أسرة سونغ - على نحو خاص - في كتابه (نبذة عن بينغ تشو) أحوال منطقة قوانغشتو وظروفها؛ وهي مكان التجمع السكني للأشخاص من كل الدول التي بخارج الصين، فقد حُدِّد لهم قائد "رئيس"، الذي يدير الأعمال الرسمية للمناطق التي يقطن فيها مختلفو الجنسيات غير الصينيين، وهو مختص أيضًا بفرض الإتاوات على التجار في هذه المناطق، وهذا المسئول عليه أن يرتدي عباءة وحذاء مثل الصينيين، "وتختلف ملابس أهل فان أو الأقليات عن ملابس الصينيين، أما المأكل والمشرب فمتشابه مع الصينيين، لكن التجار العرب والفرس لا يأكلون لحم الخنزير حتى الآن"، وقد تحدث أيضًا عن "أن هؤلاء التجار حُرِّم عليهم أكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أُهل لغير الله والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع". وبهذا فقد ذكر في الواقع العادات الحياتية للمسلمين، وأيضًا محرمات الأكل والشرب الخاصة بهم.

جاء التاجر العربي سليمان في عصر أسرة تانغ في السنة الخامسة من عهد شوان زونغ دا (سنة ٨٥١ ميلاديًّا) إلى الصين للتجارة بجوانغ جو، وبعد رجوعه إلى بلده سجل

بكتابه " مذكرات رحلة الآتي: "إن الميناء التجاري الصيني يعد بؤرة تجمع التجار العرب"، وقال: "إنه بمنطقة قوانغشتو معلم للمسلمين، وجامع"، كما قال: "إن التجار المسلمين في كل مكان في الصين يجتمعون - بكثرة - بقوانغشتو، كما عيَّن إمبراطور الصين قاضيًا مسلمًا لهم، إذ يعتمد المنهجَ الإسلامي ليدير أمور أبناء قومية خوي، ويجتمع هذا القاضي كل أسبوع بأبناء قومية خوي "المسلمون" في يوم محدد ليصلي معهم. ويقرؤون أحكام الأحاديث، وفي نهاية الخطبة يقوم المصلون غالبًا بالدعاء معًا للسلطان الإسلامي بأن يتم الله عليه بركاته.

ويجب أن يكون القاضي مستقيمًا وعادلًا مع الناس، إذ يستمع إلى شكواهم ويحكم بالعدل، وهذا كله استنادًا إلى (القرآن الكريم) والأحاديث النبوية وعادات الديانة الإسلامية وتقاليدها، لذا فإن التجار العراقيين يأتون إلى هذا المكان، وقد أثنوا عليه وتناقلوا أخباره"، وبهذا يمكننا القول إن كتابات سليمان تعبِّر - بشكل واضح نسبيًّا - عن أن منطقة قوانغشتو كان بها في ذلك الوقت مساجد محددة، وثمَّة متخصص يترأس النشاطات الدينية للمسلمين، وثمَّة كذلك مسئول مسلم عربي تعينه الحكومة، هو مسئول عن إدارة الأحكام وإصدارها في دعاوى الشكاوى المقدمة من المسلمين القاطنين بقوانغشتو.

ذكر كلٌّ من (كتاب تانغ الجديد) و(كتاب تانغ القديم): أن العرب والفرس القاطنين بمنطقة قوانغشتو تذمروا، في عصر أسرة تانغ في السنة الثالثة من حكم تجه ده، شهر سبتمبر لعام (٧٥٨ ميلاديًّا)، من أجل الضرائب الباهظة والرسوم المرهقة، التي فرضتها الحكومة في ذلك الوقت عليهم؛ لذا فقد ذهبوا بمزاج فظ لويلز لرؤيته وليشتكوا له، وبهذا يمكننا ملاحظة القوة التأثيرية القائمة بالفعل للمسلمين في قوانغشتو على الجميع. كما ذكر المسعودي في كتابه (مروج الذهب) أن "المسلمين والمسيحيين واليهود والمجوسيين من الفرس قد تعرضوا للموت في النار والماء (في أثناء خروجهم من قوانغشتو)، هربًا من سلاح الجنود، وهذا عندما قام جيش ثورة هوانغ تشاو بالهجوم على قوانغشتو والاستيلاء عليها، كما

تعرضوا للنهب والسلب وتعرضوا للصعاب، ويقدر عدد من مات منهم وتعرض للنهب مجموعة من عشرين شخصاً"، لكن هذا الرأي مبالغ فيه قليلاً إلى حد ما، إذ إن هذا العدد يختلف كثيرًا عن الأعداد المذكورة في الكتب الأخرى، لكن هذا العدد على الأقل يوضح أن المسلمين في قوانغشتو ليسوا بالعدد القليل.

وتحدث (كتاب تانغ الجديدة): أن نائب بينغ لو ديا ساعَدَ، في عصر أسرة تانغ في عهد يوان سنة (٧٦٠ ميلاديًا)، إلهَ الأرض بشن حملة تأديبية ودخل ليو تجان، وقد بلغ عدد القتلى من العرب والفرس في هذه المنطقة في أثناء الحملة التأديبية على يانغ تشو ألف شخص، وهذا العدد يُعد عددًا ضخمًا نسبيًا. وقد استخرج أثرًا تاريخيًا من منطقة يانغ تجو، بعد التحرير؛ عبارة عن آنية خزفية عليها كلمات عربية ذات تصميم زخرفي، ومعنى هذه الكلمات يقول الله أكبر، كما يعكس بعض أحوال المسلمين المعيشية في ذلك الوقت، الذين كانوا يقطنون يانغ تجو.

◆ ظهور المسلمين الصينيين:

إن كلًّا من التجار الفرس والعرب في الأقليات وأماكن الأقليات كانوا ضد القول بوجود مسلمين صينيين، إذ ليست ثمَّة وثائق تاريخية حتى الآن - وفي وقتنا الراهن - ترشدنا إلى الوقت الفعلي لظهور المسلمين الصينيين، لكن (كتاب تانغ القديم) قال: "إن تانغ سو تزونج تمرَّد، بعد فترة ليست بالطويلة من الفوضى التي كانت تعم إن شه، بالتسليح على جبل إن لو، وقد استعان وقتها بقوة عسكرية من بلاد العرب، كما أن "القائد الأعلى جوانغ بينغ وانغ تعاون - في السنة الثانية من حكم تجه ده، في شهر سبتمبر سنة (٧٥٧ ميلاديًا)، مع جنود يبلغ عددهم مائة ألف من سو فانغ، وإن شي، وخوي خه، ونان مي والعرب، واتجه بهم شرقًا لشن حملة تأديبية"[111]، وقد شككت الأوساط العلمية في هذا الكلام عبر العصور، وهذا للظروف والأحوال التي كانت تحكم حركة الاتصالات، كذلك الظروف الجغرافية في ذلك التوقيت، فكيف تستعين أسرة تانغ

[111]- انظر (كتاب تانغ القديمة)، المجلد العاشر، (مذكرات سو تزونغ).

باستقدام الجنود من العرب الذين على بعد ألف ميل وفي منطقة نائية؟ وذكر كتاب (سه فو يوان جوي) بعض التفاصيل في ذلك الشأن؛ إذ ذكر: "العرب - ذوو الملابس السوداء - قد أرسلوا الرسل إلى الصين، في العام الثالث عشر من حكم تيان باو، في شهر أبريل (سنة ٧٥٤ ميلاديًا)"[112]، كما ذكر أنه قد "أرسل شيخُ قبيلة العرب، ذو الملابس السوداء، خمسة وعشرين رسولاً إلى الصين، وهذا في السنة الخامسة عشرة من حكم تيان باو في شهر يوليه من سنة (٧٥٦ ميلاديًا)"[113]، "وأرسل العرب بالرسل إلى الصين، للمثول بين يدي الإمبراطور، بالهدايا، وذلك في بداية حكم تجه ده سنة (٧٥٦ ميلاديًا)"[114]، "وقد استغل القائد الأعلى للقوات العسكرية أيضًا جنود العرب للدمج بين عاصمتين، وذلك في عهد حكم داي تزونغ"[115]، وتوضح هذه الوثائق التاريخية أن الجنود العرب الذين أسهموا في ذلك التوقيت في تهدئة التمرد بجبل إن لو ليسوا بالعدد الكبير، والأرجح أن هؤلاء الجنود كانوا يُستخدمون لحماية المبعوث الدبلوماسي. وقد سمح تانغ سو تزونغ للجنود العرب بالاستيطان في الصين، وهذا بعد أن استعاد العاصمتين، كما سمح لهم بالتزاوج بالفتيات الصينيات، وبهذا يمكننا القول: إن هذه هي الدفعة الأولى من المسلمين الصينيين الحاصلين على الجنسية.

وكشف رئيس الوزراء لي بي، من أسرة تانغ، عن أن ثمَّة مبعوثًا أجنبيًا يمكث في تشانغ إن. وذكر كتاب (سجل الإدارة المالية) أنه في البداية لم يكن خه لونغ بقومية توفان، وقد ذكر أنه منذ حكم تيان باو فإن إن شي وباي تينغ وتشين، هذه المناطق الغربية، قد رفضت رجوع الناس من تشانغ.

وقد كلفت الحكومة بتقديم الهدايا، وتلقى المسئول الماليتمويل ضخم للعداد البشرى

[112]- (سو فو يوان جوي)، المجلد الـ٩٧١.

[113]- (سو فو يوان جوي)، المجلد الـ٩٧١.

[114]- (سو فو يوان جوي)، المجلد الـ٩٧١.

[115]- (سو فو يوان جوي)، المجلد الـ٩٧١.

والخيول، وكان الموظف المالي يدفع بين الحين والآخر، لذا فلم يكن بمقدور أحد أن يغش أو يحتال في المحلات بمنطقة تشانغ إن. وعندما عَلِم لي بي أن التجار العرب والفرس مكثوا في تشانغ لفترة من الزمن، لحوالي أربع عشرة سنة، وكلٌ منهم لديه زوجة وأرض وسكن، وأن سياستَهم التي اتخذوها البقاءُ في المكان بأمان ولا يرغبون في العودة، أمر بالتوقف عن إعطائهم الأراضي والسكن، لذا توقف إعطاء أربعة آلاف شخص بالكامل الأراضي والسكن، وبناءً عليه قدَّم سكان الأقليات - كلٌّ على حدة - شكوى للحكومة. وقال بي الذي كان رئيسًا للوزراء: "إنه لأمرٌ منافٍ للعقل؛ أن يمكث المبعوثون الأجانب عشر سنوات في الصين، ولا نسمع على الأقل أنهم يريدون العودة إلى ديارهم، لذا فعليهم العودة الآن عن طريق خوي خه، أو عن طريق الطريق البري، فكل منهم عليه العودة إلى بلاده. وكان ثمَّة من لا يرغب في العودة، لذا فقد شرح لخونغ لو وجهة نظره، وقد أعادهم إلى وظائفهم، وأعطاهم مرتبًا حكوميًّا، وأصبح بعد ذلك وزيرًا بأسرة تانغ.

إن هؤلاء الناس في الأقليات حياتهم مستغلة طوال الوقت، أليس هذا فيه ضرر عليهم طوال حياتهم؟ لذلك لم يرغب أحد في العودة. وقسَّم بي الجيش لقسمين، فقد أرسل مبعوث ابن الملك لتشتيت الجنود، واستخدم الخيول ورهن بعضها، وانتفع بالفائض، مما قوى من شوكة قومية دين، وقد استعان خونغ لو بعشرة فقط من الأقليات، مما وفر لمسئول الأحوال المالية خمسين ألف عملة، مما أسعد كل شخص في المدينة"[116]، وهذا يوضح أن المبعوثين الرسميين للدول الأجنبية من جميع البلدان الآتين إلى الصين لم يرغبوا في الرجوع إلى بلادهم، وقد كانت أسرة تانغ المسئولة عن مصروفاتهم المعيشية، لكن لأن أعدادهم تضاعفت بالتدريج، لم يقوَ البلاط الملكي على تحمل مسئوليتهم أكثر من هذا، لذا أعاد البلاط الملكي تنظيم الأمور وترتيبها، فالذي يرغب في العودة يقوم بإعطائه تكلفة الطريق، والذي يرغب في المكوث يمنحه الجنسية، وبهذا يكونون ذا قوة تأثيرية وفعالة لأسرة تانغ. وعن العبارة القائلة: "يمكنهم العودة عن

---

[116]- (سجل الإدارة المالية) مجلد ٢٣٢.

طريق خوي خه أو عن طريق البحر، فعلى كل مبعوث العودة إلى وطنه" يمكننا استيضاح أن جزءًا من بين هؤلاء المبعوثين "الرسل" هم عرب وفرس، ومن بينهم فصيل مسلم، وكونُهم حاصلين على الجنسية يعني أنهم مسلمون حاصلون على الجنسية الصينية منذ زمن بعيد، ويمكن إرجاع هذه الفترة إلى فترة الاستعانة بالجنود العرب لتهدئة التمرد في جبل إن لو، وبهذا يمكننا أن نطلق على المسلمين الحاصلين على الجنسية الصينية منذ زمن بعيد - وتزايدت أعدادهم في الصين - اسم المواطنين المسلمين الأوائل في الصين.

رابعًا: الخطوات الأولى لإلمام المجتمع الصيني بالإسلام:

كان هدف المسلمين الآتين إلى الصين في بداية حكم أسرة تانغ التواصلَ والتجارة، ولم يكن هدفهم نشر الديانة الإسلامية، لكن المبعوثين الرسميين والتجار الذين أتوا إلى الصين وهم يعتنقون الإسلام حملوا معهم إلى الصين ثقافة جديدة، وقد عقَدَ البريطاني ويلز - من خلال كتابه (تاريخ موجز للعالم) - مقارنة بين قارة أوروبا في العصور الوسطى والصين في عصر أسرة تانغ، وقال: "إن ثمَّة عدم تمدن وبدوية في فكر الغربيين من ناحية العلوم اللاهوتية، أما الصينيون فقد كانوا يتمتعون بالفكر المنفتح"، وقد كان هذا الكتاب يجمع خليطًا من المعلومات، لكن كان من الجيد البحث فيه، لذلك فقد جذب الإسلام انتباه الحكام والمفكرين الصينيين في ظل اهتمام أسرة تانغ بالانفتاح الفكري في ذلك الوقت.

سجّل (كتاب تانغ القديم)، في السنة الثانية من حكم يونغ واي (عام ٦٥١م)، الظروف والأحوال التي قابل فيها المبعوثون العرب تانغ جاو تزونغ عند مجيئهم إلى الصين، فقد ذكر الكتاب أن رسل العرب عندما جاؤوا إلى الصين في بداية حكم كاي يوان جلبوا معهم الأحصنة والأحجار الكريمة، إلى آخر هذه المنتجات المحلية، وقد قابلوا تانغ جاو تزونغ، ورغبوا في سن قانون لهم، وقال جانغ توا تشين: "للعرب عادات خاصة، وإن مجيئهم من هذه المسافة البعيدة ليس من الممكن أن يكون من أجل ارتكاب الجرائم، لذا من الممكن إعطاؤهم تصريحًا خاصًّا، ويمكن أن يُطلَب منهم إرسال رسل للصين.

ثم إن مقابلة الوزراء والسفراء والمبتعثين الرسميين للإمبراطور تتسم بالكثير من المراسم والبروتوكولات الخاصة، التي تختلف من بلد لآخر. فعندما جاء أحد سفراء المناطق الغربية لمقابلة أحد أباطرة أسرة تانغ - التي لا بد معها من الركوع بين يدي الإمبراطور - أكد المبعوث أن عقيدته وتقاليده لا تسمح إلا بالركوع لوجه الله الواحد الأحد. وهنا عنفه مسئول المراسم في البلاط الإمبراطور يو، لكن المبعوث طلب أن تتم مراسم مقابلة الإمبراطور مع الاحترام لتقاليد بلاده.

وقد ذكر كتاب (سجل المعلومات عن الصين والهند) أن ثمَّة عربيًا يسمى، ابن وهب، ذهب لتشانغ إن في غضون عامَيْ ٨٧٠ -٨٧١ م، لرؤية تانغ يي تزونغ، ويقال: إن تانغ يي تزونغ حينها أخرج لفيفة مخطوطة من علبة لديه، وطلب من ابن وهب أن يفك رموز المخطوطة له، ويوضح له من أنبياء الديانة الإسلامية، ففك له رموز المخطوطة، واستوضح منها عصا موسى، وجمل سيدنا محمد، إلى آخر المخطوطات، وقد اكتشف ابن وهب أن الرسومات المستخدمة لكتابة الرموز الصينية دليل أو علامة على معرفة الصينيين معرفة أولية بالإسلام، وقد سأله تانغ يي تزونغ كذلك عن أمور الشريعة والعقيدة الإسلامية.

إن معرفة حكام أسرة تانغ بالإسلام وفهمهم له، من المحتمل أن تكون بسبب التبادلات والإدارة مع كبار التجار العرب والفرس في الصين، ومن جانب آخر قد تكون عن طريق معرفة الصينيين بالمسلمين العرب والفرس مباشرة على أرض الواقع. وفي عام ٧٥١م، عندما خاض الجنرال جاوشيان، بأسرة تانغ، معركة نهر طلاس مع جيش العرب، وتم أسر كاتب الجيش دو وبقي معهم ١٢ عامًا، وبعد عودته إلى الوطن، ألَّف كتابًا مشهورًا بعنوان (اتباع الذكريات)؛ وذكر أيضًا (أنه تم القضاء على الفرس عن طريق العرب، وذلك حتى نهاية حكم تيان باو، أي في مائة عام تقريبًا)، وقال أيضًا: (إن ثمَّة عربيًا يسمَّى أكولا، وهو بمقبرة وانغ خاو العربية، وقد كبرت ابنته الجميلة. وكانت ملابسها نظيفة مبهجة، وملامحها جميلة، و حينئذ اعتادت النساء أن يخبئْن وجوههن،

وهذا بغض النظر عن مكانتهن الرفيعة، ويصلي العرب في اليوم خمس مرات، ويصومون عن الطعام، ويلبسون الخناجر والأحزمة الفضية، ويمنعون الخمر والموسيقى، حتى بالنسبة للأشخاص المتعارضين لا يلجؤون للضرب، وثمَّة كذلك مسجد يسع عشرات الآلاف من الحضور، وكل يوم جمعة يخرج الإمام للصلاة، ويجلس بمكان عال ،ويقول للجمْع: إن حياة البشر بالرغم من صعابها، إلا أن الوصول للجنة أصعب، والاغتصابُ كالسرقة، تصرَّفْ بدقة، وتكلمْ بلا وقاحة في الكلام، وابتعِدْ عن الأشخاص الخطرة لتأمن، والاعتداءُ على الفقراء والأطفال عملٌ رخيص، وهذه أمور محددة، فلا للجريمة، اينما تنشب الحرب فهي لقتل الأعداء، والموتُ في سبيل الله نعمةٌ لا تقدَّر ولا تحصى وتُدخِل الجنة، لا للتسيب. وهم حريصون بشدة على إقامة القانون حتى إن كان به ضعف، وهم لا يتعبون ولا يملون. وممنوع عندهم أكل لحوم الكلاب والحمير والخنازير والأحصنة، لا يسجدون احترامًا للملوك أو لآبائهم، ولا يؤمنون بالأشباح، لكن بالشيطان فقط. كل هذا الوصف يوضح أساس الإيمان ونظام الدين والشريعة، والجهاد ومحرمات الحياة. وقد أشار السيد باي شو إي إلى ذلك الأمر؛ قائلاً: (إن هذا الحديث صحيح تمامًا ومحدد، وذلك قبل أن يذكره كتاب (اتباع الذكريات). فهذا ما يجب أن يُكتَب عن تاريخ المسلمين الصينيين). من جانب آخر فقد ذكر كتاب (التونغ ديان) أن الدول العربية "تحترم الإله"، وقد ذكر كتاب (السيرة الذاتية للخمس ولايات الهندية) أن العرب (هم أشخاص يحبون التمسك بالأمور الإلهية، ولا يعرفون البوذية، وليس لديهم قانون الركوع). هذه التسجيلات جعلت الناس في المناطق المختلفة يعرفون بعض القواعد الأساسية للدين الإسلامي.

من جانب آخر، فإن العرب الموجودين في الصين والفرس أعجبوا بالحضارة الصينية، وركزوا اهتمامهم على دراستها، ففي الوقت نفسه الذي دخلوا فيه الصين واندمجوا في المجتمع، أيضًا نقلوا الثقافة الإسلامية إلى الصين. مثل أحد المبعوثين العرب الذي أتى إلى الصين في عصر تانغ، وقرر البقاء فيها، واتخذ لنفسه اسمًا صينيًا،

وهو لي يان شين، ودرس الثقافة الطاوية الصينية بجِد، حتى نال محبة لو شون. وفي عام (٨٤٧م) قام لو جون بترشيح لي يان شين للإمبراطور، وفي عام (٨٤٨م) اجتاز لي يان شون الاختبار، وأصبح أول عالم أجنبي في السجلات التاريخية، بالإضافة إلى أن بعض المواطنين الأجانب أصبحوا كتّابًا وصيادلة صينيين. حتى أن بعضهم أصبحوا موظفين رسميين بالبلاط الإمبراطوري.

وعملَ الأشخاص الذين أتوا عن شرياني طريق الحرير البري والبحري إلى الصين، في عصر تانغ، مبعوثين، وأيضا بالنسبة للتجار المقيمين فيها عملوا مبلّغين للدين الإسلامي، وقد أتوا إلى الصين بهدوء. ولأن الهدف من قدوم هؤلاء الأشخاص يتمثّل في التجارة، لم يقوموا بالدعوة في الخارج، لذلك لم يستطع الإسلام المنافسة مع الأديان الأخرى، فقد ظل بعيدًا عن النزاعات الدينية. ولأنهم لا يمكنهم أن يهاجموا الديانة الكونفوشيوسية السائدة في الصين، فبدلًا من ذلك استخدموا الكونفوشيوسية للتعريف بالإسلام. بذلك اتخذوا أول خطوة لمزج الثقافة الصينية بالإسلام. وبسبب كل تلك الخصائص – وأن الإسلام عندما بدأ دخول الصين كان باعتباره فقط أحد أنماط البلاد الأجنبية، مما أثار اهتمام الحكام وسلالة أسرة تانغ – فقد كان يسير على نحو بطيء، لكنه كان مستقرًا حتى دخل الصين تدريجيًا، وامتزج بالثقافة الصينية حتى أصبح في النهاية إحدى أهم الديانات بالصين.

الباب الثالث

سمات تطور الإسلام عبر مراحل التاريخ الصيني

خلال مراحل ظهور الإسلام واندماجه في الصين اتخذ مسارًا مختلفًا وفريدًا من نوعه عن البوذية والمسيحية، إن المعنى الأساسي الذي انتشرت به الديانة البوذية في الصين هو فَهم المعتقدات الدينية ودراستها وانتشار الفلسفة، وقد انتقل أيضًا المجتمع التقليدي الصيني من مرحلة الفكر العقائدي إلى فَهم الديانة البوذية ودراستها.

إن انتشار الإسلام في الصين لم يصاحبه أي فكر عقائدي، لكنه اعتمد على ذاته بشكل رئيسي في توسيع عالم الإيمان والتصديق به، ولم يركز بشكل تام على الدعوة إلى تعاليمه بالخارج. بالإضافة إلى عدم وجود رغبة أو مبادرة إيجابية في نشر الطاقة الخاصة به للخارج. نتيجة لهذه الأسباب فإن الإسلام في الصين رسخ ظاهرة الجسد الواحد، وبالرغم من ضعف تأثيره في المجتمع الصيني التقليدي إلا أنه زاد من التماسك الداخلي بين المسلمين الصينيين. إن انتشار الإسلام في الصين يختلف كذلك عن انتشار الدين المسيحي، فقد اتخذ طريق التاريخ الاجتماعي فغطى جميع أنحاء الصين، وتأثيرُه الاجتماعي أيضًا أصبح قويًا بعد أن كان ضعيفًا. وبعد دخول الاسلام الصين لم ينقطع قطّ تطور الإسلام على مدار تطور التاريخ الصيني.[١١٧] حتى وصل إلى فترة الجمهورية الصينية، حتى تكوّن في النهاية المعنى الحالي للإسلام في الصين.

أولاً: تطور الإسلام بالمناطق الحدودية في عصر الأسر الخمس:

بدأت فترة الأسر الخمس من (عام ٩٠٧ حتى عام ٩٦٠م)، وتعد أقصر الفترات في تاريخ الصين. في عام ٩٠٧م نصَّب الإمبراطور المخلوع تشو ون نفسه رمزًا، وأسس ما يُعرَف بأسرة ليانغ، ليتحكم في منطقة كبيرة من شمال الصين، ويطلق عليه في التاريخ ليانغ الأخير، ثم ظهر بعد ذلك تانغ الأخير وجين الأخير وخان الأخير وتشو الأخير، ومن ثم أطلق عليها فترة الأسر الخمس. في الوقت نفسه ظهر تباعًا في جنوب الصين ومنطقة شان شي (دولة وو، ودولة تانغ الجنوبية، ودولة وويوي، ودولة تشوو، ودولة مين،

---

[١١٧]- تشين هوى بين: (مكانة الدين الإسلامي عبر تاريخ الصين)، نقلاً عن (الثقافة الإسلامية الصينية)، دار الكتب الصينية، الطبعة الأولى، أكتوبر ١٩٩٦م، ص ١٧-١٨

ودولة هان الجنوبية، ودولة شو الأولى، ودولة شو الأخيرة، ودولة جين نان، ودولة هان الشمالية) إلخ من الدول، حتى أصبحت الدول العشر. وفي عام ٩٦٠م خلع الإمبراطور تشو كوانغ يين الإمبراطورَ تشو الأخير، ليصبح الإمبراطور، وأسس عصر أسرة سونغ، وفي عام ٩٧٩م أنهى الإمبراطور تشاو كوانج يين حالة الانقسام وأعاد توحيد الصين مرة أخرى.

فبالرغم من أن فترة الأسر الخمس والممالك العشر لم تكن طويلة إلا أنَّ لها تأثيرًا هامًا جداً في تطور الإسلام في المناطق الحدودية بالصين.

في نهاية عصر إسرة تانغ، ولسيطرتها على المنطقة الوسطى من حوض النهر الأصفر في أثناء فترة الحروب، لم يهدأ أتون الحرب، ولقد أسفرت هذه الحرب عن قطع عملية التبادل في هذه المنطقة؛ حتى أصبح طريق الحرير فجأة مهجورًا بسبب تلك الحروب، مما أدى إلى بقاء التجار وجموع المسلمين بعصر تانغ في مدينة وتشانغ وحوض النهر الأصفر، ثم بدأوا في الانتقال إلى الساحل الجنوبي الشرقي ومنطقة وسط شو، المستقرة نوعًا ما. في الوقت نفسه، من أجل توفير متطلبات الربحية التجارية فإن انقطاع طريق الحرير البري أدى إلى ازدهار طريق الحرير التجاري البحري، لذلك فإن فترة الأسر الخمس والدول العشر كانت النقطة الرئيسية في تطور دخول الإسلام الصين؛ إذ انتقل المسلمون من شمال غرب مدينة تشانغ إن إلى مدينة تشوان جو، ومدينة جوانغ تشو، كذلك إلى منطقة الجنوب الشمالي لمدينة شو. وقد كان ظهور طبقة من التجار في منطقة فو جيان من التجار الصينيين المسلمين - يمثلون جوهر الطبقة التجارية في ذلك الوقت - أكبر دليل على التحول في تطور الإسلام داخل الصين، حتى أُطلِق عليهم تاريخيًا التجار أصحاب السلالة الصالحة.

كما ظهر أيضًا في جنوب مدينة نان خان الطبقة نفسها من التجار أصحاب السلالة

الصالحة. ويعتقد الدارسون المسلمون في الصين أن ظهور طبقة التجار[118] أصحاب السلالة الصالحة - في فترة الأسر الخمس - أهم ظاهرة اجتماعية لتطور الإسلام داخل الصين على مر التاريخ.

إن لقب التجار الذين عاشوا في عصر تانغ نفسه - بلا شك - يعطي النكهة الأجنبية، بالإضافة إلى أن لقب التجار أصحاب السلالة الجميلة يدل على أنهم أقاموا فترة طويلة في الصين، أي أصبحوا صينيين تمامًا. لذلك فإن مصطلح التجار الذين عاشوا في عصر تانغ ولقب التجار أصحاب السلالة الجميلة يعدان رمزَيْن مهمين في تاريخ الإسلام داخل الصين، حتى يُقال إنهما أصبحا معلمَيْن هامين في مراحل تطور الإسلام بالصين، "فإذا اعتبرنا أن عصرَ تانغ فترةُ بداية الإسلام داخل الصين فإن فترةَ الأسر الخمس الفترةُ التي ظهر فيها برعم الديانة الإسلامية في الصين".[119]

وفي الوقت نفسه وفي سياق آخر فإن الإسلام داخل الصين بدأ يتمثَّل من منطقة شمال غرب جوان جونغ، ممتداً إلى منطقة الساحل الجنوبي الشرقي ومنطقة شو.

إن ظهور طبقة التجار ذوي الأصول العريقة كانت له علاقة كبيرة باهتمام السياسات الاقتصادية لمنطقة الحكم الانفصالي بالسواحل الجنوبية الشرقية بالتجارة الخارجية، مثل دولة مينغ ودولة هان الجنوبية، وكان الشركاءُ التجاريون لهم خارج البلاد العربَ والمسلمين، كما أن منطقة يانغ جو وقوانغتشو كانتا في ذلك الوقت أهم مناطق التجمع الدولية وأكبرها. فقد كانت التبادلات الاقتصادية في الخارج المصدرَ الرئيسي لإيراداتها المالية، لذلك فإن حركة الأعمال الاقتصادية البحرية للتجار ذوي الأصول العريقة استطاعت بشكل طبيعي - من خلال الأنشطة الدينية والعادات والتقاليد

١١٨- انظر متفرقات (بو قوه فترة الربيع والخريف)، المجلد التسعون، لمين شه ديا، وكتاب (فترة الربيع والخريف الدول العشر).

١١٩- تشين هوي بين (تطور الديانة الإسلامية في فترة الأسر الخمس) من كتاب (دراسات الديانات حول العالم)، الأسبوع الأول، عام ١٩٨٩م.

الإسلامية - أن تمنحهم قدرًا من الاحترام، أو يمكن القول إنها تمنحهم تيسيرات حقيقية.

وقد ساعد ذلك في تقديم بيئة اجتماعية مناسبة لتطور الإسلام داخل منطقة فو جيان وقوانغشتو.

من أجل تجنب الحرب فرّ المسلمون من تشانغ إن إلى مدينة شو، ومع فَهمهم للثقافة الصينية سرعان ما أصبح لهم موطئ قدم قوي في مدينة شوي. ثم ظهرت بعض الشخصيات التاريخية المشهورة مثل: شي تشو ون، تاجر أجنبي مولود ببر الصين، ويعود نسبه إلى الفرس، وقد تم تعيينه حاكم جيان جو (المعروفة اليوم بجيان يانغ التابعة لمقاطعة سه تشوان)، وهو أول حاكم من أُصول أجنبية داخل الصين في السجلات التاريخية.

كذلك الفارسي لي شون "وهو فارسي الأصل، ولد في دولة شو"، وله كتاب مشهور باسم (الأدوية البحرية العشبية)، وقد استدل الطبيب لي شي جين بالكثير من محتويات كتاب لي شون، وذلك عند تأليفه كتاب (الخلاصة في المواد الطبية)، ومن جانب آخر فإن لي شون يعد أيضًا أحد المشاهير في فن الإلقاء، وله عمل مشهور وهو (مجموعة تشيونغ ياو)، وبالرغم من أنه لم يعد معروفًا إلا أن السيد وانغ قوه وي في كتاب (مجموعة العروض. المجموعة الخارجية) دائمًا كان يذكر (مجموعة تشيونغ ياو) "عند البَدْء في إلقاء تلك المجموعات المتخصصة".

ويعد لي شون، فارسي الأصل، متحدثًا محترفًا باللغة الصينية متقنًا لقواعد الكلام، لكن ظلت معرفته بالإسلام قوية جداً، وقد كتب صديقُه المقرب منه تزن جين فيه شعرًا فكاهيًا قائلًا: ليس غريبًا أن لي شون لم يكن قطّ يعرف الفوضى، إنه درس بإتقان علم المقال.

وبالرغم من أنه درس الكونفوشيوسية جيدًا إلا أنه ظل محتفظًا بجذوره عقلاً

وسلوكًا، فقد ظل محتفظًا بالعادات والتقاليد الإسلامية، كذلك بخصائص الشخصية المسلمة.

في فترة عصر الأسر الخمس، تطور الإسلام بشكل كبير نوعًا ما، وذلك عند الحدود الشمالية الغربية للصين، وقد استُدل على ذلك عندما أعلنت مملكة كالخان الإسلام دين الدولة في عام ٩٦٠م، وقد أحدث ذلك تأثيرًا عميقًا على منطقة شينجيانغ والويغور وغيرهما من القوميات.

في فترة الأسر الخمس ظهرت أيضًا بعض أنظمة الحكم المحلية، مثل تيانئ، وجاو تشانغ، ومملكة كالا خان، وغيرها من المناطق ذات الحكم المحلي.

ومملكة كالخان هم شعب الويغور الذي هاجر إلى الغرب، وكانوا في الأصل يدينون بالديانة المانوية. وفي فترة حكم ساتوكه. بوغيرا خان في الفترة من (٩١٠م إلى ٩٥٥م) قام بحساب معدل المجموعات التي اعتنقت الإسلام في أثناء توليه منصب الوزارة. بالنسبة إلى تلك الفترة التاريخية ليست ثمّة تسجيلات تاريخية محددة. أما بالنسبة لوصول الإسلام إلى سا تو كه فثمّة أُسطورتان حول هذا الأمر: الأولى أن اعتناقه الإسلام جاء عن طريق تلقيه الوحي والكرامات من الداعية الصوفي أبي حسن محمد الذي تركزت أنشطته وتأثيره في منطقة آسيا الوسطى، بالتالي اعتنق الإسلام. والأسطورة الأخرى تأثره بالأمير ناصر الذي احتمى به من ظلم الملك سالمان. وبالرغم من أن هذه الأساطير ينقصها التوثيق التاريخي، لكنها على الأقل توضح أن الإسلام انتقل إلى مملكة كا لا خان عن طريق آسيا الوسطى، وقد كان سا تو كه بوغيرا خان أول من اعتنق الإسلام في أسرة كالخان الملكية، وبعد أن اعتنق الإسلام اتخذ اسم عبد الكريم.

وفي فترة حكم سا تو كه - التي استمرت ٤٠ عامًا - اقتصر انتشار الإسلام في شينجيانغ على منطقتَي كاشغر وأتوشي. وبعد وفاة سا توكه خلفه ابنه الأكبر في الحكم

بهيطاش، الذي يلقب بموسى أرسلان خان، الذي استمر في دفع عملية أسلمة دولة خان، وقد ذكر كلٌ من المؤرخ العربي ابن مسكويه في القرن العاشر الميلادي وأيضًا المؤرخ العالمي المعروف ابن الأثير في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، في مؤلفاتهما المشهورة، أنه في عام ٩٦٠م اعتنق مائتا ألف شخص من أصول التوجو - التركية الإسلامَ، فإذا قدَّرنا أن كل مرة يزيد أربعة أشخاص أو خمسة فسنفاجأ بزيادة من ٨٠ ألفًا إلى ١٠٠ ألف مسلم.

وفي العام نفسه أعلن موسى أرسلان خان الإسلام دين الدولة، ومنذ ذلك الوقت بدأ تاريخ حكم أول قومية توجوية (تركية) مسلمة. وبعد ذلك بدأ حروب الفتوحات على تيان، ويي أرتشيانغ وغيرهما من الدول المجاورة، وفي عام ١٠٠٩م تقريبًا تم فتح تسونغ لينغ وشرق مدينة تيان وكه شين ويي أر تشيانغ للإسلام، وغيرها من المناطق.

ثانيًا: الزيادة المطردة في عدد المسلمين بعصر أسرة سونغ:

في عصر سونغ استغل الإسلام قوة التجارة البحرية لنَيْل مساحة أكبر من التطور في عصره. فقد استمرت الحروب تتوالى في الصين داخل منطقة السهول الوسطى ومنطقة تشي دان ومنطقة شي فو، وقد كانت المناطق العربية داخليًّا وبلاد فارس ومنطقة آسيا الوسطى غير مستقرة كذلك، كما أن طرق النقل البرية الغربية كانت محظورة ومغلقة، وبالرغم من ذلك إلا أن التجارة البحرية شهدت ازدهارًا غير مسبوق، وبالرغم من أن التجارة في أسرة سونغ - من حيث طبيعتها - كانت مازالت تعمل بالمدن والخدمات البحرية نفسها كما في عهد أسرة تانغ إلا أن نطاق التجارة وكميتها تجاوزا بشكل كبير عصر تانغ.

ففي أسرة سونغ الشمالية، ونتيجة لإعادة بناء الحكم المركزي فإن التطور الاقتصادي المجتمعي قد قدم سلعًا وفيرة للتجارة الخارجية البحرية. واستمر الحكام في تشجيع سياسة التجارة الخارجية البحرية. وفي عام (٩٧٦ -٩٩٧م) استدعى رسل

الإمبراطور تجار بلاد جنوب البحار والمجيء من الطرق الأربع، كما أمروا بتبادل التجارة مع العرب وجنوب شرق أوروبا، وكل البلدان، على أن تُصدِّر الصين لهم "الذهب والفضة والرصاص والقصدير والأقمشة والخزف الصيني"، وترتبط بعلاقات التجارة مع بلاد العرب كافة بجنوب شرق آسيا، وتستورد منها "الروائح والدواء وقرون الكركدن والعاج والكهرمان والمرجان والمجوهرات، والحديد، إلخ"[١٢٠].

وقد احتل العرب مركز الصدارة[١٢١] في مجال التبادل التجاري بين أكثر من عشر دول في ذلك الوقت، وقد تأسست هيئة لإدارة الشئون التجارية الخارجية في كل من قوانغشتو ومينغشتو (نينغ بوه حاليًا) وخانغ تشو، ويُطلق على هذه الهيئة هيئة الأقسام الثلاثة، أما تشوان تشو - ون تشو - شيو تشو - جيانغ ين - مي تشو - جان بو إلخ، فليست فيها هيئات لإدارة الأمور التجارية الخارجية. وبعد فترة سونغ الجنوبية، اتخذ الحكام سياسة التشجيع لجلب السفن للتجارة؛ لحل الصعوبات المالية التي تواجهها الحكومة، لذلك فتحفيز "الموظفين من خلال حوافز ومكافآت" يعد إحدى وسائل تشجيع التجارة الخارجية".

وفي السنة السادسة لحكم الإمبراطور سونغ جاو تزونغ (١١٣٦ ميلاديًّا)،[١٢٢] رفع أحد المسئولين المحليين من مدينة تشاو تشو طلبًا للإمبراطور، بأن يحصل ولاة الأسواق الذين يستطيعون جذب تجارة خارجية أو بضائع مجلوبة على السفن لأسواقهم على حوافز ونسبة من الأرباح، على أن تتخطى قيمة البضائع الخمسين ألف قطعة نحاسية حتى مئة ألف قطعة منها. فعندما استطاع تساي جينغ فانغ وليُّ أحد الأسواق جذبَ التاجر العربي لاشين وبضاعته المستكة بقيمة أصلية ثلاثين ألف قطعة نحاسية، التي بيعت فيما بعد بقيمة ثمانية وتسعين ألف قطعة نحاسية نال كلٌّ منهما حينها لقب تشنغشين

---

[١٢٠]- (تاريخ سونغ)، المجلد الـ١٨٦من كتاب (البضائع العربية. طرق تبادل السفن بين المدن).

[١٢١]- (مختصر سونغ) المجلد ١١٢٤، موظف ٤٤.

[١٢٢]- (تاريخ سونغ): الجزء ١٨٥ (معارف تجارة المسلمين)، التوابل والروائح.

(منصب فخري في عهد أسرة سونغ). وكلما تجاوزت مبيعات المستكة في أسواق فودجيان وكانتون حاجز المليون قطعة نحاسية، كلما ارتفع ولي السوق والتاجر صاحب البضاعة درجة في سلم المناصب الفخرية للأسرة.

إن التجارة البحرية في هذه الفترة زادت تنميتها بسرعة، حتى وصلت إلى ذروتها على مر التاريخ، وقد وصلت عدد الدول التي تتاجر مع الصين إلى أكثر من ٥٠ دولة، وقد قيَّم ذلك نان سونغ تشو في المجلد الثالث من كتاب (نقطة التقاء خارج التلال) قائلاً: "تتركز الدول الأجنبية الثرية وتجارها ذوو البضائع القيمة في بلاد المسلمين"، ويقال أيضاً إن كثيراً من الدول التي كانت تتاجر مع الصين كان التجار المسلمون فيها يحتلون مكانة عالية. وأيضاً في عصر سونغ (٩٦٠-١١٢٧م) كان التجار المسلمون في الأصل قد اعتنقوا الإسلام، مما جعل عدد المسلمين في الصين يزداد بسرعة كبيرة. لذلك فإن التجارة الخارجية في عصر سونغ لعبت دوراً كبيراً في تعزيز دخول الإسلام الصين.

ومن جانب آخر فإن الرسل بين مملكة سونغ وكبار التجار أيضاً عززوا الأمر بشكل أكبر. وقد قام السيد باي شو إي بعمل إحصائية، وفقاً لكتاب (تاريخ سونغ)، و(مختصر سونغ)، و(كنوز البحار) وغيرها من السجلات، أظهر من خلالها أنه منذ العام الأول لحكم الإمبراطور تاي تزو تشاو من عام (٩٦٨م) حتى العام الرابع من حكم الإمبراطور شياو تزونغ تشاو (١١٦٨م) - خلال الـ ٢٠٠ عام - أرسل كبار تجار المسلمين إلى مملكة سونغ مبعوثين أكثر من ٤٩ مرة، أي بمعدل مرة كل أربع سنوات[١٢٣].

وفي بداية عصر أسرة سونغ، عاش التجار المسلمون عادة في أثناء تجارتهم في مناطق الأقليات، وقد اهتمت الحكومة الصينية بشكل كبير بهذه المشكلة، واعتقدت أن كيفية المعيشة إحدى أهم "الصعوبات الأربع"[١٢٤].

---

[١٢٣]- باي شو يي (نشاطات التجار العرب في عصر أسرة سونغ في الصين)، مأخوذ من (نصوص التاريخ الإسلامي في الصين)، ص١٢٨، دار نشر الشعب بنينغشيا، سنة ١٩٨٢م.

[١٢٤]- كتاب (مجموعة جو وين جونغ)، المجلد ٩٨.

وفي الوقت نفسه فإنه لا يجوز للتجار المسلمين الذين يأتون إلى الصين المشاركة في الشؤون الخارجية، وتتم معاملتهم بوصفهم أجانب، ولا يجوز أن يعيشوا وسط المدينة، لكن هذه القوانين تم اختراقها تدريجياً؛ فالتجار المسلمون لم يعيشوا فقط داخل المدينة، بل أيضاً تعايشوا مع الصينيين، كما أنهم تزوجوا منهم وأصبح هذا الأمر منتشراً بشكل كبير، وكما يقول جو يان وو: إن خاي لياو - الذي يحمل لقب خاي - قد تزوج من فتاة صينية، وقد ذكر أيضاً كتاب (مختصر سونغ): "إن ثمَّة تاجراً كبيراً يسمى بو يا لي، وقد وصل إلى قوانغشتو، وكان ثمَّة طبيب يسمى يو ووه، وقد أفاد من التجارة هناك، مما خدَمَه مالياً، وتزوج من أخت الطبيب الصغرى[١٢٥]، لذا مكث بقوانغشتو ولم يَعُد لبلاده". كما جاء في تسجيلات جو يان ووه: "إن ثمَّة شخصاً يلقب بـ ليو كان في الفترة من سنة ١٠٨٦ إلى عام ١٠٩٤م من عصر أسرة سونغ، يعيش في مناطق تجار الأقليات بقوانغشتو، وتزوج من فتاة من أسرة تزونغ، وقد تُوُفِّي وتركها بدون أطفال، وقد تنازعت العائلة على الإرث"[١٢٦]. وقد حدث مرة أن أرسل أحد الأجانب من يخطب له إحدى بنات الطبقة الحاكمة، وهنا أصدر البلاط الإمبراطوري أوامره التي تصر على أن تكون عائلة طالب الزواج قد عاشت في الصين ثلاثة أجيال متتالية، إلى جانب عمله في أحد المناصب بالبلاط الإمبراطوري. ذلك حتى يستطيع التقدم للزواج من قريبات الطبقة الحاكمة والبلاط الإمبراطوري. ويمكن أن نلاحظ أن زواج المسلمين من الصينيين لم يكن موجوداً فقط بين العامة، بل ظهر أيضاً كثيراً داخل قصور الملوك والمسؤولين. ووصولاً إلى فترة حكم أسرة سونغ والأعوام الأربعة (عام ١١١٤م)، كانت هناك أكثر من خمسة أجيال من التجار الأجانب قد ظهروا بالفعل. ومن أجل حل مشكلة الميراث الخاص بهم، قامت الحكومة الصينية بإصدار قانون خاص بهم؛ وهو (قانون ميراث الجيل الخامس من التجار الأجانب)، ويمكن أن نلاحظ أن مشكلة الميراث لدى المسلمين الصينيين تعد مشكلة كبيرة وبارزة إلى حد ما. ومن أجل جعْل التجار الأجانب يندمجون سريعاً داخل

---

[١٢٥]-جو يان ووه (كتاب أقسام الدولة)، المجلد الثالث، مطبعة المكتبة التجارية.

[١٢٦]- كتاب جو يو (الحديث عن بينغ تجو)، المجلد الثاني.

طبقات المجتمع أنشأت حكومة أسرة سونغ خلال سنوات حكمها (١١٠٧-١١١٧م) مدارس لهم في قوانغشتو وتشوانجو، هذه المدارس تم تطبيقها في جميع المناطق فيما بعد، إذ يتم تقديم الطلب عليها، والحصول على موافقة المحكمة عليها. على أن يتحمل التجار الأجانب والحكومة التكاليف معًا. والغرض من هذه المدارس تعلم الثقافة الصينية التقليدية، والتدرب بشكل مباشر للمشاركة في الامتحانات الإمبراطورية. فإذا قلنا إنه في عصر تانغ ارتفع شأن العالم المسلم لي يان أو غيره من الحالات النادرة، فإنه في عصر سونغ زاد عدد المسلمين الذين سجلوا لخوض الامتحان الإمبراطوري، وباجتيازهم له وجد المسلمون الطريق الرئيسي للمشاركة في الشئون السياسية.

إن تطور الإسلام في عصر سونغ له أيضًا علاقة كبيرة بتحمل التهم الشائعة حينها ونظام العبودية، ويُطلق عليها كذلك لبْس التهم زورًا، وما تشير إليه أن الفقراء من العامة كي يغيروا وضعَهم أو مكانتهم الاجتماعية يهربون من أي التزامات اجتماعية، ويلقون بأنفسهم في قصور العائلات النبيلة، ويكوِّنون علاقة انتماء وتودد مع مالك القصر.

ولأن فترتي حكم أسرة سونغ الشمالية والجنوبية شاعت فيهما الممارسات الخاطئة تجاه ضم الأراضي وفقد الفلاحين أراضيَهم، تحوَّل بعض المشردين المعوزين لمحترفي تحمُّل تهم، فقد أصبحت ظاهرة اجتماعية شائعة، ولأن معظم المسلمين اتخذ التجارة مهنة وكانوا ميسورين ماديًا فمن الطبيعي أن يصبحوا هدفًا لهذه الظاهرة، ومن الطبيعي كذلك أن الذين يتحملون هذه التهم يكونون طائعين لمالكهم ويعتنقون الإسلام.

والعبودية عادات وتقاليد اتبعها العرب في شبه الجزيرة العربية، وعندما تأسس الإسلام أعلن تحرير العبيد، وبالرغم من أنه لم يتحقق بشكل تام إلا أنه على كل حال أعطاهم حقوقًا اقتصادية وسياسية حقيقةً، واعتاد المسلمون في الصين على ممارسة الرق أيضًا، ووفقًا لتعاليم الإسلام فإنه من حق العبد أن يرث بعض ميراث سيده أو كله.

وقد ساعد ذلك على اتساع ثقافة العبودية. هذا النوع من التكامل وسَّع القاعدة الإسلامية داخل المجتمع الصيني. وأصبحت نقطة البداية الهامة لكي يتحول الإسلام من دين الأجانب إلى دين الصينيين، وقد كان لهذا تأثير هام على تطور الإسلام داخل الصين.

وبإيجاز يمكننا القول إن المسلمين في أسرة سونغ قد تعمقوا داخل كل طبقات المجتمع واندمجوا فيها، وذلك من خلال إقامة المدارس الخاصة بأجانب الأقليات والمشاركة في امتحانات التوظيف[127]، والتزاوج، واللجوء إلى التنظيم السياسي الذي نظمته أسرة تشينغ[128]، والاتجار بالعبيد إلى آخر هذه الطرق، وقد ازدادت أيضًا أعداد معتنقي الديانة الإسلامية.

وكان لانتشار الديانة الإسلامية في الصين في ذلك التوقيت بعض الخصائص التالية:

أولاً: ازدياد رقعة أعداد المسلمين الأجانب الآتين إلى الصين، وقد كان لهم تأثير واسع النطاق لرسوخ مكانتهم الاقتصادية، كما تزايدت أعداد الأجانب صينيي المولد، وهذا بسبب الانتشار النسبي لظاهرة تزاوج الأجانب المسلمين من ساكني هذه المنطقة.

ثانيًا: ظل الإسلام في ذلك الوقت - الذي يعد دينًا من الأديان - يعامل كونه فلكلورًا "العادات الشعبية"، فلم يكتمل بعد تفهم المجتمع الصيني للثقافة الإسلامية واستيعابه لها، وهذا أيضًا يعكس خصائص الديانة الإسلامية في كونها تعمقت بالتدريج وعلى مدار وقت طويل، وانتشرت بشكل سلمي داخل الأراضي الصينية، وقد أدى الانتشار السلمي للديانة الإسلامية داخل هذه الأراضي إلى تجنب التصادم المباشر بين الإسلام والثقافات التقليدية الصينية ودياناتها، مما جعل الإسلام يعد كونه "عادات وتقاليد بارزة خاصة للعرب"، لذا فقد استطاع البقاء

[127]- كه جوه: أحد الأنظمة لاختيار الموظفين الرسميين من خلال إجراء امتحان لهم.

[128]- كل من يلجأ من الفلاحين والعمال إلى التنظيم السياسي الذي نظمته أسرة تشينغ.

والانتشار، ولم يتأثر في ظل الموجة التي شنّها الإمبراطور تانغ ووه لتدمير الديانة البوذية، ولم يمتد حتى إليها هذا الأمر.

ثالثًا: بداية إنشاء منشآت دينية، فبعض المساجد التي أُنشئت أو أعيد إنشاؤها في أسرة سونغ مازال محتَفَظًا بها "موجودة" حتى الآن، مثل مسجد الصحابة بتشوان تجو، ومسجد كركي بيانغ تجو، ومسجد شارع البقر ببكين، إلخ. بالإضافة إلى ذلك فقد ظهرت بقوانغشتو وتشوانتج مقابر جماعية.

رابعًا: بدأ المسلمون المهاجرون إلى الصين وأسلافهم في التعرف على الثقافة الصينية وفَهمها، كما كانت لهم إنجازات في مجال ازدهار الثقافة الصينية[129].

رابعاً: انتشار المسلمين في أنحاء الصين خلال عصر أسرة يوان

ومع تغيّر الأحوال الاجتماعية والسياسية والعسكرية، في عصر حكم أسرة يوان (عام ١٢٠٦- ١٣٦٨م)، دخل الإسلام في الصين "مرحلة تاريخية جديدة من التنمية الشاملة[130]".

غزوات الجيش المغولي تجاه الغرب:

لم يؤثر نهوض القبائل الرعوية المغولية في القرن الثاني عشر على مجريات التاريخ العالمي فحسب؛ بل فتح أيضًا مرحلة جديدة للدعوة إلى الإسلام في الصين. "في عام ١٢١٨م، بدأ جنكيز خان غزواته الكبرى في آسيا الصغرى بغرب آسيا. وانطلقت الدول الإسلامية في غرب آسيا والإسلام في الصين نحو عصر جديد. في أول الأمر، كان المصير محزنًا بسبب التحوّل من الازدهار والسعادة إلى الوحشية والهمجية، أما بعد ذلك فكان المصير مبشّرًا بسبب الانتقال من فترة النمو إلى فترة الازدهار. وكان التضاد بين الغرب والشرق تضاداً غريبًا، فكانت الغرابة في تطور الإسلام في الصين بسبب

---

[129]- جين يي جيو: (الديانة الإسلامية)، صـ٤٤٧، مطبعة الثقافة الدينية، شهر أكتوبر من عام ١٩٩٧م، الطبعة الأولى.

[130]- جين إيجيو: (الدين الإسلامي)، ص ٤٤٧، دار نشر الثقافة والأديان، الطبعة الأولى، أكتوبر عام ١٩٩٧م.

انهيار الدول الإسلامية في غرب آسيا، وكان ثمَّة عدد لا حصر له من الأسرى المسلمين والتابعين لهم، بسبب انهيار الدول الإسلامية هناك، جاءوا تباعا مع المغول إلى الشرق.

وبعد غزوات المغول في الغرب، انقطعت الاتصالات بين الشرق والغرب، ربما كان السبب لقلة أعداد المسلمين الذين يأتون إلى الصين لمزاولة التجارة، أو للقيام بزيارة رسمية. وأسهمت أنشطة المسلمين ومجيئهم إلى الشرق بأعداد كبيرة والكوارث التي تعرضوا لها في تطوير الإسلام الصيني بشكل جديد"[131].

بعدما وحّد جنكيز خان القبائل المغولية كافة، كانت أولى حملاته التأديبية على أسرة جين. وبعدما فشل في فتحها لمدة طويلة، ترك جزءًا من جنوده للاستمرار في محاصرتها، وقاد جيشًا كبيرًا لمهاجمة شي لياو. في ذلك الوقت، مارس شو تشو لو[132] - الذي حكم شي لياو - سياسة الاعتناق الديني الصارم، وقام بتعبئة الجيش ليجبر سكان كاشغر وخاتيان ويارقند، الذين يعتنقون الإسلام، على تغيير عقيدتهم الدينية، وطلب منهم اعتناق الديانة المسيحية أو الوثنية، ومن أجل تحقيق هدفه في تغيير دينهم، قام بـ"تسكين جندي في منزل كل أسرة"[133]. فأثارت سياسته الدينية استياء الشعب بصورة شديدة. ومن ثم، بعد أن غزا جيش المغول شي لياو في عام ١٢١٨م، وأعلن أن من حق جميع السكان الاستمرار في اعتناقهم الديني، انهار شو تسو لو دون حرب، واستولى المغول - بلا أي عائق - على إيلي وتشو خا وحوض نهر طالاس. وكانت المناطق التي يحكمونها متقاربة مع الإمبراطورية التركية الخوارزمية[134] في ذلك الوقت.

---

[131]- باى شو إي: (المخطوطات الصينية في التاريخ الإسلامي)، ص ١٧٠، دار نشر الشعب بنينغ شيئا - طبعة عام ١٩٨٣م.

[132]- اسم حاكم في شي ليا، غير معروف تاريخ ميلاده، تُوُفِّيَ في عام ١٢١٨م.

[133]- راشد: (المجموعة التاريخية)، العدد الأول، الجزء الأول، المجلد الثاني، ص ٢٥٢، دار النشر التجارية، طبعة عام ١٩٨٠م.

[134]- الخوارزمية دولة قديمة في آسيا الوسطى. تختلف أسماؤها المترجمة في المراجع والمصادر في الصين. يطلق عليها في "كتاب ووي" اسم دولة هوي هوي. عاصمة خوارزم هي نياجورتشي في تركمانستان اليوم.

يمتد حكم الإمبراطورية التركية الخوارزمية في ذلك الوقت حتى نهر سير داريا شمالًا، وحتى جبال بامير[135] شرقًا، وحدود أذربيجان[136] غربًا، وتشمل البلاد الأخرى الواقعة حول نهر وو هو، وأفغانستان[137] وفارس[138] وغيرها.

استعد علاء الدين محمد في ذلك الوقت للهجوم على بغداد، والقضاء على حكم الخلافة العباسية، وإعادة تأسيس الخلفاء الشيعة. لكنّ نهوض الإمبراطورية المغولية دمّر حلمه في إقامة إمبراطوريته العظمى، بل انهارت دولته بسبب الإهمال وعدم الاهتمام.

في عام ١٢١٥م، أرسل علاء الدين محمد رسله لزيارة المغول، ليتجسس على الإمبراطورية المغولية. لم يكن يرغب جنكيز خان الذي يستعد إلى توطيد نتائج معاركه

[135]- جبال بامير وبالإنجليزية Pamir Mountains، تقع في أواسط القارة الآسيوية، محاطة بمجموعة من سلاسلها الجبلية الشاهقة المتمثلة بجبال هندوكوش وكوين لون وجسار آلاي وجبال تيان شان. تقع هضبة بامير تحديداً في أقصى جنوب شرقي جمهورية كازاخستان، وتتقاسمها جمهوريتا طاجكستان وقرغيزستان، وتدفع باستطالات مهمة باتجاه الشمال الغربي لجمهورية الصين الشعبية، وباتجاه أقصى شمال شرقي افغانستان، ويحيط بها شمالاً وادي فرغانة، وجنوبًا كل من بحيرة زور كول ووادي وهان الأعلى الأفغاني وشرقًا واديا كشغر وغربًا سمرقند. وتتخذ الهضبة مظهرًا متطاولاً يمتد من الشرق إلى الغرب، على مسافة تصل إلى نحو ٤٠٠ كم مقابل ٢٢٥ كم أقصى اتساع لها من الشمال إلى الجنوب، وتبلغ مساحتها الإجمالية نحو ٨٤٠٠ كم٢، ومتوسط ارتفاعها بين ٤٠٠٠ و٥٠٠٠ م فوق مستوى سطح البحر.

[136]- أذربيجان (بالآذرية: Azərbaycan) أو رسميًا جمهورية أذربيجان (بالآذرية: Azərbaycan Respublikası اذربيجان ريس وليكاسي) واحدة من ست دول تركية مستقلة في منطقة القوقاز في أوراسيا. تقع في مفترق الطرق بين أوروبا الشرقية وآسيا الغربية، ويحدها بحر قزوين إلى الشرق وروسيا من الشمال وجورجيا إلى الشمال الغربي وأرمينيا إلى الغرب وإيران في الجنوب.

[137]- افغانستان، رسميًا جمهورية أفغانستان الإسلامية: دولة تقع في آسيا الوسطى، تحدها كل من طاجكستان وأوزبكستان وتركمانستان من الشمال وإيران من الغرب والصين من الشرق، فيما تحدها باكستان من الجنوب.

[138]- الإمبراطورية الفارسية أو فارس (بالفارسية: شاهنشاهی إیران) الاسم التاريخي للمنطقة التي قامت عليها الإمبراطوريات والدول الفارسية الكردية اللتان كانتا قومية واحدة وانفصلتا عبر الزمن، وإن كانت اللغتان ما زالتا متشابهتين إلى حد كبير جداً، التي تشكل اليوم إيران. تقع الإمبراطورية الفارسية شرق شبه الجزيرة العربية وشمالها.

في مواجهة الإمبراطورية الخوارزمية القوية، لذا أرسل رسله لزيارتها. وفي عام ١٢١٨م، وقّع جنكيز خان معاهدة مع علاء الدين محمد. لكنْ وقَع حدث مؤسف؛ بشكل فعال، ففي أثناء توقيع المعاهدة، ألا وهي "حادثة فاراب"[139] المشهورة في التاريخ، أرسل جنكيز خان كذلك مجموعة من التجار مكونة من ٤٥٠ تاجرًا إلى الدولة الخوارزمية، في الوقت نفسه الذي أرسل فيه مبعوثه إلى الدولة الخوارزمية. عندما ذهبت هذه المجموعة من التجار إلى مدينة فاراب، الواقعة على حدود الدولة الخوارزمية، قام قائد الضباط في هذه المنطقة باحتقارهم، بل قتلهم جميعًا، وصادر بضائعهم. وبعد أن وصل جنكيز خان هذا الخبر، أرسل على الفور رسولاً للتفاوض مع الدولة الخوارزمية، لكن قتل علاءُ الدين محمد أحدَهم، وأمر بحلاقة شوارب الاثنين الآخرين ولحاهما بشكل مهين، وطردهما خارج البلاد. فكان خطأ علاء الدين محمد في هذه الاستراتيجية حجة لغزوات جنكيز خان.

كانت البداية غزو الإمبراطورية التركية الخوارزمية، وبدأ الجيش المغولي غزواته الأولى تجاه الغرب. في ربيع عام ١٢١٩م، قاد جنكيز خان جيشًا ضخمًا يتكون من ٢٠٠ ألف جندي لتأديب الدولة الخوارزمية، وخلال المعارك، التي استمرت ١٢ عامًا، قُتل جلال الدين[140] قائد الإمبراطورية الخوارزمية على يد فلاح مقيم في شرق تركيا خلال محاولة هروبه، في أغسطس عام ١٢٣١م، وكان مقتله يرمز إلى انهيار الإمبراطورية الخوارزمية رسميًا.

خلال تأديب الإمبراطورية الخوارزمية، ثارت جيوش جنكيز خان لمقتل الرُّسل والعار الذي لحق بهم، بتدمير أسوار المدن وخنادقها بصورة وحشية، وذبح كل جنود الدولة الخوارزمية التي رفضت الاستسلام، وفي الوقت نفسه اختاروا من المناطق التي استولوا

[139]- حادثة فاراب: فاراب اسم مدينة في ارض خراسان، إذ قام السلطان محمد شاه خوارزم فيها بقتل مبعوث جنكيز خان، مما أدى إلى اندفاع المغول غربيًا.

[140]- جلال الدنيا والدين أبو المظفر مكبرتي (حكم من ١٢٣١-١٢٢٠)، آخر سلطان خوارزمي تولى الحكم بعد أبيه السلطان علاء الدين محمد الخوارزمي، بعد خسارته ملكه على يد المغول بقيادة جنكيز خان.

عليها عـددًا كبيـرًا مـن الرجـال ليتولـوا مهمـة العمـال الحـرفيين أو القيـام بالواجبات المختلفة. ومثال على ذلك أنه بعدما استولوا على سمرقند في مارس عام ١٢٢٠م، قتل جنكيز خان ٣٠ ألف شخص، وأخذ من أهلها ٣٠ ألف حرفي وأرسلهم إلى أبنائه وأقاربه، واختـار ٣٠ ألفًا منهم من أقويـاء البنيـان للمشـاركة في الحـروب"[141]. وفي فبراير عام ١٢٢١م، بعدما استولى جيش المغول على ولاية مَرْو (مالي جمهورية تركمانستان اليوم)، وقَّعوا عقودًا مع ٤٠٠ حرفي"[142].

بعدما تُوُفِّيَ جنكيـز خـان، ورث ابنـه أوقطـاي خـان[143] عـرش الإمبراطوريـة. وبعدما قضى على سلالة جين، شن الغزوة العسكرية المغولية الثانية تجاه الغرب. وأخمدت هذه الحملة الاضطرابات في مملكة بولجر الواقعة عند حوض نهر كاما، وسقطت كل من موسكو وكييف[144] وبولندا[145] والمجر[146] وصـربيا[147] وغيرهـا. وأفلتت غـرب أوروبا ووسطها من وطأة فرسان المغول بسبب وفاة أوقطاي خان.

[141]- يانغ خوان تشونغ وبيو تشن قوى: (الإسلام و الثقافة الصينية)، ص ٨٦، دار نشر الشعب بنينغ شيا - الطبعة الثانية، نوفمبر عام ١٩٩٦م.

[142]- يانغ خوان تشونغ و بيو تشن قوى: (الإسلام والثقافة الصينية)، ص ٨٧، دار نشر الشعب بنينغ شيا - الطبعة الثانية، نوفمبر عام ١٩٩٦م.

[143]- اوقطاي هان (١١٨٦ - ١٢٤١م) أول خلفاء جنكيز خان وثالث أبنائه (جوتشي - شقطاي -اوقطاي - تولوي) من زوجته الإمبراطورة بورته، تولى حكم الإمبراطورية المغولية مباشرة بعد وفاة جنكيز خان في ١٨ من أغسطس ١٢٢٧م.

[144]- كييف عاصمة أوكرانيا وأكبر مدنها، وتقع في شمال وسط البلاد على نهر الدنيبر.

[145]- بولندا أو بولونيا رسميًا الجمهورية البولندية، عاصمتها وارسو، دولة تقع في أوروبا الوسطى، وتحدها ألمانيا من الغرب؛ وجمهورية التشيك وسلوفاكيا إلى الجنوب؛ وأوكرانيا، وروسيا البيضاء من الشرق؛ وبحر البلطيق ومنطقة كالينتغراد وليتوانيا إلى الشمال.

[146]- المجر: الجمهورية المجرية (بالمجرية: Magyarország)، عاصمتها بودابست، دولة أوروبية محصورة تقع في حوض الكاربات في وسط أوروبا. تحدها شمالاً سلوفاكيا، ويبلغ طول الحدود حوالي ٥١٥ كم، وتحد أوكرانيا بـ١٠٣ كم في الشمال الشرقي، وتحد رومانيا بـ ٤٤٣ كم من الشرق، ومن الجنوب تحد كرواتيا بـ ٣٢٩ كم صربيا وسلوفينيا بـ ١٠٢ كم، كما تحد النمسا بـ ٣٣٦ كم من الغرب.

[147]- صربيا: عاصمتها بلغراد، صربيا، رسميًا جمهورية صربيا، دولة تقع في مفترق الطرق بين وسط شرق أوروبا وجنوبها، وتغطي الجزء الجنوبي من سهل بانونيا والبلقان المركزي.

مارس الجيش المغولي سياسة الفين فانغ[148]، على الأراضي الشاسعة التي استولوا عليها، وأسسوا على حدة القبيلة الذهبية[149] والقبيلة البيضاء والقبيلة الزرقاء. فالغزوة المغولية الثانية تجاه الغرب، مهدت الطريق أمام جيش المغول الضخم لغزو الخلافة العباسية.

شن مونكو خان[150] الغزوة العسكرية الثالثة تجاه الغرب. وأهمُّ أهداف هذه الحملة العسكرية أسرةُ الموراي والإمبراطورية العباسية (هم التاشي ذو الملابس السوداء). وتعد أسرة الموراي طائفة متطرفة في شمال فارس، وتنتمي إلى فرع (مذهب الإمام السابع[151]) من مذهب الإسماعيلية أحد فروع الشيعة، يطلق عليها اسم النزارية[152]، ويطلق عليها كذلك اسم طائفة الحشاشين[153] وطائفة الهواتيا. ومعنى كلمة الموراي المنافقُ، وهي مسمى أجنبي ذميم يطلق على هذه الطائفة.

في القرن الثالث عشر الميلادي، اتخذت هذه الطائفة من جبل الموت بجنوب بحر

[148]- الفين فانغ: نظام إقطاعي بالمفهوم الضيق.

[149]- القبيلة الذهبية أو مغول الشمال أو مغول القبجاق، قبيلة مغولية ثم أصبحت بعد ذلك هانات تركية. وقد عرفت بالبداية بهانية القبجاق أو مملكة جوجى، انتشرت في الجزء الشمالي الغربي من إمبراطورية المغول الآن روسيا وأوكرانيا ومولدوفا وكازاخستان والقوقاز. وسموا بمغول الشمال لأن هانيتهم كانت شمال هانية تركستان، كذلك سميت القبيلة الذهبية بمغول القبجاق، إذ إنهم استقروا في أراضي الترك القبجاق سكان تلك المنطقة الرحل.

[150]- مونكو هان: الإمبراطور منكو هان ١٢٠٨م - ١٢٥٩م كان رابع هانات الإمبراطورية المنغولية، وخلفه أخوه الإمبراطور قوبلاي هان.

[151]- السبعية فرقة من الشيعة، يؤمنون أن إسماعيل بن جعفر هو الإمام السابع والأخير من آل البيت، وأن ابنه محمد المكتوم قد غاب، وأنه هو الإمام المهدي المنتظر.

[152]- النزارية طائفة من الشيعة الإسماعيلية، نسبة إلى نزار المصطفى لدين الله بن مَعَدّ المستنصر بالله.

[153]- طائفة الحشاشين أو "الحشاشون" أو الحشيشية أو الدعوة الجديدة كما أسموا أنفسهم، طائفة إسماعيلية نزارية، انفصلت عن الفاطميين في أواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، لتدعو إلى إمامة نزار المصطفى لدين الله، ومن جاء مِن نسله، واشتهرت ما بين القرن ٥ و٧ الهجريين، الموافق ١١ و١٣ الميلاديين، وكانت معاقلهم الأساسية في بلاد فارس وفي الشام، بعد أن هاجر إليها بعضهم من إيران. أسّس الطائفة الحسن بن الصباح الذي اتخذ من قلعة آلمت في فارس مركزًا لنشر دعوته؛ وترسيخ أركان دولته.

قزوين[154] مركزًا لها، في حكم المنطقة الشمالية من فارس. وكانت هذه الطائفة لا تتورع عن استخدام أية وسيلة في ممارسة أنشطتها، بسبب سرية تنظيم هذه الطائفة، وكانت ثمّة مجموعة من الفدائيين الذين ينفذون أوامر الموت، لذا يتهيب كل من يرى هذه الطائفة. وقضى جيش المغول على أسرة المواري بالقوة العسكرية المطلقة في عام ١٢٥٦م. وعلّق الغرب على ذلك قائلًا: "هذا الطائفة المخيفة، بذلت كل جهدها على سلاطين[155] الدولة السلجوقية، ولبث الرعب والذعر في نفوس الخلفاء والدولة السلجوقية، وهي أحد الأسباب التي أدت إلى انهيار التطلعات الإسلامية وتدنيها في ربوع آسيا كافة، وأخيرًا انتهت نهائيًا.

وهذه هي إسهامات المغول العظيمة التي جلبت الحضارة والأمن والنظام في ذلك الوقت"[156]. وبعد القضاء على أسرة المواري، اتجه جيش المغول نحو الغرب في عام ١٢٥٧م، ودخل بلاد الرافدين[157]، واستولى الجيش المغولي على بغداد عاصمة الخلافة العباسية.

في ديسمبر عام ١٢٥٨م، هرب جميع موظفي ترسيم الخلافة العباسية من مدينة بغداد واستسلموا. حتى ذلك الحين لم تعد الخلافة العباسية موجودة بعد أن استمرت حوالي ٥٠٩ أعوام، في نحو ٣٧ خليفة، منذ إقامتها في عام ٧٥٠م.

هزت غزوة المغول الثالثة تجاه الغرب، القارةَ الآسيوية والأوروبية، إذ انهارت الممالك

---

[154]- بحر قزوين (باللاتينية: Mare Caspium) بحر مغلق يقع في غرب آسيا، على مساحة تبلغ ٣٧١,٠٠٠ كيلو متر مربع، وهو أكبر بحر مغلق في العالم، يبلغ طوله ١,٢٠٠ كيلو متر بعرض يصل لـ ٣٠٠ كيلو متر، ويبلغ أقصى عمق له ١٠٢٣م، وتطل على بحر قزوين خمس دول: روسيا وإيران وأذربيجان وتركمانستان وكازاخستان.

[155]- كلمة سلطان، تعني الحاكم في اللغة العربية.

[156]- لينجلوس: (امبراطورية السهل)، ص ٣٨٨، دار نشر الشعب بتشينهاي، الطبعة الأولى، عام ١٩٩٦م.

[157]- بلاد الرافدين: منطقة جغرافية تاريخية تقع في جنوب غرب آسيا. كانت من أولى المراكز الحضارية في العالم. وهي تقع حاليًا في العراقبين نهري دجلة والفرات.

وتغيرت الحكومات، وتشردت الأهالي في ربوع الأرض كافة، وبعضهم تغيرت خصائصه العرقية للأبد. وطرأت فوضى بالكامل في تركيبة الأديان الرئيسية وتوزيعها.

إن الحواجز التي نشأت عن العناصر التقليدية والسياسية والاقتصادية والجغرافية وغيرها، تفتتت بالكامل على يد فرسان المغول.

أدت الحروب إلى خسائر يصعب تقديرها، لكن جلبت أيضًا ثمارًا غير متوقعة؛ إذ فتحت حركة المواصلات بين الشرق والغرب، وعملت على تقصير المسافة بين الجانبين، "عندما يكون العالم تحت حكم موحد، يكون التواصل سهلًا، خاصة بين الشرق والغرب"[158]. وكانت النتيجة المباشرة مع الاستيلاء على جميع الدول الإسلامية، أنه ظهرت موجة ضخمة من المهاجرين إلى شرق الأراضي الصينية"[159]، "وتقدم الكثيرون من المؤمنين بالله نحو تلك المنطقة، حتى وصلوا إلى الدول الشرقية البعيدة، واستقروا بها، وكوّنوا أسرًا هناك، حتى زاد عددهم بشكل لا حصر له. وعمل بعضهم في طرد الحرفيين من الجيش في أثناء فتح بلاد ما وراء النهر ومقاطعة خراسان، وجاء كثير منهم من أقصى الغرب، وجاءوا من إيران والعراق، وجاءوا من سيلا وغيرها من الدول الإسلامية"، "فقد تخلوا عن السفر والترحال، وقرروا العيش في تلك المنطقة، والاستقرار في هذه المنطقة، وشيدوا المباني والقلاع، وأقاموا المساجد أمام المعابد الوثنية، وأسسوا المدارس"[160]. بالإضافة إلى ذلك، فقد شهد "طريق الحرير" البحري تطورًا عظيمًا، فثمّة سفن تجارية كثيرة تروح وتغدو في أوقات محددة، بين خليج فارس وتشيوانتشو ونتشو وقوانغتشو، وأصبح التجار والرسل الذين جاءوا من جنوب آسيا وجنوب شرق آسيا كالسيل الذي لا ينقطع في أوقات محددة، ويتبادلون الاتصالات.

---

[158]- (تاريخ جين) الجزء ١٣٤.

[159]- يانغ خوان تشونغ وييو تشن قوى: (الإسلام والثقافة الصينية، ص ٨٨، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الثانية، نوفمبر عام ١٩٩٦م.

[160]- الجواني مؤلف (إيراني)، مترجم خيجاوتي، مراجعة وانغ دو جيان: (تاريخ فاتحي العالم)، ص ١٢، دار نشر الشعب بمنغوليا، الطبعة الثالثة، أبريل عام ١٩٩٩م.

◆ انتشار المسلمين في أنحاء الصين خلال عصر أسرة يوان:

ضمَّ الجيش المغولي أجزاء من أراضي غرب آسيا وآسيا الوسطى، وأسسوا إمبراطورية عظيمة امتدت بين أوروبا وآسيا، وضمت مناطق إسلامية كبيرة، خلال الغزوات الثلاث تجاه الغرب.

بعد أن حقق حكام المغول انتصارات في كل مرة، خلال الغزوات، هجَّروا عددًا كبيرًا من الأهالي إلى الشرق. فمنهم الجندي والحرفي والعامة من النساء والأطفال الذين وقعوا في الأسر، ومنهم شخصيات من الطبقة العليا الاجتماعية التي اصطحبت عائلاتها طواعيةً، وثمَّة شخصيات من جميع القوميات جاءت إلى الشرق للتجارة، واستسلمت طواعية للمغول. هذه الشخصيات يطلق عليها اسم الهوي هوي في الكتب الرسمية في عهد أسرة يوان، وتم إدراجهم في صفوف شعب السمو.

حشد المغول عددًا كبيرًا من السمو لتكوين الحرس الإمبراطوري، وحماية المدن والمناطق الحدودية، من أجل مقاومة حكم سونغ الجنوبية. وثمَّة حامية في تانغ وو، وحامية في تشين تشا، وحامية في أسو، وحامية كانغ لي، وجيش في المناطق الغربية.

إن جيش المناطق الغربية مكون من العرب والفرس والأتراك وسكان آسيا الوسطى. ويعد جيش المناطق الغربية طليعة الجيش المغولي وجيش الحراسة، وتم دمجه مع جيش تاماتشي، خلال الحروب التي هزمت سونغ الجنوبية ووحّدت الصين. ويُعد جيش تاماتشي قوة احتياطية تتكون من الشعب والجنود معًا، إذ يصبحون جنودًا عند الحاجة إليهم في المعارك، ويعملون في المراعي والزراعة عند السلم.

بعد عام ١٢٧٣م، دخل جيش تاماتشي "المجتمع، واندمج مع الشعب"، وبعد الحرب، أخذوا مواقعهم في الحراسة في ربوع البلاد كافة، خاصة في المناطق الشمالية الغربية في الصين ذات الكثافة السكانية العالية، وينتشرون في السهول الوسطى والمناطق الجنوبية الغربية، وثمَّة جزء يتجه نحو جيانغنان. وكان معظم الجنود المسلمين لا

يُحضرون عائلاتهم معهم، وبعد أن يستقروا يتزوّجون من أهل البلاد التي استقروا فيها، بل تكاثروا وانجبوا الأبناء والأحفاد.

ووفقًا لتسجيلات (تاريخ يوان)، كانت نينغشيا وقانسو وتشينغهاي وشينجيانغ وغيرها من الأماكن، هي المناطق الرئيسية التي يقوم فيها الهوي باستصلاحها وزراعتها.

في عام ١٢٨٨م، أمر قوبلاي خان حسم الدين البُوَيْهِي "بإدارة قانسو وشنشي وغيرهما، والقيام بعمل معسكرات من الفلاحين لزراعة الأراضي واستصلاحها"، وفي عام ١٢٩٠م كانت في تانغ تير أراضٍ زراعية للهوي، بها ٣ آلاف رأس ماشية"، ويطلق على تانغ تير اسم تانجر، وهي محافظة فوكانغ بمقاطعة تسايغ ذاتية الحكم الهويهي حاليًا.

في عام ١٣٢٢م، أمرت حكومة يوان "أنه لا يجب على الهوي دفع الضرائب من الفضة". وتوضح هذه المعلومات، المذكورة في (تاريخ يوان)، أن المنطقة الشمالية الغربية ليست فقط المنطقة الرئيسية التي يعيش فيها الهوي ويزرعونها، بل المنطقة التي يتركزون فيها. بالإضافة إلى ذلك، وفقًا لتسجيلات (تاريخ يوان)، ثمَّة في منطقة شاندونغ وخابئ اليوم مزارع كثيرة للهوي، "ثمَّة عدد كبير من الهوي يعيشون في شاندونغ وخابئ، معظمهم يعملون في جيش تاماتشي، وكان الرماة من الهوي ينتشرون في تاجوجئ، ثم انتقلوا إلى نانجينغ (كايفنغ اليوم) للعمل في الزراعة"؛ وكانت وكونمينغ ودالي - في مقاطعة يؤنان - المنطقتين الرئيسيتين اللتين يجتمع فيهما الهوي، ولم يعد الهوي الذين يعيشون في جيانان أقلية، وكان معظمهم الذين انتقلوا إلى يؤنان مع لين ينغ - في أوائل عهد أسرة مينغ - هم من الجيانانين.

أرسل المغول الكثير من الحرفيين المسلمين الفنيين إلى ربوع الصين كافة، واستقر معظمهم هناك. وفي عام ١٢١١م، بعد أن استولى جيش المغول على عاصمة الدولة الخوارزمية، "أرسلوا عشرة آلاف حرفي إلى الشرق"، وبعد ذلك أقامت حكومة يوان هيئة

التصنيع في هونغ تشوو، وبها ٣٠٠ حرفي من المناطق الغربية؛ وثمّة معسكرات للحدادين الهوي في جيون تشوو؛ ومقرات حرفية لتصنيع بنادق الهوي. وأصبح معظم هؤلاء الحرفيين، الذين يتمتعون بمهارة خاصة، من المسلمين الذين يعيشون في الصين.

بالإضافة إلى ذلك، قدّموا جميعًا أعمالًا مجيدة، سواءً كانوا من جنود المنطقة الغربية أو من جيش تاماتشي، من أجل أن يستولي حكام أسرة يوان على السلطة، فكانت مكانتهم الاجتماعية أعلى من الهان والجنوبيين، وتمتعوا بمعاملة ممتازة جاءت في المرتبة الثانية بعد المغول من الناحية القانونية والسياسية. قال قائد الغزوات العسكرية في أسرة يوان أمام الجيش، بشكل تلقائي، إن بعض المسلمين صعدوا إلى صفوف الحكام.

ويقول (تاريخ المغول لدوو سونغ): "إن الموظفين الحكوميين، عمومًا، من المغول والأجانب، ومنهم من يعتنق الإسلام والدين المسيحي والدين البوذي، كانوا يعيشون في الغرف الإمبراطورية. وكان عدد كبير من المسلمين من الفرس وبلاد ما وراء النهر وتركستان[161]، وأصبحوا أثرياء في عهد مونكو خان وأوقتاي خان، وارتفعت نسبتهم، واعتمدوا على مساعدة عبد الرحمن وسيدش وأحمي، وعلَت مكانتهم". وللعامّة من الهوي أن يتجولوا بحرية في ربوع الصين كافة. قال وانغ لي لين في تسجيلات (الموسوعة الأولى): "إن الإمبراطور منفتح الأفق، ووضع حدودًا في حكمه، لا بد أن يعمل من في المناطق الغربية. كما رأى الملك سيجون أن العالم كله بمثابة بيت واحد، فلا فرق بين الناس، ولا حدود بينهم؛ فمن حق الناس أن تذهب إلى أي مكان تصبو إليه وتعود منه وقتما شاءوا، وكلنا في بيت واحد، أو كالذي ذهب إلى جاره. ومن ثم نخضع لحكم واحد، ونتعلم من السلف الصالح، فكلنا كالأسرة الواحدة. لذا استقروا في المناطق الغربية، وتعلموا فيها، عاشوا في سعادة لدرجة أنهم نسوا أنفسهم وأوطانهم".

في عهد أسرة يوان، انتشر الإسلام وتطور سريعًا، وتشكّل تدريجيًا أسلوب المسلمين

161- تركستان: منطقة واسعة في آسيا الوسطى، تنقسم حاليًا لقسمين: تركستان الشرقية أو الصينية "شينجيانغ" وتركستان الغربية.

الصينيين الذين يعيشون موزّعين على نطاق واسع، ومتمركزين في تجمعات صغيرة، بل تشكلت أيضا فترة تطور الإسلام بشكل كبير في تاريخ الصين، لأن هناك عددًا كبيرًا من المسلمين المقيمين في المناطق الغربية دخلوا الصين، وانتشروا في أرجاء البلاد، بالإضافة إلى علُو مكانتهم.

فوفقًا لتسجيلات (ابن بطوطة) "ثمّة مناطق مخصصة ليعيش فيها المسلمون في جميع المدن الصينية، وبداخل هذه المناطق المساجد المخصصة لإقامة الصلاة"، "وثمّة أعمال مخصصة لإدارة شئون المسلمين والشيوخ في جميع المدن الصينية. وثمّة قاض للنظر في الدعاوى القضائية التي قد تنشأ بينهم". خلاصة القول، في عهد أسرة يوان، جاء عدد كبير من المسلمين إلى الصين، وانتشروا في المناطق الحضرية والريفية سواء كانت في الشمال أو الجنوب، كما انتشروا بين الطبقات كافة، وأصبحوا جزءًا من نسيج المجتمع الصيني، لذا ثمّة مقولة: "انتشار المسلمين على مستوى الصين في عصر أسرة يوان".

◆ اعتناق الخانات المغولية الأربعة للدين الإسلامي:

في عهد أسرة يوان، اتخذ الحكام سياسة مستنيرة من الناحية السياسية، من أجل تطبيق حكم فعال، مثل الحكم حسب العادات والمناطق، واختاروا بكل شجاعة شخصيات بارزة من جميع القوميات، وعيّنوهم في المناصب، ليساعدوهم في الحكم، من خلال الأسس التقليدية والثقافية وطرق الإنتاج والنظام الاجتماعي الوراثي في المناطق وبين القوميات.

طلب جنكيز خان في بداية حياته من مساعديه وأبنائه وأحفاده أن يعاملوا أهل الأديان بالمساواة. فأدى هذا الاحترام إلى الاندماج الواسع بين جميع الثقافات والمعتقدات والعادات والتقاليد للقوميات كافة. ودفعت سياسة المغول الدينية وحملاتهم العسكرية تجاه الغرب بشكل مباشر إلى انتشار الإسلام في المناطق الشمالية والغربية في البلاد.

اعتنق كثير من سكان آسيا الوسطى والمناطق الشمالية الغربية في الصين الإسلام، فزاد عدد المسلمين، وكان منهم التجار والموظفون والدعاة، إذ قاموا بدور رئيسي في نشر الإسلام بين المغول. ونال التجار المسلمون والموظفون إعجاب الحكام، ومن ثم حظي الإسلام باهتمام وتوقير؛ وغرس الدعاة الثقافة الإسلامية وعاداتها في الإمبراطورية المغولية، وزرعوها بين الجماهير والمجتمع. من بينهم دعاة ذوو كفاءة عظيمة، أهدوا بطريقة مباشرة المغول إلى اعتناق الإسلام.

هذه الطرق الثلاثة، غيَّرت في النهاية – وبشكل تدريجي – من سلوك حكام أسرة يوان تجاه الإسلام، من الاحترام إلى الاتكال عليه والتحيّز له، ووسّعت تأثيرات الإسلام بين المغول بلا توقف. من بين ذلك، اعتناق الخانات المغولية الأربعة الدين الإسلامي طوّر تدريجيًا الإسلامَ، حتى أصبح الدين الذي يحتل المكانة الرئيسية في المنطقة السابق ذكرها، ثم إن تشكيل القوميات في المنطقة الشمالية الغربية في الصين ،أدى إلى وضع عقيدة دينية ومتوارثة، مع رسم الأطر الأساسية لها.

بعدما تُوُفِّيَ باتو خان[١٦٢] مؤسس القبيلة الذهبية، تولى أخوه الصغير بركة خان العرش. بركة هو الخان المغولي الأول الذي يعتنق الإسلام، حرّم أكل لحم الخنزير داخل القصر، وكان لكل منه ولزوجاته إمام خاص بهم، لدراسة المعارف الإسلامية وتلقي الدروس الدينية.

كما شيّد بركة خان مدرسة مخصصة لتعليم الأطفال. وعندما حكم أوزبك خان[١٦٣] القبيلة الذهبية، بذل كل جهده في تطبيق تعاليم الإسلام، وعمل على تطوير الإدارة التربوية، حتى أصبح الإسلام في النهاية الدين الرئيسي في القبيلة الذهبية.

١٦٢- بات وهان (١٢٠٥ – ١٢٥٥م) مؤسس القبيلة الذهبية وحفيد جنكيز خان.

١٦٣- سلطان محمد أوز – بيج، المعروف باسم أوزبك هان (١٢٨٢ – ١٣٤١م)،استمر عهده من ١٣١٣ حتى ١٣٤١م، التي كانت أطول فترة حكم لإهانات من القبيلة الذهبية، التي بلغت ذروتها في عهده. خلفه ابن هجاني بيج.

أنادا هو حفيد الإمبراطور قوبلاي خان بعهد يوان، ورث مُلك أنشي عن أبيه، ووضع جيشًا في جبل ليوبان، ليشرف على الأراضي الشاسعة في ممر خشي[١٦٤]، في قوانتشو بمقاطعة شانشي، جنوب نينفشيا وشرق جاو تاي بمقاطعة قانسو.

ولأن ثمّة الكثيرين من الجنرالات المحيطة به والمستشارين والأقارب يعتنقون الإسلام، كان تأثيرهم كبيرًا عليه، وفي النهاية اعتنق الإسلام بعد موافقة قوبلاي خان.

إن اعتناقه الدين الإسلامي، دفع ١٥٠ ألفًا من المغول إلى اعتناق الإسلام، وعجّل بصورة متزايدة الدعوة إلى الإسلام بين المغول، ووضع بصورة أولية أسلوبًا دينيًا لهذه المنطقة استمر حتى اليوم.

يُطلق على مغولستان اسم مورستان، وتعد منطقة الحكم هي منطقة جنوب تيان شان التي يعيش فيها اليوغور. في ذلك العام، فتح قادر خان هذه المنطقة، مما جعل الإسلام الدين الشائع فيها، ثم حاول تسو تشو لو قائد شي لياو تغيير عقيدة أهل هذه المنطقة عن طريق القوة المسلحة، لكنه لم يستطع تحقيق هدفه، لأن الوقت قصير.

وبعد أن قضى جيش المغول على تسو تشو لو، شهد الإسلام في هذه المنطقة انفراجة، بل شهد تطورًا سريعًا، حتى أصبحت هذه المنطقة المركز الرئيسي للدين الإسلامي في الشرق.

ثمّة علاقة وثيقة بين التطورِ السريع للدين الإسلامي في مغولستان وعائلة إيمي التي حاولت اغتيال دوو خوو الحاكم الفعلي لمغولستان. وتُعد هذه العائلة إحدى العائلات الغنية في قبيلة المغول، وإن اعتناقها الإسلام، أحدث تأثيرًا عظيمًا في سياسة المغول تجاه الإسلام. وما يستحق الاهتمام أن اتِّباع المذهب الصوفي الغامض في الإسلام، هو

١٦٤- ممر قانسو أو ممر خشي: يشير الي مسار أو طريق تاريخي في مقاطعة قانسو في الصين. كجزء من طريق الحرير الشمالية شمال غرب تشغيل على ضفة النهر الأصفر، وكانت تستخدم بصفتها أهم طريق مرور في شمال الصين إلى شينجيانغ وآسيا الوسطى للتجار والعسكريين.

من قاد عائلة إيمي إلى اعتناق الإسلام؛ فالحاكم باسم مغولستان هو تحليتمور، وكان لا يرضى بذمية عائلة إيمي دوو خلات، ورأى أن الإسلام يمتلك قوة اجتماعية عظيمة، كما أنه قوة سياسية كامنة، فاعتنق الدين الإسلامي بصورة إيجابية، واتسع تأثيره السياسي، بل استغل ذلك للتخلص من سيطرة عائلة إيمي.

هذه الإجراءات التي اتخذها تحليتمور، شجعت على تركيز سلطة الهان، ومنح سلسلة من الامتيازات لمولا راشد الدين ليهديه إلى اعتناق الإسلام، من أجل تعزيز مكانة حكمه؛ وأمر بتعيين راشد الدين في منصب الإمام الإسلامي الوراثي؛ وشيّد مسجدًا ضخمًا لراشد الدين في مدينة كوتشا؛ وخصص جزءًا من الضرائب الدينية لإعطائها لراشد الدين لإدارتها واستخدامها.

من بين ذلك، يعد ظهور نظام الإمام الوراثي، رمزًا مهمًّا يدل على تطور الإسلام في منطقة جنوب تيان شان، وله تأثير عظيم في تطور الثقافة والاقتصاد والسياسة والإسلام.

كان يُطلق على المنطقة الواقعة في شمال حوض تأريم[165] اسم قاراوجا، وكانت الأجيال اللاحقة تعتنق الديانة البوذية. وفي عصر مونكو خان، تم إنشاء هنا البيشباليك[166] وغيرها من المقاطعات الرئيسية الإدارية، وثمَّة الكثيرون من الموظفين المسلمين لمساندة حكام المغول في الإدارة، فانتشر أيضًا الإسلام بشكل واسع.

إن الانتشار السريع للدين الإسلامي بين القبائل المغولية الأربع التي أسستها طبقة نبلاء المغول، دفع جميع شعوب القوميات المختلفة والمعتقدات المختلفة إلى اعتناق الإسلام. كما أن اعتناق قادة المغول الدينَ الإسلامي عجّل بصورة متزايدة من تطوره،

165- حوض تاريم: حوض صحراوي مساحته ٩٠٦ ألف كم٢. يقع في غرب الصين، وتحيط به، الجبال حيث سلسلة جبال تيانشان (بالإنجليزية) من الشمال وجبال كونلون من الجنوب التي تقع في الطرف الشمالي من هضبة التبت.

166- بإشباليك: مدينة مهمة في الشمال الغربي في عهد أسرة يوان.

وعزز من مكانته الدينية. وفي الوقت نفسه، انتقلت جميع قوميات آسيا الوسطى التي تعتنق الإسلام إلى الشرق مع حملات المغول على الغرب، ومن بينها قبائل انتقلت على التوالي إلى شينجيانغ اليوم وتشينغهاي وقانسو وغيرها من الأماكن، مثل أجداد دونغ شيانغ اليوم، هم من الرماة وساسة الخيول والحرفيين الذين أدرجهم نبلاء المغول في جيش تاماتشي؛ وأجداد الباو آن هم كذلك من المسلمين المقيمين في وسط آسيا، ويُعدون من عناصر جيش المنطقة الغربية وجيش تاماتشي، وذهبوا واستقروا في تشينغهاي وغيرها من المناطق، وامتزجوا مع القوميات المحلية، وشكّلوا قومية الباو آن الحالية. بالإضافة إلى ذلك، ثمّة قبائل من المسلمين المقيمة في آسيا الوسطى، جاءت إلى الصين من خلال الطرق التي فتحها المغول، لأنهم لم يتحملوا حكم حكامهم المحليين، مثل قومية سالار، فهي نتاج امتزاجهم مع قوميات محلية، بعد أن استقروا في شون خوا.

في عهد أسرة يوان، بدأ بعض الدعاة يمارسون الوعظ وشرح القرآن الكريم في المناطق التي بها قاعدة جماهيرية من المسلمين، في قانسو وتشينغهاي ونينغشيا وشنشي وشينجيانغ وغيرها من الأماكن، وأسسوا مراكز للدعوة، وشيدوا المساجد وغيرها من المرافق الدينية، مما طوّر الإسلام بصورة متقدمة بين جميع سكان المنطقة الشمالية الغربية، كل ذلك نتيجة سياسة الحكّام المرنة تجاه الأديان.

◆ خصائص الإسلام في عصر يوان:

يعد جنكيز خان من الحكام الرواد؛ لأنه اتخذ سياسة عدم الانحياز من الناحية الدينية، من أجل حملاته الخارجية وتوطيد مكانته، فأحسن معاملة المسلمين، وسمح لأجيالهم باعتناق الإسلام، لكنه احترم في الوقت نفسه الديانة المسيحية والديانة البوذية. كان ما يهتم به كفاءتهم، وليست عقيدتهم الدينية، فيما يتعلق بمسألة الوظيفة. ودفعت هذه السياسة من الناحية الموضوعية إلى انتشار الإسلام وتطوره، مما أدخل الإسلام في فترة تطور جديدة في عهد أسرة يوان.

بالرغم من أن الإسلام لم يكن له مسمى محدد وثابت في عهد أسرة يوان، مقارنة بعهد أسرة تانغ والأسر الخمس، إلا أن الناس عرفته باعتباره أحد الأديان، بل نال اعتراف المجتمع.

توغلت قوانين التجار المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم السابقة بصورة متقدمة. في عهد أسرة يوان، تم استبدال مصطلح الهوي هوي بمصطلح التاشي- التجار المسلمون، ويشير على وجه التحديد إلى الذين يعتنقون الإسلام، ويطلق عليهم اسم مسمان ومسلان ومسلمان وغيرها، كل هذه الأسماء ترجمة صوتية للمسلمين، وتشير بوجه عام إلى المؤمنين بالإسلام. وفي الوقت نفسه، استخدمت أسرة يوان مصطلح هوي هوي، ليس فقط لأنه يحمل معنًى دينيًا، بل لأنه يحمل مفهومًا قوميًا ومكانيًا. وكان بيان المرسوم الإمبراطوري لأسرة يوان، الذي يمكن أن نراه حاليًا، يدمج عمومًا الهوي هوي والمغول والهان معًا؛ ويُطلَق عليهم بالترتيب المسمان أو المسلمان والبوذيون والطاويون، عند تناول الموضوعات الدينية. لكن ما يستحق الإشارة إليه قلة الأدلة على الإسلام وسنة الإسلام، وكان أول ظهور لمصطلح الهوي هوي في كتاب (تساوموذز) في أوائل عهد أسرة مينغ.

في الأيام الأولى في عهد أسرة يوان، أنشأت الحكومة هيئات مختصة لإدارة شئون المسلمين "مركز هوي القضائي"[167]، وأنشأت، بالتساوي، هيئة للبر والإحسان وهيئة لإدارة الشئون الدينية البوذية والطاوية، لكنها كانت أقل بعض الشيء من مستوى النظام الرسمي.

إن السنة الإسلامية المعيارُ الذي يُدير سلوك المسلمين، ويتمتع القاضي الذي يشرف على السنة بمكانة هامة ومتميزة في الحياة اليومية والحياة الدينية بين المسلمين. وأعظم شيء في نظام الإشراف القضائي الذي وُضع في عهد أسرة تانغ، وفي هذه المهنة و"مركز هوي القضائي" وأمثاله، هو الإشراف على التجار المسلمين المقيمين في الصين.

[167]- القاضي هي ترجمة صوتية لمصطلح القاضي في اللغة العربية.

فالأجانب هم الهدف من هذا الإشراف. بينما هدف "مركز الهوي القضائي" الإشراف على رعية أسرة يوان.

يُعد إنشاء "مركز هوي القضائي" رمزًا مهمًا لانتشار الإسلام في عهد أسرة يوان. يتكون "مركز هوي القضائي" من عدة قضاة، مهمتهم الرئيسية الصلاة على الإمبراطور والدعاء له بالخير والبركة؛ وإدارة الشئون الدينية وتفسير النصوص الدينية ونشرها في أثناء الأعياد[168]؛ والنظر في الدعاوى القضائية وضريبة الأراضي والزواج بين المسلمين، وإدارة الشئون الداخلية في الإسلام. ويعد القاضي موظفًا حكوميًا وقائدًا للمسلمين. إن المهمة التي يتحملها "مركز هوي القضائي" وممارسته العملية تتمثل في تقديم أدلة حقيقية وواقعية "للإخلاص الثنائي"[169] الذي دعا إليه المسلمون الصينيون بعد ذلك.

في أواخر عهد أسرة يوان، تم إلغاء "مركز هوي القضائي"، وحل محله نظام الجياو فانغ (جماعات إسلامية). ولم يعد يتمتع الجياو فانغ باللون الرسمي، وليست له علاقة تبعية مع مؤسسة البلاط الملكي سواء المحلية أو المركزية، وكانت فقط شكلًا تنظيميًا شعبيًا لممارسة المسلمين الأنشطة الدينية.

ثمَّة استقلالية متبادلة بين جميع الجياو فانغ – جماعات إسلامية، وليست هناك علاقة تبعية بينهم؛ وجوهرها هو المسجد، ويُشكّل الجياو فانغ – جماعات إسلامية[170] تنظيمًا اجتماعيًا موحدًا لمعالجة الشئون المدنية والثقافية والاقتصادية والسياسية والدينية وممارسة الأنشطة الاجتماعية.

تم إنشاء نظام الجياو فانغ – جماعات إسلامية بصورة أوليّة في المدن، ثم مع إنشاء نظام استصلاح الأراضي، تكون الجياو فانغ – جماعات إسلامية في الريف بصورة

[168]- مثل: عيد الفطر وعيد الأضحى.

[169]- الإخلاص الثنائي هو الإخلاص إلى الله، والإخلاص إلى الحكام. هذا هو التطور الجديد للمسلمين الصينيين في عهد أسرة تشينغ ومينغ، تجاه مذهب الدين الإسلامي.

[170]- الجياو فانغ – جماعات إسلامية: عبارة عن مجمع مساكن للمسلمين في الصين، وفي وسطها مسجد.

كبيرة. إن تشكيله أحدث تغيرًا جذريًا في الوظيفة الاجتماعية للمساجد؛ فلم تعد مكانًا لممارسة المسلمين الأنشطة الدينية بصورة بسيطة، بل تحولت إلى مكان لأنشطتهم الاجتماعية المهمة، فتعد مكانًا دينيًا، وتعد كذلك مكانًا إداريًا للقائد الديني، والمساجد مركز للتربية الدينية ومكان لخدمة أعمال المسلمين.

في عهد أسرة يوان، تغير اسم مكان صلاة المسلمين من "قاعة الصلاة" إلى "معبد الصلاة" أو "معبد الطهارة"، إن تغيُّر الاسم من قاعة إلى معبد، من الواضح، "الرمز الذي نال اعتراف الحكومة"[171].

زاد عدد المسلمين في عهد أسرة يوان بشكل كبير، مقارنة بعهود الأسر السابقة، بل انتشروا في أرجاء البلاد كافة، وشكلوا تدريجيًا خصائص مكانية مبعثرة تتميز بالانتشار الواسع والتجمعات الصغيرة. وكان أصل المسلمين الذين جاءوا إلى الصين في عهود الأسر السابقة، من التجار ورسل الجزية، فاستقروا في المدن، ولم تكن لديهم اتصالات من الأساس مع المناطق الريفية الشاسعة.

يُعد المسلمون من قومية السمو، فمكانتهم الاجتماعية عالية، "وحصلوا على رزقهم في هذه الأسرة، وتعلموا فيها، وعاشوا سعداء في هذا البلد لدرجة أنهم نسوا أوطانهم ومسقط رأسهم وكثير منهم رأوا أن الصين بلده، وغيّروا إقامتهم من الإقامة المؤقتة إلى الدائمة، فتحولوا من سكان أجانب إلى محليين، واتخذ الهوي من السهول الوسطى مسكنًا، وكان أكثرهم في جيانغنان"[172]. وينتشرون في المناطق الساحلية والحدودية وداخل الصين، معظمهم يعيشون في مناطق الشمال الغربي، وانتقل جزء منهم إلى جيانغنان، وانتشروا تدريجيًا في خوابي ويؤننان.

---

[171]- تشوشيهبانوشاتشيوتشن: (الإسلام في الصين)، ص ٨١، دارنشرالثقافةالصينية، الطبعة الأولى، يوليو عام ٢٠٠٢م.

[172]- تشوشيهبانوشاتشيوتشن: (الإسلام في الصين)، ص ٨١، دار نشر الثقافة الصينية، الطبعة الأولى، يوليو عام ٢٠٠٢م.

دخلت الثقافة الإسلامية الصين بشكل كبير، خلال المئة عام التي حكم فيها المغول الصين، وجنى المسلمون الصينيون ثمارًا وفيرة في مجال الموسيقى وصناعة الأسلحة والهندسة المعمارية والحساب وعلوم الفلك، قدموا إسهامات عظيمة في تنمية الحضارة الصينية. لكن لم تكن ثمَّة تسجيلات تتعلق بترجمة أمهات الكتب الإسلامية وشرح المذاهب الدينية، ولم يستخدم أحدٌ الكتابة الصينية في شرح المذاهب الإسلامية وآدابها، في الحكايات الشعبية والمصادر والمراجع في عهد أسرة يوان.

لم يُميّز مسمى الهوي المذكور في الوثائق الرسمية في عهد أسرة يوان، بين الدين والقومية، ولم يُميّز كذلك بين علماء الدين وعوام المسلمين، فكان مجرد مسمى عامٍ مبهَم. ويعد الإسلام في هذه الفترة مجرد عادات وتقاليد خاصة من ناحية المعنى، فوجوده وانتشاره مقتصران فحسْب على وراثة النسب والتمسك بالعادات والتقاليد، ودراسة اللغة العربية والفارسية، وطرق النقل الشفهي للكتب والمصادر، فمازال الإسلام العقيدةَ الداخلية لتنظيمات المسلمين الجماهيرية. من الطبيعي، أن الاستثناء الوحيد في المناطق النائية في الشمال الغربي، وسنناقش هذا بشكل مفصل في فصول أخرى من هذا الكتاب.

رابعًا: الإسلام في عصر أسرة مينغ:

مرّ الإسلام بعدة أسر ملكية، منذ أن دخل الصين في عهد أسرة تانغ، فتوسعت قاعدة تابعيه. لكن أدى توقف "طريق الحرير البحري"، و"طريق الحرير البري" – المعبرين الرئيسيين لدخول الإسلام الصين – إلى انتهاء الانتشار واسع النطاق للدين الإسلامي في الصين.

في ذلك الوقت، هيمنت البرتغال وغيرها من الدول الأوروبية، لتحل محل التجارة البحرية للدول العربية، فقد انقطع المعبر البحري بين الصين والدول العربية؛ ودخلت البوذية إقليم شينجيانغ مرة أخرى، لتشكل قوة دينية معادية للإسلام في الإقليم، ولكي

تصد حكومة أسرة مينغ الملكية الهجمات على المناطق الداخلية في توربان، اتخذت سياسة التقوقع، أي الانعزال عن العالم الخارجي؛ مما أدى في النهاية إلى توقف "طريق الحرير البري" أيضًا.

ومن ثم، دخل الإسلام في الصين فترة تاريخية تتميز بالنسبية، مستقرة لكن منغلقة، متحولة لكن متواصلة. وفي عصر أسرة مينغ الملكية، دخل الإسلام مرحلة "الاصطباغ بصبغة المجتمع الصيني"، ليبدأ عمليتَي التوطين والتأميم بالصين. فبعد أن وحَّد حكام أسرة مينغ الملكية الصين، مارسوا سياسة الدمج مع قوميات الأقلية، إذ أصدروا مرسومًا رسميًا يأمرون فيه أهل منغوليا الداخلية من السيمو بعدم الزواج من بعضهم البعض، وإنشاء علاقات نسب مع أهل قومية الهان.

وبنظرة موضوعية، نجد أن هذه السياسة قد وفرت ضمانًا وحماية للتزاوج بين قومية الهوي المسلمة والقوميات الأخرى، الذي أدى إلى زيادة سكان الهوي من المسلمين بأعداد كثيرة. وخلال ثلاثمائة عام من حكم أسرة مينغ الملكية، اندمجت القوميات طبيعيًا، فشهدت الصين ظهور قوميات أقلية صينية تعتنق الإسلام بمفهوم حديث، وتشكلت قومية هوي الإسلامية رسميًا، كما تعاقب اعتناق كلٍّ من قومية السالار، وقومية دونغ شيانغ، وقومية باو آن، الإسلام.

◆ العلاقة بين أسرة مينغ والدول والمناطق الإسلامية:

بعد تأسيس أسرة مينغ الملكية، دعا الإمبراطور جو يوان جانغ إلى عدم استخدام السلاح أو التهديد المسلح للمناطق الغربية والدول الأجنبية، فكان يعارض ممارسة العدوان العسكري في سياسته الخارجية. وفي السنة الرابعة من عهد خونغ وو (عام ١٣٧١ ميلاديًا)، أعرب جو يوان جانغ صراحةً عن فكره؛ قائلًا: "دول البرابرة الأجنبية لديها مشاكل مع الصينيين، لا يمكن إنكار هذا؛ لكن لا يجوز لمثيري المشاكل من الصينيين البَدء دائمًا بقيادة الجيوش وشن الهجمات. فكما قال أسلافنا، أعمال الناس

الفوضوية سببٌ في عدم وجود أمان دائم في الكون. فعلى سبيل المثال، عندما قام الإمبراطور يانغ، إمبراطور أسرة سوي الملكية، بإرسال جنوده بشكل عشوائي، لشنّ الحملات العسكرية ضد مملكة رويوكرو، أبادوا أهلها، وحرقوا قصورها، وضموا أراضيها، وشردوا قومها، فاستحقوا سمعة زائفة، وحدد نطاق حكمه في منتصف الأرض، فصنع مُلكًا وهميًا لأجياله اللاحقة. لذلك قررت عدم شن الهجمات على دول البرابرة الصغيرة النائية التي تفصل بيننا وبينهم جبال وبحار".[١٧٣]

وفي الوقت نفسه حذر أحفاده والأجيال بعده من شن الحروب دون مبررات واضحة. وفي التبادلات الخارجية، دعا الإمبراطور تاي زو - إمبراطور أسرة مينغ الملكية - إلى سياسة تقليل الواردات وزيادة الصادرات، أي أنهم على المستوى الاقتصادي، لا يتركون جميع المناطق والقوميات الأجنبية هكذا فحسب، بل يزيدون حصصهم مما يمتلكونه.

وفي الوقت نفسه، أرسلت حكومة أسرة مينغ الملكية رسلًا إلى جميع الأنحاء، لتبادر بالذهاب إلى المناطق الغربية، والدول الأجنبية؛ إما للاستعلام عن أمور تخصّ الحكم والعرش، وإما للتعبير عن علاقات المودة وحسن الجوار. وخلال عهد يونغ له، هيَّأ الإمبراطور تشنغ زو - إمبراطور أسرة مينغ الملكية - ظروفًا مواتية للسيطرة على المناطق والأراضي الغربية والأجنبية. "فمنذ أن حكم الإمبراطور تشنغ زو بالسلاح والعنف، وأراد أن يهيمن على العالم، أرسل رسله إلى جميع الأنحاء لاستطلاع الآراء.

رفضت دول الأمراء والحكام، الكبرى منها والصغرى، في المناطق الغربية، أن تركع له ورفضت سلطانه، وأرسلوا له العطايا خوفًا منه. ومن الصحاري النائية بالشمال، والبحار المظلمة بأقصى الجنوب، ومناطق الشرق والغرب إلى مناطق لا تشرق فيها الشمس، بالسفن والمركبات، بشجاعة كبيرة، أرسلت جميع تلك المناطق رسلها، ليلتقي البلاط الملكي. وأفرغوا خزاناتهم. بينما أقبلوا بالكنوز الثمينة من كل حدب وصوب،

---

[١٧٣]- (السجلات الرسمية للإمبراطور تاي زو إمبراطور أسرة مينغ)، المجلد ٦٨ .

وأهدت جميع الرسل هدايا تتزايد يومًا تلو الآخر. حتى أغرقت الهان، وتانغ، بينما بلّغوا رفض الملوك جميعًا. فتكررت شرعية عهد شوان ده، نظرًا لنسبه".[١٧٤]

لم تحث سياساتُ التعامل مع المناطق الغربية والسياسات الخارجية المستنيرة في عصور الأباطرة المتعاقبة في أسرة مينغ الملكية، الجهاتِ الرسمية في الشرق والغرب على مزيد من التبادلات فحسب؛ بل جذبت بعض أهالي قومية الهوي من المناطق الغربية للانتقال والسكن بالمناطق الداخلية بالصين.

فبداية من عهد خونغ وو، ظهرت هجرة أهالي الهوي من المناطق الغربية إلى المناطق الداخلية بالصين، حتى عهود يونغ له، وخونغ شينغ، وشوان ده، ووصولاً إلى عهود جنغ تونغ، وجينغ داي، وتيان شون، وخونغ جي، وجنغ ده، بلغت هجرة أهالي الهوي من المناطق الغربية إلى المناطق الداخلية بالصين ذروتها.

وفيما بعد عهد جيا جينغ، انخفضت تدريجيًا، لكنها لم تتوقف نهائيًا. ووسط أحداث "تدفق المهاجرين إلى الجنوب الشرقي"، لم يكن مسلمو منطقة شينجيانغ حاليًا – فحسب – هم من زحفوا إلى المناطق الداخلية من أهالي الهوي بالمناطق الغربية، بل كان هناك أيضًا أهالي السامار ذوو الأعداد الكبيرة (تتبع الأوزباكستان حاليًا)، وأهالي إسفوهان (أصفهان بإيران حاليًا)، والدولة الإسلامية العربية (مكة بالمملكة العربية السعودية حاليًا)، وخوري (تتبع الهند حاليًا)، وهراه (تتبع أفغانستان حاليًا).

وطبقًا لبيانات تاريخ أسرة مينغ الملكية المحفوظة حتى الآن، يمكن أن ندرك أن جميع أهالي الهوي من الدول والمناطق الغربية – الذين كانت تربطهم تبادلات بأسرة مينغ الملكية – انتقلوا ليسكنوا المناطق الداخلية بالصين. وفي فترة حكم أسرة مينغ الملكية بالكامل، كانت أعداد أهالي الهوي بالمناطق الغربية الذين انتقلوا إلى داخل

١٧٤- (مينغ شه): كتاب يضم عرضًا تاريخيًا للتراجم و السير، يضم ٣٣٢ جزءًا، المجلد ٣٣٢، (سيرة المناطق الغربية)٤، (مدينة الإناث).

الصين أعدادًا قليلة جدًا، بينما لم يُكتب في السجلات التاريخية سوى أن عددهم كان أكثر من ١٥٠ ألف شخص فحسب. وبالرغم من أن هذا العدد لا يفوق عدد عصر أسرة يوان الملكية الذي يتعداه بمراحل، إلا أنه أسهم بشكل كبير في توسيع قاعدة مسلمي الصين.

◆ بداية تشكل الأحوال النفسية والعادات والتقاليد المشتركة لمسلمي الصين:

يدل التشكيل المبدئي للأحوال النفسية والعادات والتقاليد المشتركة لمسلمي الصين، على بداية الشروع في عمليتَيْ تصيين الإسلام وتوطينه، وهذا التشكيل لا يمكن فصله عن التغيرات في السياسات الدينية والقومية من عصر أسرة يوان إلى أسرة مينغ الملكية.

فبعد تأسيس أسرة مينغ، انخفضت المكانة الاجتماعية لمسلمي السيمو انخفاضًا نسبيًا، فتملَّك مسلمي الهوي عامةً شعورٌ بالتفرقة، والتمييز العنصري، وبدؤوا إظهار ردود أفعال غير عادية لمن يجرح مشاعرهم من أية قومية أخرى.

ومن ثم، بدأ هؤلاء المسلمون الذين يتكونون من مختلف القوميات في التجمع بشكلٍ عفويٍ تلقائيٍ، من أجل أن يتكيفوا في البيئة الاجتماعية لأسرة مينغ. وقد قال جو يوان جانغ: "إن التجمع، وتبادل المعتقدات، والتقاليد، والتعليم والتعلم من السلف، يضمن الانصهار في أجواء الصين". فيشير بذلك إلى بَدْء تعزيز الوحدة الداخلية بين مسلمي الهوي، مسايرةً مع أعداد السكان المتزايدة من المسلمين باستمرار، والتطورات المستمرة في جميع سياسات أسرة مينغ القومية والدينية وسياسات التعامل مع المناطق الغربية.

في بعض سجلات أسرة مينغ الملكية، بدأنا نرى بعض الأمثلة على تجمع المسلمين وتبادلهم للمساعدات فيما بينهم، لا سيما تلك التي تُظهر تبادلهم العناية والرعاية والاهتمام في أثناء ترحالهم، ولقد تم اكتشاف تلك السجلات حديثًا، إذ لم يُسبق الاطلاع عليها قبل ذلك؛ على سبيل المثال "العطية عنوانهم، يتبادلون ما لديهم خلال سفرهم،

حتى ينفد خلال مسافة طويلة، "يمنّ الله على عباده، ليذهبوا إلى العاصمة، وخلال الرحلة، يتبادل كل مسلم ما معه مع أخيه المسلم، كعطايا كبار الموظفين والحكام"[٦٠]، وثمَّة أيضًا القول الشعبي: "عندما يتقابل المسلمون سواء كانوا صغارًا، أو كبارًا، أو شبابًا، أو شيوخًا، أو نساءً، أو رجالًا، يُحيون بعضهم البعض بمحبة وود". وخلال مرحلة ترابط مسلمي الهوي واتحادهم، أصبح الإسلامُ رابطًا، وسياسةُ الظلم والقهر لأسرة مينغ الملكية مع أهل السيمو دافعًا ومحركًا لهذا الترابط.

وباعتباره دينًا وافدًا على الصين، نجد العادات والتقاليد المشتركة لمسلمي الصين مصبوغة بصبغة إسلامية. لكن نظرًا لانتشار مسلمي الهوي بجميع أنحاء الدولة، وسكنهم مع جميع القوميات الأخرى، لم يكن ثمَّة مفر من عدم التأثُّر بثقافة باقي القوميات وعاداتها وتقاليدها، لاسيما قومية الهان.

وكان أبرزُ ما تأثروا به نظرياتِ الكونفشيوسية ومبادئها التي يلتزم بها أهل قومية الهان، فاستوعب المسلمون تلك النظريات، ليكوِّنوا حالة "تتطابق فيها عادات المسلمين وتقاليدهم في الصين بشكلٍ كبيرٍ مع تعاليم الكونفشيوسية، وبالرغم من أنهما يختلفان قليلاً، إلا أن جزءًا كبيرًا متشابه فيما بينهما"[٧٠].

بالإضافة إلى ذلك، قد منعت حكومة أسرة مينغ الملكية أهل منغوليا الداخلية، ومسلمي الهوي المُقيمين في المناطق الداخلية بالصين، من ارتداء ملابسهم القومية، واستخدام أسمائهم القومية، ولم تسمح لهم بالزواج من بعضهم البعض، وحثتهم على تغيير عاداتهم وتقاليدهم. وخلال تشكيل العادات والتقاليد، كان تصيينُ الملابس البداية؛ فنجد أن تعداد سكان مسلمي الهوي قليل جداً وسط تلك العائلات القومية الصينية التي تُعد قومية الهان جزءًا رئيسيًا منها، لذلك تأثر المسلمون بعادات قومية الهان وتقاليدهم بوعي وبغير وعي، حتى تشابهت تدريجيًا ملابسهم التي يرتدونها في حياتهم اليومية مع ملابس الأهالي المحليين من قومية الهان.

ومنذ بداية أسرة مينغ الملكية، كانت ملابس مسلمي الهوي مماثلة بشكلٍ أساسي لملابس أهل قومية الهان، تمامًا كما قال ليو جي: "الزي الصيني التقليدي قديمًا وحديثًا، يختلف باختلاف العصور، والأماكن، لكن جميع المناطق تتبع الدولة، ولا بد أن تلتزم بزيها".

◆ تصيين اسم العائلة:

في عصر أسرة يوان، كان إلى جانب انتشار الألقاب الصينية التي كثر استخدامها بواسطة مسلمي الهوي، فإن غالبية الناس لديها اسم ديني واحد فحسب (إما باللغة العربية، أو باللغة الفارسية، أو باللغة التركية). وفي نهاية أسرة يوان الملكية، بدأت الألقاب الصينية تظهر بكثرة بين المسلمين.

فكان هذا انعكاسًا ملموسًا لبَدْء تكيف مسلمي الهوي مع البيئة الاجتماعية، خلال مراحل تواصلهم مع القوميات الأخرى.

وفي بداية تأسيس أسرة مينغ الملكية، تم تحديد بعض السياسات، تمنع أهل منغوليا والمسلمين من تغيير ألقابهم، كي تستطيع أسرة مينغ التمييز بين أهل قومية الهان، والقوميات الأخرى. لكنْ تخلت حكومة مينغ الملكية عن هذا القرار بعد فترة قصيرة، ودعمت المسلمين لتغيير ألقابهم إلى ألقاب صينية، مما ساعد على ظهور تصيين كامل وشامل لألقاب مسلمي الهوي في عصر أسرة مينغ الملكية. وخلال عملية تصيين ألقابهم، كانت بعض الألقاب تُهدى من الإمبراطور إلى مسلمي الهوي من الطبقة العليا أو كبار الشخصيات، والبعض الآخر كانوا يطلقونها على أنفسهم. وهاتان الطريقتان تنقسمان أيضًا إلى استخدامين؛ إما أن يختار الشخص كما يحلو له من الألقاب الصينية التقليدية، وإما أن يستنبط كلمة من لقبه القومي الأصلي، ليكون لقبًا له منه، فعلى سبيل المثال، نرى أن الأسلاف الأوائل لعائلة باي تشونغ شي من جوي لين قد غيَّروا لقب عائلتهم إلى (باي)، فكانوا قد أخذوا كلمة (بو) من اسم (بو دو الدين) الجد الأول لهم، وطوروه حتى سار (باي).

ولقد ذكر باي تشونغ شي في المذكرات العائلية: "إن أحد أهالي قرية وي في الريف الجنوبي لبلدية جوي لين، بغرب جوانغ دونغ. وطبقًا لما جاء في سجلات أسرة باي، فإن بو دو الدين – التابع لقومية الويغور – قد نجح في أعلى الامتحانات الإمبراطورية في عصر أسرة يوان، وأصوله كانت من شعب بلدية جيانغ نينغ بمناطق جنوب نهر اليانغستي، يقطن داخل البوابة الغربية النهرية. وفي العام الثالث من عهد جي يوان، ذهب بصفته نائب سفير إلى غرب جوانغ دونغ، وبعد أن تولى منصبًا بها، استقال من وظيفته الحكومية، وعاد إلى موطنه". "وفي عهد حفيده الثاني القائد بو لينغ، أرسل القائد في العام الثالث من عهد خونغ وو مرؤوسيه الرسميين تباعًا خارج العاصمة، ليستولوا مرة أخرى على غرب جوانغ دونغ. كما دخل يونغ تشينغ، ويونغ شيو وغيرهما من إخوة لينغ جوانغ دونغ أيضًا، لذلك تُعد أصولهم من جوي لين".

"وطبقًا للسجلات، فإن الإمبراطور تاي زو، إمبراطور أسرة مينغ، أوقف استخدام شعبه للألقاب الأجنبية، لذلك تم تغيير (بو) إلى (باي)، ومن ثم جاء لقب عائلة باي".

وعلاوة على ذلك، بعد إعلان بعض الأهالي من قومية الهان دخولهم في الإسلام، انصهرت أيضًا ألقابهم وأسماؤهم الصينية بين مسلمي الهوي، فعلى سبيل المثال، هناك لي جي الجد الأول للمفكر المشهور لي جي، قد ذهب لي جي هذا إلى بلاد فارس لمزاولة التجارة في العام التاسع من عهد خونغ وو، وهناك تزوج إحدى المسلمات، "تكيف مع عاداتهم وتقاليدهم، لكنه لم يغير من عاداته وتقاليده، وكثر نسله، وهم الذين يتبعون الإسلام، لذلك أُطلق على نسله مسلمو أسرة لي".

◆ تطبيع عادات المأكل والمشرب:

إن الطعام الرئيسي لكلٍّ من مسلمي قومية الهوي وأهالي قومية الهان متماثل، والاختلاف ليس إلا في تناول أنواع من اللحوم، وشرب الخمر، وغير ذلك. وأصول محرمات المأكل والمشرب تعود إلى التقاليد القديمة وتعاليم الإسلام في مناطق غرب آسيا.

وقد أصبح تحريم لحم الخنزير، ولحم الميتة، وشرب دماء الحيوانات وغيرها، من عادات الحياة وقوانينها للمسلمين في عصر أسرة مينغ الملكية.

◆ تشكيل لغة مشتركة للمسلمين:

قبل عصر أسرة مينغ الملكية، كان ثمَّة نظام ثنائي اللغة يستخدمه المسلمون بشكل كبير، أي أنهم كانوا يتحدثون باللغة القومية فيما بينهم، كاللغة العربية، واللغة الفارسية، وغيرهما، بينما يتحدثون باللغة الصينية في المناسبات العامة. فتغيرت تلك الظاهرة تدريجيًا في الفترة التي تسبق أسرة مينغ. والأسباب وراء ما حدث كانت لها علاقة بفرض حكومة مينغ شروطًا قاسية على سكان المناطق الشمالية والغربية؛ كعدم استخدام لغتهم الخاصة، وارتداء ثيابهم الخاصة، والتزيّن بزينتهم الخاصة، لإسراع عملية تحويل المسلمين من التحدث بلغتين إلى لغة واحدة هي اللغة الصينية، ولها علاقة كذلك بالإقامة طويلة الأجل لمسلمي الهوي في الصين، التي أدت إلى أنهم فقدوا بيئة اللغة الأجنبية وظروفها، فمن ثم رأينا تواري كلٍّ من اللغتين العربية والفارسية عن ساحات التواصل بين مسلمي الهوي، لتصير اللغة الصينية اللغة الوحيدة التي يستخدمها مسلمو الهوي في حياتهم اليومية. وعلاوة على ذلك، تم تشكيل الطقوس والشعائر الخاصة للمسلمين في الزواج والدفن.

◆ بداية تشكل السمات الاقتصادية والتجارية لمسلمي الصين:

كانت أغلبية المسلمين الذين جاءوا إلى الصين في عصر أسرة تانغ وفترة الخمس ممالك تزاول الأعمال التجارية، لذلك كانت تتمتع بسمات ومؤهلات تجارية. وظل بعض سفراء هؤلاء المسلمين في الصين، من منطلق تجاري أيضًا، فتلقى هؤلاء السفراء عناية واهتمامًا شديدَيْن من البلاط الملكي خلال إقامتهم في الصين. لكن لم تتحمل أسرة تانغ الملكية أعباء هؤلاء السفراء، فقامت بتصفيتهم، من أجل تخفيض الأعباء الاقتصادية. وبحلول عصر أسرة يوان الملكية، كانت غالبية المسلمين القادمين إلى الصين يتبعون الجيش، فهم جنرالات، أو جنود، أو نجارون.

ووصولاً إلى نهاية أسرة يوان، أدى استقرار سياسات استيطان الجيش الأحمر من الحراس الشخصيين، والكشافة وتوقف الحروب، إلى أن بدأ المسلمون الصينيون مجتمعًا يتخذ من الزراعة مصدرًا رئيسيًا للدخل، ومن باقي الصناعات الأخرى صناعات تكميلية. وأهالي قومية الهوي هم من بدؤوا الدخول في مجال الزراعة هذا تدريجيًا، خلال عملية استصلاح الأراضي وزراعة الحبوب الغذائية على نطاق واسع في عصر أسرة يوان.

وبحلول عصر أسرة مينغ، ازدهر تطور الأنشطة الزراعية لمسلمي الهوي، وأصبح الاقتصاد الزراعي والرعي الأساسَ والمصدر الرئيسيَّ لمجتمع الهوي. وتلك هي زاوية رؤية هامة للبحث في تطور الإسلام في الصين.

وفي عهد جو يوان جانغ، منحت الحكومة امتيازات لأهل منغوليا، والسيمو، على الأنشطة الزراعية والرعي، إذ "تكبد العامة من الشمال، وأهالي منغوليا والسيمو الخسائر وسوء الإدارة على مدار سنوات متتالية بسبب الحروب، لكن بعد أن تبعوا الدولة، اتجه الجميع إلى الزراعة، وتربية جميع أنواع الأغنام والخيول والبهائم ورعايتها، وتلك كانت سياسة رسمية دائمة".

وبعد عهد جو يوان جانغ، ظلت تلك الامتيازات موجودة ولم يتم إلغاؤها، وفي العام الثاني من عهد خونغ جي (١٤٨٩ ميلاديًا) تم إعلان بيان ينص على أن كل من جاء إلى الصين من المناطق الغربية وغيرهم "تتمتع أسرهم بكاملها بالامتيازات". "ومن الآن فصاعدًا يتم منح الامتيازات إلى الجميع كالعادة، عدا أبطال هوي الأوائل، إذ ستُمنح الامتيازات لأبنائهم وأحفادهم المشهورين وتلك كانت سياسة رسمية دائمة"

وفي عصر أسرة مينغ الملكية، شجعت الحكومة مسلمي الهوي على ممارسة الزراعة والرعي، وإلى جانب إعفائهم من الضرائب والسخرة، خصصت لهم أيضًا الأراضي الزراعية، والحقول العشبية، وزودتهم بالحبوب الزراعية، وأدوات الفلاحة، وبنت لهم البيوت فيها، وغيره.

هذه السياسات والإجراءات، أفادت تطور الزراعة وتربية الحيوانات في عصر أسرة مينغ الملكية من جانب، ومن جانب آخر دفعت مسلمي الهوي للمشاركة بإيجابية في عمليات استصلاح الأراضي الزراعية التي كانت تبادر الحكومة في عصر أسرة مينغ الملكية بالعمل بها، مما قدم إسهامات لتطوير الزراعة والرعي بالصين. على سبيل المثال، كانت مناطق كثيرة كمناطق جان سو، ونينغ شيا، وتشينغ خاي وغيرها، مناطق قفر بور، لكن في ظل جهود أهالي الهوي المسلمين، أصبحت تلك المناطق بحلول العام الثاني والعشرين من عهد خونغ وو (١٣٨٩ ميلاديًا) مناطق غنية بالحبوب الغذائية.

في ذلك الوقت، كانت ثمَّة وثيقة رسمية يتضح بها تآمر الموظفين والجنود في جوانغ ليانغ، وخه جو، وتاو جو، ومين جو، وشي نينغ، وليانغ جو، ونينغ شيا، ولين تاو؛ بدفع رزمتين، كل رزمة بألف جنيه ومائة ورقة مالية كل شهر، تدفع الخيالة النصف، أما المشاة فتدفع المبلغ بالكامل.

وكان النظام القديم ينص على تخزين البهائم، والملح والحبوب الغذائية لشحنها إلى حماة ليانغ جو، ويشحن التجار كيسَيْن من الأرز، والموظفون يقدمون الملح، بينما في كل شهر يتم تقديم عشرة آلاف من الحبوب الغذائية، ليتناول أفراد الجيش والشعب حبوب الدخن والقمح، ويأكلون الأرز، فتنخفض أسعار الأرز، ليصل كل ستين كيلو إلى خمسمائة ورقة مالية، ثم تُقدم لهم الأموال.

"وإلى جانب مشاركة مسلمي الهوي المدنيين في استصلاح الأراضي، شارك أيضًا الجيش الأحمر من الحراس، والكشافة من المناطق الغربية، في استصلاح الأراضي البوار التي كانت تقوم الوحدات العسكرية باستصلاحها، وفي العام الثلاثين من عهد خونغ وو (عام ١٣٩٧ ميلاديًا) قال جنرال حامية المناطق الشمالية الغربية: "في ليانغ جو وغيرها قام كل عشرة حماة باستصلاح أرض زراعية، فقد استصلح أكثر من ٣٣ ألفًا و٥٠٠ جندي نحو ١٦ ألفًا و٣٠٠ هكتار من الأراضي الزراعية"، فازدهر استصلاح الأراضي هذا لسنوات متتالية".

وفي يوننان، حقق أهل الهوي إنجازات هائلة في مجال استصلاح الأراضي، وكان الجنرال المسلم الشهير مو ينغ يحرس يوننان، قال: "تم إنجاز جميع الأمور، واتباع التعليمات، والفروض الزراعية، وكانت النتيجة أن زادت الأراضي الزراعية حتى وصلت إلى مليون مو(وحدة قياس صينية ١مو = ٦٦٦,٦٧ مترًا مربعًا)".

أما ابنه مو تشون فقال: "خلال سبع سنوات في المدينة، آتت سياسة استصلاح الأراضي ثمارها مع أكثر من ٣٠٠ ألف مو"[14]. وعندما زار الرحالة الشهير شو شيا كه، في أواخر عصر أسرة مينغ الملكية، يوننان، نال اهتمامًا ورعاية من أصحاب المزارع والأغنياء من الهوي، فسجل في مذكرات رحلاته أن مزارع هؤلاء الأغنياء من الهوي كبيرة وواسعة جداً، وأن بها مسجداً، ومبنى مكتبياً، بالإضافة إلى جسر صغير أعلى ماء متدفق كمناطق جنوب نهر اليانغستي.

وجاء في السجلات، أن مسلمي يوننان ربما يكونون مثالاً على امتزاج الثقافة الإسلامية مع الثقافة الصينية. وخلال مراحل جهود مسلمي الهوي القصوى لاستصلاح الأراضي، أدخلوا أيضًا المحاصيل الزراعية بالمناطق الغربية ومناطق غرب آسيا إلى الصين، فاشتهرت كلٌّ من الحبوب، والشمام، والكمثرى التي تم إنتاجها في المناطق التي يقطنها أهل الهوي من قانسو في عصر أسرة مينغ الملكية"[15].

وخلال عملية استصلاح مزارعي الهوي الأراضي الزراعية، توارثوا اهتمامهم بالمراعي وتربية الحيوانات في المناطق الغربية وغرب آسيا، نظرًا لحاجتهم الحياتية إليها[16]. في عصر أسرة مينغ الملكية، أصبح اهتمام مسلمي الهوي بكلٍّ من الزراعة والرعي واسع الانتشار، كما استمر حتى يومنا هذا، ليصبح تقليداً اقتصادياً هامًّا للمسلمين في مجال الزراعة بالصين.

وإجمالاً في القول، فإن الإنجازات التي حققها المسلمون الصينيون في عصر أسرة مينغ الملكية، في مجالي الزراعة والرعي، أرست الأسس للصناعات الحرفية اليدوية، والتجارة لمسلمي الهوي، بل حتى لتطوير مجتمع المسلمين الصينيين بأكمله.

ولقد تشكّلت السمات الأساسية للصناعات الحرفية اليدوية لمسلمي الصين في عصر أسرة مينغ الملكية. وكانت تتضمن بشكلٍ رئيسي الجزارة، وصناعة الجلود، والعقاقير، وتصنيع العطور، والخزف، إلى غير ذلك من حرف.

وتُعد كلٌّ من الجزارة وتصنيع الجلود من الحرف التقليدية لمسلمي الصين، فقد جاء في سجلات عصر أسرة مينغ الملكية أن جو جوه جن - علّامة أسرة مينغ - قال في (قصص السارية العمودية): "يقطن عدد كبير من مسلمي الهوي في شوارع شوان ده من واي الكبرى، يقتاتون من ذبح الأبقار". لم توفر الأبقار والأغنام التي يذبحها مسلمو الهوي الطعام للمسلمين المحليين فحسب، بل قدمت الإمدادات أيضًا لأهل قومية الهان، فقد أسهمت الجلود التي كان يتم إنتاجها في تطور صناعة الجلود. ومن ثم، صارت الجزارة وصناعة الجلود هيكلَيْن اقتصاديين هامين ومصدرين لعيش أهالي الهوي. وفي شوارع شوان ده من واي الكبرى ببكين في عصر أسرة مينغ، كان عدد من يعملون بذبح الأبقار من أهالي الهوي أكثر من عشرات الآلاف[17].

أما صناعة العطور، فقد ارتبطت بالتجار العرب والفرس الذين كانوا يأتون إلى الصين منذ عصر أسرة تانغ الملكية ويتاجرون فيها، ويُعد كلٌّ من "بيت لي للعطور"، و"محل عطور ماغنوليا" محلَّيْن شهيرين للعطور التجارية. أنشأهما أهالي الهوي في عصر أسرة مينغ الملكية.

ولقد شكّلت علوم الطب العربية والفارسية التي أتى بها المسلمون إلى الصين منظومة الطب والأدوية وصناعة العقاقير لأهل الهوي في الصين، فقد بدأ دهان وانغ هوي وأقراص ما سي يوان المخدرة تنتشر في عموم البلاد منذ عصر أسرة مينغ الملكية.

أما بالنسبة لتصنيع الخزف في عصر أسرة مينغ الملكية، فبدايةً ظهر "الخزف الأزرق الإسلامي"، وكانت ثمَّة كتابات عربية وزخرفة ذات صبغة إسلامية أعلى التصميم الخزفي.

فقد اشتهر العرب والفرس ببراعتهم في مزاولة التجارة. فالوافدون في عصر أسرة تانغ كان أغلبهم من التجار المسلمين الذين يأتون إلى الصين. وفي عصر أسرة مينغ الملكية، تم فرض حماية تجارية على أنشطة أهل الهوي التجارية. ففي العام الخامس والعشرين من عهد خونغ وو في عصر أسرة مينغ الملكية (١٣٩٢ ميلاديًا)، أعلن جو يوان جانغ تعليماته قائلاً: "إن مسلمي الهوي من الممكن أن يتاجروا في جميع المحافظات والبلديات والأقاليم، من خلال المعابر، والممرات، وغير مسموح بممارسة سياسة الانغلاق التجاري"[18]. ومقارنةً بعصر أسرة يوان، فقد شهدت الأنشطة التجارية لأهالي الهوي، في عصر أسرة مينغ الملكية، تطورًا جديدًا، وسمات جديدة هائلة؛ هي:

أولاً: اتساع نطاق الأنشطة التجارية لمسلمي الهوي:

فقد أنشأ مسلمو الهوي في عصر أسرة مينغ الملكية مناطق تجارية عدةً في مناطق الشمال الغربي، وشمال الصين، والجنوب الغربي، وشرق الصين، وأواسط الصين، وشهدت أنشطتهم التجارية في كل منطقة ازدهارًا وتطورًا كبيرًا، ومن ثم ظهر التبادل التجاري المتكرر بين جميع تلك المناطق، حتى كونت بعض الطرق التجارية الرئيسية، والأسواق التجارية، والمحافل التجارية، كما تشعبت تلك الأنشطة لتصل إلى أرياف، ومناطق حدودية نائية.

ثانيًا: ظهور خاصية اللامركزية للأنشطة التجارية:

أصبح التجار الصغار والمتوسطون الكيانات التجارية الرئيسية في عصر أسرة يوان الملكية، ويتمتع السيمو بما فيهم المسلمون بحقوقهم السياسية والاقتصادية كاملةً، لذلك ظهر عدد كبير من الأماكن التجارية الغنية.

وبحلول عصر أسرة مينغ، كان الحكام يدعمون الأنشطة الاقتصادية والتجارية، لكنْ بدأ عدد كبير من الأنشطة الاقتصادية والتجارية لمسلمي الهوي في التقلص؛ بسبب فقدان الامتيازات السياسية والاقتصادية؛ وفي الوقت ذاته، نظرًا لأن الهيكل الاقتصادي

في عصر أسرة مينغ الملكية كان يعد هيكلاً اقتصاديًا لصغار المزارعين الذين يتميزون بالاكتفاء الذاتي، وكان اقتصاد الأسواق الصغيرة التي تتميز بالمحلية يحتل مركز القيادة.

وفي ظل تلك الظروف، شهد المسلمون في أسرة مينغ الملكية ظهور التجار الصغار والمتوسطين، وأنشطة تجارية ذات نطاق صغير ومتوسط، يقودها بشكلٍ رئيسيٍّ صناع وتجار، أو فلاحون وتجار مسلمون، واتخذت تلك الظاهرة من صغار التجار تيارًا رئيسيًا لها. وقد جاء في (سجلات قاعة تاو جو): "كانت تاو جو تعج بسكانها من الهوي، ولم يكن أحد منهم بلا تجارة، أو زراعة".

ثالثًا: الارتباط الوثيق الذي كان يحدث تدريجيًا بين أنواع السلع التجارية والحياة اليومية للمسلمين

قبل عصر أسرة مينغ الملكية، كان التجار المسلمون يتاجرون بشكلٍ رئيسيٍّ في الأحجار الكريمة، والمجوهرات، والعطور، والعقاقير، وأوراق الشاي، وفي شحن الماشية، إلى غير ذلك من أنشطة تجارية هائلة. وبعد تأسيس أسرة مينغ، تم فرض سياسة الاحتكار لبيع عدد كبير من السلع، لضمان الدخل الضريبي للحكومة، فعلى سبيل المثال، أنشأت أسرة مينغ الملكية شركات لنقل الشاي بالخيول خصيصًا لغرض الاحتكار، وقامت بتنفيذ "نظام الماركة الذهبية"[19]، ومنعت – بشدة – التجارة الخاصة للشاي بالخيول.

وبعد أن قامت الحكومة باحتكار تلك الكميات الهائلة من التجارة، والسلع التجارية، لم يكن للمسلمين بدٌّ من أن يبحثوا عن فرص تجارية أخرى في ميادين تجارية ليست بها امتيازات، لذلك تحولت أنواع السلع التي يتاجرون فيها لتصبح في مجالات تجارية وثيقة الصلة بالحياة اليومية للمسلمين، كبيع لحوم الماشية والأغنام، والمأكل والمشرب، والمعاطف الجلد والفراء، بالإضافة إلى منتجات الحرف اليدوية، إلخ.

(إن ظهور هذه السمة وتكوُّنها يدلان على السمات القومية للمسلمين الصينيين، خاصة قومية الهوي).

رابعًا: التقلص التدريجي للتجارة الخارجية:

بعد تأسيس أسرة مينغ الملكية، كان الحكام يمارسون سياسة الانغلاق في التجارة الشعبية الخارجية، إذ أعلنوا: "يُحظر على سكان المناطق الساحلية السفر خلسة عن طريق البحر". وبالرغم من أن أسرة مينغ الملكية قد اتبعت النظم القديمة لأسرة تانغ الملكية، وأسست مكتبًا للشحن الخارجي يهتم بالتجارة الخارجية، إلا أنه كانت مهامه الوظيفية الرئيسية كشف الأمور، وقمع التجار لمنع جميع أنشطتهم قانونيًا، من أجل الحد من مخاطرهم[٢٠]. فسيطرت حكومة مينغ على التجارة الخارجية بإحكام شديد من خلال مكاتب الشحن الخارجي، وقيدت كميات التبادلات التجارية وأنواعها، بينما لم تدفع التجارة الخارجية نحو مزيد من التقدم. لذلك، فلم يكن في استطاعة مسلمي الهوي الذين يعملون في التجارة الخارجية بكميات هائلة سوى أن يبدلوا أنشطتهم التجارية ليعملوا في مجالات تجارية محلية.

لم يؤثر توقُّف التجارة الخارجية على المسلمين ليتحولوا إلى تجار محليين بعد أن كانوا قوة دفع رئيسية في التجارة الخارجية فحسب؛ بل فصل المسلمين الصينيين عن تطور الإسلام خارج البلاد أيضًا، ومن ثم دخل المسلمون الصينيون مرحلة جديدة تتميز بالتحسين، والدمج، والتطوير، من خلال جهود ذاتية. مما كان له أبلغ الأثر على تشكيل سمات الإسلام في الصين.

◆ بداية تطور توطين الإسلام في الصين:

نال عدد كبير من مسلمي الهوي ثقة واهتمامًا من جو يوان جانغ، الذي أعاد توظيفهم في عدد من المناصب، خلال حروبه للإطاحة بأسرة يوان الملكية، وحروبه لإبادة أمراء الحرب الانفصاليين، فحققوا إنجازات عسكرية عظيمة، حتى أن بعضهم أصبحوا رجال دولة عظماء، ساعدوا في تأسيس أسرة مينغ الملكية، أمثال دنغ ده شينغ من مقاطعة دنغ يوان بآن خوي من مسلمي الهوي (١٣٢٧ – ١٣٦٦)، وخو دا خاي من

مقاطعة خونغ شيان بآن خوي من قومية الهوي (؟~١٣٦٢ ميلاديًا)، وتشانغ يو تشون من خواي يوان بآن خوي من قومية الهوي (١٣٣٠ – ١٣٦٩) إلى غير هؤلاء من جنرالات مشهورين.

وفي عهد الإمبراطور تشنغ زو إمبراطور أسرة مينغ الملكية، أعاد توظيف مجموعة من مسلمي الهوي أيضًا، وكان من بينهم جنغ خه، أشهر سفير وبحار في ذلك الوقت (١٣٧١ – ١٤٣٤ ميلاديًا). لذلك، قامت أسرة مينغ كالعادة باتخاذ سياسات تعزز استغلالها وحمايتها للدين الإسلامي، بالرغم من القمع والضغط اللذين تمارسهما ضد الحقوق السياسية لأهل السيمو، وذلك انطلاقًا من حاجتها للدفاع عن الحكم. كما تواردت أنباء تفيد بأن جو يوان جانغ قد كتب مقالًا قصيرًا بعد فترة قصيرة من جلوسه على العرش، يمدح فيه الإسلام، وسيدنا محمدًا (صلى الله عليه وسلم) رسول الاسلام[١].

وفي الرابع عشر من الشهر الثالث للعام الخامس والعشرين من عهد خونغ وو (١٣٩٢ ميلاديًا) نُشر مرسوم إمبراطوري جاء فيه: "تُوزَّع أهالي الهوي على منطقتين، ويُبنى مسجدان"[٢]. ولقد تم إصدار مراسيم إمبراطورية لحماية الإسلام أيضًا في عصور الأباطرة اللاحقة، كالإمبراطور شي زونغ والإمبراطور تشنغ زو إمبراطور أسرة مينغ الملكية، فعلى سبيل المثال، أصدر الإمبراطور شي زونغ مرسومًا قال فيه: "لكي ينتشر الإسلام في عموم البلاد، ينبغي على رجال الدين في جميع المقاطعات احترام هذا الدين الوافد، ولا بد من بناء المساجد في كل مكان، وتدفُّق نسبة من المسلمين إلى العاصمة"[٣].

وأكد تشنغ زو أيضًا: "إن دين محمد[٢٤] دين يهدف إلى الخير، ويرشد الناس كي يكونوا طيبين وصادقين، وأن يؤمنوا بالقدر، ويكتسبوا الولاء والإخلاص، وأن يفعلوا الخير قدر إمكانهم، وثمَّة أمور صادقة جيدة جديرة بالثناء"، "فلا ينبغي على الموظفين والعسكريين والمدنيين وجميع الناس إهانة أحد أو التطاول عليه. فإذا جرؤ أحدهم على فعل هذا، فإنه بذلك قد ارتكب خطأً".

احترمت حكومة أسرة مينغ الملكية الإسلام من منطلق مبدأ "الإيمان بالقدر، والولاء

والإخلاص". فحماية مبادئ الإسلام، شجّعت على بروز مبدأ "الإيمان بالقدر" الذي يُعد أحد مبادئ الإسلام، وأن هذا الجانب ذاته يحمل معاني التسليم بالتوجه إلى تصيين الإسلام، والإخلاص والولاء للبلاط الملكي.

وفي الوقت ذاته، ظلت المبادلات بين المسلمين الصينيين والخارج تتقلص تدريجيًا، في ظل سياسة الباب المُغلق التي تمارسها حكومة مينغ، علاوة على ذلك استمر تصيين اللغة، والملابس، وغيرها من السمات التي تميّز المسلمين الصينيين، وبرزت مسألة عدم الاهتمام بالوعي الديني إلى حد ما، وفي الحقيقة، واجه الإسلام في الصين حالة من الانهيار المستمر في ذلك الوقت. إذ "انتشر الإسلام بين الصينيين، إلى أقصى الشرق، لكن النصوص القرآنية كانت غير كافية، والتراجم والشروح غير واضحة، والتفاسير قليلة[6]، "حتى تم التعرف عليه، وتبع الناس هذا الدين دون قلق أو تردد".

فكانت ثمّة براعة في الكتب المقدسة، لكن تم تسجيل إشاعات وتناقلها فحسب. فقد انتشرت تلاوات قليلة من التوراة، ومناقشات ضئيلة وقتية، وأناشيد محض افتراضات، صدمت الناس.

أخذ الجاهلون تلك الإشاعات على أنها قاعدة، وظنوا أنها حقيقة، بينما لم يعرفوا كيفية الرجوع عنها. ومن ثم، تابعوا على أساس خاطئ، لكنهم لم يؤثروا على أهل دول الجوار، لم يرغبوا في تفسير الدين، لكنه انتشر أكثر وأكثر"[7]. لذلك، فإن ظاهرتَي "الأناشيد الافتراضية"، و"البناء على أساس خاطئ" في الإسلام في عصر أسرة مينغ الملكية أثارتا قلق بعض المسلمين واهتمامهم، ممن لديهم فكر وبُعد نظر.

وفي ظل احترام حكومة مينغ الملكية مبادئ الإسلام، شعُر بعض المسلمين بالصين بضرورة الإصلاحات الجذرية للدين الإسلامي وأهميتها، لكن، نظرًا للصعوبات التي كانوا يواجهونها في المبادلات مع الخارج، بدؤوا تجربة تفسير الكتب المقدسة في الإسلام باستخدام لغة الكونفشيوسية وطرقها، وذلك لإيجاد حل لمشكلة "قلة النصوص القرآنية، وندرة العلماء، وعدم وضوح التراجم والتفاسير".

يُعد تشنغ سي العالم من قومية الهوي من جي نان بشان دونغ أول من قام بهذا؛ ففي العام السابع من عهد جيا جينغ بأسرة مينغ الملكية (١٥٢٨ ميلاديًا) كتب (النسخة الثانية)، إذ استخدم الحبكة، والآراء المذكورة في (رسم تخطيطي لنهاية الكون) لجو دون إي، وفسر تعاليم الإسلام ومبادئه.

وفيما بعد، حاول خو دنغ جو المسلم الشهير من الهوي (١٥٢٢ - ١٥٩٧ ميلاديًا) - بشتى الطرق - طلب العلم من المسلمين العرب[8]. فما أسسه من تعليم ديني قد أنشأ عددًا كبيرًا من الكوادر، أشهرهم خاي ون شوان، وانغ داي يو، وما تشوان، وليو جي، وغيرهم. فما قام به خو دنغ جو أرسى قواعد ترجمة الكتب المقدسة إلى الصينية، وتصيين الإسلام للأجيال اللاحقة.

إن ظهور نسخ القران المُترجمة إلى الصينية كان لحل مشكلة صعوبة فَهم غالبية المسلمين الصينيين معانيَ القرآن والحديث في ذلك الوقت، بسبب عدم فَهمهم اللغةَ العربية، واللغة الفارسية. بينما لم تتم إعادة ترجمة القرآن في الإسلام باللغة الصينية، مما أدى إلى الحد من انتشاره. في ذلك الوقت، أدرك الناس أنه إن لم تتم ترجمة القرآن والحديث إلى اللغة الصينية، سيكون من الصعب أن يصبح الإسلام دينًا يعتنقه الناس كافة، بسبب "محدودية انتشاره".

حينها كانت منطقتا نان جينغ، وسو جو، أكثر المناطق الاقتصادية في الصين تقدمًا، كما كانتا مركزين سياسيين بالصين، نشطت أفكار الطبقة البرجوازية بهما، وسخط عدد كبير منهم على نمط الوعي الأيديولوجي القديم. من بينهم كان ثمّة بعض المسلمين الذين بدأوا في ترجمة نصوص دينية، كي يقدموا مبادئ الإسلام ومعتقداته وتعاليمه، ويشرحوها، ويناقشوا الأفكار الفلسفية في الإسلام، فلعب تلميذ خو دنغ جو، وتلاميذ تلميذه، دورًا مهمًّا بين هؤلاء المسلمين، ليصبحوا قادة هذا النشاط الفكري الأكاديمي.

وفي عصر أسرة مينغ الملكية، كان ظهور الجماعات الإسلامية واكتمالها دليلاً هامًّا

على تصيين الإسلام. ولقد تشكّلت الجماعات الإسلامية على أساس فكرة الجماعات الأجنبية التي ظهرت في عصر أسرتَيْ تانغ وسونغ، وبما يتناسب مع نظم الإدارة الاجتماعية لحكام أسرة مينغ.

وبالرغم من أن جو يوان جانغ أكد ثانيةً قائلًا: "طالما أهل السيمو من منغوليا يقطنون أرضي، إذن أعتبرهم من أبناء شعبي، وأهلًا بالمهرة منهم في المشاركة الفعالة في الدولة".[١٠]، إلا أن حكومة مينغ اتخذت سياسة التفرقة والتمييز الصارم حيال أهل الهوي المسلمين الذين يتبعون نطاق حكم أسرة مينغ، بالإضافة إلى التجار الذين يأتون من الخارج إلى الصين للتبادل التجاري، إذ مُنع التجار من دخول المدن، وتم إدراج مسلمي الهوي تحت إدارة الجماعات، والحماة، والولاة الصينيين، لكن نظرًا للحياة الدينية الخاصة التي يتمتع بها المسلمون، استطاعوا تكوين جماعات دينية على غرار تلك الجماعات والحاميات لأسرة مينغ. وثمَّة اختلافات واضحة جدًا بين الجماعات الإسلامية والجماعات الأجنبية في أسرة تانغ، ودور الهِدايا لمسلمي الهوي في أسرة يوان: فالأولى تدير فقط الأنشطة الدينية لمسلمي الهوي، بالإضافة إلى الأنشطة الشعبية، والتعليمية، ولا تتضمن الإشراف الإداري، أو الجنائي، أو الضريبي؛ فهي دائمًا تتخذ من المساجد مراكز لها، وتتميز بنشاط محدود، بينما تتميز الجماعات الأجنبية ودور الهِدايا بأنها حكومية، ومؤسسة من قبل المدينة.

وهي مناطق يقطنها المهاجرون المسلمون من العرب والفرس الذين جاؤوا إلى الصين في عصر أسرتَيْ تانغ وسونغ.

تُدار الجماعات الإسلامية بواسطة هيئة إدارية تتكون من "مساعدين" منتخبين ذوي سمعة طيبة، وتتحمل تلك الهيئة مسئولية ترميم دور العبادة، وتوظيف الأئمة، وتأسيس التعليم الإسلامي، وإدارة المقابر، إلى غير ذلك من الأعمال الجماعية للمسلمين، كما أنها مسئولة أيضًا عن الأنشطة الشعبية والدينية للمسلمين المحليين؛ كالزواج، والجنازات، والمراسم، والاحتفالات، وأعياد الميلاد، والأعياد الدينية كعيد الفطر،

بالإضافة إلى جهود الوساطة التي تبذلها في حل النزاعات المدنية التي لا تمس القانون.

ولقد أدت نظم الجماعات الإسلامية تدريجيًا إلى ظهور نظام ديني ثلاثي الأضلاع في المساجد؛ الضلع الأول الإمام[١١]، ويكون مسئولًا عن الفروض والعقائد الدينية، والثاني المؤذن[١٢]، ويكون مسئولًا عن رفع الأذان والنداء للصلاة، والثالث الخطيب[١٣]، ويكون مسئولاً عن التدريس الديني؛ ويتخذ كل مسجد من علم التوحيد[١٤] عقيدة أساسية له؛ ولا تتبع بعضها البعض، كلٌّ منها مستقل عن الآخر.

وبحلول عصر أسرة تشينغ، دمج مسلمو المناطق الشمالية الغربية بعض وجهات النظر بين الكونفشيوسية والصوفية، على أساس التجمعات الإسلامية، فكونوا منظومة نظرية تتمتع بسمات محلية مختلفة، وعلى ذلك تشكل في النهاية نظام الطرق الصينية الخاصة، واستمر حتى تأسيس الصين الجديدة.

خامسًا: الدين الإسلامي في عصر أسرة تشينغ:

على مدار ٢٩٥ عامًا من حكم أسرة تشينغ، كانت أحوال المسلمين الذين هاجروا إلى الصين في عصر أسرتَيْ يوان ومينغ قد استقرت بشكلٍ أساسي وتزايد أعداد المسلمين في الصين بشكلٍ رئيسيٍّ من خلال التزاوج والتكاثر. وفي هذه المرحلة، تم تشكيل الهيكل الأساسي الذي يتكون من عشر قوميات أقلية تعتنق الإسلام. وفي الوقت ذاته، تكاد انتفاضات المسلمين تشتعل طوال حكم هذه الأسرة الملكية، وذلك نظرًا للسياسات التي اتخذتها حكومة تشينغ في التعامل مع المسلمين.

وقد أدت تلك الأسباب إلى العمل قدمًا نحو تعزيز الوعي القومي، والتماسك الديني بين المسلمين بالصين، ومن ثم كونت في النهاية ثقافة الإسلام في الصين التي تتميز بسمات صينية.

◆ التشكيل الأوليّ للوعي القومي للمسلمين:

كانت المكانة السياسية للمسلمين في عصر أسرة تشينغ متدنية، مقارنةً بما كانت

عليه في أسرة مينغ الملكية. فقبل دخول أسرة تشينغ ممر شانغهاي، لم تكن لها أية صلة بالإسلام. أما بعد أن دخلته، تورط عدد من المسلمين المنتشرين في أرجاء البلاد بدرجات متفاوتة في الصراعات المعادية لأسرة تشينغ، ورفَع مسلمو مناطق الشمال الغربي رايات تؤيد حكم نسل أسرة مينغ، ولوحوا برايات تحمل شعارات "نريد أسرة مينغ، فلتسقط أسرة تشينغ"، مما زلزل عرش أسرة تشينغ الملكية.

وفي تعاملها مع المسلمين الصينيين، اتخذت أسرة تشينغ الملكية سياسات تشبه بشكلٍ أساسيٍّ سياساتها التي تتعامل بها مع قومية الهان، حتى في مناطق الشمال الغربي مكان تجمع المسلمينوقد أكدت أسرة تشينغ مرارًا وتكرارًا للمسلمين معاملتَهم بمساواة، وعدم تمييز، إذ كانت توصي آمرةً الموظفين المحليين ألا يتعاملوا مع مسلمي الهوي بفظاظة وتمييز عنصري، بل ينبغي عليهم التعامل معهم تمامًا كما يتعاملون مع الشعب؛ وألا يتعاملوا معهم كأنهم مرتدون وكفرة، بل ينبغي التعامل معهم برحمة وتدين.

ولا بد من مكافأة من يفعل الخير، ومعاقبة من يرتكب الشرور، فلن يستطيع أحد أن يُدنّي ذا الأخلاق العالية؛ ولا أن يرفع الدنيء، إلا إذا تاب وعاد إلى فعل الخير. كما حذرت أسرة تشينغ قائلة: "لو لم تلتزموا، وأقدمتم على الشرور، وسمحتم بالأنانية، فإن هذا سيكون حماقة، وجهلًا منكم، ولن تريحوا بالتأكيد. وإذا وُجد قانون، فسيسعدنا تغييره".[15]

وفي الوقت الذي تم إنكار الحقوق السياسية للمسلمين الصينيين بشكلٍ قاطعٍ، لم تفرض حكومة تشينغ قوانين محددة على العادات والتقاليد الدينية للمسلمين؛ بل على العكس من ذلك، اتخذت سياسة التساهل عند مواجهة تقارير يستنكر فيها بعض الموظفين المحليين العادات والتقاليد الدينية للمسلمين، فقالت: "مرت سنوات عدة ظهر عدد كبير، مرارًا وتكرارًا، ينادون بازدياد أعداد مسلمي الهوي، بلغتهم وملابسهم المختلفة، يتميزون بالجرأة، والصلابة، أفعالهم جامحة تنافي القانون، لا بد من فرض عقوبات قاسية عليهم، إلى غير ذلك من أحاديث مشابهة، لكننا نعتقد أن مسلمي الهوي

أصحاب دين، حتى أن عادات أسلافهم وتقاليدهم لازالت باقية حتى الآن، إذ يختلفون عن الصينيين في مسقط رأسهم ولغتهم، وأسماء دور عبادتهم، وملابسهم وكتابتهم. ولو كان الجميع قد اتبعوا عاداتهم وتقاليدهم، ولم يرتكبوا آثامًا، أو لم يتهموا الآخرين زورًا، لما كان ثمَّة شك أو قلق حيال دين مسلمي قومية هوي".[16]

شهد بناء الثقافة القومية والدينية لمسلمي الصين تطورًا ملاحَظًا، إذ نمت أنشطة تفسير القرآن الكريم ونهضت اعتمادًا على أفكار الكونفشيوسية التي بدأت في نهاية أسرة مينغ، بالإضافة إلى التعليم الديني، وغيره، وذلك في ظل سياسة حكومة تشينغ في التعامل مع الإسلام، التي كانت تبدو متناقضة. ولقد أدى التعمق في هذين النشاطين إلى بناء منظومة خاصة للدين الإسلامي في الصين في النهاية.

وقد كان السبب في تشكّل هذه المنظومة الخاصة سياسة القمع الديني وتشويه العادات، إلى جانب تطور المجتمع الصيني، إذ شكل هذان العاملان قوة كامنة وظروفًا خارجية لظهور هذه المنظومة الخاصة للدين الإسلامي في الصين.

أولاً: انخرط المسلمون الصينيون خلال فترة طويلة الأجل في الحياة الاجتماعية، وراقبوا عن كثب، واستمدوا الثقافات المتقدمة لجميع القوميات، خاصةً قومية الهان، لذلك كانوا يتمتعون بإمكانات أساسية خلال أسرة تشينغ لتكوين ثقافتهم الخاصة.

ثانيًا: تمتع المسلمون بالصين بأساس اجتماعي مستقر نسبيًا. فخلال مئات الأعوام التي دخل فيها الإسلام الصين، تميز السكان – على اختلاف أشكالهم وألوانهم – بالترابط؛ وذلك بسبب التماسك الذي يُعد سمة الإسلام، لكن ظلت ثمَّة اختلافات عدة بين هؤلاء السكان القادمين من قوميات مختلفة في الثقافة والعادات وغيرها، وفي الوقت ذاته، كانت لديهم القدرات للتطور بمرور الوقت، إذ كوّنوا بصعوبة شديدة تواصلًا اجتماعيًا مستقرًا ساعدهم على التكيف، لذلك فإن العلاقات

الاقتصادية والسياسية الداخلية لمسلمي الصين علاقات متراخية نسبيًا، وما يجمعهم بقوة المعتقدات الدينية فحسب.

وبعد التطور الاقتصادي الذي شهده عصر أسرة مينغ الملكية، أصبحت الزراعة النشاط الاقتصادي الرئيسي لمسلمي الصين، تأتي بعدها التجارة والرعي. وفي عصر أسرة تشينغ، أنهت هذه الأنشطة الاقتصادية المستقرة الهجرة السكانية التي كثرت في الماضي، فبرزت سمة التوطين، مما ساعد المسلمين الصينيين على وضع أساس للتلاحم المجتمعي الداخلي.

ثالثًا: تغيرت طريقة النمو السكاني للمسلمين. فبعد أسرة تشينغ الملكية، انتهى تدفق المسلمين من الخارج إلى الصين، وبالرغم من أن التزاوج بين المسلمين والقوميات الأخرى ظل موجودًا، لكنه لم يعد الطريقة الأساسية التي يعتمد عليها النمو السكاني للمسلمين، إذ أصبح النمو الذاتي للسكان المسلمين بالصين الطريقة الرئيسية لزيادة أعداد سكانهم بالصين. ولقد أثّر تغير طريقة النمو السكاني على الوعي الديني، والقومي، والعلاقات الاجتماعية للمسلمين الصينيين تأثيرًا عميقًا.

وفي عصر أسرة تشينغ الملكية، وتسايرًا مع تحول مفاهيم المسلمين من التزاوج لضم القوميات الأخرى، إلى النمو والتكاثر الداخلي، بالإضافة إلى التطور المستقر للاقتصاد والسكان في المجتمع الإسلامي، تعززت سمات التوطين للعلاقات الاجتماعية للمسلمين تدريجيًا، وترسخ تطور العلاقات الداخلية الاجتماعية للقوميات التي ترابطت وتلاحمت لأسباب دينية يومًا تلو الآخر.

ونظرًا لما تم ذكره سلفًا من أسباب، نجد أنه بعد ترابط وتطور استمرا مئات الأعوام، توحّد المسلمون الصينيون القادمون من أصول وقوميات مختلفة تدريجيًا في الثقافات والعادات إلى غير ذلك من أيديولوجيات فكرية، إذ تفاهموا، ووحدوا هويتهم الذاتية، وأصبح الإسلام الوعي القومي المشترك للمسلمين الصينيين باعتباره الدين الذي يعتنقه الجميع على اختلاف أعراقهم.

وقد عمل نشاط "تفسير القرآن اعتمادًا على الأفكار الكونفشيوسية"، والتعليم الديني اللذان ظهرا لتلبية احتياجات هذا التطور الداخلي لمجتمع المسلمين، على تعزيز هذا الوعي القومي المشترك وترسيخه. ويبدو أن هذين النشاطين كما لو كانا دعوة ونداء للدين الإسلامي ذاته، وقد ظهرا بناء على أنشطة إسلامية ثقافية. لكن كان جوهرهما ترابط ثقافة التيار الرئيسي في الصين وتعزيزها.

ومن ناحية المغزى الديني، نرى أنها حركة ثقافية تسعى إلى وضع معايير للدين الإسلامي في الصين؛ أما من ناحية المغزى الاجتماعي، فهي حركة تكيف اجتماعي قام بها المسلمون الصينيون من أجل تأمين الحياة والتطور في المجتمع الصيني.

كان المضمون الرئيسي لحركة "تفسير القرآن اعتمادًا على الأفكار الكونفشيوسية" التوجه نحو ازدهار مجتمع المسلمين، وتطوير العادات والتقاليد اللغوية للمسلمين الصينيين، إلى غير ذلك من احتياجات، بالإضافة إلى ترجمة الكتب المقدسة في الإسلام من اللغة العربية والفارسية إلى اللغة الصينية، واستخدام المعايير والمفاهيم التقليدية الصينية لتفسير الشريعة والمعتقدات الإسلامية.

فقد عملت تلك الأنشطة قدمًا نحو تعزيز الترابط بين الإسلام والكونفوشيوسية الصينية التقليدية، ولقد قدّم بعض مُنظري الإسلام في الصين إسهامات كبرى في دفع الثقافة الصينية الإسلامية كي تصبح المكون الرئيسي للثقافة القومية الصينية، فحققوا إنجازات واضحة، وذلك في ظل التنسيق والتوحيد بين الإسلام والأفكار الكونفشيوسية، واعتقد المسلمون الصينيون في عصر أسرة تشينغ الملكية، أن الإسلام "بالرغم من أنه مذكور في الكتب السماوية، إلا أنه لا يهين الكتب الكونفشيوسية، ويحترم ما جاء في الكتب السماوية، وأيضًا أديان الرسل والأنبياء الذين ظهروا قبله، وأديان الصالحين[17] جميعها شرقية أو غربية قديمة أو حديثة، تدعو إلى مفاهيم واحدة"[18]، وهذه المقولة تمثل نظرية أساسية في مسيرة تصيين الإسلام وتوطينه. والمضمون الرئيسي للتعليم الديني هو تلبية احتياجات الحياة الدينية، والنمو السكاني السريع للمسلمين، وغير

ذلك، إذ تقام أنشطة تدريبية بشكل مكثف للأئمة داخل بعض المساجد الكبيرة، وقد بدلت تلك الطريقة نظرية تربية الإمام للأب وابنه، التي ظهرت قبل عصر أسرة تشينغ؛ إذ تم تدريب الأئمة على أسس معيارية و أساليب، والتنشئة الاجتماعية، ولم يلعب هذا دورًا مباشرًا في رفع المستوى النظري للدين الإسلامي للأئمة فحسب؛ بل الأهم أنه ساعد في وضع مبادئ وتوجيهات غير مباشرة للأنشطة الدينية والاجتماعية للمسلمين، وذلك من خلال التدريب المعياري للأئمة.

وبعد أن تأثر التعليم الديني بانتشار الطريقة الصوفية، واستمد آراءها، ظهر في النهاية نظام الطرق. وقد أدى تطوره إلى دفع الدين والفئات الدينية كي تحل محل الثقافة والسياسة في مجتمع مسلمي الصين، الأمر الذي أضفى على الدين قوة استقطاب وتأثير غير مسبوقة في مجتمع المسلمين، وحرّك التنظيم المُمنهج في مجتمع المسلمين الصينيين، وعزز التكامل السياسي الداخلي.

وفي مناطق الشمال الغربي – التي تتميز بتطور نظام الطرق – استمر صراع المسلمين دون توقف لمكافحة حكم أسرة تشينغ، وكان السبب الرئيسي وراء ذلك أن القواعد السياسية للمسلمين أصبحت الطرق الدينية. وهذه المسألة لا تزال حتى الآن ذات مغزى تنويري ومرجعي.

◆ تكوين السمات الاقتصادية لمجتمع المسلمين في عصر أسرة تشينغ:

شهد مجتمع المسلمين في مناطق شان شي، وجان سو، ونينغ شيا، في عصر أسرة تشينغ تطورات جديدة. ففي العام السادس والأربعين من عهد تشيان لونغ (١٧٨١ ميلاديًا)، سجّل حاكم شان شي، بالنيابة، على النصب التذكاري ما يلي: "بعد عمل استقصاءات في جميع المناطق التابعة لمقاطعة شان شي، وجدنا أن عددًا كبيرًا من مسلمي الهوي يعيشون في مقاطعات أخرى.

وفي محافظة شي آن وما يتبعها من تشانغ آن، ووي نان، ولين تونغ، وجاو لينغ،

وشيان يانغ، بالإضافة إلى محافظة تونغ جو وما يتبعها من دا لي، وخوا جو، وما يتبع خان جونغ من مدينة نان جنغ، وغيرها، يتجمع عدد كبير من مسلمي الهوي، لذلك بها تكدس سكاني. فعدد أسر المسلمين من قومية الهوي داخل مدينة شي آن لا يقل عن آلاف الأسر، يؤدون صلواتهم وأنشطتهم الدينية في سبعة مساجد داخل المدينة. ويمارس الغالبية العظمى لمسلمي الهوي في شي آن الرعي، والأنشطة التجارية، لذلك يعيش عدد كبير من تلك الأسر حياة رغدة، كما أنهم يشغلون مناصب عسكرية، ومناصب أخرى كبيرة وصغيرة، حتى أنهم يلتحقون بالامتحانات الإمبراطورية ليصبحوا عساكر وجنودًا"[١٩].

شهد المسلمون في يون نان تطورًا ملاحَظًا أيضًا، حتى أصبحت منطقة رئيسية لتجمع المسلمين. وعلى طول ضفتي القناة المائية من خانغ جو إلى بكين، بنى عدد كبير من المسلمين مناطق تجمعهم، وسكن عدد كبير جداً من المسلمين في جي نينغ، وتساو جو بشان دونغ، وكاي فنغ، ولوه يانغ بخه نان، إلى غير ذلك من المناطق. وكان ثمَّة أيضًا عدد لا بأس به من مناطق تجمع المسلمين ببكين ونان جينغ، وآن تشينغ، وو خان، بالإضافة إلى جه جيانغ وغيرها من المناطق.

وبحلول عهد داو جوانغ، كان إجمالي تعداد سكان المسلمين الصينيين تجاوز المليونيْن، موزعين على مساحات واسعة. وبدأت السمات الاقتصادية لكل منطقة من مناطق تجمع المسلمين الصينيين في البروز؛ فخلال حكم أسرة مينغ، كانت الزراعة أساس الاقتصاد وعماده في مجتمع المسلمين بالكامل، إذ كانت الغالبية العظمى للمسلمين تمامًا – كقومية الهان – تتخذ من الزراعة أساسًا لاقتصادها.

وفي عصر أسرة تشينغ، برزت تلك السمة أيضًا بشكل واضح جداً؛ إذ استمر مجتمع المسلمين في الاعتماد على الزراعة بصفتها مصدرًا أساسيًا لاقتصادهم. ومقارنة بعصر أسرة مينغ، كانت الزراعة في عصر أسرة تشينغ أكثر نضجًا وحرفية، إذ لم يحتل عدد الفلاحين الغالبية العظمى من السكان فحسب؛ بل شهدت العلاقة بين الإنتاج،

والمساحات المزروعة، والأعمال التجارية، وأساليب الزراعة، وأنواع المنتجات الزراعية، إلى غير ذلك من أنشطة اقتصادية في المجال الزراعي، طفرة هائلة.

ونظرًا لانتشار المسلمين في عصر أسرة تشينغ في عموم البلاد، انتشر التطور الذي شهدته أنشطتهم الزراعية والتجارية بشكلٍ واسع النطاق ليصل إلى التبت، وشينجيانغ، ومنغوليا الداخلية، ودونغ بي، وغيرها من المناطق الحدودية، حتى أنه تعمق ليصل إلى المناطق النائية، والمهجورة، والفقيرة، هذا إلى جانب مناطقهم الأصلية[٢٠]. وقد أدى هذا النوع من الهجرة إلى إدخال فنون الزراعة المتقدمة للمناطق الساحلية، والسهول الوسطى، مما دفع تطور الزراعة في تلك المناطق، وعمل تدريجيًا على زيادة نطاق توزيع الأنشطة الزراعية للمسلمين.

شهدت الحرف اليدوية للمسلمين أيضًا تطورًا كبيرًا في عصر أسرة تشينغ الملكية؛ فنظرًا للاحتياجات الخاصة في العادات والتقاليد الحياتية للمسلمين، أصبحت حرفة الجزارة نشاطًا هامًا في الأنشطة الاقتصادية للمسلمين. ففي عصر أسرة تشينغ، أصبحت حرفة الجزارة أكثر الأعمال تطورًا، تلك التي تتمتع بسمات قومية بين الحرف اليدوية للمسلمين. ففي الفترة من عهد شون جي إلى كانغ شي، كان "يتم ذبح مئات الأبقار والأغنام بعد ظهر كل يوم، لتسيل قنوات وقنوات من الدماء" في شوارع الأبقار خارج منطقة شوان وو، مما عمل على نهضة أكثر من عشر حرف، "فأكثر من عشر حرف، تعتمد على الأبقار والأغنام، إذ ليس ثمَّة أحد لا يأكل، أو يلبس"[٢١].

من هنا تتضح لنا أهمية حرفة الجزارة للمسلمين بشوارع الأبقار. وأدى تطور حرفة الجزارة كذلك إلى تقدم صناعة الفراء، إذ تطور تصنيع معاطف الفراء والجلد تطورًا غير عادي في عصر أسرة تشينغ، وتجاوز مزاولو هذه المهنة، ومناطق وجودها، وفنونها، وأنواع إنتاجها، وطرق التجارة فيها، عصرَ أسرة يوان بكثير، وعلاوة على ذلك، شهد أيضًا تصنيع الجواهر، والقطن والغزل والنسيج، بالإضافة إلى مستلزمات الحياة اليومية، وغيرها، في تطوّر غير مسبوق.

وبالرغم من التطور والتقدم الهائلَيْنِ اللذين حققهما المسلمون في الحرف اليدوية في عصر أسرة تشينغ، إلا أن المستوى العام لإنتاجهم كان منخفضًا نسبيًا، وكان الأكثر ظهورًا الحرف اليدوية التي تديرها الأهالي، التي تسيطر عليها الحرف المنزلية التي تتميز بإنتاجها المحدود، ورأس مالها الضئيل، وقوتها العاملة من أبناء الأسرة، وطريقة تسويقها الذاتية المستقلة. وهذا النوع من القوة الإنتاجية المنخفضة، لا يمكن أن يُظهر علاقات إنتاجية جديدة، لذلك لم يلعب دورًا رياديًا في تطور الإسلام بالصين.

ويتضح لنا من المعلومات الموجودة حاليًا، أن الأنشطة التجارية والاقتصادية لقومية الهوي - المزدهرة نسبيًا - كانت موزعة على جميع المدن الكبرى والصغرى داخل الدولة في عصر أسرة تشينغ، وهذه ظاهرة لم تكن إطلاقًا في عصر أسرة يوان الملكية.

كانت أنشطة المسلمين التجارية متطورة جداً في مدن مهمة، كالمدن الاستراتيجية بمناطق الجنوب الغربي، وتشونغ تشينغ، وكوين مينغ، وجوي لين، بالإضافة إلى جوا لين، وجوانغ جو بجنوب الصين، وتشانغ شا، ووو خان، وكاي فنغ، وجنغ جو، ولوه يانغ، وجي نان، وهوهوت، وباو تو، وشي آن، ولان جو، وجيو تشوان، ولين شيا، ووو وي، وشي نينغ، وين تشوان، إلى غير ذلك من مدن، فكان المسلمون يتخذون من المدينة مركزًا لتلك الأنشطة التجارية، ومنها يتوسعون في تجارتهم إلى القرى والأرياف، وجدير بالذكر أن الأنشطة التجارية للمسلمين في يون نان اخترقت عددًا من مناطق تجمُّع قوميات أقلية؛ كقومية داي، وقومية باي، وقويمة إي وغيرها، كما أنها تطورت تطورًا ملاحَظًا في التبت. ومن ثم تجلَّت سمات جديدة للأنشطة التجارية والاقتصادية للمسلمين في عصر أسرة تشينغ.

أولاً: زيادة أعداد التجار والعاملين:

فقد زادت معدلات السكان لتتجاوز أية قومية أخرى بما فيهم قومية الهان، فطبقًا للإحصائيات، في عام ١٩٠٣ ميلاديًا، احتل إجمالي عدد السكان من التجار المسلمين في

تجمع شي ما بتشنغ خاي والقرى المجاورة له ٣,١٤٪ من إجمالي المسلمين، بينما كانت نسبة قومية الهان ٣,٤٪ فحسب".

ثانيا: تشابه منتجات المسلمين التجارية في جميع المناطق:

فبالرغم من حجم الأنشطة التجارية الكبيرة للتجار المسلمين، إلا أن أنواع المنتجات التجارية لهم كانت تتركز بشكلٍ رئيسي على مجالات وصناعات بعينها كالماشية والأغنام، وصناعة الفراء والجلود، والفاكهة والخضراوات الطازجة، بالإضافة إلى المنتجات المحلية. ولهذا التغيير الذي شهدته الدولة قيمة بحثية هامة في تشكُّل سمات الإسلام في الصين.

ثالثا: بروز سمة الأعمال التجارية الصغيرة والتجار الصغار المتجولين:

ففي عصر تشينغ الملكية، كان ثمَّة بعض التجار المسلمين الكبار نسبياً، لكن من منظور عام كانت الكيانات التجارية لا تزال تتسم بأنشطتها الصغيرة، إذ تتركز على الأنشطة الفردية المنفصلة، وتتخذ من الأسواق المحلية الصغيرة مركزًا لها.

◆ التشابه الأساسي بين منظومتي الإسلام الكبيرتين بالصين:

منذ أن دخل الإسلام الصين، ونظراً للاختلافات الإقليمية، تم تكوين نموذجَيْن نظامين مختلفين في المناطق الداخلية وإقليم شينجيانغ، تشكّلت لهما سمات مستقلة ومختلفة خلال مراحل تصيين الإسلام، لكن شهد التباين بين النظامين تقلصًا في نهاية أسرة تشينغ الملكية.

وتتشكل قوميات الأقلية الأربع – الهوي، والسالار، ودونغ شيانغ، وباو آن – بشكلٍ أساسي من التجار الذين دخلوا الصين، والجنود والحرفيين الذين انتقلوا مع قوات منغوليا إلى المناطق الداخلية، والمهاجرين إلى المناطق الغربية والمناطق التابعة لها، وغير ذلك.

وبعد أن دخلوا المناطق الداخلية، كانوا يعيشون في الصين لمزاولة الأعمال التجارية، أو بناءً على قوانين السكن للبلاط الملكي، يعيشون ويقتاتون في التجمعات السكانية للمسلمين، فيندمجون ويتزاوجون مع القوميات المحلية، ويعيشون حياة هانئة سعيدة. وكان الإسلام في الفترات الأولى يمثل طريقة حياتهم وديانتهم التي يعتنقونها.

لكن، بعد منتصف عصر أسرة مينغ الملكية، وتسايرًا مع تغير البيئة الحياتية للمسلمين، تطور الاتجاه لتوطين المسلمين في المناطق الداخلية تدريجيًا، ولعب الإسلام دورًا يتميز بالحسم في مراحل تكون القوميات الأربع، فشكَّل المضمون الجوهري لتطور القوميات. يتمثل هذا بشكلٍ رئيسي في الأنظمة القومية، والوعي القومي، والعادات والتقاليد، والأعراف القومية، إلى غير ذلك من المجالات التي تَتخذ من عقائد الإسلام وتعاليمه وشرائعه مضمونًا أساسيًا لها.

وبرزت اختلافات في أنماط تكوين القوميات التي تتخذ من هذا المضمون الجوهري أساسًا لها، وذلك نظرًا للظروف المختلفة لجميع تلك القوميات. لكن كان بقاء جميع القوميات التي تعتنق الإسلام، وتطورها، بغض النظر عن اختلاف طرقهم وأساليبهم، لا ينفصل عن الإسلام. وفي الوقت نفسه، كان على الإسلام أن يقدم الدوافع والمبادئ الروحية للبقاء والتنمية لتطوير القوميات.

وفي ذلك الوقت، لم يكن هناك أساسٌ لبناء بعض العناصر الرئيسية لبناء الإسلام باعتباره الهيكل الديني، بصفته منظومة القواعد والتعاليم السياسية، وتدريب الموظفين الدينيين العاملين في مجال التعليم، بالإضافة إلى المذاهب الدينية، إلى غير ذلك. من ثم، أوقف معتنقو الإسلام – بأنفسهم – التطورَ الثقافي، والأفكار غير المستقلة، مما أدى إلى دخول الإسلام أزمة تهدد بقاءه.

في هذه الفترة، كان المسلمون الصينيون قد كونوا خمسة تجمعات كبرى في المناطق الداخلية؛ وهي منطقة جيانغ نان، التي تتخذ من نان جينغ مركزًا لها، ومناطق جان سو ونينغ شيا وتشيغ خاي، التي تتخذ من خه جو وشي نينغ مركزَيْن لها، ومنطقة جوان

جونغ التي تتخذ من تشانغ آن مركزًا لها، ومنطقة يوننان التي تتخذ من كون مينغ مركزًا لها، ومناطق خه بيوشان دونغوخنان التي تتخذ من بكين مركزًا لها.

وعلاوة على ذلك، كان ثمَّة أيضًا بعض التجمعات المنتشرة في الدولة بشكلٍ مبعثر. وكان من الطبيعي أن يؤثر عدمُ التوازن في التطور الاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي لهذه المناطق - بالإضافة إلى التقاليد الثقافية المختلفة، والعادات والتقاليد الشعبية - على مجتمع المسلمين.

وفي الوقت ذاته، كان ثمَّة اختلاف كبير جدًا في التطور الداخلي للمسلمين الذين استقروا في مناطق مختلفة، في ظل ظروف وفترات متباينة، إذ ليس ثمَّة نموذج موحد بينهم. وفي عصر أسرة تشينغ، واجهت القوميات الأربع التي تعتنق الإسلام في المناطق الداخلية مشاكلَ مشتركة في التنمية الذاتية، وذلك في ظل الظروف المختلفة للحفاظ على بقائهم، لذلك فإن ظهور التعليم الديني، وبَدْء أنشطة تفسير القرآن بالكونفشيوسية، وتشكل المذاهب الدينية، ونظام الطرق، بالإضافة إلى تكوين تعاليم الإسلام في الصين وغير ذلك، جعل تاريخ تصيين الإسلام يدخل مرحلة جديدة. وتعيش قوميات الأقلية الست التي تعتنق الإسلام - وهي الويغور، والقزاك، والأوزبك، والطاجيك، والقرغيز، والتتار - في منطقة شينجيانغ. ولم تمر هذه المنطقة من قبل بفترات انفصلت فيها بشكلٍ حقيقي وفعلي عن سيطرة الحكومة المركزية الصينية، لكن كان ثمَّة تواصل وتوافق قومي - وديني، واقتصادي، وثقافي، وفي العادات والتقاليد، وغير ذلك - بين التعقيدِ الذي تشهده البيئة الدينية بها والتغير المستمر لأسراتها الملكية الصغيرة، والدولِ والمناطق الإسلامية المجاورة لها. وفي الوقت ذاته، استمر التواصل من وقت إلى آخر بين تلك المنطقة والحكومة المركزية على المستوى السياسي، والاقتصادي، والعسكري، وغيرها. ولقد انتشر الإسلام في منطقة شينجيانغ من خلال شن حروب دينية ضد البوذية، والديانات الأخرى، بالإضافة إلى استخدام القوة السياسية للأسر الملكية الصغيرة، إلى غير ذلك من طرق.

ومقارنةً بقوميات الأقلية التي تعتنق الإسلام في المناطق الداخلية، نجد أن ظروف انتشار الإسلام وتطوره، ومضمونه، وأنماط ظهوره في شينجيانغ، مختلفة تمامًا.

أولاً: بعد تأسيس نظام توريث الإمام في المذهب الصوفي في عصر أسرة يوان بإقليم شينجيانغ، استمر تعاظم قوى الخوجة والإيشان [١٧٥]، فمروا بمرحلة تحول السلطة السياسية العلمانية من تلك التي تتأثر وتُحكم بواسطة القوى الدينية الإسلامية، إلى السلطة العلمانية الخالصة، ويختلف هذا تمامًا عن بقاء الإسلام وتطوره في المناطق الداخلية.

ثانيًا: زاد تبجيل الأغنياء والمحسنين من بروز سمات المذهب الصوفي للدين الإسلامي في منطقة شينجيانغ.

ثالثًا: ظهور التعليم الديني في شينجيانغ قبل ظهوره في المناطق الداخلية؛ ففي النصف الأول من القرن العاشر ميلاديًا، أسست كاشغر بشينجيانغ أول كلية عالية للنصوص القرآنية في تاريخ الإسلام بالصين، كما أسست أكثر من عشر كليات للنصوص القرآنية لاحقًا في عصر دولة يارقند خانات.

ولقد كان لتطور منظومتَي الإسلام بالصين قبل منتصف عصر أسرة تشينغ تطور كبير نسبيًا، وبأنماط مختلفة. أما بعد منتصف عصر أسرة تشينغ الملكية، تزامن تطورهما إلى حد كبير؛ إذ قاربت الإجراءات الفعّالة التي اتخذتها أسرة تشينغ للسيطرة على شينجيانغ؛ كتوحيد إقليم شينجيانغ، وتهدئة ثورات الأثرياء الصغار والكبار، وبناء المقاطعات بإقليم شينجيانغ، إلى غير ذلك، قاربت تدريجيًا بين منظومتَي الإسلام الكبريَيْن، وهما المناطق الداخلية وشينجيانغ.

وفي الوقت ذاته، نظرًا لوجود حماة أسرة تشينغ وفلاحيها ومهاجريها بإقليم

١٧٥- الخوجة و الايشان: اكثر الأنظمة سلطوية و تاثيراً فى شمال غرب الصين و ترتبط بتوريث الحكم بين أحد أحفاد عائلات النبلاء أو القيادات الدينية

شينجيانغ، نزح عدد كبير من مسلمي المناطق الداخلية إلى جميع مناطق شينجيانغ. مما عزز التبادلات الاقتصادية بين شينجيانغ والمناطق الداخلية، والمناطق الزراعية جنوب شينجيانغ، ومناطق الرعي في شمال الإقليم، ودفع التبادل التجاري. وأدى تطبيق أسرة تشينغ لاستراتيجية فصل الدين عن السياسة في إقليم شينجيانغ إلى تغير دور الشريعة الإسلامية بتلك المنطقة. وإجمالاً في القول، أدى كلٌّ من سقوط قوى الأثرياء والمحسنين، واختفاء الخلافات بين الأحزاب الكبرى، وبَدْء دخول الويغور وغيرها من القوميات في الإسلام فيما بعد منتصف عصر أسرة تشينغ - أدى إلى قلة الاختلافات بين شينجيانغ والمناطق الداخلية للدين الإسلامي بالصين في نهاية أسرة تشينغ.

◆ تشكل المذاهب الدينية، ونظام الطرق، والجمعيات في الإسلام بالصين:

قبل عصر أسرة مينغ الملكية، كان جميع المسلمين يعتنقون المذهب السنّي بشكلٍ أساسي، فيما عدا جميع مسلمي قومية الطاجيك التي كانت تعتنق المذهب الشيعي، وعدد قليل من قومية الويغور الذين كانوا يعتنقون مذهب الاثنا عشرية الشيعي. وفي نهاية أسرة مينغ الملكية، وبداية تشينغ، وتسايراً مع دخول حركة التصوف، والمذهب الصوفي، مرّ الإسلام بالصين بحركتَي انقسام مذهبي؛ الحركة الأولى لانقسام المذاهب الدينية. وتشكّلت بسبب دخول المذهب الصوفي. وبعدها ظهرت حركة تسمى بـ"الإصلاح الديني"، التي أخذت على عاتقها إعادة الملامح الأصلية للدين الإسلامي، ولقد أدت هاتان الحركتان إلى ظهور الأحزاب الكبرى والصغرى ونظام الطرق[25] في جميع مناطق الشمال الغربي بشكلٍ مستقلٍ، كما تطورت تطوراً سريعاً. وفي الوقت ذاته، ظهرت تنظيمات للدين الإسلامي على غرار نمط الجمعيات في مناطق السهول الوسطى والمناطق الجنوبية. وهذه السمة ظهرت في الإسلام بالصين بسبب التطور المختلف في الأوضاع الشعبية، والاجتماعية، في الأقاليم والمناطق، وقد مثلت سمة هامة للدين الإسلامي في الصين.

◆ المذاهب الدينية لمناطق الشمال الغربي:

بعد دخول الإسلام الصين، اتبع المسلمون الصينيون المذهب الحنفي للمذهب السنّي، ودائمًا ما كان يحتل مكانة رئيسية خلال تطور الإسلام في الصين. أما بعد منتصف عصر أسرة مينغ الملكية، وتسايراً مع تعزيز الوعي الديني، والتشكل المبدئي للوعي القومي للمسلمين الصينيين، بدأ المسلمون الصينيون يعربون عن سخطهم من تراجع دور الإسلام، وطالبوا - على نطاقٍ واسع - بالإصلاح. وأدى ازدهار التعليم الديني، وانشطة تفسير القرآن اعتمادًا على الكونفشيوسية - اللذين قام بهما خو دنغ جو في شان شي، بالإضافة إلى تأثيرات انتشار المذهب الصوفي في الصين - إلى إضفاء أفكار جديدة على تطور الإسلام، كما دفع المسلمين الصينيين أكثر إلى الانقسام، وتشكّل عدد كبير من المذاهب الدينية المختلفة، التي تتخذ من المنطقة والمسجد مركزَيْنِ لها، وكان التأثير الأكبر نسبيًا للمذاهب الثلاثة الكبرى؛ المذهب القديم، والمذهب الإخواني، والمذهب شي داو تانغ (أمة الإسلام). المذهب القديم أقدم مذهب ديني ظهر في الصين، أو من الممكن أن نقول إنه فكر ديني كان تيارًا سائدًا لفترة طويلة الأجل على مدار تاريخ الإسلام في الصين، وتابعوه هم مسلمون صينيون يتبعون بشكل تقليدي المذهب الحنفي.

في بداية عصر أسرة تشينغ، رفع المسلمون الذين يدعون إلى اتباع الأفكار التقليدية القديمة ويصرون عليها لمكافحة التيارات الفكرية التي تدعو إلى الإصلاح الديني - التي ظهرت في المناطق الداخلية - لواءَ المذهب القديم، وكونوا مذهبًا دينيًّا يتمتع بأسلوبهم وسماتهم.

وكانت الجماعات الإسلامية نمط تنظيم هذا المذهب، وكانت جميع الجماعات لا تتبع بعضها البعض. والمسجد مركز تلك الجماعات الإسلامية، فهو مركز الأنشطة الدينية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية للجماعة.

ولقد اتخذت الجماعات الإسلامية نظام تعيين الإمام، ونظام الأضلاع الثلاثة

للمسجد: الإمام، والخطيب، والمؤذن، الذي تم شرحه من قبل بصفته نظام إدارة. ويتولى إدارة المسجد مدير ومساعد، تتم تزكيتهما بشكلٍ عام، ويديران إنتاج المسجد، وأمواله، وانتخاب الإمام، كما يعدان جميع الأنشطة الدينية. وتعمل الجماعات الإسلامية للمذهب القديم على توسيع تنظيم التعليم الديني، ففي جميع المناطق التي فيها الجماعات الإسلامية للمذهب القديم، يتطور التعليم الديني تطورًا كبيرًا.

بعد دخول المذهب الصوفي الصين، مثّل تهديدًا كبيرًا على المذهب القديم، إذ تَبِع بعض المؤمنين جميع الطرق التابعة للمذهب الصوفي، بالإضافة إلى مذاهب أخرى. لكن كان المذهب القديم يتخذ باستمرار سياسة التسامح، فبالرغم من معارضتهم للتجديد والتغيير، إلا أنهم لا يتدخلون في الدعوة إلى أيّة طريقة أو مذهب ديني آخر. ونجد أن تابعي المذهب القديم حاليًا موزعون على المقاطعات بالصين كافة، بما فيهم شينجيانغ، وعددهم الأكثر على مستوى معتنقي الإسلام بالصين.

وإلى جانب التزام المذهب القديم التزامًا صارمًا بالعقائد الأساسية للدين الإسلامي فقط، فإنه يهتم بشكلٍ خاص بجميع العادات والتقاليد في الدين الإسلامي، كما أنه يجعل من الاعتكاف وتدريب النفس فروضًا فرعية للمؤمنين (الفروض الأساسية هي أركان الإسلام الخمسة، والعقائد الست).

المذهب الإخواني مذهب ديني جديد على الإسلام في الصين، ظهر خلال عهد جوانغ شو في عصر أسرة تشينغ. ونظرًا لظهوره المتأخر أُطلق عليه المذهب الجديد، والمذهب الناشئ. ففي عام ١٨٨٨ ميلاديًا، ذهب ما وان فو – إمام قرية جوه يوان ببلدة دونغ شيانغ بخه جو في جان سو – إلى مكة لأداء شعائر الحج، وتأثر بالمذهب الوهابي، بينما كان الإسلام الذي يعتنقه أهله متأثرًا جدًا بالمذهب الصوفي، لذلك وجد أن أفكار الوهابية تختلف عن الملامح الأصلية للدين الإسلامي التي يعرفها. ولهذا السبب، لم يعد ما وان فو إلى بلاده بعدما أنهى شعائر حجه؛ بل ظل في مكة، واستمر في دراسة العقائد وأمهات الكتب في الإسلام. وبعدما استكمل دراسته، عاد إلى بلاده، عندها دمج بين

مسلمي المناطق الغربية، وتواصل مع عشرة أئمة كبار بخه جو[٣٠]، وأسس المذهب الإخواني.

يدعو هذا المذهب الديني إلى "استرجاع كل شيء إلى (القرآن الكريم)"، وبَدْء إصلاح ديني شديد يتخذ من "استقامة الدين اعتمادًا على القرآن، واحترام القرآن وتحسين التقاليد، ومعارضة التطرف منهجًا". والقواعد الأساسية لهذا المذهب هي: الالتزام الصارم خلال أداء العبادات الدينية بما تتطلب أركان الإسلام الخمسة؛ وأن يكون الهدف من تلاوة (القرآن الكريم) معرفة الله معرفة حقة، وليس للدعاء أو الصلاة، والا ينال الإمام أي مقابل مادي من المؤمنين نظير تلاوته القرآن الكريم، ولا ينبغي أن يشعل عيدان بخور أو شموع، كذلك معارضة المراسم الدينية التي تتميز بالإسراف والتبذير؛ كما يدعو هذا المذهب إلى نطق الشهادتين باللغة العربية، ويعارض إحياء ذكرى الميت، فلا يسمح سوى بالدعاء للميت وإحياء ذكراه يوم الجمعة فحسب؛ ويدعو هذا المذهب النساء أيضًا إلى ارتداء الحجاب، ويعارض زيارة المقابر، وتأليه الزعماء الدينيين.

وعلاوة على ذلك، دعا هذا المذهب أيضًا إلى المساواة في العناية باللغة الصينية واللغة العربية خلال التعليم الديني، كما دعا إلى استخدام اللغة الصينية في نشر العقائد الدينية، وعارض عادة ربط قدم الفتاة برباط من القماش حتى تبدو صغيرة وجميلة.

ويتشابه النمط التنظيمي للمذهب الإخواني مع المذهب القديم بشكلٍ أساسي؛ فهو يمارس نظام الجماعات الإسلامية غير التابعة لبعضها البعض، لكن في بعض المناطق يطبق أسلوب الإدارة الموحدة لتلك الجماعات الإسلامية جميعها.

بعد ثورة شينغ خاي، زادت حدة الجدال بين ما وان فو وأتابعه ضد طرق مناطق الشمال الغربي تدريجيًا؛ فقبضت الحكومة المحلية بلان جو في جان سو على ما وان فو

وزجّت به في السجن. في هذا الوقت، كان ما لين أمير قوات المسلمين في تشينغ خاي يبحث عن نوع جديد من القوة ليحارب بها ضد جميع الطرق والمذاهب الدينية التي كانت تحتل حينئذٍ مركز القيادة في تلك المناطق، وذلك ليرسخ مكانة جيشه وحكومته، فاختار المذهب الإخواني لما وان فو.

وفي الشهر الهجري الأول لعام ١٩١٨م، أرسل ما لين جنوده، فخطفوا ما وان فو من السجن بالقوة، ليرسلوه إلى تشينغ خاي، وهناك عهد له ما لين بإمامة أكبر مسجد في تشينغ خاي. وفي منتصف الأربعينيات ونهايتها من القرن الماضي، لم يحتل المذهب الإخواني مركز القيادة بين مسلمي تشينغ خاي وجان سو فحسب؛ بل أيضًا احتل مكانة مميزة في نينغ شيا، وذلك في ظل دعم ما خونغ كوي أمير قوات المسلمين. واتخذ المذهب الإخواني من جان سو ونينغ شيا وتشينغ خاي قاعدة، ليتطور سريعًا حتى يصل إلى مسلمي المناطق الأخرى على مستوى الدولة، ويصبح مذهبًا دينيًا هامًّا، إلى حد ما، في الإسلام بالصين.

وفي عام ١٩٣٤ ميلاديًّا، بعد وفاة ما وان فو، انقسم المذهب الإخواني إلى طائفتين: الأولى تزعمها الحاج قاسو، وكانت تؤمن بدعوات ما وان فو وأفكاره، وسُميت طائفة قاسو، كما عُرفت بـ"طائفة اليد الواحدة"؛ بسبب دعوتها إلى رفع اليد مرة واحدة في أثناء الصلاة، وأتباعها كثيرون.

الطائفة الأخرى تزعمها ما ده باو؛ تلك الطائفة أدخلت بعض الإصلاحات على دعوات ما وان فو وأفكاره، وعُرفت بـ"طائفة الثلاث أياد"؛ بسبب دعوتها إلى رفع اليد ثلاث مرات في أثناء الصلاة. وتأثر المذهب الإخواني وأفكار ما وان فو الدينية بشكل رئيسي بالمذهب الوهّابي الذي كان منتشرًا في شبه الجزيرة العربية، لاسيما في مكة والمدينة آنذاك؛ فكان يدعو إلى استرجاع ملامح الإسلام القديمة، لذلك، كان يعد في الحقيقة حركة إحياء دينية. وعلى مدار تاريخ الصين، قد أُطلق على أفكار ما وان فو والمذهب الاخواني حركة الإصلاح للمسلمين، وكان هذا مفهومًا خاطئًا.

المذهب التعليمي آخر المذاهب الدينية التي ظهرت في الإسلام بالصين، ونظرًا لاهتمامه الشديد بعلم الصينيات، أُطلق عليه مذهب الصينيات. فأسس ما تشي شي من لين تان بقانسو (١٨٥٧-١٩١٤ ميلاديًّا) هذا المذهب الديني. في فترة طفولته، اجتهد في دراسة الكونفشيوسية، وعندما بلغ درس باجتهاد المؤلفات الصينية في الإسلام للي وجي وغيره، وتطلع إلى نشر الأفكار الدينية للي وجي.

يهتم هذا المذهب الديني بشدة ببناء المدارس، فلقد موّل بناء المدارس الابتدائية للبنين والمدارس الابتدائية للبنات الواحدة تلو الأخرى، ليطبق نمطًا جديدًا من التعليم. وكان هذا المذهب يركز - بشدة أيضًا - على الأنشطة التجارية، ففي ظل قيادة الزعيم الديني، تطور الاقتصاد الجماعي بقوة، وتم تطبيق الملكية الجمعية، والحياة الجماعية، وهو نمط تكاملي خاص من منظمات دينية واجتماعية.

دعا أيضًا هذا المذهب إلى عدم التوريث في الزعامة الدينية؛ إنما يتم اختيار الزعيم الديني بواسطة الانتخاب العام من المؤمنين جميعًا. ولقد كتب فان تشانغ جيانغ - الصحفي الشهير - من قبل عن هذا المذهب الديني، معتقدًا أن "نشر تعاليم الإسلام من خلال الثقافة الصينية، لضمان استيعابها من قبل الإخوة الصينيين، يركز بشكلٍ نسبيٍ على الجانب الثقافي"[٣٢]. وفي الزواج، دعا هذا المذهب إلى عدم تدخل الوالدين في الزواج، ودعم الاستقلالية في قرار الزواج، وحرّم الهدايا التي تُقدم عند الخطوبة، "إنه الزواج العصري في العصر الحديث"[٣٣]. ولقد ألغى هذا المذهب بشكلٍ تلقائي الحياة الجماعية في عام ١٩٥٧م.

◆ تشكل الطرق الأربع الكبرى:

دخلت الصوفية في حوالي القرن الحادي عشر الميلادي من خلال الفرس مناطقَ آسيا الوسطى. وبعد الحملات المنغولية الغربية، تم فتح المواصلات والنقل في المناطق الوسطى والغربية، فدخلت مجموعة كبيرة من الرهبان الصوفيين المناطقَ الداخلية، وإقليم شينجيانغ بالصين.

أطلق على هؤلاء الناس في شنجيانغ الزهّاد، وفي المناطق الداخلية الجلادون. وفي عصر أسرة يوان الملكية كان عدد الرهبان الصوفيين كبيرًا جدًا، وعدَّتهم الحكومة نوعًا من الناس يحتاج إلى إدارة خاصة، وأُطلق عليهم اسم الدراويش[24] في وثائق أسرة يوان الرسمية[24]، وكانوا يتمتعون بمعاملة متميزة كرهبان البوذية والطاوية، والأركايم (المسيحيين والكهنة)، ويعملون بنظام مسلمي الهوي.

ولقد سجل ابن بطوطة الرحالة العربي في مذكرات مغامراته قائلًا: إنه من الممكن أن ترى الزهّاد الصوفيين في كل مكان بالصين. وكان الإسلام بالصين لا يزال في مرحلة التبلور، لذلك كان تأثير الزهاد الصوفيين على الإسلام بالصين طفيفًا جدًا، بالرغم من كثرة عددهم، بينما لا أعرف كيف ستترك هذه المجموعة بصماتها المميزة لاحقًا.

وفي منتصف عصر أسرة مينغ الملكية ونهايته، وفي ظل النهضة التدريجية التي نشأت بفضل تأسيس التعليم الديني، وتفسير القرآن اعتمادًا على الكونفشيوسية، ونظام الجماعات الإسلامية، إلى غير ذلك، بدأ بعض الدعاة الصوفيين واحدًا تلو الآخر في الانتقال من آسيا الوسطى، وغرب آسيا، ومنطقة قشغر بشينجيانغ إلى المناطق الداخلية. وفي الوقت ذاته، ذهب بعض المسلمين الصينيين لطلب العلم من خلال سفرهم لأداء فريضة الحج، فجلبوا معهم فرائض الطوائف المختلفة للصوفية وقوانينها من العرب، والفرس، ومناطق آسيا الوسطى، ونشروها على نطاق واسع في مناطق الشمال الغربي، فدفعوا لتشكيل الطرق الأربع الكبرى: الخفوية، والقادرية، والجهرية، والكُبراوية. ولقد تشكّل نظام الطرق في إطار اجتماعي واقتصادي محدد، فكانت سلطاته كبيرة نسبيًا، ومناطق إدارته واسعة إلى حد ما، ونمط منظماته الإسلامية تتمتع بسمات دينية غامضة، وكان نظام الطرق هذا كائنًا بقوميات كقومية الهوي، ودونغ شيانغ، والسالار، وباو آن، وغيرها، "كانت تتمتع بسمات العبادات الدينية، وملامح النظام الإقطاعي الأبوي الصيني".

◆ الأصل الديني للطريقة الخفوية:

هي الطريقة النقشبندية للمذهب الصوفي. وتدعو هذه الطريقة إلى أهمية الدين والطرق معًا، وضرورة حماية العقائد الأساسية للدين الإسلامي، والاهتمام بأركان الإسلام الخمسة، وممارسة تعاليم الطرق الدينية من زهد وتربية للنفس في إطار الأركان الخمسة. وفرْضُ تربية النفس في هذه الطريقة قراءة تسابيح في مدح الله صباحًا ومساءً بصوتٍ خافت، لذلك يُطلق على تلك الطريقة طريقة الصوت الخافت. ويقوم المرشد بتلقين المؤمنين سرًا كلمات التسبيح، ويتعين عليهم اتباعه دون شرط. وتنقسم هذه الطريقة إلى حوالي ٢١ فرعًا، وتتركز بشكلٍ رئيسي في خه جو، ولان جو، وتشينغ جو بجان سو، وشي نينغ، وشون خوا، وخوا لونغ بتشينغ خاي، وين تشوان، وتونغ شين، وشي خاي جو بنينغ شيا، بالإضافة إلى بعض المناطق بشينجيانغ ويوننان.

◆ الأصل الديني للطريقة القادرية:

هي طريقة القادري للمذهب الصوفي، ومنه جاء اسم الطريقة. تعتقد تلك الطريقة أن الطرق نظام طبيعي، وليست مُختلقة، وأن الدين أمر دنيوي، وضعه الإنسان. لذلك، فطبقًا لأفكار تلك الطريقة تأتي الطرق في المقام الأول قبل الدين. وتدعو إلى وحدة الخالق والمخلوق، وتعتقد في أن ثمة سمات إلهية داخل المرء، وأن المؤمنين يمكن أن يعرفوا أنفسهم جيدًا من خلال التنسك والزهد. وتأثرت هذه الطريقة كثيرًا بقومية الهان، حتى أن دعاتها كانوا يقتبسون دائمًا أفكار لاو تسي لشرح عقائد الإسلام. وكانت تدعو هذه الطريقة أيضًا إلى توريث منصب الإمبراطور للنخبة والصفوة وليس للأبناء، وكانت تعارض توريث منصب الزعيم الديني، ومنعت زواج الدعاة. وتتركز تلك الطريقة بشكلٍ رئيسي في لين شيا، ودونغ شيانغ، وكانغ له، ولان جو بجان سو، ودا تونغ، ومين خه، وشي نينغ بتشينغ خاي، وخاي يوان بنينغ شيا، وشي شيانغ بشان شي، ولانغ جونغ بسي تشوان، إلى غير ذلك من مناطق.

◆ **الأصل الديني للطريقة الجهرية:**

هو الطريقة النقشبندية للمذهب الصوفي. وتدعو هذه الطريقة إلى وضع الدين في المقام الأول قبل الطريقة، وتعتقد أنه بدون الدين الذي يعد الأساس، فلا وجود للطرق. كما تدعو الجهرية إلى ترتيل (القرآن الكريم) ومدح رسول الله بصوتٍ مرتفع، لذلك سُميت طريقة القراءة الجهرية، وطريقة المدح الجهري. ولأن تابعي تلك الطريقة يضربون بركبهم، ويهزون أكتافهم بخفة عند تلاوة القرآن، أُطلق عليها أيضًا طريقة قلقلة الرأس. والسماتُ الرئيسية لأتباع الجهرية ارتداء القبعة السداسية من اللونين الأسود والأبيض، وحلق السوالف واللحية. وفي الفترات الأولى لظهورها، دعت الطريقة إلى التخلص من قانون توريث الطريقة، وتقليل الأعباء على المؤمنين، وتبسيط المراسم الدينية، ومساعدة الفقراء والمحتاجين، إلى غير ذلك. لكن بعد عهد الزعيم الديني الثالث لها، عادوا من جديد إلى تطبيق نظام توريث الزعامة الدينية. ولأسباب تاريخية، شكلت هذه الطريقة مفاهيم؛ أهمها مفهوم الشهادة. وتتركز الجهرية في ١٣ مقاطعة ومنطقة، منها المناطق الشمالية الغربية، ويونان، وجوي جو، وغيرها، وثمَّة تابعون لتلك الطريقة بدونغ جان بآسيا الوسطى.

◆ **الأصل الديني للطريقة الكُبراوية:**

هو الطريقة المولوية للمذهب الصوفي. وما يميز تلك الطريقة عن باقي الطرق الصوفية، أنها دخلت عن طريق العرب بشكلٍ مباشر إلى الصين. فطبقًا لما ورد من الأنباء، قد جاء محيي الدين - الداعية العربي للطريقة المولوية الصوفية - إلى الصين ثلاث مرات؛ الأولى زار جوانغ دونغ، وجوانغ شي، والثانية زار فيها خو نان، وخو بي، والأخيرة ذهب إلى جان سو. وعندما كان يدعو إلى الدين في جان سو، غيَّر محيي الدين لقبه إلى جانغ، واسمه إلى بو جي، وجعل له اسمًا بديلاً يو خوانغ (اليشم الإمبراطوري)، لجذب بعض المؤمنين إليه. وإلى جانب التزام هذه الطريقة بأفكار المولوية، كانت تولي اهتمامًا خاصًّا بالاعتكاف، وتطالب المؤمنين بالانعزال في الكهوف الجبلية وأداء

الصلوات، وترديد كلمات التسبيح، وتناول سبع حبات من العناب الصيني، وشرب كميات من الماء الساخن كل يوم. ولقد حقق الموظفون المحليون في هذه الطريقة بدعوى أنها هرطقة. وأتباعُها قليلون، يتركزون في لين شيا، وجاو لين بجان سو، وغيرهما من المناطق.

◆ **التنظيمات والمنظمات الاجتماعية للمسلمين:**

خلافًا لما هو الحال في شينجيانغ من نظام إيشان، وفي مناطق الشمال الغربي من أنظمة المذاهب الدينية والطرق، كوَّن المسلمون في المناطق الأخرى - بغرض بَدْء الأنشطة الدينية، والتعليم الديني - تنظيمات ومنظمات اجتماعية ذات سمات مختلفة في إطار الجماعات الإسلامية.

وفي عصر أسرة تشينغ، كانت منظمات الجماعات الإسلامية - التي تتخذ من المسجد مركزًا لها - هي النمط الأساسي للمنظمات الاجتماعية لمسلمي المناطق الجنوبية والسهول الوسطى، لكن بدأ المسلمون في جميع المناطق ببناء منظمات اجتماعية خيرية؛ من أجل تعزيز التضامن، وتخفيف حدة الفقر، فظهرت تنظيمات المسلمين ومنظماتهم الاجتماعية. وأنشأ المسلمون في جوانغ جو في العام الخامس والخمسين من عهد كانغ شو (عام ١٧١٦ ميلاديًّا)، من خلال مبادرة ٢٧ أسرة مسلمة، "جمعية الإسلام[42] للمسنين" داخل مسجد خواي شنغ. وكانوا يجمعون الأموال، ويبيعون منتجاتهم، فيربحون، من أجل توفير نفقات الدفن لجميع الأسر، وتبادل المساعدات المالية، واستمرت تلك الجمعية لأكثر من نصف قرن.

وفيما بعد، استمر تأسيس بعض الجمعيات التي تهدف إلى تبادل المساعدات، متخذةً من مسجد خواي شنغ أيضًا مركزًا لها. وخلال عهد كانغ شو، أسس المسلمون في خه نان وغيرها من المناطق منظمات وهيئات خيرية كجمعية الإغاثة، وجمعية الألواح والأقمشة، وجمعية النعش، وغيرها.

جمعية الإغاثة التي تنظمها المساجد:

وتقوم بتقديم المساعدات المالية للمسلمين، أو استخدام دخل الممتلكات والأراضي الزراعية للمسجد في إغاثة المسلمين الفقراء، ومساعدتهم في تدبير عيشهم، وتوفير فرص عمل لهم.

جمعية التوابيت و الأكفان:

ينظمها المسجد، ويقوم باستغلال ما يحصل عليه من زكاة، ودخول أخرى، لشراء ألواح خشبية وأقمشة بيضاء، لاستخدامها في دفن الموتى.

جمعية النعوش:

جمعية خيرية ينظمها المسجد: تساعد في دفن موتى المسلمين، فعندما تعلن عائلة المتوفَّى موعد الدفن ومكانه، ينظم المسجد - ببساطة ولطف - نقل النعش للمسلمين والمشاركة في مراسم الجنازة. وخلال عهد تونغ جي في أسرة تشينغ، بدأ ما جيو شنغ مساعد مدير مسجد العاصمة في بناء قاعات الرحمة لمساعدة المحتاجين وغير ذلك من الأعمال الخيرية، واستطاع أن يجمع رأس مال ٢٥ ألف جرام من الفضة، واشترى ٦٩ مو[١٧٦] من حقول الأرز، واستخدم إيجار الأراضي باعتباره زكاة في مساعدة الفقراء من المسلمين.

وأنشأ مسلمو مقاطعة هونان جمعية تخزين الحبوب، لمعاناتهم من المجاعات؛ إذ يوزعون الحبوب والغذاء على المسلمين في أعوام المجاعات. وأنشأ مسلمو خو نان أيضًا - من قَبل - جمعيةَ إنقاذ الأطفال الرضع، وكانت مهامها الرئيسية البنات اللقيطات . وفي بلدية شو بآن هوي، خلال عهد جوانغ شو، أسسوا أيضًا ملاجئ الحماية من البرد، تمد الفقراء المعدمين وكبار السن الذين ليس لديهم من يرعاهم بالملبس والمأكل[٤٤].

١٧٦- (١ مو = 666.67 مترًا مربعًا).

سادسًا: الإسلام في عصر جمهورية الصين:

بعد أن أطاحت ثورة شينغهاي - التي قامت في عام ١٩١١م - بالحكم الإقطاعي في الصين، سارت قوميات المسلمين الأقلية تدريجيًا نحو حالة من الانغلاق تمامًا كالقوميات الصديقة الأخرى، عندها شرع المسلمون بإيجابية في موجات من الإصلاح، ومن ثم تعزز الوعي القومي تدريجيًا، وبدأوا في طرح جميع المتطلبات بشأن المساواة في المراكز السياسية المستقلة، وتحسين الحياة الاقتصادية، وتطوير الثقافة والتعليم، وحرية الاعتقاد الديني. لكن لم تستطع ثورة شينغهاي أنتصلح العلاقات الطبقية عميقة الجذور، بالرغم من أنها بالفعل وضعت نهاية للأسر الإقطاعية، والحكم الإقطاعي.

وسجلات الإسلام في الصين توضح العشر قوميات الأقلية التي كانت تعتنق الإسلام، لذلك، فإن العلاقات القومية بالنسبة للدين الإسلامي في الصين تقيد العلاقات الدينية، وتشكّل مكونًا هامًّا للعلاقات السياسية والاجتماعية للدولة. فإذا لم يحدث تغيير نوعي في العلاقات الإنتاجية والهيكل السياسي في الصين، لن يكون هناك تغيير كبير في العلاقات القومية والدينية. لذلك استمرت التطورات والتغيرات في الإسلام في فترة جمهورية الصين بأكملها في التقدم على خطى المسار السابق.

وفي فترات قبل ثورة شينغهاي وبعدها، تأثر بعض المسلمين المشهورين بالصين بالحركة الثقافية الجديدة، والتيارات الفكرية الاجتماعية الجديدة، فاتسعت أفقهم، ونشطت أفكارهم، وبدأوا ينظرون جيدًا للمسائل القومية والدينية بعين جديدة، ومن ثم طرحوا بعض الأفكار الجديدة. فكوّنوا بعض سمات جديدة لتطور الإسلام في الصين في تلك الفترة، لتشكيل جزء رئيسي من التيار الفكري المتقدم الذي شاع في الصين في ذلك الوقت.

أولاً: الطفرة الجديدة التي طرأت في التعامل مع مسألة العلاقة بين الدين والدولة. ففي ظل تيار الوطنية والقضاء على الإمبريالية، بدأ المسلمون الصينيون يربطون مصير

الدولة بالمصير القومي والديني، ووضعوا قضية بقاء الدولة في المقام الأول، كما حطموا شعار "الحفاظ على الدين هو الحفاظ على الدولة، وحب الدولة هو حب الذات"، ودعوا قائلين: "بغض النظر عن أي دين، طالما نحن جميعًا شعب واحد، ينبغي أن نبذل جميعنا جهدًا مضنيًا على قلب رجل واحد لنحافظ على مصالح دولتنا العليا، فلو سقطت الدولة، هل سنستطيع المحافظة على أي دين؟"[45].

وخلال المراحل السياسية المتعاقبة لم يحدث من قبل أن ظهرت هذه الأفكار، وهي دلالة على أن الصينيين المسلمين قد تيقنوا تمامًا من ضرورة التكيف بإيجابية مع احتياجات البقاء والتطور للدولة، إذا أرادوا أن يبحثوا عن مكانتهم وقيمتهم الشخصية في المجتمع الصيني.

لذلك، شارك عدد كبير من المواطنين المسلمين تباعًا في أنشطة ثورة شينغهاي، في ظل تحفيز هذه الأفكار الوطنية، فظهر "الهوس الوطني للرفقاء المسلمين".

ثانيًا: بَدْء ظهور أصوات المسلمين الصينيين وتعزيزها، التي تنادي بتقوية الوحدة والتضامن بين قوميتَي الهوي والهان داخليًا. لقد اعتقد المسلمون الصينيون في ظل الأوضاع الخطرة التي تهدد - بقوة - بتقسيم الصين أن عدم فَهم الموظفين المحليين الدين السبب وراء انتفاضات المسلمين في عصر أسرة تشيغ، إذ كانوا يضطرون إلى شن الانتفاضات بسبب سوء إدارة الحكومة، وليس لأن هناك صراعات بين قوميتَي الهوي والهان، كما اعتقدوا أنه طالما أن القوميتَين من أبناء الشعب الصيني، فينبغي أن تكون لكلٍّ منهما اعتقاداتها الخاصة، وأن يتمتع الجميع بالحرية، وأن يُعنَى كل منهم بأموره الشخصية، ولا يتدخل في أمور الآخرين، ولا ينبغي أن يحقد أحدهم على الآخر، أو أن يحمل له الضغائن دون مبررات. وطرْح هذا الفكر دلالة على تفتح بصيرة المسلمين الصينيين تدريجيًا.

ثالثًا: نهضة القوميات تتطلب عمل إصلاحات في الفكر الديني الإسلامي. فلقد أشارت شخصيات فكرية من المسلمين الصينيين إلى أنه إذا لم تطرأ تغييرات في الإسلام تواكب الأوضاع، فإن الزمن سيمحيه، ورغبوا في أن يكون الإسلام "لديه القدرة على التغير في أوقات مناسبة"، كما أشاروا أيضًا إلى أن المسلمين يمكن أن يقيموا جميع الأنشطة الاجتماعية، وأن يؤسسوا جميع الأعمال، فقط إن لم تنافِ المعايير والمبادئ الدينية الكبرى، ولا ينبغي عليهم التقيد الشديد بالأعراف.

رابعًا: إصلاح قضايا التعليم في الإسلام بالصين. يعتقد بعض المسلمين أن السبب الرئيسي وراء ضعف الإسلام أن عدد من يتلون القرآن كبير جداً، لكنّ عدد من يطالعون الكتب قليل جداً، فمعارفهم الدينية أكثر من جامدة، ومن منظور واحد فحسب، "والسبب في ذلك فقر أهل الهوي".

لذلك، دعوا إلى أن تطوير الإسلام بالصين ينبغي أن يعتمد على تطوير الأعمال الاقتصادية والثقافية، والانتباه كثيرًا إلى الأمور الحياتية، وتقليل الحديث في الدين، واعتقدوا أنه ينبغي على المسلمين الصينيين جميعًا "عدم التحدث في الدين بشكلٍ عشوائي، بهدف تقدم التعليم وانتشاره، واستقرار الحياة للناس"، والأكثر من ذلك أنهم قالوا: "لا ينبغي عقد الاجتماعات في دور الصلاة"، فالمساجد لا بد من أن تدير الأنشطة الدينية فحسب، ولا ينبغي أن تتدخل في تعليم المسلمين وحياتهم.

ولقد طرحوا قائلين: "يستطيع قارئو الكتب نشر الدين وتعاليمه على نطاق واسع، بينما أكثر ما يمكن أن يفعله ممن لا يقرأ الكتب إفساد الدين وتعاليمه"، "ولكن يزداد الطلب على التعليم والعمل يومًا تلو الآخر، فيرتفع الدين بشكلٍ طبيعي درجات ودرجات"[48].

في عصر جمهورية الصين، بدأ الإسلام في الصين حركة ثقافية، مما أدى إلى ظهور سمات غنية ومتنوعة في تطور الإسلام في الصين، في إطار السمات التي قد تشكلت في الماضي.

وفي مواجهة الممارسات الخاطئة التي جلبتها زيادة قراء القرآن الكريم، وقلة من يطالعون الكتب من المسلمين الصينيين، بدأ بعض المسلمين في تقليد النظام التعليمي داخل الدولة، فبنوا عدداً كبيراً من المدارس ذات النمط الجديد، وكان السبب وراء تسميتها بمدارس ذات نمط جديد أن ثمة فروقاً جوهرية بينها وبين التعليم الديني التقليدي. فعلى مستوى المقررات الدراسية، اتخذت مدارس النمط الجديد من تدريس العلوم الطبيعية، والعلوم الاجتماعية، مناهج رئيسية لها، ومن تنشئة الأئمة منهجاً تكميلياً.

وعلى مستوى الأهداف التعليمية، اتخذت من تنشئة الكوادر التي يحتاجها المجتمع هدفاً رئيسياً، ومن تنشئة الأئمة هدفاً تكميلياً. ولقد أدى تأسيس هذه المدارس إلى خروج الطلاب المسلمين من قوقعة المساجد والإسلام، لينتشروا في جميع الدوائر الاجتماعية.

وفي التعليم الابتدائي، أسس الإمام وانغ كوان "مدرسة العاصمة الابتدائية للصف الأول والثاني"، وذلك في شارع نيو بيكين، وأسس أيضاً ما لين إي "مدرسة ابتدائية لجميع الصفوف" في شاو يانغ بخو نان، بالإضافة إلى ذلك، ظهرت أيضاً مدارس ابتدائية كبيرة للمسلمين في شان شي، وجان سو، ونينغ شيا، وتشينغ خاي، ويوننان.

ونالت مرحلة التعليم المتوسط تدريجياً اهتماماً من المسلمين، فقد بنوا مجموعة من المدارس المتوسطة ومدارس المعلمين؛ فعلى سبيل المثال، ثمَّة المدرسة الإسلامية المتوسطة التي بُنيت في عام ١٩٢٨م، وبعد أن اشتهرت بـ"مدرسة المناطق الشمالية الغربية العامة" في عام ١٩٣١م، أسست قسماً للمرحلة المتوسطة، وصفّاً لتدريب المعلمين؛ وفي عام ١٩٣٥م، تم تأسيس أول مدرسة متوسطة للبنات في تاريخ الإسلام في الصين "مدرسة الهلال المتوسطة للبنات"؛ كما أسس سون جونغ وي المسئول بخانغ جو "مدرسة مو شينغ المتوسطة"، علاوة على ذلك، ثمَّة أيضاً "مدرسة المعلمين لتعليم لغة الإسلام" في شانغهاي، و"مدرسة وان شيان الإسلامية للمعلمين" في سي تشوان، و"مدرسة يون تينغ للمعلمين" في نينغ شيا، وغيرها من المدارس.

وكانت "مدرسة تشنغ دا للمعلمين" - التي تم بناؤها في جي نان بشان دونغ - الأهم من بينها جميعاً؛ إذ كان الغرض من إنشائها "تنشئة نموذج من المعلمين المهرة المؤهلين، وتنوير بصيرة مسلمي الهوي بالمعارف، وشرح الثقافة الدينية لقومية الهوي ونشرها".

وكانت أهدافها تنشئة مديري مدارس، وأئمة، ورؤساء مجالس، فإلى جانب طرح المناهج الدينية بالمقررات الدراسية، تم طرح مناهج أخرى كاللغة الصينية، وجغرافيا الصين وتاريخها، والعلوم الطبيعية، والعلوم التربوية، وعلم النفس، والقانون، وغيرها، وذلك من أجل تعزيز القدرات المعرفية والإدراكية للطلاب في (القرآن الكريم)، والحديث الشريف، بالإضافة إلى علم الفلسفة الإسلامية، وعلم الشريعة، وعلم الفلسفة الأخلاقية، والتاريخ، إلى غير ذلك من العلوم.

بعد أن تخرج طلاب أول دفعة في هذا الصف، تم إرسال جزء منهم لمتابعة دراستهم في جامعة الأزهر بمصر، ليصبحوا أول مجموعة فعلية من الطلبة المغتربين على مدار تاريخ الإسلام بالصين[٤٩].

وبعد اشتعال حرب المقاومة اليابانية، ومع الهجرة الداخلية لمدارس وهيئات الثقافة بالمناطق المحتلة بالسواحل الجنوبية الشرقية، والمناطق الشمالية، شهد التعليم الإسلامي خلف مناطق الشمال الغربي، والجنوب الغربي، تطوراً.

وبحلول عام ١٩٤٩م، كانت ثمَّة أكثر من ٢٠ مدرسة متوسطة للمسلمين على مستوى الدولة، وقد خرّجت مجموعة كبيرة من الطلبة المسلمين الذين انتقلوا إلى المدارس العليا. ولقد طبق تأسيس هذا النمط الجديد من المدارس مفاهيم التطوير المتوازي للغتين الصينية والعربية معاً، وحب الوطن وحب الدين، ونهضة الصين، كما أنه أضفى مضموناً وروحاً جديدين لتطور الإسلام في الصين، وفي الوقت ذاته حُوّل التعليم من تعليم ديني قديم الطراز إلى تعليم حديث متطور، ليمهد الطريق لحالة جديدة لتعليم الإسلام في الصين.

◆ التطور الجديد للتنظيمات والمنظمات الاجتماعية للمسلمين:

في نهاية عصر أسرة تشينغ وبداية عصر جمهورية الصين، حمل مجموعة من المثقفين المسلمين - الذين تلقَّوا النمط الجديد من التعليم وتأثروا بتيارات فكرية حديثة - على عاتقهم أهداف إنقاذ وطنهم، وشعبهم، ودينهم، فدقَّقُوا جيدًا واستوعبوا حقيقة الإسلام من زوايا رؤى جديدة، وبدأوا ربط كلٍّ من القضايا الدينية والقضايا الاجتماعية معًا، وأخذوا يدرسونها، ونظموا بإيجابية جميع أنواع التنظيمات الاجتماعية.

في هذه الفترة، بدأت التنظيمات والمنظمات الحكومية للمسلمين الصينيين في الخروج من إطار الأعمال الخيرية، وتبادل المساعدات، ولم يعد للإمام والمسجد دور رئيسي، إذ اتسمت أنشطتهم بسمات اجتماعية وسياسية واضحة.

وإذا تحدثنا عن التنظيمات الثقافية، نجد أن وانغ كوان وآخرينَ قادوا الموظفين، والتجار، وأئمة المساجد المسلمين، في جميع المناطق ببكين، في يوليو من عام ١٩١٢م، وشرعوا في تأسيس "جمعية النهوض بدين الهوي في الصين"، وكان الغرض منها "تجميع مسلمي الهوي على مستوى الدولة، ونشر عقائد ديانة قومية الهوي، ورفع المعارف لمسلمي الهوي، وزيادة مكاسبهم".

وبحلول عام ١٩٣٦م، أسست هذه الجمعية أكثر من ٢٠٠ هيئة فرعية لها في جميع المقاطعات والمدن على مستوى الدولة. ولقد أصدرت هذه الجمعية جريدة (النور المحمدي) نصف الشهرية؛ تدعو إلى نشر التعليم بين المسلمين، وتطوير الأعمال الخيرية، وتنظيم قوي لترجمة أمهات الكتب في الإسلام، وحماية حرية الاعتقاد الديني للمسلمين وغير ذلك، لتصبح التجمع المنظم الشعبي الثقافي الأكثر تأثيرًا، والأوسع نطاقًا للمسلمين بالصين في ذلك الوقت.

وعلاوة على ذلك، تُعد كلٌّ من "النقابة العمالية لمسلمي الهوي بالصين"، التي بدأ باي

تشونغ شي (عمر) في إنشائها ببكين، و"الرابطة الثقافية لدين قومية الهوي بالصين"، التي أسسها فو تونغ شيان في شانغهاي، و"جمعية النهوض بقومية الهوي بشنجيانغ" بارومتشي في شينجيانغ، وغيرها، تعد تنظيمات ثقافية مشهورة للمسلمين في عصر جمهورية الصين.

ومن بين التجمعات الثقافية للمسلمين في فترة جمهورية الصين، كانت ثمَّة بعض التنظيمات الاجتماعية المتخصصة في ممارسة البحوث الأكاديمية في الإسلام؛ ومن بينها الجمعية الأكاديمية الإسلامية التي تم إنشاؤها في بي بينغ في عام ١٩١٧م، كانت تلك الجمعية نموذجًا تقليديًا إلى حد ما. وكانت قواعد (شروط العضوية) بتلك الجمعية تنص على التالي: بالنسبة لما للعضو وما عليه في الإدارة التعليمية، له أن ينشر الدعوات إلى النصوص والكتابة، لكن لا ينبغي عليه أن يهاجم سلوكًا شخصيًا لأحد؛ وله أن يفند الكتابة ويصححها، لكن لا ينبغي عليه أن يتطرق إلى استفزاز خطاب المفكرين الكبار، وله أن يشرح الأسئلة والاستفسارات لأتباع دينه، ولأتباع دين مغاير؛ وعليه أن يستدل بالكتب لعمل مصالحة بين النزاعات المختلفة فيما يتعلق بالتعاليم الدينية والشرائع.

هذه الجمعية أحد أقدم التنظيمات الأكاديمية التي ظهرت على مدار التاريخ الحديث للدين الإسلامي بالصين، ولأفكارها وأساليبها التعليمية الإرشادية تأثير محدد على الدراسات الأكاديمية الإسلامية اللاحقة. وثمَّة أيضًا "الجمعية الأكاديمية لدين الهوي بالصين" التي تم تأسيسها بشانغهاي، كانت تهدف إلى البحث في الإسلام، وبدء تبادل ثقافي للدين الإسلامي في الصين وخارجها، وقد أنشأت (الجريدة الشهرية لدين قومية الهوي بالصين).

وكانت ثمَّة أيضًا المنظمات التي تتسم بسمات دينية غنية نسبيًا، وسط التنظيمات الاجتماعية للمسلمين في تلك الفترة؛ كـ"رابطة الهوي بالصين" التي بدأها كلٌّ من خا شا فو، ودا بو شنغ وآخرين، في أكتوبر من عام ١٩٢٩م، وكانت تهدف إلى المزج بين مشاعر الصداقة للمسلمين في جميع أنحاء الدولة، وتطبيق مشاريع خيرية لمسلمي الهوي،

وتضامن المسلمين في أنحاء الدولة كافة، لمساعدة الدولة، ولقد كان لها تأثير محدد بين مسلمي شانغهاي. ومن بين المنظمات الدينية الإسلامية النموذجية في فترة جمهورية الصين أيضًا "اتحاد الهوي بجمهورية الصين" بنان جينغ، و"اتحاد الهوي بتيان جينفي تيان جين"، و"جمعية محبي دين الهوي بالصين" في هونج كونج، إلى غير ذلك.

علاوة على ذلك، ثمَّة بعض الهيئات ذات مهام مستقلة؛ كـ"معهد الهوي بلان جو" الذي يدفع إلى تعليم مسلمي الهوي، و"جمعية النهوض بتعليم مسلمي الهوي بالصين" في نان جينغ، إلى غير ذلك من التنظيمات التعليمية، وثمَّة أيضًا "جمعية شباب الهوي بالصين" في نان جينغ، و"رابطة نساء الإسلام" بشانغهاي، إلى غير ذلك من التنظيمات الشبابية.

◆ التعمق في أنشطة نشر ترجمة معاني القرآن الكريم:

منذ أن دخل الإسلام الصين، حتى منتصف ما يقرب من الألف عام لعصر أسرة مينغ الملكية، لم تكن ثمَّة نسخ مطبوعة باللغة العربية لـ(القرآن الكريم) والحديث الشريف، ولم تكن ثمَّة نسخ صينية مترجمة، فكان يتم الاعتماد فحسب على تبادل النصوص القرآنية المكتوبة بخط اليد، والاعتماد بشكل رئيسي على الشرح والنقل الشفهي من الأساتذة والمعلمين.

وتسايرًا مع التصيين المستمر للدين الإسلامي في الصين، احتاج المسلمون بشدة - على نطاق واسع - إلى تدريس أمهات الكتب في الإسلام بنصوص صينية. وبعد نهضة التعليم الديني، بدأ المعلمون في استخدام اللغة الصينية في شرح أفكارهم، وبدأ بعض المسلمين أيضًا في محاولات ترجمتها.

لكن بعد عشرينيات القرن العشرين، ظهرت في الصين أخيرًا نسخ صينية كاملة مترجمة لـ(القرآن الكريم). أما نسخ اللغة الويغورية والكازاخية من (القرآن الكريم) فقد ظهرت بعد تأسيس الصين الجديدة.

وتسايرًا مع زيادة حاجة المسلمين الصينيين الدينية وتطور تنظيمات المسلمين الاجتماعية، بدأ ظهور وكالات نشر وإصدار للكتب والمجلات الإسلامية المتخصصة في فترة جمهورية الصين.

ومن أشهر وكالات نشر الكتب هذه دار النشر لمدرسة تشنغ دا للمعلمين، ووكالة بي بينغ للكتب والجرائد الإسلامية، وهيئة كتب قومية الهوي بالصين، ووكالة الكتب الدينية للمؤمنين بشانغهاي، ومتجر شانغهاي للثقافة الصينية.

فقد أعدت دار النشر لمدرسة تشنغ دا للمعلمين مجموعة من المؤلفات المتخصصة، وطبعتها، في التعريف بعقائد الإسلام وتاريخه؛ مثل (الإسلام) لنا جونغ، و(دراسة في تاريخ دين قومية الهوي بالصين)، و(الإسلام والحياة) لما سونغ تينغ، إلى غير ذلك. علاوة على ذلك، قامت بطباعة تصويرية لعدد كبير من المؤلفات الأصلية التراثية باللغة العربية، مثل النسخة العثمانية لـ(القرآن الكري) وغيرها.

وبعد تأسيس دار نشر بي بينغ الإسلامية للكتب والجرائد، تطورت تدريجيًّا حتى اشترت بنفسها معدات للطباعة؛ بعد أن كانت تقوم بتوكيل آخرين بالنيابة عنها في طبع المؤلفات، وقامت أيضًا بالإصدار على مستوى الدولة، ونشرت بعض المؤلفات المتعلقة بتعاليم الإسلام وفلسفته وتاريخه وثقافته ولغته وبلاغته، كما نشرت أول مؤلف في التاريخ الصيني (قاموس شرح الرموز من الصينية إلى العربية). وقد وزَّع متجر دين قومية الهوي كلًّا من (القرآن الكريم) والحديث الشريف المطبوعين، بالإضافة إلى الكتب الدينية المتعلقة بجميع أفرع العلوم في الإسلام، ثم بدأ في ترجمة المؤلفات باللغة الصينية والعربية وتحريرها ونشرها؛ كـ(كتاب التصحيح الإملائي المقارن بين الصينية والعربية)، و(أسئلة وأجوبة مقارنة عن الست عقائد الكبرى في الصينية والعربية)، و(كتب مقارنة عن الصلاة في الصينية والعربية)، و(كتب عن لغة الهوي للمستوى المبتدئ)، و(كتب عن لغة الهوي للمستوى العالي)، وغيرها.

وقد طبعت دار المؤمنين للكتب الدينية بشانغهاي (القرآن الكريم) و(الحديث الشريف) ونشرتهما، اللذين جاءا مع الحجاج من مكة، وأمهات الكتب والمؤلفات المتعلقة بالتعاليم الدينية، والشريعة، والأخلاق، بالإضافة إلى تلك التي تتعلق بالنحو، والبلاغة في اللغة العربية، وغيرها من أفرع العلوم.

ومتجر شانغهاي للثقافة الإسلامية هيئة خدمية شاملة، يقوم بطبع كتب الإسلام ونشرها وتوزيعها، ويركز أنشطته أيضًا على إعادة الطبع والتوزيع للمؤلفات الإسلامية، فيقدم المساعدات لطلاب العلم والحجاج من المسلمين.

وفي فترة جمهورية الصين، ظهرت الجرائد المعنية بالإسلام في جميع مناطق تجمع المسلمين والمدن الرئيسية لهم، وكانت هذه ظاهرة نادرة الوجود، على مدار تاريخ تطور الإسلام فيما قبل.

وكان الغرض من هذه الجرائد "نشر التعاليم الدينية، والدعوة إلى التعليم، وربط الثقافات، ونشر المعلومات"، وكانت ثمَّة أكثر من حوالي مائة جريدة.

ومن الممكن أن نقسم هذه الجرائد إلى أربعة أنواع، حسب المضمون التي حوته.

النوع الأول: الجرائد التي تُركز على نشر التعاليم الدينية؛ مثل (الجريدة الشهرية للجمعية الأكاديمية للهوي بالصين)، و(جريدة الجرس الإسلامية) في يون نان، و(النظريات والقوانين في الإسلام) بجوانغ دونغ، و(جريدة تجن سونغ) في بكين، و(جريدة النور الإسلامي) بتيان جين.

النوع الثاني: جرائد تُركز بشكلٍ خاصٍ على الثقافة الدينية؛ مثل (ضوء القمر) ببكين، و(الفجر) و(الشباب المسلم) في نان جينغ، و(الإنسانية) بشانغهاي، وغيرها.

النوع الثالث: جرائد متخصصة في دراسة أديان المناطق الحدودية؛ مثل (تركيا) و(الجبل السماوي) بنان جينغ، وغيرهما.

النوع الأخير: جرائد مدرسية تؤسس في المدارس الإسلامية؛ مثل (جريدة تشنغ دا) في نان جينغ، و(الطلبة ببكين، و(جريدة اتحاد طلاب شباب دين الهوي بالصين) الإسلاميين)) بشانغهاي، وغيرها.

◆ توسيع نطاق الحج وتحسينه:

في فترة جمهورية الصين، ونظرًا لتحسن ظروف المواصلات، زادت أعداد المسلمين الصينيين المشاركين في شعائر الحج زيادة واضحة، وكانت ثمَّة استعدادات تنظيمية جيدة، إذ تم تشكيل خطوط مواصلات ومواقع تجمع محددة. فقبل فترة جمهورية الصين، وبسبب تخلف وسائل المواصلات، كان المسلمون الصينيون دائمًا يسيرون في الطريق البري من الشمال الغربي، والجنوب الغربي، أو يركبون السفن ليبدؤوا رحلات بحرية طويلة من سواحل الجنوب الشرقي، كل حسب أوضاعه الشخصية، فكانت التكاليف باهظة، والوقت طويلًا.

ومنذ بداية فترة جمهورية الصين، وتسايرًا مع ظهور البواخر بصفتها أداة نقل على نطاق واسع، والرحلات البحرية الدورية، أصبح التنقل بين الشرق والغرب آمنًا، ومناسبًا يومًا تلو الآخر.

وفي ذلك الوقت، أصبحت شانغهاي، باعتبارها مدينة شرقية عالمية، مركز مواصلات بحريًا يربط بين الصين ومناطق جنوب شرق آسيا، وغرب آسيا، وأوروبا وأمريكا، فبدأ مسلمو المناطق الداخلية في الصين بالسفر للحج إلى مكة عبر شانغهاي.

وخلال حرب المقاومة اليابانية، ونظرًا لوقوع شانغهاي في براثن الاحتلال الياباني، تم قطع طريق الحج الساحلي الذي يبدأ من شانغهاي بشكلٍ قسريٍ لفترة من الوقت، وبعد الانتصار في حرب المقاومة اليابانية، أصبحت شانغهاي مجددًا نقطة انطلاق مهمة في رحلة المسلمين الصينيين لأداء شعائر الحج.

وطبقًا للإحصائيات التي لم تُكتمل، فثمَّة ٧٣٣ مسلمًا صينيًا ذهب إلى مكة لأداء شعائر الحج عبر شانغهاي، وذلك من عام ١٩٢٣م إلى عام ١٩٣٣م.

وبعد انتهاء حرب المقاومة اليابانية، ورجوع حركة الحجيج، كان ثمَّة ٢٧٢ شخصًا سافروا للحج بمكة خلال عامي ١٩٤٧- ١٩٤٨م، وقد تمت الموافقة لبعض الحجاج من بينهم بشراء عملات أجنبية بشكل رسمي (١٨٠ جنيهًا إسترلينيًا للفرد).

في البداية، كان مسجد شياو تاو يوان في شانغهاي منطقة تجمع الحجاج، وكان ثمَّة متخصصون في إنهاء إجراءات السفر؛ كجواز السفر، والتأشيرة، وشراء تذكرة الباخرة، وتحويل الأموال وغيرها، لكن كان على الحجاج ركوب الباخرة من شانغهاي إلى هونج كونج، ثم الانتقال إلى سنغافورة، ثم تغيير الباخرة للوصول إلى ميناء جدة بالمملكة العربية السعودية، فكان الحجاج يستهلكون وقتًا كبيرًا.

ومنذ بداية عام ١٩٣٠م حتى اشتعال حرب المقاومة اليابانية، تشاور مسجد شياو تاو يوان مع شركة المداخن الزرقاء الإنجليزية للبواخر، وطلب منها توفير خدمة استئجار القوارب للحجاج الصينيين سنويًا، من شانغهاي حتى جدة.

لم يسهم هذا الإجراء في تخفيض تكاليف الحج ربع ما كانت عليه فحسب؛ بل أتاح للحجاج أيضًا الطعام والشراب المطابقَيْن لتعاليم الإسلام، لذلك نال تأييد الحجاج، وقد استقل ما لين رئيس مقاطعة تشينغ خاي في ذلك الوقت و١٢٦ شخصًا آخرين باخرة من ماركة آسبن، ليست ضخمة، وتوجهوا إلى مكة لأداء مراسم الحج. وعلاوة على ذلك، تم طبع كتاب (من شانغهاي إلى مكة) المتخصص، كي يكون كتيبًا ودليلًا للمسلمين الصينيين عند الحج، وذلك للتيسير على الحجاج.

إن التوسع المستمر في نطاق أنشطة الحج للمسلمين الصينيين والتكامل التدريجي في تنظيمه، عملا قُدمًا نحو توسيع تأثير الإسلام في الصين. ونظرًا للمتطلبات الأدبية الخاصة والسمات الخارجية الواضحة لأنشطة الحج، فإن أخبار الحج لم تصبح أمرًا كبيرًا يشغل المسلمين الصينين فحسب؛ بل أصبحت أحد الأخبار الاجتماعية التي تربط الشعب الصيني بالشعب العربي، وتزيد التعارف بينهما.

في ذلك الوقت، إلى جانب الجرائد التي أسسها المسلمون بأنفسهم مثل (ضوء القمر)، و(الفجر)، وغيرهما مما كانت تهتم بشكلٍ كبيرٍ بنشر أحوال الحج، كانت ثمَّة أيضًا بعض الجرائد المركزية والمحلية تنشر تباعًا أخبار رحلات الذهاب والعودة للحجاج المسلمين، وبعض الأخبار المهمة.

وبعد عودة الحجاج إلى البلاد، كانت تتم كتابة مؤلفات، ومقالات، تقدم تجربة أداء شعائر الحج وانطباعه، ومن تلك المؤلفات (ملخص الحج) لوانغ شي لونغ، و(مذكرات رحلة إلى الغرب) لجاو جن وو، و(مذكرات الحج إلى مكة) لتانغ إي تشن، إلى غير ذلك. وقد أثارت تلك المؤلفات اهتمامًا وعناية شعبية على مستوى الدولة.

علاوة على ذلك، وانطلاقًا من الاحتياجات السياسية التي يتورط فيها المسلمون، أولى الحزب الحاكم اهتمامًا كبيرًا بالحجاج؛ فعلى سبيل المثال، بعد استعادة أنشطة الحج عقب انتهاء حرب المقاومة اليابانية ١٩٤٧م، قام كلٌّ من جانغ تشون رئيس المجلس التنفيذي للحكومة بنان جينغ، ووانغ شي جيه وزير الخارجية، وقام آخرون، كلٌّ على حدة بمقابلة بعثة الحجيج، وقد قام ثلاثة أعضاء مرموقين في حزب الجوة مين دانغ، وهم وو تيه تشنغ أمينٌ عام المقر المركزي لحزب الجوة مين دانغ، وتشن لي فو رئيس قسم التخطيط بالحزب، ولي وي جوه رئيس قسم الإعلام، وغيرهم، بتنظيم حفل شاي للترحيب بالحجاج. وفي اليوم التالي حضر جيانغ جيه شي بنفسه لمقابلة الحجيج وجهًا لوجه، "أعرب الرئيس أولًا عن إعجابه بروحهم الدينية الصافية النقية المخلصة، وأوصاهم بأن ينتبهوا إلى صحتهم، وأن أفضل شيء أن يتخذوا طبيبًا يسافر معهم، وأن يحتفظوا معهم بالأدوية"[٥٢]، وفي الشهر الأول من عام ١٩٤٨م، عادت بعثة الحجاج إلى الوطن، بعدها، ذهب جيانغ جيه شي بمصاحبة بورهان لمقابلة نائب رئيس بعثة الحجيج، وثلاثة نواب عنها. وقد أثارت تقارير وسائل الإعلام عن هذه الأنشطة لأعضاء مرموقين في الحزب الحاكم اهتمام الشعب الصيني وعنايتهم بالمسلمين وأنشطة حجهم.

الباب الرابع

سياسة الحكام الإقطاعيين تجاه الإسلام في الصين عبر التاريخ

"تمثّل أفكار الطبقة الحاكمة الأفكار السائدة في كل عصر. وهذا يعني أن الطبقة هي القوة المادية، وفي الوقت نفسه القوة الحيوية التي تحتل مركز السيادة في المجتمع. وإن الطبقة التي تتحكم في وسائل الإنتاج المادي، هي في الوقت نفسه تتحكم أيضًا في وسائل الإنتاج الحيوي، وطالما يمثلون طبقة تمارس الحكم، وتحدد جميع ملامح العصر والتاريخ، فمن البديهي أنهم يقومون بفعل ذلك في كل مجالات ذلك العصر، وهذا يعني أنهم المفكرون، ويحكمون باعتبارهم منتجي الأفكار، يُعدلون توزيع أفكارعصرهم وإنتاجها؛ بل هذا يعني أن أفكارهم هي التي تحتل مركز السيادة في العصر"[١٧٧]. لذا فإن حماية مصالح الطبقة الحاكمة وتنفيذ إرادتها من الخصائص الرئيسية للنشاط الاجتماعي في المجتمع الطبقي.

إن الصين دولة متعددة الأعراق والأديان، يقوم الدين بدور هام في عملية تشكيل الأمة وتطورها، فهو محتوى هام للخصائص القومية والثقافة القومية. دائمًا ما تتجلى القضايا القومية من خلال القضايا الدينية، في مجرى التاريخ الطويل، إذ أصبحت عنصرًا هامًّا يؤثر على العلاقات القومية.

استغل حكّام الأسر السابقة - بوعي أو دون وعي - الشخصيات الدينية وكتب كونفوشيوس والأنشطة وغيرها، في أثناء اندماج القوميات الصينية، وتعزيز التأثير في الأقليات والتغلغل فيها، من أجل تقليص الفجوة والتناقض بين الأقليات، كما حفزت مسيرة اندماج القوميات بشكل موضوعي عندما عززت حكم قوميتها بشكل ذاتي. وفي السنوات التي أعقبت دخول الإسلام في فترة أسرة تانغ، كان من الحتمي أن يواجه "أفكار الطبقة الحاكمة"باعتباره من الأديان الوافدة، وأن يواجه ضغوط الطبقة الحاكمة التي تقوم بـ"تصحيح التوزيع والإنتاج لأفكار عصرهم"، فمن الحتمي وجود قضايا غير مناسبة وغير متناسقة في كثير من المجالات مع الثقافة الصينية الشاملة.

---

[١٧٧]- ماركس، إنجلز: "الأيديولوجيا الألمانية"، الواردة في "مختارات من مؤلفات ماركس ولينين"، ص ٢٨، دار نشر مدرسة الحزب المركزي الشيوعي الصيني، الطبعة الثامنة، ٨ من فبراير عام ٢٠٠٦.

ثمَّة أغلال وقيود كثيرة على الدين الوافد من الخارج بشكل حتمي وموضوعي، من النظام السياسي التقليدي في الصين الذى يمثل جزءًا مهمًا من الثقافة الشاملة.

"فيجب على قارئ تاريخ الإسلام أن يتحلى بالشجاعة في مواجهة الواقع، وأن يجتهد في دراسة هذه القضية"[178]. ولذا من الحتمي أن يكون مجرى تطور الإسلام وتنميته في الصين المجرى الذي يتحسن باستمرار وينسجم مع بيئتهم المعيشية.

القضية الجوهرية التي يبحثها هذا الفصل، هي تحليل سياسة الإسلام تجاه الأسر الإقطاعية السابقة في الصين، والنظر إلى الدور التوجيهي لنظام السياسة التقليدية الصينية تجاه تنمية الإسلام في الصين، والنظر إلى الدور الإلزامي للحكام السابقين الذين "يتحكمون في وسائل الإنتاج الحيوية" من الجانب المحلى والصيني في الإسلام.

سبق أن أشار السيد باي شو إي - بوضوح - إلى "أن الإسلام الصيني موجود، ولا يمكن أن ينفصل عن الصين، إذ تتأثر تنمية الإسلام الصيني بالبيئة السياسية"[179]. إن نقطة انطلاق جميع الأسر المالكة تجاه سياسة الإسلام، في تاريخ الصين، رغم أنها تختلف باختلاف بيئتها الداخلية والخارجية، إلا أن هدفها حماية مكانتهم السيادية وخدمة الطبقة الحاكمة.

لذا سنشرح من هذا المعنى أن حكام الأسر السابقة سواء كانوا يدعمون الإسلام أو يقيدونه أو يدعمونه ويقيدونه معًا، لا بد أن ثمَّة اختلافًا في الشكل الملموس، لكنَّ ثمَّة شيئًا واضحًا جدًا؛ ألا وهو القوة الاجتماعية للحكام السابقين تجاه أيديولوجية الإسلام وما يتصل بها بشكل وثيق، فلم يتركوا لها قَطّ الحبل على الغارب.

بطبيعة الحال، إن سياسة الحكام السابقين في الصين تجاه الإسلام، هي التهذيب

[178]- بايشو إي: (مختصر تاريخ الدين الإسلامي بالصين)، ص ٩٢، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، يونيو عام ٢٠٠٠م.

[179]- بايشو إي: "مختصر تاريخ الدين الإسلامي بالصين"، ص ٩٢، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، يونيو عام ٢٠٠٠م.

لسياسته الأساسية وفقًا لخصائص الإسلام، في إطار ممارسة سياسته الوطنية الأساسية، وليست مطلقًا سياسة الإسلام البسيطة أو المنعزلة.

ومن أجل تسهيل الدراسة، يبحث هذا الكتاب في سياسة الإسلام للحكام السابقين، وبالتحديد في جانبه الخاص تجاه سياسة الإسلام، والوقت بالتحديد يبدأ من فترة أسرة تانغ إلى تأسيس الصين الجديدة.

أولاً: سياسة "التقبل والتسامح" تجاه الإسلام في عصر أسرة تانغ:

كان معظم المسلمين الذين دخلوا الصين في عصر أسرة تانغ من التجار ورسل الجزية، وهنا نتحدث بالمفهوم الحديث عن الأجانب الذين هاجروا إلى الصين، إذ كان إجمالي عددهم والنطاق الجغرافي الذي ينتشرون فيه محدودًا جدًا، يعيشون بشكل أساسي في العاصمة تشانغآن والمدن الرئيسية الساحلية.

لذا فإن التأثير الثقافي والسياسي للإسلام تجاه الصين ضعيف جدًا، في فترة أسرة تانغ. وبالرغم من زيادة أعداد المسلمين القادمين إلى الصين بشكل متواصل، وزيادة قوتهم الاقتصادية في قوانغتشو وغيرها من المدن الساحلية، إلا أن ثمَّة أيضًا تأثيرًا اجتماعيًا وسياسيًا محددًا على المستوى المحلي.

لكن من النظرة الشاملة طوال فترة أسرة تانغ، لا نجد معلومة أو علامة تُظهر أن التجار والأجانب قاموا بنشر الإسلام في الصين، ومن ثم ثمَّة شغف واضح بالثقافة التي أثرت في الصين، فما حرصوا عليه الأنشطة التجارية. أما بالنسبة لحكام أسرة تانغ، كانت نقطة انطلاقتهم استخدام نموذج الإدارة الشاملة الثابتة، تجاه إدارة المهاجرين الذين يعيشون بشكل مرتكز نسبيًا، ذات وضع خاص وعدد قليل، إذ اتخذوا موقف التسامح والقبول تجاه المسلمين الأجانب، وفقًا لسلسلة الأفكار الأساسية التي "جعلتنا أسرة واحدة مع القوميات الأجنبية"، وانطلاقًا من تنمية التجارة الخارجية، وضمان المصالح الاقتصادية للحكومية.

لخّص الزميل بيو تشن قوي هذه المعاملة في سياسة "التكريم والإحسان"، فالمبادئ الأساسية هي المعنى نفسه أيضًا، وتعكس بشكل أساسي علاقة المسلمين بحكام أسرة تانغ.

◆ الخلفية التاريخية لسياسة تقبل وتسامح أسرة تانغ للإسلام:

فقد الدين التقليدي لقومية هان الصينية محتواه الفكري تدريجيًا، من خلال التحول في فترة الربيع والخريف والدول المتحاربة، وبدأ ينمو تجاه الآداب والأعراف. لذلك فإن الدين، في عيون حكام قومية هان، أيضًا جزء من الآداب والأعراف. إن المبدأ المهم لدى أسرة تانغ تجاه الدين هو الحكم بالأعراف. إنها تتضمن الملابس واللغة والآداب، كما تتضمن أيضًا الإيمان الديني.

تحسّر الأديب لو شون في مقال "القبر مشاعر النظر للمرآة"؛ وقال: "بالرغم من وجود مشاكل على الحدود في فترة أسرة تانغ وهان، فقد تحلى الحكام بالشجاعة والجرأة، وتحلى الناس بالثقة في عدم تبعيتهم لأيّة قومية أخرى، ومنهم من لم يفكر في ذلك مطلقًا، لكن سنكون كالعبيد إذا اعتمدنا على استيراد كل شيء أجنبي، كما يجب استخدامه بحرية، فيجب ألا نحمل حقدًا لأحد". قد يكونُ هذا المقطع مبالغًا فيه بعض الشيء، لكن اعتمدت أسرة تانغ في السياسة على سياسة "طالما استقرت قومية هان في السهول الوسطى، فستكتسب احترام القوميات الأجنبية الأخرى"، واعتمدت في الثقافة على "الامتزاج والاختلاط"، بالتأكيد هذه هي الخلفية العصرية لسياسة التسامح والقبول لدى أسرة تانغ تجاه المسلمين القادمين إلى الصين. بطبيعة الحال، عكست هذه السياسة في حد ذاتها المغزى والدور الفريدَيْن للمسلمين الصينيين تجاه حكومة تانغ.

أولاً: الوضع المزدوج للتجار ورسل الجزية المسلمين القادمين إلى الصين، تمتع بمغزى اقتصادي وسياسي هام تجاه حكومة أسرة تانغ. بالنسبة للمعلومات الحالية، كان ثمّة بعض من كبار مبعوثي أسرة تانغ في ذلك الوقت من التجار المسلمين القادمين إلى الصين ولهم مكانة الرسل، لكنهم يستوعبون أحوال الإمبراطورية العربية الواقعة في الغرب الأقصى بالنسبة لحكام أسرة تانغ، ويقومون بدور الجسر.

بالنظر إلى الاحتياجات السياسية لحكومة تانغ، استُقبل المسلمون القادمون إلى الصين استقبالاً لائقًا، وتلقوا معاملة حسنة، فهذا أمر منطقي.

بالنسبة إلى المسلمين الذين جاءوا إلى الصين لمزاولة التجارة، شكّلوا بشكل تدريجي قوة اقتصادية لا يمكن تجاهلها في قوانغتشو ويانغتشو وتشيوانتشو وغيرها من الأماكن، كما أصبحوا وسيطًا هامًا في التجارة الخارجية مع حكومة أسرة تانغ، خاصة في التبادلات التجارية مع التاشي والفرس. إن هذا الدور التجاري قوة ارتكازية واعتمادية هامة، بالنسبة إلى حكومة تانغ التي تهتم بالتجارة الخارجية، كما يتمتع بمغزى اقتصادي مرموق جداً بالنسبة لضمان المصالح المالية للحكومة.

ثانيًا: أصبح لدى حكومة أسرة تانغ معرفة أساسية بالإسلام، فتقبلت العادات والتقاليد الخاصة بالإسلام؛ بل تكيّفت مع خصائصه بشكل صحيح عند رسم السياسات. ثمّة سجلات كاملة ودقيقة عن الإسلام والتاشي، في المصادر والمراجع القديمة في فترة أسرة تانغ.

كان لدى بعض المسؤولين الإداريين المهمين معرفة عن التاشي والإسلام وغيرهما، من الوثنية والشرك، فلديهم القدرة على الإدراك، بل التعامل بشكل صحيح، مع عادات حياتهم الخاصة والعادات الدينية.

في أوائل فترة كايوان[180] تانغ شيوان تزونغ[181]، جاء مبعوث التاشيين تشاو جينما وباو دين، فلم يذعنا لتقاليد البلاط الإمبراطوري بالركوع بين يدي الإمبراطور، وقد حاول مسئولو المراسم إقناعهما بتغيير موقفهما، ولا فائدة، فلم يذعنا لتقاليد البلاط الإمبراطوري بالركوع بين يدي الإمبراطور، قال تشانغ يوو كبير الموظفين: "إن عادات التاشي وتقاليدهم – تجار المسلمين – متفردة؛ فهم يحبون العادات الصينية، لذا جاءوا

---

[180]- (كايوان: هو مسمى لفترة بين ديسمبر عام ٧١٣م إلى ديسمبر عام ٧٤١م).

[181]- (تانغ شجوان زونغ: هو اسم الإمبراطور الذي حكم الصين في تلك الفترة، وكانت فترة مزدهرة في أسرة تانغ).

إلى الصين، ويحظر ارتكاب أي سلوكيات تخالف القانون". ومن هنا نرى أن دجانغ بو لديه معرفة محددة عن الإسلام، لذا كانت لديه الشجاعة في شرح ذلك للإمبراطور.

ثالثًا: ازدهرت الاتصالات والتبادلات والعلاقات الوثيقة بين حكام أسرة تانغ والأقليات القومية في التاريخ، هذا جعل كل الأباطرة يتمتعون بمفهوم مستنير نسبياً حيال القومية.

أصبح للبلاط الإمبراطوري لأسرة تانغ السلطة الرسمية من جيل إلى جيل بين القوميات والعشائر، ثم أصبحت على اتصال بنبلاء التوجو – الأتراك.

لذا أصبحت على معرفة بالأقليات القومية، فنادراً ما كانت تمارس التمييز أو التعنت ضدهم، وقال الإمبراطور تانغ تاي تزونغ:[182] "نفتخر منذ قديم الأزل بقومية الهان، ونتجاهل الأقليات المقيمين على الحدود، لكني أحبهم مثل قومية هان، لذا فهم يعتمدون علينا مثلما نعتمد على آبائنا وأمهاتنا"[183].

مفهوم القومية لدى تايزونغ جعل معاملته لمسلمي الفرس والتاشي مثل الأقليات القومية المحلية، إذ منحهم القبول والتسامح. بالإضافة إلى ذلك، فقد اتخذ الحكام في فترة أسرة سوي سياسات "تفصل في الحكم بين الأقليات القومية وساكني مناطق الحدود على أساس اختلاف العادات والمعتقدات"، إذ سمحت للأقليات القومية بالاحتفاظ بزيهم القومي المميز والمتفرد وبعاداتهم وتقاليدهم، بشرط اعترافهم بعلاقة التبعية للحكومة المركزية.

وقد ورثت أسرة تانغ بعد قيامها سياسة أسرة سوي التي تحترم معتقدات الأقليات القومية وعاداتها وتقاليدها. وهذه هي أيضًا إحدى الخلفيات المكونة لمفهوم القومية المستتير عند أسرة تانغ.

---

[182] - تانغ تاي تزونغ: الإمبراطور تايزونغ، اسمه الحقيقي هو لي شيمين، ثاني إمبراطور من أسرة تانغ في الصين، وقد حكم من عام ٦٢٦م إلى عام ٦٤٩م. يُعد عادةً أحد أفضل الأباطرة في التاريخ الصيني. وعلى مدار باقي التاريخ الصيني كان حكم الإمبراطور تايزونغ يُعد النموذج المُحتذى، وفي مقابله تُقاس الأباطرة الآخرون كافة. وخلال فترة حكمه، ازدهرت الصين من الناحية الاقتصادية والعسكرية.

[183] - "تاريخ سيرة الحكم" الجزء ١٩٨.

رابعًا: تمحورت أهداف المسلمين القادمين إلى الصين حول تبادل الرسل والتجارة. لذا لم يقوموا بنشر الدين في الخارج، فلم يحدث تنافس مع الأديان الأخرى، ولم يبالوا بالصراعات الدينية في ذلك الوقت. فلم يهاجموا الكونفوشيوسية التي تمثل العقيدة الرئيسية في الصين، بل على العكس حاولوا شرح الإسلام عن طريق الكونفوشيوسية، وبدأوا الخطوة الأولى لدمج الثقافة الصينية مع الإسلام.

بسبب هذه الخصائص، ترك حكام أسرة تانغ منفذًا للإسلام في الصراع السياسي. على سبيل المثال، تجنب الإسلام المصائب الفادحة في حادثة "تانغ وو تزونغ يدمر البوذية"[184] التي وقعت في (عام ٨٤٥م) من العام الخامس في عهد الإمبراطور تانغ وو تزونغ، ولم يتعرض لأي خسائر.

◆ المحتوى الرئيسي لسياسة التسامح والتقبل لحكام أسرة تانغ:

لم يتم اكتشاف أيَّة مواد مكتوبة حتى الآن عن سياسة أسرة تانغ تجاه الإسلام، لكن بالنظر إلى المواد التي انتشرت في وقت لاحق والمصادر والمراجع القديمة في أسرة تانغ، نجد أن سياستها تمثلت بشكل رئيسي في مجال السياسة والاقتصاد واحترام عادات الأديان الأخرى وتقاليدها، وغيرها من المجالات.

من الناحية السياسية، منح حكام أسرة تانغ المسلمين فرصة الدخول في المجتمع الرئيسي، وعاملوهم معاملة خاصة. في فترة تانغ شوان زونج (٨٤٧م – ٨٥٩م)، تم السماح للمسلمين الموجودين في الصين بالمشاركة في الامتحان الإمبراطوري، بل تحديد أعداد المقبولين بالحد الأدنى[185]. هذه الإجراءات جعلت بعض المسلمين يدخلون الدوائر الرسمية، ويتوسعون في نطاق الأنشطة الاجتماعية، ويقومون بشكل موضوعي بالدعوة الأولى للإسلام في الصين.

---

[184] - وقعت الحادثة في أبريل (عام ٨٤٥م) العام الخامس من هويتشانغ في عهد الإمبراطور تانغ وو تزونغ، إذ أغلق ٤٦٠٠ معبد وأكثر من ٤٠ ألف مبنى بوذي، وأرغم أكثر من ٢٦٠ ألف راهب بوذي وراهبة على العودة إلى الحياة العلمانية، فأطلق عليه في التاريخ "هويتشانغ يدمر بوذا". وهدف الهجوم من هذا الحادث هو البوذية، لكنها شملت الأديان الأخرى مثل المانوية والنسطورية والزرادشتية وغيرها من الأديان، فالإسلام لم يتأثر بشكل مباشر.

[185] - تشيان يي: كتاب جديد عن الجنوب"

أصبح لدى التجار المسلمين الموجودين في الصين فرصة الاقتراب من مجتمع الطبقة العليا، حتى وصلوا إلى الأسرة المالكة، إذ قدم المؤرخ، فارسي الأصل، ليسوشا إلى الإمبراطور أفخم أعواد البخور[186]. وبعد اضطرابات أنشي، تأزم الوضع المالي لأسرة تانغ، لذا قامت بإعفاء مبعوثي الجزية الموجودين في الصين، إذ يمكث في الصين الكثيرون من مبعوثي جزية المسلمين الذين لا يرغبون في العودة إلى بلادهم، فمنحتهم الحكومة وظائف عسكرية ووظائف عامة.

من الناحية الاقتصادية، مارست حكومة أسرة تانغ سياسة رقيقة مع التجار المسلمين. في العام الثامن من حكم الإمبراطور تانغ ون تزونغ (عام ٨٣٤م)، طرأت مشكلة زيادة ضرائب الحكومة المحلية التي عكسها التجار المسلمون، وأصدر مرسوماً إمبراطورياً "بأن للتجار الأجانب في كل من ينغنان، وفوجيان، ويانغتشو، حرية الحركة والإقامة في الصين"[187]، وأعاد سلطة الضرائب إلى الحكومة المركزية بشكل مباشر، كما ألغى الضريبة المزدوجة على السلع المستوردة، لضمان حقوق التجار المسلمين ومصالحهم.

من ناحية العادات والتقاليد والحياة الدينية، فكّرت حكومة أسرة تانغ في خصوصية الحياة الدينية وعادات حياة المسلمين القادمين إلى الصين؛ فمن أجل أن تتجنب مشاكل "إذا واجهت أي مسئول عقبة، تهتز له الدنيا"، خففت من الاحتكاك الاجتماعي غير الضروري بين القوميات المختلفة، الناتج عن اختلاف العادات، لتصل إلى هدف "يحول دون ارتكاب الجرائم"، ووضعت سياسة الإقامة "تفصل بين الأجانب والصينيين في الإقامة والسكن"، وشكّلت نظام الفان فانغ[188]. ويمارس المسلمون حياتهم الاجتماعية والدينية بحرية، داخل الفان فانغ.

[186] - كتاب تانغ القديم" الجزء١٧١.

[187] - كتاب تانغ الكامل"، الجزء ٧٥

[188] - الفان فانغ: (مساكن تجارالمسلمين) عبارة عن منطقة للتجار الأجانب، غالبيتها من العرب والفرس، إذ يحتفظون بعاداتهم ولغتهم وطرق طعامهم وشرابهم، فثمّة في منطقة الفان فانغ المساجد والمطاعم الإسلامية والمحاكم الخاصة بهم وقضاة مسلمون، ليحكموا في النزاعات التي قد تنشأ بين المسلمين).

قامت سياسة أسرة تانغ تجاه الإسلام بدور الضامن والمشجع على استيطان المسلمين في الصين وتكاثرهم، وشجعت على نشر الإسلام في الصين، من أجل وضع حجر الأساس المتين للتنمية والدعوة المبكرة للإسلام في الصين. وفي الوقت نفسه، تحمّل المسلمون القادمون إلى الصين مهمة الربط الاقتصادي بين الشرق والغرب والتواصل الثقافي، فلم تزدْ فحسب إيرادات الضرائب الغزيرة للحكومة المركزية؛ بل اتسع تأثير حضارة الصين وأسرة تانغ في العالم، بسبب سياسة حكومة أسرة تانغ حيال الإسلام.

ثانياً: سياسة الحكم الانفصالي في عصر الأسر الخمس تجاه الإسلام:

الأسر الخمس (عام ٩٠٧م – ٩٦٠م) فترة انفصالية مضطربة قصيرة إلى حد ما في تاريخ الصين. في هذه الفترة طرأت إضرابات في شمال الصين؛ فانتقل تباعًا التجار المسلمون الذين استوطنوا تشانغ آن وغيرها من المدن الشمالية، من خلال "طريق الحرير" البري إلى الجنوب، عند جنوب حوض النهر والمناطق الساحلية في الجنوب الشرقي للبلاد.

شكّل التجار المسلمون مناطق مأهولة ذات أحجام مناسبة في تشيوانتشو، وقوانغتشو وسيتشوان، وغيرها من المناطق، واستمروا في ممارسة الأنشطة التجارية الخارجية. لذا ظهرت في ذلك الوقت طبقة من التجار البربر[189]. هذه الطبقة ظهرت جلياً في في مين قووة[190] المطلة على الساحل الجنوبي الشرقي ودول هان الجنوبية[191] الواقعة في لينغ نان[192].

◆ من الناحية الاقتصادية:

حصل التجار المسلمون على الحماية والمعاملة الحسنة بشكل مستمر في سلطة

[189] - انظر إلى الكتاب بالتفصيل، الفصل السادس، الجزء الأول.

[190] - مين قووة: إحدى الدول العشر من عشر دول في الأسرة الخامسة.

[191] -المنطقة الواقعة في جنوب الصين، مثل مقاطعة قوانغدونغ ومنطقة قوانغشي ومنطقة شمال فيتنام.

[192] -لينغ نان: منطقة تضم معظم المناطق الجنوبية في الصين، مثل خونان، ودجيانغ شي، وقوانغدونغ، وقوانغشي، وهاي نان.

الحكم الانفصالي. ثمَّة خبير يعتقد أنه تم منح المسلمين الرعاية والحماية؛ بل حظيت معتقداتهم الإسلامية بالاحترام، فمن الطبيعي ألا يكون السبب عدد المسلمين، أو كفاءاتهم في السياسة.

خلاصة القول، السبب يتمثل في أن المسلمين يمثلون ركيزة التجارة الخارجية، ولهم أهمية كبيرة بالنسبة للإيرادات المالية للأسرة المالكة والتنمية الاقتصادية والاجتماعية، كما فكر في المكانة الخاصة للتجار المسلمين في الحياة الاقتصادية للدولة[193]، بالنسبة لإدارة التجار المسلمين وحكمهم.

هذه الحجة تناسب أسرة تانغ وأسرة سونغ اللاحقة، لكن هذه الخصائص اتضحت أكثر في فترة الأسر الخمس. لذلك استطاعت سلطة الحكم الانفصالي في الجنوب في فترة الأسر الخمس أن تظل موجودة لفترة محددة، والسبب يكمن في وجود موارد مالية وفيرة نسبياً.

الموارد الرئيسية المالية ومكوناتها هي الضرائب على التجارة الخارجية التي يمارسها التجار المسلمون الذين يمثلهم التجار البربر. لذا أصبح التجار البربر قوة اقتصادية لا يمكن تجاهلها على المستوى المحلي.

من المؤكد أن سلطة الحكم الانفصالي فكرت في إيجاد طريقة لتقدم الدعم والضمان اللازم لأنشطة التجّار البربر الاقتصادية؛ بسبب اعتمادها عليهم في الناحية الاقتصادية، لذا من الطبيعي أن تحترم عاداتهم وتقاليدهم والإسلام الذي اعتنقوه التجار البربر. وأصبح مكسب حكام المين قوة في فترة الأسر الخمس وفيراً من ناحية توسيع التجارة الخارجية، حتى أطلق على وانغ يان بين حاكم مدينة تشوانتشو[194] مقولة

[193]- بيوتشنقوي: "الإسلام والسلطة السابقة في الصين"، ص ٨، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، نوفمبر ١٩٩٦م.

[194]- تشوانتشو أو "مدينة الزيتون" كما سماها العرب[1] مدينة تجارية بمقاطعة فوجيان، وميناء هام على ساحل بحر الصين الجنوبي عند مصب نهر جن. تجذب عبر التاريخ العرب والمسلمين بتجارتها وثقافتها. وهي إحدى أكثر مقاطعات الصين التي تعج بالمسلمين وبالمساجد الكبيرة والصغيرة.

"ابحث عن الأصيل وجواره"[195]. إن الكمية الكبيرة من سلع التجارة الخارجية لمملكة المين هي الخزف، وتخرج المنتجات من مدينة تشوانتشو، وتتجه إلى اليابان وكوريا الشمالية وجنوب شرق آسيا والعرب وإيران والعراق وسوريا ومصر وشرق إفريقيا، وغيرها من المناطق. ولقد جمع متحفُ بغداد بالعراق قبل حرب الخليج الثانية خزف اليوو وير الصيني لهذه الفترة.

أصبحت تشوانتشو سريعًا مدينة تجارية عالمية، تحت تحفيز نشاط التجارة الخارجية المزدهر، وأصبح هدفها التجاري الرئيسي العرب ووسط آسيا من الذين يعتنقون الإسلام، وسكان دول جنوب شرق آسيا والفرس. وبسبب حرص الحكام واعتمادهم على التجارة الخارجية، منحوا التجار البربر الذين يعملون وسطاء في التجارة الخارجية والشحن والنقل البحري، الحماية والدعم، ومن ثم قدموا بيئة اجتماعية مناسبة ودافئة وسلمية، لتنمية الإسلام في مقاطعة فوجيان، وقوانغتشو، وغير ذلك من الأماكن.

في عصر الحروب المتواصلة فيما بعد، كانت التنمية الكبرى للإسلام في عصر أسرة سونغ - في تشيوانتشو وقوانغتشو وغيرهما من الأماكن - جزءًا لا يتجزأ من الأساس الذي وضعه الإسلام في فترة الأسر الخمس في الصين، خاصة في الساحل الجنوبي الشرقي.

◆ من الناحية السياسية والعادات والتقاليد:

أظهر الإسلام بشكل زائد العلاقة بين المجتمع والسياسة التي تتفق مع الطبقة الحاكمة، في منطقة شيوي دجونغ. النموذج هو الأخوات الثلاث لعائلة لي. فعائلة لي هي السلالة اللاحقة من مسلمي الفرس، ومن الجيل الثاني الذي ولد في أراضي الصين. لي شون شيان التي تكون إحدى الأخوات الثلاث لعائلة لي هي محظية وانغ يان ملك

[195]- "تشيان لونغ فو تشي تشيوانتشو"، الجزء ٤٠.

مقاطعة شيوي السابقة، هي بارعة في الأدب، لها ثلاث قصائد موجودة في "شعر تانغ الكامل" الموجود اليوم؛ إن لي شون لم تعمل في البلاغة فحسب، "استمتع الملك وانغ يان ببلاغتها الآخذة"[196]؛ بل أصبحت كيميائية مشهورة، لها مؤلَّف باسم "الأدوية البحرية العشبية"، سجّل الكثير من الأدوية العشبية والعطرية الفارسية. ولقد تزوج أيضًا ليو تشانغ ملك هان الجنوبية امرأة فارسية، لكنه "لم يكن في رقة ليشون شيان وحنانه"[197]. ومن الطبيعي أن تثبت كل هذه الأحوال، أن المسلمين الذين عاشوا في فترة حكم السلطة الانفصالية في هان السابقة وشو السابقة، وصلوا إلى درجة عالية فيما يتعلق بالهانية[198].

في الوقت نفسه، يوضح نظام التقارب عن طريق الزواج من الطبقة العليا والطبقة الحاكمة، أن الفرس الذين يعتنقون الإسلام، لم يتعرضوا على الأقل إلى التمييز، في فترة حكم السلطة الانفصالية في هان السابقة وشو السابقة، ومن ثم تهيئة بيئة تنمية وتعايش مناسبة للإسلام.

ثالثًا: سياسة أسرة سونغ تجاه الإسلام:

أُطلق على الإسلام في فترة أسرة سونغ اسم "التاشي فا - قوانين التجار المسلمين"[199]، كما تم تنفيذ سياسة إدارية مناسبة إلى حد ما تجاه المسلمين القادمين من

---

[196]- خقوانغ يوان: "سجل العبر"، الجزء٤.

[197]- بايشو إي: (مختصر تاريخ الدين الإسلامي بالصين)، ص ٣٥٢، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، يونيو عام ٢٠٠٠م.

[198]- الهانية: (أو هان هوا) كلمة تطلق على أي شخص أجنبي اندمج مع قومية هان فاكتسب ثقافة هان، وعاش لفترة طويلة جدًا مع قومية هان، فيطلق عليه "الهاني". كما تعني أن تندمج قومية الهاي وتتحد مع قومية أخرى مجاورة، بشرط أن تكون قومية الهان أقوى منها. بتعبير أدق يتحقق هذا المصطلح عندما تندمج قومية ضعيفة من الناحية الاقتصادية والسياسية والثقافية وقليلة العدد مع قومية قوية، إذ تذوب القومية الضعيفة في القومية القوية (الهان).

[199]- كلمة فارسية الأصل اسمها Tajik، يطلقها الصينيون على العرب المسلمين في فترة أسرة تانغ وسونغ.

الفرس والعرب، في ضوء التفكير الذي يعزز التجارة الخارجية. واتخذ حكام أسرة سونغ سياسة تضع التقريب والتقييد على قدم المساواة، بفضل الدور الخاص للتجار المسلمين في التجارة والاقتصاد.

فهدف سياسة التقريب السيطرة على التجار المسلمين ليستمروا في القيام بدورهم في مجال الاقتصاد، والتقييد إدارة فعالة من جميع الجوانب، ولتجعلهم مع طبقة الحكام على قلب رجل واحد وإرادة واحدة.

◆ الخلفية التاريخية لسياسة التودد التقييدية في فترة أسرة سونغ:

أسرة سونغ أضعف أسرة في التاريخ الصيني، إذ اعتبروا أن التشبث والانعزال السياسة التي تحكم الدولة، وتركوا سياسة تنمية الحدود وتطوير البلاد والأماكن النائية. على عكس ذلك تعلقت القوميات الريفية الزراعية بأراضيها وصعوبة انتقالها، إذ تتسم بالطابع السلمي وتبتعد عن الاستعمارية التوسعية.

اتخذ حكام أسرة سونغ قدوتهم من الحكام القدماء "الذين أرسلوا جنودهم إلى الخارج، ليس من أجل التوسع، لكن لكيلا يتعرضوا إلى عدوان خارجي"[200]. فيما يخص علاقتها بالقوميات وسياستها تجاهها، اتخذت الحكومة سلوكًا يضرب بصرامة على يد الموظفين الذين يخلطون بين الحق والباطل، ويثيرون الفتن بين القوميات. "ففي قوانغشي، قتل سكان ونتشوو البربر(الأجانب)، وارتكبوا جرائم شنعاء"[201]. لذا اتضحت خصائص التقرّب إلى الإسلام، تحت هذه الخلفية الكبيرة. في ذلك الوقت، كان الجوهر الذي يحكم به حكام أسرة سونغ سياسة الإسلام التفكير في استراتيجية التنمية الشاملة للدولة والمصلحة الاقتصادية الفعلية، وفي الوقت نفسه، خضعت للبيئة الاجتماعية والأحوال الخاصة بالتجار المسلمين بالنسبة إلى الوضع الاقتصادي لهم.

---

[200]- "تاريخ سونغ"، البربر، المقالة ١ .

[201]- "تاريخ سونغ"، البربر، المقالة ١ .

ازدادت باستمرار أعداد المسلمين المقيمين في الصين في فترة أسرة سونغ، كما ارتفعت بشكل مستمر نسبة المواليد محليًا، وأصبحوا طبقة جديدة في أسرة سونغ. وتحتل هذه الطبقة مكانة لا يمكن الاستغناء عنها في التجارة الخارجية والحياة الاقتصادية الهامة في هذه الأسرة، وتراكمت ثروتها بشكل هائل، وتمتع بعضها بتأثير اجتماعي مناسب.

أصدر الإمبراطور سونغ شين زونغ[202] مرسومًا إمبراطوريًا: "إن إسهامات التجارة الخارجية في الساحل الجنوبي الشرقي للدولة كبيرة جداً، وتجارة السفن الأجنبية هي واحدة من بين هذه الإسهامات"[203]، إن ما يشير إليه من تجّار السفن هم التجار الأجانب ومنهم تجار مسلمون.

كما يقول سونغ شين تزونغ: "إن أرباح التجارة الخارجية لها فوائد عدة على ميزانية الدولة. كما يجب فتح خطوط النقل والشحن، لجذب التجار الأجانب وفقًا للطرق السابقة"[204]. لذلك، من المؤكد أن تتخذ الحكومة سياسة الاحتكار تجاه التجار المسلمين الذين يتمتعون بقوة اقتصادية وتأثير اجتماعي، انطلاقًا من التفكير في مصلحة الدولة، مما يجعلها تخدم الدولة من خلال طريقة التقريب.

وكان الهدف الرئيسي للتجارة الخارجية لأسرة سونغ هم العرب والفرس والمناطق الإسلامية في جنوب شرق آسيا. واهتمت حكومة سونغ اهتمامًا كبيرًا بالتكريم وحسن الاستقبال لمبعوثي الجزية والتجار المسلمين القادمين إلى الصين، من أجل الحفاظ على العلاقات الدبلوماسية الطبيعية.

سجّل كتاب "تاريخ سونغ. سيرة تاشي" - بشكل متعمّق - قائمة مفصلة بالجزية وأصناف البضائع المرافقة والأنشطة وأسماء تجار تاي القادمين إلى الصين للتجارة، كما

[202]- سونغ شين زونغ: إمبراطور ولد في ١٠٤٨م وتُوُفِّيَ في ١٠٨٥م، وتولى العرش من ١٠٦٧م- ١٠٨٥م.

[203]- "مؤلفات شو تز دجه تونغ"

[204]- "أهم أعمال أسرة سونغ"

سجل المقابلة الخاصة والمعاملة الممتازة التي قدمتها حكومة سونغ إليهم. بالنسبة إلى أحوال التوافق والتعايش بين سلطة القوميات المتعددة وأسرة سونغ.

في مطلع نشوء أسرة سونغ، نجد أن سياستها القومية بشكل عام "تُعظّم الصينيين، وتُحقّر الأجانب"، لكن أمام التحدي الواقعي الموجود في سلطة القوميات المتعددة، خاصة بعد اتحاد تشان يوان، فإن الاتفاق السياسي بين حكومة سونغ ولياو قووة ذات سلطة القوميات المتعددة، جعلها تتخذ موقفًا واقعيًا في سياستها الدينية القومية.

اقترح سودجئ في كتاب له في فترة سونغ يوان يونيان أنه "لا تجب محاكمة الأجانب والأقليات القومية وفقًا للقوانين الصينية". هذا النوع من "الفخر بالصينيين وتحقير الأجانب" إلى الاعتراف بعادات الأقليات القومية وخصوصية النظام والتغير العقلاني، جعل حكومة سونغ تضعف القوة الداخلية التي تقرر الفصل بالقوة بين الحق والباطل للأقليات القومية وفقًا للمفاهيم الصينية السائدة.

يُعد التجار المسلمون الصينيون أحد الأجانب في عيون حكومة سونغ، ومن الطبيعي أن يحصلوا على معاملة متسامحة تجاه عاداتهم ومعتقداتهم الإسلامية.

◆ المحتوى الرئيسي لسياسة التقييد والتقريب لحكام أسرة سونغ:

سياسة التقريب والتسامح تجاه الإسلام في فترة أسرة سونغ يمكن تحليلها وتلخيصها من خلال التطبيق العملي في مجال السياسة والاقتصاد وإدارة المجتمع.

وبنظرة شاملة، نجد حكم الأجانب من الأجانب في مجال السياسة، وحث التجار على دفع الضرائب في مجال الاقتصاد، والحكم بالعادات والأعراف في مجال إدارة المجتمع.

إن جوهرَ سياسة الإسلام لدى حكومة سونغ التي تتمثل في حكم الأجانب من الأجانب في مجال السياسة، هو إدخالُ شخصيات متميزة في نظام عمل السلطة الحكومية، لتصبح قوة داخل النظام، تثبت حكم أسرة سونغ.

أولاً: سياسة حكم الأجانب من الأجانب، تتمتع بمغزى حديث ومستتير محدد، تحت الشروط والخلفية العصرية في ذلك الوقت. واستغلت حكومة سونغ المتميزين المسلمين في الخدمات، تحت أحوال الوضع العام للسيطرة المطلقة. وثمّة اختلاف جوهري بين سياسة حكم الأجانب من الأجانب التي دعت إليها حكومة سونغ، والسياسة التي ظهرت نتيجة التصدي لغزو القوى الكبرى في فترة أسرة تشينغ.

التجسيد الملموس لهذه السياسة – أولًا – في وضع علوم أجنبية؛ تدعو المسلمين المقيمين في الصين وأولادهم إلى دراسة الكونفوشيوسية، والسماح لهم بالمشاركة في الامتحان الإمبراطوري. وإذا قلنا إن المتقدمين للامتحان الإمبراطوري نادرون مثل ريش العنقاء وقرن الوحش الأسطوري، فمع وصول الجيل الرابع والخامس من أحفاد الأجانب المقيمين في الصين، زاد عدد المتقدمين للامتحان بشكل كبير.

ثانيًا: عاملوا التجار المسلمين أصحاب الإنجازات معاملة سياسية، ومنحوهم وظائف حكومية. وفي العام الرابع لسونغ كاي باو (عام ٩٧١م)، تم منح ليكمو – التاجر المسلم القادم إلى الصين – وظيفة جنرال عسكري في خواي خوا. وفي فترة سونغ شين زونغ، تم منح بولو شين – التاجر التاشي – وظيفة تشينغ شين لانغ، لأنه أدخل إلى الصين ألبانًا بلغت قيمة نقلها التجاري ٣٠٠ ألف حبل، وقدّم إنجازات عظيمة؛ وقدمها بشكل واضح في فترة سونغ لي تزونغ، "بالنسبة للبضائع الأجنبية، قام التجار الذين فرضت الحكومة عليهم ضرائب مضاعفة وصلت إلى ٥٠ ألف قطعة فضية برشوة الموظفين الحكوميين"؛ كما حصل بوو شوجين – التاجر العملاق – في جنوب مين[٢٠٥] على "سلطة إدارة السفن، وحق الإفادة من السفن الأجنبية لمدة ٣٠ عامًا".

٢٠٥- مين: اسم آخر لمقاطعة فوجيان

ثالثًا: من أجل تعزيز إدارة المنطقة التي يعيش فيها المسلمون، حدّدت الحكومة منطقة لإنشاء الفان فانغ، ويتم انتخاب قائد الفان فانغ عن طريق سكان الفان فانغ، وتقوم الحكومة بتعيينه. ويرتدي قائد الفان فانغ زي السلطات المحلية الصينية، ويقوم القائد الذي اختارته الحكومة بمعالجة الشئون الحكومية، ويتحمل مسئولية جلب التجار.

يشرف على الشئون الدينية داخل الفان فانغ، ويصدر أحكامه في النزاعات التي تنشب بين المسلمين بموجب الشريعة الإسلامية. "فإذا ارتكب أجنبي خطيئة، فيحاكمه زعيم قبيلته وفقًا لنظامه"، لكن تحال القضية الجنائية الكبيرة إلى السلطات المحلية من الدرجة الأولى لتصدر حكمها.

نقطة انطلاق سياسة الإسلام لحكومة سونغ التي تدعو التجار لدفع الضرائب من الناحية الاقتصادية، هي استغلال الدور الوسيط لقنوات الاتصال الخارجية والتجار المسلمين، وتحفيز طاقاتهم وكفاءاتهم التجارية، وتشجيعهم على توسيع أعمالهم المهنية، ودفع الضرائب بكثرة، حتى أصبحوا مصدرًا ماليًا مهمًا للحكومة.

وتتجسد هذه السياسة في جوانب عدة.

أولاً: اعتبار التجار المسلمين جسرًا للتجارة الخارجية؛ فكثيرًا ما كلفت الحكومة الموظفين الحكوميين المحليين، بأن تحيط علمًا بالتجار الأجانب، عند عودتهم إلى بلادهم، فمن الواجب أن يعبِّروا لزعماء دولهم "عن عواطفهم وامتنانهم"، وينقلوا لهم رغباتهم في إقامة الاتصالات وتعزيزها بين الجانبين.

ومن أجل هذا الهدف، لم تبخل الحكومة المركزية أن تقيم مأدبة كبيرة مع كل الحكومات المحلية، "فالمأدبة من أجل التشاور"، أو اجتماع للمكافآت ودعوات للتجار الأجانب سنويًا.

وفقًا لسجلات "سونغ خوي ياو"، لم تقلّ التكاليف السنوية لهذا الجانب عن ٣٠ مليارًا.

ثانيًا: الدعوة إلى التجارة الحرة. فالسلع التي جلبها التجار المسلمون، بالإضافة إلى البضائع التي قررت الحكومة رسميًا الإشراف عليها، سمحت بممارسة التجارة الحرة في السلع الزائدة. وقضت بأن "الدول الأجنبية والتجار الأجانب الوافدين محليًا يرغبون في الذهاب إلى بلدتهم أو إلى طوكيو (لفك الحصار) والتجارة في البضائع". ويُسمح لسفنهم بالتجارة في الأسواق. "وأن يمنحوا اعتمادًا عامًا، ومن خلاله يمكنهم ركوب المواصلات وتناول الطعام والسكن والبيع بحرية.

ثالثًا: منع فساد الموظفين الحكوميين ومعاقبتهم. فمن أجل منع الابتزاز وتغريب الموظفين ومعاقبتهم، والحفاظ على الحقوق والمصالح المشروعة للتجار المسلمين، سجّل "سونغ خوى ياو" أن الحكومة منعت منعًا باتًا "مراقبي السفن التجارية ودجيجو[206] والطونغ بان[207] وغيرهم، من شراء البضائع الأجنبية ومخالفة أوامر منع التفتيش.

إذا خالف ذلك يُحال إلى المحاكمة". في الوقت نفسه، من أجل منع فساد الموظفين، سمحت الحكومة "إذا اشتكى أجنبي كثيرًا، من موظف ما يتلقى رشاوى، يتم وضع الموظف في السجن". ومن الطبيعي في الوقت نفسه الذي تحمي فيه حكومة سونغ التجار المسلمين في السياسة، تفكر أيضًا في ضربة قوتهم الاقتصادية الهائلة تجاه نظام الاقتصاد المحلي لذا وضعت قيودًا على شراء التجار المسلمين كميات كبيرة من المنازل والأراضي والأعمال التجارية، وأصدرت مرسومًا إليهم "لا لكثرة شراء الأسواق والأراضي والمنازل".

جوهر سياسة الإسلام لحكومة سونغ التي تحكم بالعادات والأعراف من ناحية إدارة المجتمع، هي من أجل أن تجعل المسلمين "لا يخشون على حياتهم، ولا يغضبون الموتى"، فحققت هدف "تبادل المصلحة والمنفعة".

---

[206] - دجيجو: اسم وظيفة قديمة في الصين، وهذه الوظيفة مسئولة عن الشئون العسكرية في الدولة.

[207] - الطونغ بان: اسم وظيفة قديمة في عهد أسرة سونغ، وهذه الوظيفة مسئولة عن شئون الري والقضايا والشكاوى والمزارع والغلة والحبوب.

تعتقد حكومة سونغ أن احترام عادات الأجانب ومعتقداتهم، يصب في مصلحة التجارة الخارجية، بل يؤثر تأثيرًا جيدًا في الخارج. كما رفعت سياسة الأديان القومية إلى الدرجة العالية التي تعزز العمل الخارجي في التعامل. من أجل أن تجعل "الأحياء لا يخشون على حياتهم"، وسمحت الحكومة للمسلمين ببناء مساجد في المناطق المأهولة. بالنسبة إلى السجلات المنقوشة الحالية والمعلومات الأثرية، نجد أن ثمَّة مسجد الصحابة في تشيوانتشو و٣ مساجد أخرى في عهد سونغ، وثمَّة مسجد شيانخس في مدينة يانغتشو، كما تم تشييد مساجد في كلٍ من مدينة هانغتشو ومدينة مينيسوتا (نينغبو) وغير ذلك من الأماكن.

جاء تشييد المساجد تلبية للاحتياجات الدينية للتجار المسلمين، وتعزيزًا لتنمية الإسلام في المناطق المحلية. ومن أجل "ألا يغضبوا الموتى"، سمحت حكومة سونغ المسلمين بتشييد مقابر للمسلمين وفقًا لمتطلبات مراسم الجنازة الإسلامية.

تمكن المسلمون في عهد سونغ من معالجة الأمور المتعلقة بالمراسم الجنائزية بالكامل وفقًا لمتطلبات الإسلام وأولوياته؛ بل لم تعترض العادات الشعبية سبيلهم وتشكك فيهم. حاليًا، لا تزال أطلال مقابر المسلمين موجودة في تشيوانتشو، وثمَّة خرائب لمقابر جماعية للمسلمين معروفة باسم مقابر الأجانب في قوانغتشو، وثمَّة مقابر بوخادين في يانغتشو، ولا تزال مقابر المسلمين في سانيا في جزيرة هينان موجودة حتى الآن.

إن هذه الإجراءات الإدارية الاجتماعية لم تجعل المسلمين فقط يعيشون مطمئني البال ويزاولون التجارة؛ بل أكسبت أسرة سونغ سمعة جيدة في الخارج، ووضعت حجر الأساس لتطوير التجارة الخارجية لأسرة سونغ.

رابعًا: سياسة أسرة يوان تجاه الإسلام:

توحيد أسرة يوان للصين، لم ينهِ فقط الأوضاع الموجودة في ذلك الوقت من تعدد السلطات الحكومية المحلية والاضطرابات والانقسامات لفترة طويلة داخل الدولة منذ

نهاية أسرة تانغ؛ بل أنهى من الأساس الحكم الانفصالي السياسي في تاريخ الصين الذي ظل منقسمًا لفترة طويلة، وأرسى الاستقرار لفترة طويلة لحدود الصين اللاحقة.

في ذلك الوقت، لم يتخطَّ عدد المغول الذين دخلوا السهول الوسطى ٤٠٠ ألف شخص، في بداية تأسيس أسرة يوان، في ذلك الوقت، بينما بلغ عدد سكان الهان المحكومين أكثر من ٦٠ مليون شخص[٢٠٨]. والاعتماد فقط على السلاح يجعل من الصعب ترسيخ السلطة، لمواجهة الفارق الهائل في السكان. وضع حكام أسرة يوان سلسلة من السياسات القومية، من أجل أن يحكموا قومية كبيرة داخل أراضٍ شاسعة، وأن يحافظوا على المصالح الخاصة بقوميتهم، من بينها السياسة التي تتعامل مع أديان القوميات المختلفة. وبسبب صعوبة أوضاع العلاقات القومية، استعمل حكام المغول عقولهم في هذه القضايا، وانصبت عليها همومهم الكبيرة، واستخدموا دون وعي أديان القوميات المختلفة لتعديل العلاقات القومية.

◆ خلفية سياسة الثواب والعقاب التي اتبعتها أسرة يوان تجاه الإسلام:

جنكيز خان - مؤسس أسرة يوان - شخص ليست لديه فكرة مسبقة عن الأديان. سبق أن قال: "أعرب عن احترامي تجاه الأنبياء الأربعة يسوع ومحمد وموسى وغوتاما بودا[٢٠٩]، وأطلب من أحد الأجلاء الذين صعدوا إلى السماء بالحق أن يعينوني"[٢١٠].

اتخذت سلطة حكم أسرة يوان سياسة شاملة في التسامح على قدم المساواة والاستيعاب تجاه مختلف الأديان، وفقًا للاحتياجات التي تحكم القوميات المختلفة. لذا، لم تزدهر البوذية والطاوية في فترة أسرة يوان فحسب؛ بل شهد كلٌّ من الإسلام والمسيحية واليهودية تنمية بمقدار ما.

---

[٢٠٨]- ليانغ فانغ تشونغ: "إحصائيات ضريبة الأرض الإقطاعية والأرض الزراعية وعدد الأسر ومجموع السكان في تاريخ الصين"، الجدول الأول، دار النشر الشعبية في شانغهاي، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

[٢٠٩]- بوذا مؤسس ديانة أو فلسفة البوذية، ويلفظ اسمه أيضًا، هو لقب ديني عظيم، معناه الحكيم، أو المستنير، أو ذو البصيرة النافذة.

[٢١٠]- ماركوبولو: "رحلات ماركبولو"، ص ٧٩، الصحافة التجارية، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٢م.

يامل حكام اسرة يوان من خلال التسامح والقبول للأديان كافة، أن ينشروا تكريم حكام المغول وتهديدهم للشعوب التي فتحوها، ليسيطروا على المحكومين نفسيًا. بالنسبة إلى البوذية، أقامت حكومة يوان نظامًا سياسيًا يدمج الدين بالسياسة في هضبة التبت، وانعمت على باسبا - كاهن[٢١١] مذهب ستيابا[٢١٢] اللامسمية[٢١٣] - بوظيفة الديش[٢١٤]، "لدى المسئولين المحليين تفويض من الإمبراطور في الإدارة والمراقبة"[٢١٥]، ويتمتع أكثر من ١٠ أجيال من ورثة باسبا كلهم بالسمعة الطيبة نفسها والسلطة الكبيرة. بالنسبة إلى الطاوية، أرسل جنكيز خان خادمه سرًا إلى لايدجوو في شاندونغ عام ١٢١٩م، ليدعو تشيو تشوجي زعيم المذهب العالمي للطاوية أن يأتي إلى الغرب، إذ استقبله استقبالاً عظيمًا، ومنحه لقب "قديس"، ولقب "الأستاذ العلامة الكبير"، وأصبح المسئول عن الطاوية في العالم. بالنسبة لليهودية، كان قوبلاي خان "يذهب بنفسه ليقدم الهدايا في اعيادهم الدينية". بالنسبة إلى النسطورية[٢١٦] فقد استقبل قوبلاي خان ماركو بولو، وكلّفه بإرسال رسالة إلى البابا، يطلب فيها أن يرسل ٧٠٠ مبشر لنشر التبشير في الصين[٢١٧]؛ بل إنه سيتحمّل كامل تكاليف المعيشة للمبشرين القادمين إلى الصين.

---

[٢١١]- يطلق عليه اسم فاوانغ، وهو لقب يدل على الاحترام.

[٢١٢]- ستيابا: أحد المذاهب الهامة في الديانة البوذية في التبت.

[٢١٣]- اللامسمية: أحد المسميات الشعبية للديانة البوذية في هضبة التبت. ويطلق عليها أيضًا اسم الديانة اللامية.

[٢١٤]- الديش: اسم وظيفة قديمة، لها معنيان: الأول المرشد الأعلى للدين البوذي في البلاد، مثل باسبا الذي شغل هذه الوظيفة في فترة قوبلاي خان، والمعنى الآخر معلم ولي العهد، مثل فانغ شياورو معلم دجيانوندي ولي عهد الإمبراطور.

[٢١٥]- جانغ جيان وتشجين شوان، "سياسة أديان القوميات عبر التاريخ في الصين"، ص ١٣٦، دار نشر جامعة المعلمين في العاصمة، الطبعة الأولى، يوليو عام ١٩٩٩م.

[٢١٦]- يطلق على النسطورية اسم يلكيون في عهد يوان، ونسطور، وتشير إلى مذهب النسطورية. هذا المذهب دخل الصين في عهد تانغ، واسمه بالصيني جينغ. وبعد أسرة تانغ، تلاشت النسطورية تقريبًا في السهل المركزي، وبعد دخول أسرة يوان السهل المركزي الرئيسي، دخلت النسطورية مرة أخرى الصين.

[٢١٧]- ثمَّة آراء مختلفة عدة تجاه هذا الأمر؛ مثل ما سجله كتاب "التاريخ القديم دوو سانغ مانغ": أن نيكولا الرابع أرسل عددًا من المبشرين إلى الصين في عام ١٢٨٩م، واصطحب معه القديس يوحنا وأخاه ويونو. هناك دعا رسلُ أرغونخان من الإمبراطورية المغولية الإمبراطورَ قبلاي خان أن يؤمن بالمسيحية، ويرسل مبشرين إلى الصين. نتيجة لذلك قام البابا بإرسال يوحنا إلى قوبلاي خان، قال له إنه سعيد جدًا باعتناقه المسيحية، بل أرسل له الكثير من المبشرين". في هذه الآراء كان تواصُل خطابات البابا مع قوبلاي خان هي المعرفة المشتركة، لكن الاختلاف يكمن في اختلاف الرسل.

سجّل أندرو المبشر المقيم في تشيوانتشو: "استمرار العيش في هذا المكان، يمكن بالاعتماد على هبات الإمبراطور في العيش وعطياته. فحسابات تجار جينو وفقًا لذلك الوقت، فإن سعر الصرف لذلك العام، بلغت قيمة الراتب السنوي ١٠٠ فلولين[٢١٨] (تبلغ قيمتها ٥٠ جنيهًا إسترلينيًّا) دزويو يون"[٢١٩]، وبلغ عدد النصارى في الصين في فترة يوان أكثر من ٣٠ ألف شخص.

توضح هذه الأحوال أن حكام أسرة يوان تعاملت من الأساس مع الأديان المختلفة على قدم المساواة، بالنسبة للحكام، مهما تكن الديانة، فهي فقط لإرشاد الجماهير لطاعة النظام، وتطويع العامة، وإقناعهم بواقعهم، ليصل إلى هدف "الرضا بالقليل" للمحافظة على الدعوة.

قال أندرو – الذي يقوم بالتبشير في تشيوانتشو – في خطابه الذي أرسله إلى أوروبا: "داخل هذه الإمبراطورية، شعوب الدول كافة، والأديان جميعها، وكل معتقداتها، يعيشون بحرية. يظن جايدنغ أن جميع الأديان لإنقاذ الشعوب".[٢٢٠]

بعد قيام أسرة يوان، نفذت نظام الطوائف الاجتماعية، ومارست سياسة الأديان القومية التي تتمتع بلون الاضطهاد القومي والتمييز القومي الواضح، من أجل حماية مصالح نبلاء المغول وحقوق القوميات. وتحت نظام الطوائف الأربع، ثمَّة كل النصوص الملموسة غير العادلة تجاه مختلف الطوائف؛ في مجال التعيين في الوظائف الحكومية وفي الوضع القانوني وعدد الأشخاص المشاركين في الامتحان الإمبراطوري والحقوق والواجبات، وغيرها من المجالات.

---

[٢١٨]- اسم عملة اسمها فلورنسا، وهي عملة هولندية.

[٢١٩]- جيانغ ونهان "يهود كايفنغ والمسيحية القديمة في الصين"، ص ١٣٥، دار نشر المعرفة العالمية، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٢م.

[٢٢٠]- جيانغ ون هان "يهود كاي فنغ والمسيحية القديمة في الصين"، ص ١٤٩، دارنشر المعرفة العالمية، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٢م.

في الطوائف الأربع، تتمتع طبقة النبلاء المغولية بأعلى مكانه متميزة، والطوائف الثلاث الأخرى تتبادل الجمود والتقييد، ومن أجل الحفاظ على المصالح العليا للمغول استغلوا السمو في تقييد قومية الهان، واستغلوا قومية الهان في تقييد الجنوبين، واستغلوا الجنوبين في إضعاف الهان، فتبوأ السمو مكانة المغول و تمتعوا بإمتيازاتهم، الهوي هم جزء من السمو.

لذا، فإن المكانة الاجتماعية للهوي، جعلتهم ينالون المعاملة الكريمة والحسنة في مجال السياسة والاقتصاد والثقافة وغيرها من المجالات، ومن ثم تم وضع شروط مناسبة لتنمية الإسلام ونشره في الصين. لكنّ كل ما تقوم به الهوي للحفاظ على مصالح نبلاء المغول وحكمهم، لكن إذا تجاوزت هذا الحد ينالها عقاب شديد. لذا فإن سياسة الإسلام لأسرة يوان من النظرة الشاملة تجمع بين التكريم والتهديد.

بالإضافة إلى أن فترة يوان مرحلة عارمة من الاندماج الكبير والهجرة الكبيرة لمختلف القوميات الصينية، ازداد تدريجيًّا أعداد المسلمين الأجانب القادمين إلى الصين للإقامة، فنشأت طبقة من المسلمين الذين يطلق عليهم اسم الهوي، جعلت هناك أساسًا اجتماعيًّا وجماهيريًّا كبيرًا جدًّا لتنمية الإسلام في الصين. لذا فالبحث في سياسة الإسلام في فترة أسرة يوان، لا يزال يحتاج إلى التفكير في تلك الخلفيتين المهمتين، هما المكانة الاجتماعية للهوي والاندماج الكبير للقوميات.

◆ المضمون الرئيسي لسياسة حكومة أسرة يوان تجاه الإسلام:

التسامح من جانب أسرة يوان تجاه الإسلام، ينطلق من هدف جذب الهوي لتقييد القوميات الأخرى، إذ تعاملت الهوي بسلوك متسامح وممتاز. أما جانب التهديد فيشير إلى أنه إذا أساءت الهوي إلى المصالح الأساسية لمجموعة حكّام المغول، فإنهم يتعرضون إلى التقييد والصدام. فمن النظرة الشاملة، نجد أن جانب التسامح أكبر من جانب التهديد، في سياسة الإسلام لحكومة أسرة يوان التي تجمع بين التسامح والتهديد.

إن التسامح والمعاملة الممتازة لحكام أسرة يوان تجاه الإسلام، يتمثلان بشكل رئيسي في الجوانب التالية.

أولاً: استخدام الشخصيات العليا من قومية هوي في مجال السياسة:

لتلعب دورًا هامًا في بناء الطبقة العليا، حتى وصلت إلى دور يقيد الهان والقوميات الأخرى. ولأن الهوي شاركوا في حرب المغول لتوحيد الصين، أصبح قادة الهوي من أصحاب المراتب العليا في الإمبراطورية المغولية، فمنهم من تولى منصب السفير في الفنغشينغ، ومنهم من تسلم منصبًا في البلاط الملكي، حتى أصبحوا من الوزراء الكبار في البلاط الملكي، ووصلوا إلى رئاسة الوزراء.

ومن الهوي الذين تولوا مناصب رئيس الوزراء الأيسر ورئيس الوزراء الأيمن ومدير الشئون الحكومية والمساعد الأيمن والمساعد الأيسر، إذ بلغ عددهم ١١ شخصًا في وظيفة شيزو تشاو، و٩ أشخاص في وظيفة تشينغ زونغ تشاو، و٤ أشخاص في وظيفة رينزونغ تشاو، و٣ أشخاص في وظيفة تايدنغ دي تشاو، و٣ أشخاص في وظيفة شوندي تشاو[٢٢١].

في تعيين الوظائف الرسمية المحلية، قررت أسرة يوان "أن يتولى المغول مسئولية ضالوخواتشي[٢٢٢]، ويتولى الهان مسئولية الوظائف العامة، ويتولى الهوي مسئولية الطونغجي[٢٢٣]، الوصية بذلك للأبد"[٢٢٤]. قال السيد بايشولو بشكل إحصائي في نص كتابه "ديانة هوي[٢٢٥] والهويون في عهد يوان" إن ثمة حوالي ٥٠ شخصًا من المسلمين تولوا

٢٢١- يانغ جيو: "نظرية الثلاثة ليوان شي"، ص ٢٤٥، دار النشر الشعبية، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٥.

٢٢٢- ضا لو خوا تشي: اسم وظيفة رسمية في تاريخ الإمبراطورية المغولية، أسسها جنكيز خان، إذ انتشرت في فترة الإمبراطورية المغولية وأسرة يوان، هي كلمة مغولية الأصل، تعني "المسئول عن الأختام".

٢٢٣- الطونغجي: وظيفة رسمية قديمة، ويكون موظف الطونغجي مساعدًا لموظف الجيفو، ويكون مسئولاً عن شئون المقاطعة من الغلة والطعام والمؤن والحدود والشئون المالية والشئون العسكرية.

٢٢٤- "يوان شي"، الجزء٦.

٢٢٥- ديانة هوي: الدين الإسلامي.

وظيفة دزايدجي في المراكز والمحليات. وشارك سفراء الهوي في الحكم مع أسرة يوان، وبالرغم من أنهم ساعدوا نبلاء المغول في حكم القوميات كافة، إلا أنهم قاموا فعلًا بدور تشجيعي لتنمية الإسلام في الصين، ووفَّروا وضع "انتشار المسلمين على مستوى الصين في عصر أسرة يوان".

ثانيًا: من ناحية القوانين والأنظمة:

تم تقديم الكثير من الامتيازات للهوي؛ فقبل عهد يوان، كان يحتاج الهوي إلى التحرك بحرية في جميع أرجاء البلاد لأنهم يعملون في التجارة، لكنهم يحتاجون من الأجهزة المعنية الحكومية أن "تمنحهم اعتمادًا عامًا".

وفي عهد يوان، تم إلغاء أوامر الحظر بمرسوم إمبراطوري، مما مكَّن الهوي من حرية الحركة في كل أرجاء الإمبراطورية، بل مكَّنهم من حرية الإقامة.

يعد الهوي هم السمو، وهم يتمتعون بمعاملة متميزة عن الهان، من ناحية الامتحان الإمبراطوري والمكافآت. وعندما تقيم الحكومة الامتحان الإمبراطوري يكون المغول والسمو في قائمة واحدة، والجنوبيون والهان في قائمة أخرى، فالأول أسهل من الثاني؛ من ناحية المكافآت. كما تقول تسجيلات "يوان شي" في عصر أسرة يوان أن المناصب الحكومية قسمت إلى تسع درجات، وكل درجة لطبقتين الرئيس والنائب.

فيحق لمن يشغل منصب رئيس الدرجة الأولى، ويحق لأبنائه الترقي حتى الدرجة الخامسة، في حين أن الذين يشغلون من الدرجة الخامسة يمكنهم أن يشغلوا حتى الدرجة التاسعة. وتُقسم كلٌّ منها لطبقتين رئيس ونائب، ويتمتع أهالي قومية المغول والسمو بمميزات خاصة".

ثالثًا: من الناحية الاقتصادية:

منحت أسرة يوان دعاة مسلمي الهوي امتيازات في دفع الضرائب وأعمال السخرة،

واختارت السفراء من التجّار الهوي. ويعتقد حكام أسرة يوان أن دعاة الأديان - ومن بينهم دعاة الإسلام - هم "أشخاص يدعون السماء لتحل البركة"، فهم يتمتعون بامتيازات تعفيهم من دفع الضرائب وأعمال السخرة.

ونظرًا لأن بعض الهوي لديهم أخلاق في التجارة ويجيدون القيام بالأعمال المالية، قامت الحكومة باختيارهم موظفين لإدارة الأعمال المالية. وتقول التسجيلات في "التاريخ السري لأسرة يوان" أنه في فترة يوان شه تزو، يكون الهوي في العموم أكثر المسئولين عن الأعمال المالية. هذه الحالة من التكامل بين التجار والموظفين من الخصائص الواضحة للهوي في عهد يوان.

رابعًا: من ناحية الإدارة الدينية:

أقيم مركز قضاء الهوي (محكمة المسلمين) في عهد يوان، وكان يعد جهازًا مختصًا بإدارة الشئون الإسلامية، بل يتخذ سياسة الإدارة اليومية السمحة تجاه الإسلام. وفي فترة أسرة يوان، تمكنت كل القوميات من اختيار معتقداتها الدينية بحرية، فليست ثمَّة قيود على الأشخاص الذين يريدون اعتناق الإسلام، فثمَّة مغوليون وبوذيون اعتنقوا الإسلام.

قاد آنشيوانغ أناندا المغولي أكثر من ١٥٠ ألف شخص إلى اعتناق الإسلام؛ بل حصلوا على موافقة قوبلاي خان. واعتنق الهان والجنوبيون الإسلام تباعًا، وادّعوا أنهم من السمو، سعيًا منهم وراء المصالح الاقتصادية، أو قلقًا منهم على المكانة السياسية للطبقات السفلى، وهذه أحد الأسباب التي دفعت إلى زيادة أعداد المسلمين بشكل سريع، كما كانت سببًا في إكساب الإسلام باستمرار الصورة الصينية والمحلية بعد ذلك اليوم.

خامسًا: من ناحية التكنولوجيا والتعليم والثقافة

لاتخاذ أسرة يوان سلوكًا متسامحًا مع الإسلام، تعايشت الثقافات الثلاث معًا، وهي

الإسلام والكونفوشيوسية واللامية في المجتمع، واستخدمت معًا اللغات الثلاث، وهي اللغة المغولية والصينية والفارسية في المجتمع.

انشئت الحكومة مؤسسة التعليم العليا بالإضافة إلى مؤسسة التعليم العالي المغولية، والأكاديمية الإمبراطورية، ومؤسسة التعليم العالي الصينية، والأكاديمية الإمبراطورية، ثم إنشاء مؤسسة التعليم العالي لقومية هوي[٢٢٦]. من أجل القيام بدور متميز في مجال تقويم الفلك والطب وصناعة الأسلحة، وأنشأت حكومة يوان بشكل متخصص ستيانلان[٢٢٧] الهويهي من الدرجة الرابعة، وجوانغ خويس (وهي مؤسسة متخصصة مسئولة عن طب الهوي[٢٢٨] والعلاج) من الدرجة الثالثة، وباوشوو دجيانغ وانخوفو والهوي من الدرجة الثالثة، وتشانغ خشو من الدرجة التاسعة (مسئول عن الترفيه عن الهوي)، وغيرها من المؤسسات. هذه الإجراءات عكست ثقة المغول واعتمادهم على المسلمين في مجال التكنولوجيا والتعليم والثقافة.

قيودُ أسرة يوان على الإسلام - وهجومهم عليه - مصدرها الأساسي سوء الفَهْم والصراع بين الثقافة السائدة لحكام المغول والإسلام. وتنقسم بشكل مبسَّط وتتمثل على وجه العموم في جانبين.

أولاً: عدم توافق الهواجس والمشاعر ومضمون النصوص التي يحتاجها الحكم تجاه الإسلام. في فترة أسرة يوان، زرع النصارى - بشكل مقصود - الانقسام بين الهوي والمغول، وأخبروا قوبلاي خان أن ثمَّة نصوصًا في الإسلام تفتي بقتل كل كافر، وأثاروا شكوكه، فاجتمع مع الهوي ليستفهم منهم عن ذلك. والنتيجة أن واحدًا من الهوي اعترف بأن ثمَّة نصوصًا تؤكد ما ذكر، فأمر قوبلاي خان بقتل ذلك الرجل على الفور.

٢٢٦- أو يطلق عليها مؤسسة التعليم العالي الإسلامي.

٢٢٧- ستيانلان مؤسسة للرصد الفلكي والتقويم، ومختصة بالأمور الفلكية.

٢٢٨- أي الأدوية الإسلامية.

في النهاية قال أحد الهوي الأذكياء: "إن الله أمرنا أن نقتل من يؤمن بآلهة عدة، هذه هي الحقيقة. فالمؤمن بآلهة عدة، المشار إليه، لا يؤمن بالمهيمن الأعلى، يا صاحب الجلالة إن اسم الله الواحد موجود في جميع القوانين و التكليفات "، "فهم قوبلاي خان ذلك التفسير، وأمر بمكافأة ذلك الرجل على تفسيره"[329] . في الواقع، بالرغم من أن حكام المغول سمحوا للمغوليين باعتناق الإسلام، إلا أن ثمَّة بعض التحفظات واليقظة والشك تجاه اعتناق طبقة نبلاء المغول الإسلام.

تعكس "حادثة النصوص" السابقة أمراً هاماً . فبالرغم من أن اعتناق أناندا الإسلام حدث بموافقة قوبلاي خان، إلا أن بعد موت قوبلاي خان، أرسل يوان تشيغ زونغ تيمور - الذي تولى الحكم - اثنين من وزرائه الكبار يقنعان أناندا باعتناق البوذية. فلم تكن هناك نتائج؛ فذهب تيمور بنفسه إلى العاصمة، ليقابله وجهًا لوجه ويقنعه، لكن بعد عدم الجدوى أمر بحبس أناندا، وبالرغم من أنه كان قلقًا من أن يؤدي ذلك إلى غضب شعبي وتمرد عسكري، ثم يطلقون سراحه، إلا أنه في النهاية انتزع الحكم وقتل أناندا.

ثانيًا: إصدار أمر إداري يجبر الهوي على اتباع العادات والتقاليد المغولية.

في فترة جنكيز خان، أصدر مرسومًا يقول فيه للهوي: "أنتم عبادي، تجرأتم على عدم اتباعي في عادات الطعام والشراب"[330] ، بل طلب من المسلمين جميعًا أن يتبعوا عادات المغول في ذبح الحيوانات، ومخالفة ذلك هي الإعدام، بل سيعطي للواشي زوجة المخالف وأولاده ومنازله وأملاكه، ثم يجعله ذكرى باهتة، ونَسْيًا منسيًا.

في زمن قوبلاي خان، ذُكرت مرة أخرى هذه الحادثة، وأدت إلى تشتيت الكثير من أسر الهوي. وسجّل تاريخ منغوليا سوانغ أنه "في ذلك الوقت، كان ثمَّة عدد كبير من المسلمين في الصين، وبسبب هذا الأمر، تعرض هذا الجيل إلى معاملة وحشية لسنوات عدة".

٣٢٩- دووسانغ (السويد) المؤلف، المترجم فنغ تشينغ جيون، "تاريخ المغول الدوو سانغ"، ج١، ص ٣٧٢، مؤسسة شنخوا للكتاب، الطبعة الأولى، مايو ٢٠٠٤م.

٣٣٠- "تاريخ يوان"، الجزء ١٠.

جاء تجار مسلمون من منطقة خولي وتشيرجيس، البادجاوخونغ خوي، فالإمبراطور يعبر عن المعاملة المتميزة لهم، فيهب لهم الطعام، فإن رفض تناوُل الطعام يسأله الإمبراطور عن السبب؛ فيقول له: "إن طريقة الذبح لا توافق شريعتي؛ فاللحم ليس حلالًا، لا يمكنني أكله، فغضب الإمبراطور، بسبب افتراء البوذيين والمسيحيين، فطلب من جنكيز خان أن يحظر قتل الغنم من الحَلْق، والمخالف يُقتل، أو يرحَّل إلى بلده، وتُعطى الهدايا للواشي.

لذا زاد عدد الواشين؛ فكثيرًا ما دمروا بيوت المسلمين واغتنوا. ونال جيل العبيد الحرية، وأصبحوا أمراء. وفي السنوات السبع، كان نبلاء الإسلام وأئمة الإسلام يطلبون من الوزير سانغجا الاقتراب من الإمبراطور، ويقول إنه لم يعد التجار المسلمون يأتون إلى الصين، بسبب نقص الحاجات الممنوحة، وألا تأخذ ضرائب على بضائعهم، لذا أعاد قوبلاي خان هذا الحظر"[331] . عمومًا، لم تكن أحوال التدخل في حياة المسلمين عن طريق الأوامر الإدارية في فترة أسرة يوان ظاهرة عامة، ولم تشكّل أيضًا سياسة الدولة، مقارنة باهتمام أسرة يوان بالإسلام، فظلت هذه الظاهرة ثانوية.

أسرة يوان هي السلطة الوطنية الأولى التي تأسست على الأقليات عبر تاريخ الصين. فتحت الخلفية التاريخية وشروطها في ذلك الوقت، اعتمد حكام أسرة يوان على القلة ونسبة السكان ذات الهوة الواسعة في حكم الأكثرية، واعتمدوا على التخلف في حكم التقدم، لتنفيذ سياسة الضغط القومي والتمييز القومي فحسب، والرتب القومية التي تحمي مصالحها الخاصة الذاتية، فقدّر لهذه السلطة ألا تستمر طويلًا.

لكن، بالنسبة إلى الإسلام في الصين، تحت سياسة أسرة يوان التي جمعت بين التهديد والتكريم، واهتمت بالتكريم أكثر تجاه الإسلام، دفعت إلى ازدهار الإسلام، وتوسع المسلمون في الإقامة داخل الصين، وفي الوقت نفسه، تم اعتباره من الأديان والثقافة غير السائدة.

٣٣١- دووسانغ (السويد) المؤلف، المترجم فنغتشي نغجيون، "تاريخ المغول والدوسانغ"، ج ١، ص ٣٧١، مؤسسة شنخوا للكتاب، الطبعة الأولى، مايو ٢٠٠٤م.

بسبب الزيادة المطردة في أعداد المسلمين واتساع المنطقة التي يعيشون فيها، حاولوا توسيع المصالح الاقتصادية والسياسية بقدر ما يمكن في سياسة الحكام، التي تجمع بين التكريم والتهديد، ولتجنب الكوارث التي تجلبها خدع الحكام ومراوغتهم، انطلق الهوي المشتتون إلى تكوين نفسية دينية مشتركة بشكل تدريجي، أدى ذلك الشعور بالهوية التي تجمعهم. إن كل ذلك وضع حجر الأساس لتكوين الأقليات التي تعتنق الإسلام فيما بعد، كما دفع بشكل سريع المسيرة المحلية للمسلمين الصينيين.

خامسًا: سياسة أسرة مينغ تجاه الإسلام:

في عهد أسرة يوان، أثارت سياسة الاضطهاد والتمييز والحقد المعلنة والوحشية والسافرة من الحكام تجاه الهان، المقاومةَ الكبيرةَ لشعب الهان، ونادوا بشعار "طرد أسر الهولو[232] واستعادة الملامح الصينية"، في نهاية أسرة يوان، وقامت انتفاضة الفلاحين التي هدفها الإطاحة بحكم القوميات الأخرى، تعبر عن مستوى الوعي القومي لشعب الهان الذي يعارض الاضطهاد القومي ويدعو إلى استعادة المكانة والكرامة والمساواة القومية. لكن، تُعد قومية الهان قومية ناضجة، ويعد حكام أسرة مينغ التي يرأسها هونغوو[233] مجموعة من الحكام المحنَّكِين، فلم تؤدِّ المحاسبة السياسية لأسرة يوان - التي حكمت القوميات بشكل وحشي - إلى أعمال انتقامية قومية ومشاعر انتقامية قومية عارمة؛ بل على العكس أدت إلى وعي قومي متساوٍ يتسم بالتسامح والرصانة. وضعت الحكومة سلسلة من السياسات الدينية القومية المتسامحة والمستنيرة، في ظل إرشاد المفهوم القومي الذي يتسم بالوعي والمساواة.

232- الهولو: كل القوميات غير قومية الهان، في الشمال والغرب من الصين القديمة، واتخذ الهان منهم أسرى وعبيدًا.

233- هونغوو: إمبراطور صيني، كان يعرف بتشويوانتشانغ، كان أحد أوائل المؤسسين لأسرة مينغ الصينية. وتعني كلمة هونغوو بالصينية القوة العسكرية الضخمة.

◆ سياسة أسرة مينغ تجاه الإسلام بمدحه واستغلال تأثيره (الدجوان شيانغ وخوا داو):[234]

في عصر أسرة مينغ، تكيَّف الحكام مع واقع الاعتناق الديني الشائع للهوي، عند حل القضية الدينية القومية، واستخدموا طرق التسامح والمساواة في معالجة الشئون الإسلامية وغيرها من الشئون الدينية، في الوقت نفسه، كان ثمَّة حذر تجاه السمو والمغول؛ إذ تم حظر التزاوج من بعضهم لبعض الوقت، وعدم السماح "بأزياء الهولو ولغات الهولو والقاب الهولو"[235]، وحكموا المسلمين والقوميات الأخرى بطريقة توحيد القوميات.

في إطار ذلك، فإن الدور المهم الذي قام به المسلمون في تأسيس أسرة مينغ والعلاقات المعقدة للقوميات التي تواجه الحكام، أصبح أساسًا مهمًّا لسياسة أسرة مينغ التي تؤكد الإسلام.

◆ العلاقات الدولية لأسرة مينغ في ذلك الوقت:

في فترة نهوض أسرة مينغ بشكل تدريجي، نهضت الإمبراطورية التيمورية القوية في منطقة وسط آسيا، وبالرغم من وجود فاصل في المنطقة الغربية بين الإمبراطوريتين، إلا أنه لم تنشأ مجابهة وصراع مباشر. لكن من الناحية الاستراتيجية، لم يكن حذر أسرة مينغ مبالغًا فيه تجاه الإمبراطورية التيمورية. فحكام الإمبراطورية التيمورية هم من سلالة ملوك المغول، وخلفاء جنكيز خان، فبعد أن أطاح هونغوو بأسرة المغول، أقسموا بالثأر لأسرة يوان. لكن تأخَّر حلم الإمبراطورية التيمورية طويلًا دون أن يتحقق؛

234- "الدجوان شيانغ" تعني التأثير الحيوي الكبير للإسلام على المسلمين، واستغلاله في إقناع المسلمين بالطاعة والخضوع لسلطة أسرة مينغ؛ أما "خوا داو" فتعني استخدام طرق مدح الإسلام، ومنح حسن الاستقبال السياسي المماثل للفلسفة المثالية الكونفوشية في بعض المجالات، وإرشاد المسلمين إلى قبول الأفكار الثقافية التقليدية الصينية، ودفعهم إلى الاندماج تدريجيًا في مجتمع الهان.

235- "سجلات مينغ تيتزو شي"، الجزء ٣٠.

بسبب القوة المفرطة لأسرة مينغ، بالإضافة إلى بُعد الطريق. وفي العام الثالث (عام ١٤٠٦م)، سبق لتيمور أن "قاد جنوده ناحية الشرق من بلدة بيشبالي"[٢٣٦]، لكن بسبب البرد القارس للطقس، وصعوبة الطريق وخطره، وبطء التقدم، بالإضافة إلى وفاة تيمور بسبب المرض في العام التالي، تلاشى حلم فتح الشرق. وسمع البلاط الملكي لأسرة مينغ مبكرًا عن تحركات تيمور، فأمر الجيش المرابط في قانسو بأن يكون على أتم الاستعداد. وكانت المكانة الاستراتيجية للمنطقة الشمالية الغربية وغرب المنطقة الوسطى، مهمة جدًا، في المجابهة بين الإمبراطورية التيمورية وأسرة مينغ. لذا، فمن الطبيعي أن تهتم حكومة مينغ بجميع المسلمين المحليين.

◆ دور المسلمين البارز في تثبيت وقيام حكم أسرة مينغ:

في الانتفاضة الكبرى التي عارضت الحكام في نهاية أسرة يوان، أصبح الهوي قادة جيش الانتفاضة، بل قاموا بدور هام في الحرب التي شنها هونغوو للإطاحة بأسرة يوان من الحكم، وأصبحوا من مؤسسي أسرة مينغ[٢٣٧]، وانتشرت أسطورة "المسلمون العشرة الذين قاموا بأدوار هامة في قيام أسرة مينغ" في شعبيات ذلك الوقت.

بعد قيام أسرة مينغ، كان لموظفي الهوي وقادتهم إنجازات عدة في الدفاع عن المناطق النائية وتنمية الحدود وتوسيع أرجاء البلاد وصد العدوان الخارجي، وغيرها من المجالات.

في فترة الإمبراطور هونغوو، استقر موينغ قائد الهوي في مقاطعة يوننان، بعد أن قمع بها الاضطرابات في العام الرابع عشر (عام ١٣٨١م)، إذ عمل كثيرًا من أجل رفاهية العامة، وقدّم إسهامات هامة لتنمية مقاطعة يوننان، حتى مدحه البلاط الملكي.

---

[٢٣٦]- بيشبالي بلدة هامة في الشمال الغربي في عهد أسرة يوان.

[٢٣٧]- انظر هذا الكتاب، الفصل ٦، الجزء ٤،٤.

ماقوي قائد الهوي في وانلي، قاد الجيش إلى بناء حصون في ليجن داتونغ[٢٣٨] وننغشيا وياودونغ وغيرها من الحصون، وفي العام الخامس والعشرين في وانلي (عام ١٥٩٧م) قاد الجيش لمساندة شعب كوريا ضد اليابان، وعاد ظافرًا؛ وتفقد دايون قائد الهوي مقاطعة قانسو، وشينينغ، وغيرهما من الأماكن، وكان اسمه يهز المناطق الغربية، حقق أمجادًا عسكرية مرموقة، عُرف باسم "بطل جنرالات الحدود". إن الإسهامات البارزة التي قدمها قادة الهوي في مجال الشئون العسكرية، رفعت بشكل كبير مكانة الهوى في نظر حكام أسرة مينغ.

◆ دور المسلمين الهام في التنمية الاقتصادية:

من خلال تطور أسرة يوان، تكون أسلوب "انتشار المسلمين على مستوى الصين في عصر أسرة يوان"، مع وصول فترة أسرة مينغ، كوّن الهوي منطقة مأهولة كبيرة في المدن والقرى والطرق الحيوية ومحور المواصلات البرية والبحرية، وأصبحوا وسطاء وحاملين بارزين للأنشطة الاقتصادية والاجتماعية الصينية. وفي مجال الزراعة التقليدية، نقل المسلمون التكنولوجيا الزراعية الحديثة إلى قانسو وننغشيا ويوننان وقويتشو وقوانغشي وغيرها من المناطق النائية، وقدموا إسهامات لتنمية الزراعة في عهد أسرة مينغ.

وفي مجال التجارة، كانت أسرة مينغ على اتصال بالدول الاسلامية في غرب آسيا وجنوبها، وغيرها من الدول الإسلامية، من خلال الطريق البحري. والهوي هم شركاء ووسطاء مهمون، لذا لم يمارس المسلمون الأنشطة التجارية داخل النطاق الذي تديره حكومة أسرة مينغ فحسب؛ بل تجولوا في كل البلدان الواقعة في المناطق الغربية، ودفعوا بشكل مباشر التواصل مع القوميات والدول الخارجية إلى الأمام، مما جعل حكومة أسرة مينغ تدرك الدور المتميز لتجّار الهوي، وتطلب من الموظفين المحليين بجميع مستوياتهم توفير تسهيلات لتبادلاتهم التجارية، وإزالة العقبات عند اجتيازهم المعابر.

---

[٢٣٨]- دا تونغ ثاني أكبر مدينة في مقاطعة شانشي.

في فترة أسرة مينغ، أضافت تنمية الصناعة اليدوية للهوي حيوية للاقتصاد، أصبحت صناعة الأدوية والفخار والدباغة والعطور من الصناعات المميزة لهم، حتى أصبحت بعض البضائع من السلع الرئيسية المهمة لأسرة مينغ في التجارة الخارجية. بالإضافة إلى ذلك، كانت اتجاهات الإسلام التي لها تأثير عظيم في منطقة الشمال الغربي مهمة جداً، خلال قيام أسرة مينغ ومقاومة أسرة يوان الشمالية، خاصةً على الخيول التي تحتاجها أسرة مينغ وغيرها من المواد والسلع الاستراتيجية العسكرية، ومصدرها الرئيسي في منطقة الشمال الغربي، فانتبهت حكومة مينغ إلى هذه الاحتياجات الواقعية، فتساهلت في السياسة الدينية.

◆ الإسهامات التكنولوجية لقومية هوي في تنمية عصر أسرة مينغ:

"الوصفة الطبية للهوي" المجلد ٣٦، أثر الأدوية الصينية التقليدية. اهتم هونغوو بمعرفة الهوي في مجال علوم الفلك، وأنشأ بشكل متخصص مرصداً فلكياً، مسئولاً عن "إعادة النظر في التقويم" و"طرق التقويم" و"رصد الظواهر الفلكية"، وغير ذلك، وظل "تقويم هوي" و"تقويم داتونغ" الموضوعان يستخدمان لمدة ٣٠٠ سنة، وتنتشر حتى الآن كتب علوم الفلك الإسلامية المترجمة ككتاب الفلك مينغ إي" و"تشدجينغ تويبو".

◆ السياسة الدينية ومفهوم القومية الشامل لأسرة مينغ:

في عهد أسرة مينغ، عاشت داخل حدود الصين أكثر من ٥٠ قومية، واحتلت الأقليات مكانة هامة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في عهد أسرة مينغ. لذا فإن حُكم الأقليات الذين يعيشون موزعين في أرجاء البلاد، ومعالجة قضايا التواصل الثقافي والاقتصادي بين جميع القوميات، والعمل على تنسيق العلاقات والمصالح بينها والهان، ومعالجة قضية المعتقدات الدينية لها، وغيرها من القضايا، أصبحت القضايا التي تحتاج إلى حل ضروري وعاجل من حكام أسرة مينغ.

بالتدقيق في تاريخ حكم أسرة مينغ، نجد أن أفكار أسرة هان تقوم على "تعظيم

قومية هان، وتحقير الأقليات"، كما لديها الأفكار التي تقوم على "إن الصيني والأجنبي يد واحدة، ولهما معاملة متساوية"، ظهر بالتناوب هذان الجانبان، وأصبحا ميزة مهمة في السياسة ومفهوم القومية الدينية لأسرة مينغ.

لكن عمومًا، تحتل فكرة "المساواة بين الصينيين والأجانب والمعاملة المتماثلة المتوددة" التيار الأساسي. لذا بالرغم من أن تشو يوان تشانغ منع "ملابس الهولو ولغات الهولو والقاب الهولو" داخل البلاد، إلا أنه دعا كذلك إلى "الود" و"المحبة" تجاه الأقليات، وإلى استغلال أساليب التعليم، في "بناء المدارس، وتعيين المدرسين، فتعليم الكبار والشباب والأطفال، سيغير تدريجياً عاداتهم"[٢٣٩].

واجه تشو يوان تشانغ بعض الوزراء الكبار "لقذفهم وافترائهم الشديد" ضد أسرة يوان، وحذر الرعية قائلاً: "بالرغم من أن أصول أسرة يوان من الأجانب، إلا أننا حكمنا الصين أكثر من ١٠٠ سنة، فنحن والمسئولون والآباء والأمهات، اعتمدنا عليهم كي نكبر، فازدهرت أسرة يوان، وذلك من حسن حظنا، فلا يمكن أن ننكر الجميل"[٢٤٠].

بعد وقت قليل من قيام الدولة، أصدر مرسومًا يقول: "دولتي تلقت أمر السماء، وحكمت الأرض، كانت مخلصة وطيبة، ولم تكن جبارة عصية، فالمساواة، تعم كل أرجاء الدولة بالتساوي"، فجميع القوميات "مثل المولود حديثًا". "بالرغم من أن المغول والسمو ليسوا من قومية الهان، إلا أنهم ولدوا مثلنا على هذه الأرض وتحت ظل سمائها، ولهم عاداتهم وتقاليدهم، ولهم رغبة في أن يكونوا من الرعية، ويريدون أن يكبروا مع مَن في السهول الوسطى دون تمييز"[٢٤١]. كما أكد مينغ تشيغ دزو "أنه لا فرق بين قومية هان والأقليات، في الرحمة الإنسانية"[٢٤٢].

٢٣٩ـ "سجل مينغ تين دزوشي"، الجزء ٣٩، والجزء١٤٧.

٢٤٠ـ "سجل مينغ تين دزوشي"، الجزء٥٣.

٢٤١ـ "سجل مينغ تين دزوشي"، الجزء٢١.

٢٤٢ـ "سجل مينغ تين دزوشي"، الجزء١٢٦.

انطلق حكام أسرة مينغ من مفهوم الدين القومي سابق الذكر، في تكوين تكتيكات وأفكار أساسية لحكم الأقليات؛ منها سياسة حكم الأجانب للأجانب، وتعديل التبادل بين الشدة واللين، استخدموا هذه الأفكار مع مختلف القوميات في مختلف أماكنها، فأنتجت سلسلة من السياسات.

تلك النظم والسياسات الدينية القومية لحكومة أسرة مينغ، تكونت بعد اكتمالها وغناها المستمر على أساس جمع مآثر حكام السلالة، إذ قدمت إسهامات هامة في تنمية الصين وتكوينها، التي وحدت القوميات المتعددة.

لم تكن السياسات القومية الدينية لأسرة مينغ من أجل أن ترثها حكومة تشينغ ومان فحسب؛ بل لأخذ الدروس من أسلوبها وأفكارها الأساسية وما بها من معان مشرقة.

سياسة أسرة مينغ تمدح الإسلام وتؤثر فيه، نتجت عن الأحوال الواقعية التي تجمع بين الإسلام والمسلمين الصينيين، هي أحد الأجزاء المكونة للسياسة العامة للدين وللأقليات.

◆ **المحتوى الأساسي لسياسة أسرة مينغ تجاه الإسلام (دجوان شيانغ وخوا داو):**

سياسة استغلال مدح الإسلام وتأثيره (دجوان شيانغ وخواداو)، ينطلق جوهرها من طمأنة المسلمين وجذبهم، واستغلال التأثير الديني لتصل إلى هدف الحكم "مساعدة الملك سراً" و"يجعل الجميع يحترم الصين". فإن التأثير الحيوي الكبير للإسلام على المسلمين، تحول إلى إقناع المسلمين بالخضوع لسلطة أسرة مينغ وطاعتها. خواداو، هي استغلال الطريقة التي تمدح الإسلام، ورفعها إلى الدرجة العالية التي تشبه الفلسفة المثالية الإقطاعية "العدل يعم الأرض، والأخلاق شملت الحاضر والماضي"، "حيث يتأتى العمق من الحجة الصحيحة"، ومن ثم إرشاد المسلمين إلى قبول الأفكار الثقافية التقليدية، وإزالة الوعي الديني والقومي السابق، ودمجهم في مجتمع الهان.

اتخذت حكومة أسرة مينغ سياستي التسامح والتقيد، من أجل الحفاظ على ما حققته سياسة استغلال مدح الإسلام وتأثيره (جوان شيانغ وخواداو).

◆ **إجراءات حكومة مينغ الخاصة بالمسلمين:**

"يعرب المينغ، عن تقديرهم لدين الهوي[٢٤٣]. إن أمر عدم حظر الحكومة الإسلام (الهوي)، وحظر دين يسوع والمانوية والبوذية، جعل تاريخها متميزاً"[٢٤٤]. هذه المعاملة الخاصة من حكومة مينغ تجاه الإسلام والمسلمين، تُعبّر بشكل ملموس عن:

أولاً: مدح أعلى الحكام منزلة للدين الإسلامي، وأكثر نماذج المدح رسمية كتابة الإمبراطور دجو وين جانغ مقالة تفوق المائة رمز صيني، تمدح الإسلام[٢٤٥].

ثانياً: التعبير عن احترام الاعتناق الديني للمسلمين. من أجل تلبية الاحتياجات الدينية للمسلمين، أمر الإمبراطور بنفسه ببناء الكثير من المساجد وتوسيعها وترميمها؛ والسماح للمسلمين بإقامة الواجبات الدينية والذهاب لمكة لأداء فريضة الحج، وظهر في فترة أسرة مينغ الكثير من المسلمين الذين توّجت أسماؤهم بلقب الحاج، مثل تلقيب جد تشنغخه[٢٤٦] وأبيه بالحاج، وهذا يوضح أنهم ذهبوا إلى مكة لأداء فريضة الحج.

كما حملت رحلات تشينغخه للمناطق الغربية معاني دينية، واعتقد العلماء اليابانيون أن رحلات تشنغخه هي من الأعمال الإسلامية غير العادية التي انتشرت في

٢٤٣- دين الهوي: الدين الإسلامي.

٢٤٤- باي شو إي: "المخطوطات لدراسة تاريخ الإسلام في الصين"، ص ٣٦١، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٣م.

٢٤٥- بيوتشنقوي: "الإسلام والحكم في الصين عبر التاريخ"، ص ١١٥، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، نوفمبر عام ١٩٩٦م.

٢٤٦- تشنغخه: يسمى بالعربية حجّي محمود شمسكان، بحار صيني مسلم، ولد عام ١٣٧١م في أسرة مسلمة تدعى "ما"، من قومية هوي بمقاطعة يونان في جنوب غربي الصين. تربى في بلاط الأمير تشودي من أسرة مينغ، أمير منطقة يان (منطقة بكين حالياً).

جنوب شرق آسيا والهند وغرب آسيا، نتيجة الدور الرئيسي للمسلمين الصينيين، والدور الثانوي لمسلمي جميع دول غرب آسيا والهند وجنوب شرق آسيا.

إذا كان الأمر كذلك، فربما تكون رغبة الإمبراطور تشينغ تزو[247] مسألة أخرى؛ فلديه هدف البحث عن إمكانية الذهاب إلى مكة لأداء فريضة الحج من خلال الطريق البحري، من بين المسلمين الصينيين"[248].

"في أبريل من العام الحادي عشر من حكم الإمبراطور تشنغ تزو (عام ١٤١٣م)، ذهب موظف القصر الرسمي تشنغخه إلى الدول العربية، ومرّ على شنشي، وأحضر المترجمين والرسل، كما أحضر معه الزعيم الديني حسان"[249]، ووفقًا لذلك، يعتقد الباحثون الصينيون أن تشنغخه ذهب إلى مكة لأداء فريضة الحج في رحلته الرابعة للمناطق الغربية"[250].

وبالإضافة إلى تنظيم الحكومة وتشجيعها ترجمة أمهات الكتب الإسلامية وكتب تاريخ الفلك؛ وضحت حياة المسلمين وعاداتهم، "عندما جاء مبعوثو الدول الأجنبية إلى القصر الإمبراطوري، تمت دعوتهم لتناول الطعام. وفي قاعة الطعام، تم فصل المسلمين عن غير المسلمين، ليتناول كل منهما الطعام الخاص به"[251].

---

[247] - هو الإمبراطور ونغلي، ويعد ونغلي، أينندودي، الإمبراطور الثالث لأسرة مينغ بالصين، والذي تولى الحكم من ١٤٠٢م حتى ١٤٢٤م. ويعني اسم يونغلي "السعادة الأبدية".

[248] - ستيان لونغ شين (علامة ياباني) المؤلف، ترجمة دجوانغ جين خوي، "تشنغخه، اتحاد بحارة العالم الإسلامي والصيني"، ص ١٤٤، دار النشر البحرية، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٨م.

[249] - تمت إعادة النصوص المنقوشة على المسجد في العام الثاني من حكم جياجينغ (عام ١٥٢٣م).

[250] - مالي دجانغ: "أخبار أداء تشنغخه فريضة الحج"، مذكورة في "الثقافة الإسلامية لقومية الهوي وتشنغخه"، ص ١١٦، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، يوليو عام ٢٠٠٥م.

[251] - علي أكبر "آ" المؤلف والمترجم دجانغ دجيشن: "تسجيلات الصين"، ص ٩٥، المكتبة الثلاثية، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٨م.

ثالثًا: أصدرت الحكومة قرارات لطمأنة المسلمين والحفاظ على المساجد وغيرها من الإجراءات الدينية. على سبيل المثال، في العام الخامس لمينغ يونغلي (عام ١٤٠٧م) في مايو، أعطى الإمبراطور مرسومًا لشمس الدين المشرف على مسجد هويمين المقام في مدينة سوتشو، يقول له: مولى شمس الدين، اعتنق الإسلام وهو في سن صغيرة، كان يحب فعل الخير لإرشاد المؤمنين، أجاد الفلك والرياضيات، وكان ملتزمًا بقواعد الدين، محترمًا للنظام الإمبراطوري، وتميز بأخلاق رفيعة، ونال التقدير والحفاوة"[252].

رابعًا: المعاملة الطيبة للمرافقين؛ في فترة أسرة مينغ، بلغ عدد المسلمين القادمين من الغرب إلى الصين للعيش بها نحو ١٥٠ ألف شخص. قامت الحكومة بترتيبات مناسبة للمرافقين، خاصة في الفترات الأولى، إذ منحتهم معاملة ممتازة. يقول نص كتاب (امتحان الراغبين في الالتحاق بالمدرسة المتوسطة الملحقة للهوي في المناطق الغربية في عهد مينغ) إنه في الفترة من حكم الإمبراطور مينغ خونوو حتى حكم مينغ شيوان تزونغ، كان معظم الهوي المرافقين من الشخصيات العليا في المناطق الغربية، وكثيرًا ما منحتهم الحكومة الوظائف الحكومية، والنياشين والملابس والأموال والمنازل، ومنحتهم أجورًا جيدة جداً وشروطًا حسنة. ففي العام الأول لحكم الإمبراطور مينغ ينغ زونغ (عام ١٤٥٧م)، وفقًا لإحصاء ميان إيوي في نانجينغ، بلغ عدد الهوي المرافقين في منطقة جايوى آن نحو ٢٥٠ شخصًا. منحت الحكومة ترتيبات مناسبة للهوي المرافقين من العامة، وخصصت لهم الأراضي الزراعية، وخففت عنهم الضرائب، ومنحتهم التنمية والحيوية.

◆ إجراءات حكومة مينغ لتقييد الإسلام:

وضعت حكومة مينغ بعض القيود على الإسلام؛ من أجل أن تحافظ على مصالحها

---

[252] - يبوجنفقوي، ليهشيا وجينغ: (سجل قومية هوي الصينية)، دار نشر الشعب بنينغشيا، طبعة عام ٢٠٠١م.

الأساسية، وفي الوقت الذي كانت تحترم فيه الإسلام، قادت المسلمين إلى الاندماج المستمر مع الثقافة الصينية التي تتمثل في الثقافة الكونفوشيوسية. وتتمثل بشكل عام في:

أولاً: تحفيز سياسة الاندماج باستخدام الطريقة الإدارية:

ينص الجزء ٦ من "دستور مينغ" على أنه "يجب على كل من المغول والسمو، الزواج من الصينيين، وعدم الزواج من سلالتهم نفسها وقوميتهم. ويُجلد المخالف ثمانين جلدة، ويساق المخالف إلى القصر عبداً، سواءً كان رجلاً أو امرأة".

يعد الهوي جزءاً أصيلاً من السمو، بالرغم من أن هذا القانون قدم سنداً شرعياً لزيادة عدد المسلمين والمصاهرة بين الهوي والصينيين، لكن بالنظر إلى نص هذه المادة ذاتها، نجدها في الواقع تفرض قيوداً على الهوي؛ إذ تفرض حظراً على "ملابس الهولو ولغتهم وألقابهم"، مما دفع الهوي إلى تغيير ألقابهم لألقاب الهان؛ بل إلى تغيير زيهم ولغتهم وغيرها من العادات والتقاليد، وهو تعمد الحكام لإخفاء هوية الهوي عن قصد.

هذه هي الإجراءات الإدارية الهامة التي وضعتها لتصيينهم.

لذلك كثيراً ما أخفى المسلمون الذين تولوا وظائف حكومية في عهد أسرة مينغ انتماءاتهم القومية؛ بل ابتعدوا عن الإسلام، بسبب هذه البيئة، كما أنها تسببت في "إخفاء هويتهم الدينية عند دخول القصر"، "ومنهم من ألحد".

دفعت هذه الظاهرة الشخصيات البارزة من المسلمين إلى أن تبتعد عن ثقافتها وقوميّتها، كما دفعت البعض الآخر من المسلمين إلى التمسك بتقاليدهم باستماتة، وأن يبتعدوا عن الثقافة الصينية والكونفوشيوسية، وكانت هذه الظاهرة غير ملائمة للتطور الطبيعي للدين الإسلامي في الصين.

ثانياً: تعزيز إدارة الحكومة وسيطرتها على المساجد:

في فترة أسرة مينغ، أمرت الحكومة بإحضار إمام لكل مسجد، ومنعت من وجود الإمام الأكبر، وألغت الحق السابق للمساجد في إدارة المنازعات الشعبية والشكاوى؛ كما يجب أن يتقدم راغبو التدريس الديني في المساجد في جميع أرجاء البلاد بطلب إلى وزارة الشئون الذاتية المدنية في الصين، لمتابعة إجراءات التسجيل، وبعد أن تصدر الحكومة "الفوتجا" (الوثيقة العامة)، يتولى مسؤولية التدريس في المسجد. هذا هو الإجراء الهام لتعيين موظفي المساجد في أسرة مينغ. إن أهم ما في هذه الإجراءات هو القلق من تضخم النفوذ السياسي الخارجي، وإعاقة قضاء الدولة، وحماية السلطة الإمبراطورية بشكل أفضل.

ثالثاً: الهجوم الشديد على الهوي الذين طلبوا الاحتماء بالمغول، ومعارضة سونغ، إلى جانب الهان الذين كانوا على اتصال سري بالهوي.

رابعاً: مطالبة المسلمين باعتبار الأركان الإقطاعية الثلاثة هي المضمون الرئيسي في الحياة الدينية اليومية، ليس فقط في المدارس الحكومية، بل في المساجد، ويجب عليهم جميعاً الدعوة إلى الأخلاق ومبادئها والأركان الإقطاعية الثلاثة، والعمل بها وبنصوص الإسلام، ومن ثم يمكن تقييد المسلمين وتأديبهم.

وخلاصة القول، إن الإسلام الصيني سار تدريجياً للقبول بعد حالة الانغلاق النسبي في الماضي، تحت سياسة مدح الإسلام واستغلال تأثيره (دجوان شيانغ والخوا داو) في فترة مينغ، وبدأ يندمج في الثقافة الصينية التقليدية ويتواصل معها على نطاق كبير، وعلى مستويات عدة، وعلى مساحة شاسعة.

وفي الفترة الأخيرة من عصر أسرة مينغ، تكونت قومية الهوي وغيرها من الجماعات الإسلامية في الداخل، وظهرت التربية الدينية وتفسيرات النصوص بالكونفوشيوسية وغيرها من الأنشطة الثقافية، كما اعتنق جميع الويغور في شينجيانغ

الإسلام، وأصبحت فترة هامة في تطور الإسلام بخطى ثابتة، وتبلوره تدريجيًا.

سادسًا: سياسة أسرة تشينغ تجاه الإسلام:

تعد أسرة تشينغ إمبراطورية إقطاعية قوية وموحدة لا مثيل لها، تتمتع سياستها الدينية والقومية بخصائص ومميزات لم تتمتع بها الأسر الملكية الأخرى. واجهت القومية الصينية عدوان المستعمرين والإمبريالية الغربية، خاصة في المرحلة الأخيرة من عهد أسرة تشينغ، وتبدو أيضًا القضية الدينية والقومية معقدة في ظل سلسلة التناقضات من عدوان ومقاومته، والاتحاد والانقسام، والتمييز والمساواة، وغيرها.

◆ الخصائص الأساسية لأسرة تشينغ في الحكم والسياسة:

الأيام الأولى لأسرة تشينغ هي الفترة التي أصبحت فيها أراضي الصين واسعة بدرجة لا مثيل لها في تاريخ الصين، ووضعت بشكل أساسي خريطة الصين الحديثة. قال تشو أن لاي من خلال تقييمه: "قبل أسرة تشينغ، لم تحقق أسر مينغ أو سونغ أو تانغ أو الهان، الوحدة التي حققتها أسرة تشينغ. فقامت أسرة تشينغ بدور الموحد"[253]. اتخذت حكومة تشينغ سلسلة من الإجراءات في المجال السياسي، من أجل حماية مصالح الحكام ووحدة أراضي الدولة. وأهم خصائص أسرة تشينغ ما يلي:

◆ تشكيل مفهوم الوطن الموحد للقومية الصينية:

بعد قيام أسرة تشينغ، ظهرت خصائص حب الوطن والسلمية والسماحة في فترة أسرة مينغ من ناحية السياسة الحدودية، وظهرت شراسة خارقة في تنمية المناطق الحدودية. وفي فترة كانغ شي، تم إخماد اضطرابات سان فان وإعادة تايوان وتهدئة السهول الوسطى وسحق الجاردن ودحر المغول وصد عدوان روسيا القيصرية.

[253] تشو أن لاي: "بعض القضايا المتعلقة بالسياسة والقوميات في الصين"، موجود في "مختارات من توحيد الجبهة لتشو أن لاي"، ص ٢٧٨، دار نشر الشعب ببكين، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٤م.

في فترة تشيان لونغ، توحد شمال جبل تيان شان وجنوبه، وتم إخماد اضطرابات دجونجار وترسيم حدود مقاطعة شينجيانغ، وتم ضرب جيش جورخا وهزيمته، وتعديل النظام الإداري لهضبة التبت وممارسة السيادة الكاملة، وغيرها. هذه الأعمال المتميزة ليست فقط لتوسيع حدود دولة أسرة تشينغ وتوطيدها؛ بل لإحداث تغير جذري في مفاهيم الناس وأفكارهم، وتم تدمير الأفكار الضيقة التي تقوم على "الفصل بين الصيني والأجنبي" و"التمييز بين الصيني والأجنبي"، وتكوين أفكار صينية عن الوطن الموحد.

شرح الإمبراطور يونغ تشنغ بوضوح قائلًا: "لقد فتحنا أرض الصين، وحكمنا من في الأرض، وقمنا بضم قبائل المغول وأراضيهم، وبتوسيع الحدود، والعمل على رفاهية الشعب، ولم نميّز بين الصيني والأجنبي"[254].

في العام التاسع عشر من عهد تشيان لونغ (عام ١٧٥٤م)، استخدمت حكومة تشينغ خمسة خطوط كتابية؛ المان والمغول والهان والويغور والتبت، على المدخل الرئيسي لشان دجوانغ لي بمدينة تشينغ دا[255]، فظهر الوعي "بتوحُّد القوميات الخمس" بصورة أولية. ولم تقتصر حكومة تشينغ فحسب على احتلال الأراضي الجديدة التي فتحتها؛ بل درست الأمر [...]كل دقة وروية، وعززت إدارتها عليها، ولم تعتمد وزيرًا وجيشًا لحراستها لفترة طويلة فحسب؛ بل استنفرت الجماهير في الداخل لتتجه نحو التنمية، ليس فقط لترفع مستوى قاطني الحدود، بل الأهم دفع الاندماج القومي والوحدة إلى الأمام.

واتساقًا مع التطور الاجتماعي والاقتصادي للمناطق الحدودية، بدأ نظام القيادات الوراثي في الصين – الذي تشكّل في فترة يوان ومينغ – يعوق التطور الاجتماعي ودخول الثقافة الحديثة، لذا اعتمدت حكومة أسرة تشينغ على القوة العسكرية والاقتصادية الهائلة، وبدأت تمارس سياسة الإصلاح وتحسين التربة وإزالة نظام تولي القيادات

[254]- "سجلات يجي وميلو"، منقول من جانغ جيان ودشيجين شوان: "السياسة الدينية والقومية في الصين عبر التاريخ"، ص ٢١٣.

[255]- مدينة في مقاطعة خابي في شمال الصين.

المتخلف في يونان وقويتشو وسيتشوان، وعملت على تطوير الخدمات الزراعية والتعليمية والثقافية في هذه المناطق، وأسهمت في اتحاد القوميات، لتصب في صالح وحدة الدولة.

إن مسيرة أسرة تشينغ في إقامة دولة متعددة القوميات ووحدة أراضيها، هي في الواقع مسيرة تعارض بشكل مستمر انقسام القوميات، إذ استعادت الكثير من تراب الوطن، وأرست دعائم أمن الحدود، وأخمدت اضطرابات محمد يعقوب بيك في منطقة شينجيانغ التي تدعمها روسيا القيصرية، وفتتت المؤامرة التي وقفت وراءها القوة الإمبريالية الغربية لتفريق القوميات وتقسيم الصين.

تماشت سياسة الانصهار والتودد مع سياسة الاضطهاد والتمييز القومي والوحدة في وقت واحد. إن الفارق الكبير بين عدد قومية المان وعدد السكان المحليين، فرض الاضطهاد القومي والتمييز القومي ليصبح محور سياسة حكومة تشينغ الدينية والقومية.

كانت قومية المان قومية متميزة، طوال حكم أسرة تشينغ، وتعالت على باقي القوميات الأخرى في الدولة منذ بدايتها حتى نهايتها، وضمن حكام أسرة تشينغ الامتيازات الاقتصادية والعسكرية والسياسية لقومية المان عن طريق سياسة منشوريا المتميزة.

واعتبرت حكومة تشينغ أن قومية المغول الحليف الطبيعي لها، من أجل تقييد قومية الهان، وكونت تحالفًا استراتيجيًا معها، لتحقق من الأساس هدفها الاستراتيجي "باتخاذ قبيلة المغول حاجزًا منيعًا"[٢٥٦]. في الوقت نفسه، أنشأت حكومة تشينغ محاكم التفتيش على نطاق واسع، لاضطهاد مثقفي الهان، واتخذت عددًا من السياسات القاسية تجاه قومية الهان من الناحية الإدارية والاجتماعية.

[٢٥٦]- "سجلات تشينغ جاودزونغ"، الجزء ٢٧٥.

أجبر حكام المان قومية الهان - وغيرها من القوميات - على قبول عادات قومية المان وتقاليدها، بحجة "تغيير العادات والتقاليد السائدة"، ونفذت سياسة الاندماج القومي الشديد، من أجل أن تُظهر مكانتها الرائدة. وفي الوقت نفسه التي طَبقت فيه أسرة تشيغ سياسة التمييز والاضطهاد القومي، اتخذت على الجانب الآخر سياسة الانصهار والتودد تجاه القوميات الأخرى، إذ استخدمت السياستين معًا.

أولًا: الأفكار الإرشادية للسياسة القومية التي تقوم على التمييز في الحكم بين الأقليات على أساس العادات والمعتقدات. تعرضت حكومة تشينغ لاستهجان شديد من قومية هان، خلال مسيرة انصهار قومية الهان، لذا تخلت عن طريقتها الوحشية في تعاملها مع الأقليات المقيمة على الحدود، واتخذت الحكومة سياسات مرنة تجاه المسلمين أو البوذيين وغيرهم من معتنقي الديانات، فلا داعي لأن تكون ملابسهم وهيئاتهم مماثلة للأغلبية من قومية الهان.[٢٥٧]

ثانيًا: استمالة مثقفي الهان بالفلسفة المثالية الكونفوشيوسية والتمسك بها، وادّعى الإمبراطور كانغشي بنفسه أنهم قادة الفلسفة المثالية الكونفوشيوسية، وكانت نتيجة ذلك سيطرته على مثقفي الهان المعارضين لأسرة تشينغ.

ثالثًا: القيام ببناء المدارس على نطاق واسع في المناطق الحدودية التي تعيش فيها الأقليات، وتشجيع أبناء الأقليات على دخول المدارس، وتوسيع حدود التعليم والآداب، وزيادة أعداد المقبولين من المناطق الحدودية في الامتحان الإمبراطوري بشكل مناسب.

باشرت حكومة تشينغ التعليم بين الأقليات؛ فهدفها الذاتي "نشر عاداتها ومعتقداتها، وتجميل صورتها"[٢٥٨]. لكنها من ناحية التأثير الموضوعي تنشر أفكار الوحدة

[٢٥٧]- "سجلات تشينغ جاودزونغ"، الجزء ٥٥١.

[٢٥٨]- "تاريخ أسرة تشينغ"، الجزء ٢٨.

الوطنية والوفاق الوطني بشكل حقيقي، وعززت من القوة الدافعة والمكثفة، وشجعت على التطور الثقافي والاقتصادي في المناطق القومية، حتى "ازدهرت الكونفوشيوسية، كما تغيّرت العادات الغاشمة السافرة تدريجياً"[٢٥٩].

◆ الخلفية الملموسة لسياسة أسرة تشينغ تجاه الإسلام:

ثمّة أسباب عدة وخلفيات كثيرة خاصة لسياسة أسرة تشينغ تجاه الإسلام، في ظل الخلفية الكبيرة لسياستها الدينية والقومية.

أولاً: وصل عدد المسلمين في فترة أسرة تشينغ إلى نسبة معقولة؛ بل اتسعت مساحة انتشارهم. وفي فترة داو جوانغ، وصل عدد المسلمين من قومية الهوي إلى مليوني مسلم، منتشرين بشكل أساسي في مناطق الشمال الغربي والجنوب الغربي. واهتم حكام أسرة تشينغ اهتماماً كبيراً بهذه الأوضاع.

ثانياً: منطقة شينجيانغ الشاسعة هي منطقة أطماع روسيا القيصرية، لكن سيطرة طبقة النبلاء من قومية زنغهار على شعب الويغور، جعل من الصعب وصول تأثير حكومة تشينغ إلى منطقة شينجيانغ. وأولت حكومة تشينغ اهتماماً كبيراً بولاء المسلمين للبلاط الإمبراطوري، من أجل تحقيق الوحدة الحقيقية من الناحية السياسية، لذا أقرت بالمعتقدات الدينية للمسلمين المقيمين في منطقة شينجيانغ، واحترمت عاداتهم وتقاليدهم. وأمر الإمبراطور تشيان لونغ، باستخدام اللغات الخمس في النقش على بوابة تشينغ الكبيرة، وعلى النصب الحجري لضريح يونغ وضريح فو وضريح تشاو، وغيرها من أضرحة أسرة تشينغ، بالإضافة لاستخدام لغة المان والمغول وهان والويغور والتبت في الكتابة على البوابة الرئيسية لقصر شان الجوانغ لي الصيفي في تشينغدا، في العام ١٩ من حكم الإمبراطور تشيان لونغ (عام ١٧٥٤م).

[٢٥٩]- "تاريخ أسرة تشينغ"، الجزء ٢١.

ثالثاً: في أثناء فترة حكم أسرة تشينغ، وقفت الانتفاضات المستمرة لشعب الهوي في الجبهة الأمامية للصراع ضد أسرة تشينغ، وما تعبّر عنه الانتفاضات هو الحيوية والشجاعة، وكان لذلك أثره الشديد على حكام أسرة تشينغ، مما دفعهم إلى عدم الاستخفاف بالإسلام والمسلمين.

لذا، أنشأ الحكام الكثير من المؤسسات المتخصصة، في أثناء إنشاء مؤسساتهم الحكومية، على سبيل المثال إنشاء الهيئة العليا للشئون القومية المركزية بشكل متخصص لإدارة لايوان المختصة بإدارة شئون المسلمين، كما شارك مكتب الخطط العسكرية في معالجة شئون المسلمين؛ ووضع أعلى حاكم عسكري إيلي على المستوى المحلي، لإدارة شئون منطقة شينجيانغ، واعتمد وزيراً استشارياً في جنوب منطقة شينجيانغ، للسيطرة على جميع المناطق في جنوب شينجيانغ.

◆ تحوّل سياسة أسرة تشينغ تجاه الإسلام:

تغيّرت، باستمرار، السياسة الدينية تجاه الإسلام في ظل مختلف الشروط ومختلف الفترات، طوال فترة حكم أسرة تشينغ. مرت بالتوالي بتكتيكات إدارية؛ منها "حكم الأقليات بدون تغيير معتقداتهم وعاداتهم"، و"حكم الهوي للهوي" وغير ذلك.

◆ سياسة "حكم الأقليات بدون تغيير معتقداتهم وعاداتهم":

السياسة الدينية لأسرة تشينغ ظهرت بشكل بارز في استغلال الديانة اللامية باعتبارها أداة حيوية لحكم شعب التبت الكبير. وتعاملت حكومة تشينغ مبكراً مع الإسلام، بالرغم من أنها لم تمنح امتيازات اقتصادية واستقبالات سياسية لائقة مثل ما منحته للديانة اللامية، إلا أنها اتخذت سياسة متسامحة ومحترمة تجاه الإسلام، ألا وهي سياسة "حكم الأقليات بدون تغيير معتقداتهم وعاداتهم"، تسمح بوجود الإسلام وتطويره، بشرط طاعة المسلمين للحاكم واحترامهم للنظام القانوني، وفقاً لسياستهم الأساسية الدينية والقومية ومكانة المسلمين في مجتمع تشينغ وتأثيرهم فيه. هذه

السياسة الدينية لأسرة تشينغ حافظت على عادات المسلمين وتقاليدهم ومعتقداتهم الدينية، وسمحت باستمرار تطور الإسلام في الصين، بل أظهرت خصائص جديدة.

◆ اتخاذ سياسة تحافظ على المعتقدات الدينية للمسلمين:

في عهد أسرة تشينغ، يُعد شارع نيو جية في بكين منطقة تجمّع رئيسية للمسلمين في الشمال، ويُعد مسجد نيو جية ذا تأثير كبير وتاريخ عريق، ونشاطه الديني مزدهر عادة.

في يونيو (عام ١٦٩٤م) العام ٣٣ من حكم كانغ شي، بعدما تلقى الإمبراطور كانغ شي معلومات سرية تفيد أن المسلمين المقيمين في شارع نيو جية "يجتمعون في الليل وينتشرون في الصباح التالي، للقيام بمؤامرة العصيان" أمر بالاجتماع الفوري مع وزير الحربية، واصطحابه سراً إلى شارع نيو جية، ليتحقق بنفسه في الليل أن المسلمين يمارسون الأنشطة الدينية الطبيعية، ولا يدبرون المؤامرات، لذا أصدر كانغشي مرسوماً يقول: "إن الهوي، يصلون لله ٥ مرات في اليوم، ولا يأكلون الربا وما حرم الله. ويصومون لله، و يتصفون بالمهارة والذكاء والثقافة، لكن الهوي أفضل من الهان.

فإذا ارتكبوا خطأ، يقول الناس إن المسلمين يدبرون مؤامرة، بل إن المسلمين يرفضون التصرف قبل الاستشارة. ويذهبون إلى المساجد في كل مكان، ولا يخالفون الأوامر، وهم مطيعون جداً"[٢٦٠]. وفيما بعد واجه يونغ تشين وزراءه بأقاويلهم حول حظر الإسلام.

"لسنوات طوال كان بعض الناس يرفضون (كون أهالي الهوي يعتنقون ديناً منفصلاً في حد ذاته، ويعتمدون لغة وملابس مختلفة، وعدوا ذلك تعسفاً وسلوكاً غير قانوني، وطالبوا بتشديد القيود ضد هذا الدين)". وقد فكر الإمبراطور في أن أهالي الهوي لهم دينهم، وقد ترك الجيل الأول له الكثير من الميراث، والحفاظ على نمط الحياة المحلية، ففي النهاية الكل مواطنون صينيون، قد تختلف القوميات والأعراق، حتى أن هوياتهم ولهجاتهم تتسم بالاختلاف.

---

[٢٦٠]- انظر اللوحة الخشبية المحفوظة في مسجد نيو جية.

◆ احترام معتقدات المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم:

سجل "المرشد الحق": "في نهاية العام ١٨ لحكم كانغشي (عام ١٦٧٩م) ما نصه "ذهب الإمبراطور للصيد في لي تشنغ (مدينة كالاباش)، فصعد على شرفة مسجد، ليرى التصميم والعمارة، وتجول هناك وطلب من العاملين بالمسجد دعوة شخص ما لتلاوة القرآن، لكن لم يات أحد في خريف العام الحادي والعشرين من حكم الإمبراطور كانغشي. وأهدى أحد سفراء المناطق الغربية للإمبراطور نسخة من القرآن الكريم، فطلب الإمبراطور من وزارة المراسم أن يستدعوا من يفهم القرآن ويفسره. وحدد موعداً بعد الظهر ، فحضر أئمة يجيدون تلاوة القرآن، لكنهم لا يستطيعون تفسيره أو شرح معناه.

فحدد الإمبراطور موعداً آخر في اليوم الثاني بمنطقة جبل وو تاي بمقاطعة شانشي، لكن الإمبراطور أناب أحد عماله للذهاب بدلًا منه". ويوضح هذا المقطع اهتمام الإمبراطور كانغشي بالإسلام، وشغفه بكتاب الإسلام، ألا وهو "القرآن الكريم". وفي العام ٤٧ من حكم تشيان لونغ، ظهر كتاب "حفلة السماء" ليودجي في دجيانسو، وحصل هذا الكتاب على موافقة الإمبراطور تشيان لونغ، وأُدرج في فهرس ومراجع السيكو، وأصبح من الكتب الإسلامية المحفوظة في "موسوعة السيكو".

بالإضافة إلى قيام أسرة تشينغ بإجبار قومية الهان على تغيير أسلوب حياتهم التقليدية، أثارت المقاومة الشعبية الشديدة؛ في ضوء هذا الدرس التاريخي، اتخذت أسرة تشينغ سياسة "لا تفرض عليهم تغيير ملابسهم، وأن يحتفظوا بعاداتهم وتقاليدهم"، في أثناء توحيد منطقة شينجيانغ وإدارة الأقليات المقيمة في منطقة شينجيانغ.

وبعد أن أخمد البلاط الملكي لأسرة تشينغ الاضطرابات جنوب شينجيانغ (الحدود

الصوفية)، سمحوا باستخدام التقويم الإسلامي ونظام البيك[266] الرسمي، وحافظوا على مزارات آل البيت والصالحين، ووافقوا على المطالب المتعلقة بالملابس والضفائر، بالإضافة إلى البكوات من الدرجة الرابعة فما فوق[267]. وسمحت للمسلمين بممارسة عاداتهم وطقوسهم، ويذكر كتاب "تاريخ الصين في إدارة المنطقة الغربية" أن المسلمين لم يهتموا بالملابس الجنائزية لأسرة تشينغ"، "وأن الضفائر التي اهتمت بها أسرة تشينغ اهتماماً كبيراً لم يتبعها مسلمو الهوي".

◆ **قادة قومية الويغور المطيعون:**

في العام ٢٨ لحكم تشيان لونغ (عام ١٧٦٣م) قومية الويغور) جاء بكوات الويغور [illegible] وتوشيك إلى بكين، فمنحتهم حكومة تشينغ القصور، ومنحتهم الوظائف الحكومية، وأنشأت مكتب شؤون المسلمين، بل أنشأت - خصيصاً - مسجداً لهم (اسمه مسجد شيشانغ آن)، يأكل العاملون بالمسجد من طعام الإمبراطور.

إن أجمل نصب حجري ونموذجي للمسلمين في فترة أسرة تشينغ هو ذلك النصب الحجري الذي شيده الإمبراطور تشيان لونغ في بكين، يقف هذا النصب الحجري داخل مسجد شيده الإمبراطور تشيان لونغ على نفقة الدولة"، "هذا المسجد شُيِّد على نفقة الدولة عام ١٧٦٤م، وتم تسجيل هذا الحدث على النصب الحجري ليكون تخليداً وتذكيراً، وفي الوقت نفسه نُقش على الحجر نفسه أربع لغات؛ هي لغة الهان والترك والمغول والمان، منها لغتان منقوشتان على الجهة الشمالية للحجر، ولغتان منقوشتان على الجهة الجنوبية". ثمّة الختم الخاص بالإمبراطور تشيان لونغ في نهاية نقش النصب

---

[266]- [illegible] لقب تركي للإمبراطورية العثمانية (بك) هي كلمة تركية معناها السيد أو الأمير، وهي تنطق هكذا (بيك)، ومنها [illegible] في بلاد فارس ([illegible]) ومعناها السيد الأب، ثم أطلق [illegible] على [illegible] وعلى الأمير نفسه.

[267]- المناصب الحكومية تنقسم لتسع درجات، وتنقسم لرئيس ونائب.

التذكاري المكتوب باللغة الصينية"[268]. تشرح نقوش النصب الحجري بشكل رسمي سياسة أسرة تشينغ تجاه الإسلام.

أولاً: توحيد الأفكار المختلفة، "بداية لا نمنع الديانات الأخرى، لكن نعمل على توحيدها"، وبمعنى آخر: من أجل مصلحة إمبراطورية موحدة متعددة القوميات، فلا داعي لإنكار الإسلام.

ثانياً: الاعتماد على التجانس والموائمة بين الأقليات بسبب دياناتها"، و"اتخاذ سياسة التهدئة في ربوع البلاد"، بمعنى أن تشييد هذا المسجد دليل على الاعتراف بالإسلام، لكنه ليس دعوة إلى الإسلام.

ثالثاً: "القبلة غرباً القبلة شمالاً[269] ليحترم الجميع معتقدات الجميع"، هذا يعني أنه أيّاً كان الركوع تجاه الغرب أو الشمال، فالاحترام الذي يعبر عنه واحد، مثلما تدور النجوم في الفضاء، ووفق هذه المبادئ تتبعنا الجماهير وتتقدم معنا.

لا مانع من ممارسة المسلمين نشاطاتهم ما داموا يطيعون الإمبراطور. هذه السياسات الثلاث، شملت جميع السياسات الصينية تجاه الإسلام، انطلاقًا من اتباع سياسة التهدئة تجاه قومية الويغور، ويمكن القول: إن هذا تفسير وشرح لسياسة "حكم الأقليات بدون تغيير معتقداتهم وعاداتهم".

وفقًا لهذه السياسة، قام البلاط الإمبراطوري لأسرة تشينغ بتجنيد بعض الشخصيات المتميزة من مسلمي الصين وتوظيفها، وأصبح المسلمون المحليون موظفين كباراً في حكومة تشينغ، من خلال الامتحان الإمبراطوري. قال الإمبراطور في المرسوم الإمبراطوري الذي أصدره: "ثمّة الكثير من المسلمين ذوي الإرادة ملتحقون بالامتحانات

---

[268]- مارشال بوموخر (إنجلترا): "الإسلام في الصين: القضية التي تم إغفالها"، ص ١٠٦، لندن، طبعة عام ١٩١٠م.

[269]- عندما عقد الإمبراطور الديوان الإمبراطوري، جعل وجهه باتجاه الجنوب وظهره باتجاه الشمال، لأن الموظف وون وو ركع ليصلي باتجاه الشمال قائلاً: "قبلتنا للشمال"، يتجه المسلمون لاتجاه مكة أم القرى، لتأدية صلواتهم الخمس اليومية، بمعنى الاتجاه غرباً فيما يعرف بـ"القبلة غرباً".

الإمبراطورية، عليهم طاعة الحكام وكبار الموظفين، وعليهم إبراز مستواهم الأدبي والحربي والعلمي لنيل المراتب العليا، وأن يُظهر أتباع هذا الدين ولاءهم للوطن"[٢٦٥].

انخرط باي شينغهن من قومية هوي – الذي تعود أصوله لمنطقة نهر دجلي – في الامتحانات الإمبراطورية في العام السادس لحكم الإمبراطور تشينغ شون دجه (عام ١٦٤٩م)، حتى أصبح طبيبًا في وزارة شئون الموظفين في الصين الإقطاعية؛ ودنغ بنغ من قومية هوي الذي تعود أصوله لمقاطعة جيانغسو- بلدية زنخه، اجتاز الامتحانات الإمبراطورية، وأصبح طبيبًا في وزارة المراسم.

وجدت شروط في الأيام الأولى لسياسة سلطة تشينغ تجاه الإسلام، "حكم الأقليات بدون تغيير معتقداتهم وعاداتهم"، ومنها وجوب الطاعة للحكام من قومية المان. وفي الوقت نفسه تصاحب ذلك سلسلة من إجراءات الرقابة في أثناء التنفيذ، وتتمحور أهم النقاط في:

أولاً: المطالبة بإقامة نصب العمر المديد داخل المسجد؛ من أجل تعزيز حكم السلطة الإمبراطورية، وعند ترتيل جماعات المسلمين القرآن، مطالبتهم بالدعاء للإمبراطور بطول العمر واتساع رقعة حدود البلاد.

"نصت القوانين والقرارات بشكل إجباري على إقامة نصب تذكاري للإمبراطور داخل كل مسجد، يدعى نصب العمر المديد. ويجب وضع هذا النصب على منبر مرتفع بالقرب من القاعة الرئيسية، وعند إقامة الصلاة، يتم إحضار هذا النصب أو استخدام ورقة تُكتَب عليها كلمتا الله أكبر، ويتم وضعها أمام النصب ثم الركوع أمامها. تم اتخاذ جميع الإجراءات المختلفة، لتوضح ركوع المسلمين لنصب العمر المديد، في أحوال الضرورة القصوى"[٢٦٦].

استمرت طريقة وضع نصب العمر المديد داخل المسجد حتى نهاية أسرة تشينغ.

---

[٢٦٥] - "سجلات شزونجشي"، الجزء ٩٤.

[٢٦٦] - مارشال بولوخر (انجلترا): "الإسلام في الصين: القضية المجهولة"، ص ١٠٨، لندن، طبعة عام ١٩١٠م.

وفقًا لما ذكرته مجلة "نضارة الهلال" عام ١٩٣٦: "يجب وضع نصب العمر المديد على المنابر العالية بالقاعات الرئيسية بجميع المساجد، وحاليًا تم إلغاء الكثير من هذه اللوحات، وكان يتم رفع مذكرة إلى الإمبراطور تقول يحيا الإمبراطور يحيا الإمبراطور يحيا الإمبراطور، ومكتوبة بالذهب"[٢٦٧].

ثانيًا: تشديد الرقابة على المسلمين من الناحية القانونية. فطبقت سلطة أسرة تشينغ سياسة شديدة السيطرة على العاملين في المساجد، إذ يسيطر وزير المراسم على الأمور المتعلقة باختبارات موظفي المساجد ويديرها، كما أنه مسئول عن صرف المكافآت.

ثالثًا: "يتم نفيهم في منطقة مستنقعات على أطراف مقاطعة يونيان وقويتشو". من ناحية الإدارة اليومية، ففي فترة حكم دجيونغ، بدأ في تطبيق نظام شيخ القرية[٢٦٨] لتقييد المسلمين، ألا وهو أن كل شيخ قرية يوقع اتفاقًا مع الحكومة، يضمن عدم حدوث أيَّة جريمة، لتسمح له الحكومة بحق القيادة الدينية في قريته.

◆ سياسة "حكم الهوي للهوي":

بعد ظهور نظام "الطريقة – المذهب" في المنطقة الشمالية الغربية، نشأ صراع شديد بين المذهبين القديم والحديث. كان يجب على حكومة تشينغ الوساطة بينهما، ودفع هذا الصراع إلى الحل السلمي. لكن على العكس أرسلت حكومة تشينغ الجنود لإخماد الصراع، فتخمرت انتفاضة الهوي ضد أسرة تشينغ التي قادها سوسشي سان.

شكل الإمبراطور تشيان لونغ تكتيكًا إداريًا، وهو "حكم الهوي للهوي"، في أثناء إخماد انتفاضة الهوي.

---

[٢٦٧] - "إلغاء لوحة العمر المديد وتغير التقاليد مسجد تيشين"، مسجل في مجلة "يوو هوا"، الجزء الثامن، الدورية العاشرة، (عام ١٩٣٦م).

[٢٦٨] - وتنطق "شيانغ يوو"، تعني القائد الأعلى للقبيلة أو شيخ القرية.

في العام ٢٦ من حكم الإمبراطور تشيان لونغ (عام ١٧٦١م)، ذهب مامينغ شين الذي يدعو للمذهب الجديد إلى شونهوا لأعمال الدعوة، "عاد قادة الانتفاضة من قومية سالار(خمالوهو وسوسشي سان) لمسقط رأسهم وكرموا بصفتهم قادة، وهدأت الجماهير وبدأ إقصاء تدريجي للمذهب الجديد"[٢٦٩].

وفي العام التالي، رفع كلٌّ من مامينغ شين ومؤسس اللاوية دعوى قضائية أمام السلطات المحلية؛ بسبب استخدام النصوص المقدسة لإشعال النزاعات في شونهوا. فحكمت السلطات المحلية على الطرفين بالعودة إلى أصولهم في قومية الهوي. لكن، بسبب سرعة تطور المذهب الجديد في شوانهوا، منذ عام ١٧٦٩م، بدأ الصراع بين المذهبين، بل احتدم الصراع بينهما على أشده، وتبادل كلاهما القتال.

انحاز الموظفون المحليون بشكل مبالغ فيه إلى المذهب القديم، في أثناء معالجة الصراع، فأثار ذلك عصيان سوسشي سان قائد المذهب الجديد، وحاصروا لانتشو الحاضرة الهامة في منطقة الشمال الغربي. من أجل مواجهة العصيان، قامت السلطات المحلية باعتقال مامينغ شين الذي يقطن في دنغشي، ونصحوا سوسشي سان بالانسحاب، وبعد أن رفض قتلوا مامينغ شين.

قام سوسشي سان بحصار لانتشو، فاندهشت حكومة تشيغ كثيرًا، وأول ما فكر فيه الإمبراطور تشيان لونغ استغلال الصراع بين المذهب القديم والحديث، لإضعاف قوة الإسلام في المنطقة الشمالية الغربية، ووضع تكتيكًا إداريًا "حكم الهوي للهوي". وأصدر مرسومين إمبراطوريين لوزير الحربية يقول فيهما: لقد كان الهوي هوي(المسلمون) سبب اشتعال الأزمة، إذ نشب صراع بين المذهبينالقديم و الحديث . وقد قرأت التقارير فإذا كان قادة مخترقي القانون ومحتلي المدن من متبعي المذهب الجديد، فسنبلغ أفراد المذهب القديم، لكن مع إخفاء شخصياتهم وأسمائهم، بذلك يعَدُّون روادًا ويتم القضاء

٢٦٩- "شونهواتشي"، الجزء ٨.

على الأزمة. هذا النوع من السياسة الذي يدعو لحكم الهوي للهوي اعتمد على وجود خلاف تاريخي أصلاً بين المذهبين، وهذا يقلل من استخدام القوة العسكرية. وبسياسة "فرِّق تَسُدْ" يمكن من السهولة إنهاء الأزمة. فإذا تبادل المذهبان القديم والجديد القتال والخلاف لا يمكن حدوث وحدة بينهما. ويمكننا اتخاذ سياسة القضاء على أحد الطرفين وإضعاف الطرف الآخر. ولننتظر نهاية هذا الأمر ونتناقش ثانية".

أصبح أصحاب المذهب القديم في المقدمة، في أثناء قيام الجيش بإخماد عصيان سوسشي سان، بناء على اقتراح من شيان لونغ بان، "كان الصف الأول به من جنود المذهب القديم، والصف الثاني به من جنود الخيام الخضراء، والصف الثالث يرابط فيه جنود قومية المان، وأمر الموظفين الحكوميين بالإشراف على المركبة وتوجيهها"[٢٧٠].

بعد أن أُخمد عصيان المذهب الجديد، تم منعه منعًا باتًّا. وقُتل كل أصحاب المذهب الجديد الذين شاركوا في العصيان تقريبًا، وهُدمت مساجدهم، ومُنع تناقل الأحاديث والنصوص الدينية على الألسنة منعًا باتًّا. وانخرط أصحاب المذهب الجديد في المذهب القديم ثانية. وفي أثناء معالجة الصراع الديني، أصبح المذهب الجديد هدفًا للهجوم، ويعد المذهب القديم هدفًا للتودد.

لكن، في الحقيقة لم ينل المذهب القديم أيَّة مزايا. بعد أن أُخمد المذهب الجديد، تم الزج بالمذهب القديم، ومعاقبته هو والمذهب الجديد على تبادلهما القتال الثأري، فلم يعد من الممكن للمذهب القديم بناء مساجد مرة أخرى، وأصبح من الممنوع على المسلمين المغتربين الإقامة والدراسة الدينية.

بالرغم من أن الإجراءات الإدارية "حكم الهوي للهوي" هدأت المذهب الجديد، وقيدت المذهب القديم وأضعفته، لكن قواعدها الجديدة لم تكن في صالح العلاقات بين القوميات؛ مما أصّل جذور توتر العلاقات بين الهان والهوي، وفتح الباب للعداوة

٢٧٠- "تونغ جي الجديد مقاطعة جانسو"، الجزء ٤٧.

والبغضاء بينهما على سبيل المثال، في أكتوبر (عام ١٧٨٩م) في العام ٥٤ من حكم الإمبراطور تشيان لونغ، أصدر حاكم شنشي وقانسو أوامر الحظر الخمسة: "حظر مساعدة الاحتلال، وحظر الإغراءات لمغادرة البلاد، وحظر احتضان المسلمين وتربيتهم والعودة للإسلام، وحظر بناء المساجد، وحظر نشر الشائعات والأكاذيب"[٢٧١]. في الوقت نفسه، تقوم جميع المساجد التي شيدتها الحكومة بتكليف المسلمين المحليين بتدريس النصوص الدينية، ولا يجوز تكليف مدرسين أجانب، مما زاد من عزلة المسلمين في أنحاء البلاد كافة، وزاد بشكل كبير من التناقض والنفور في الداخل الإسلامي.

بعد أن أخمد الصراع بين المذهب القديم والجديد، أمر البلاط الإمبراطوري جميع كبار الإداريين المحليين بالبحث عن القضايا المحظورة للهوي. فقام على الفور حكام شاندونغ وقوانغدونغ وشانشي وسيتشوان وقوانغشي، وشانشي، وهونان، وهوبي، وفوجيان ويونّان وقويتشو، وانهوي، وفوجيان وتشجيانغ، وغيرها من الأماكن، بالرقابة على المسلمين والمساجد داخل المناطق التابعة والذاتية كافة.

وبالرغم من الاعتقاد بشكل عام في الوثائق الرسمية لجميع المناطق، من خلال التفتيش المتكامل، بهدوء شعب الهوي، فالمسلمون يعيشون في سلام مع "السكان الأصليين"، "يحبون الهدوء ويحترمون القانون"[٢٧٢] - إلا أن هذه العملية أدت إلى استجواب جميع المسلمين وتفتيش جميع المساجد في كل أرجاء البلاد تقريبًا، فشعر الجميع بالخطر، وتعرضت الأنشطة الإسلامية إلى الضغط الشديد.

من أجل إضعاف القوة الإسلامية بشكل كبير، بدأت حكومة تشينغ في تعديل سياسة حكمها تجاه الهان، ودبرت خدعًا؛ منها "حماية الهان والضغط على الهوي" و"استغلال الهان للسيطرة على الهوي" وغير ذلك من الخدع. هذه السياسات من حكومة تشينغ، عمّقت بشكل كبير سوء الفهم بين الهان والهوي، "وزاد سوء الفهم بمرور الأيام والشهور،

[٢٧١] - بايشو إي: "مولد جديد لقومية الهوي"، مكتبة الشرق، الطبعة الأولى، عام ١٩٥١م.

[٢٧٢] - "سجلات تشينغ رندونغشي"، الجزء ٢٥٩.

وأثارت الحقد والعداوة". في فترة الإمبراطور داوجوانغ وشيانفانغ، وبدأت تظهر حوادث القتال الثاري بين الهان والهوي، حتى أدت في النهاية إلى اندلاع انتفاضة الهوي في منطقة شنشي وقانسو، في منطقة ووي نان وينتونغ ودالي.

كانت انتفاضة الهوي في يونّان التي اندلعت في عام ١٨٥٦م بسبب النزاع المسلح بين الهان والهوي، ولأن الحكومة المحلية "ساعدت الهان على قتل الهوي".

بعد أن أخمدت انتفاضة الهوي في منطقة شنشي وقانسو ويونّان، عززت الحكومة الرقابة على الإسلام بشكل كبير. إنَّ فشل الانتفاضة لم يؤدِّ فقط إلى حجب المسلمين لفترة طويلة؛ بل أدى إلى سلسلة من العواقب الوخيمة بسبب التكتم الكبير على ما يتعرض له المسلمون من اضطهاد وفشل أنشطتهم ضد أسرة تشينغ.

أولاً: انتزاع الأراضي من المسلمين، وإجبارهم على عودتهم إلى موطنهم الأصلي، عرّضهم لصدمة شديدة من الناحية الاقتصادية.

ثانيًا: قامت حكومة أسرة تشينغ بتلفيق السلوك الشائن لجنودها إلى المسلمين؛ لتشويه صورة المسلمين، ولزرع الانقسام بين قومية الهوي والهان.

ثالثًا: عرقلة تطور الثقافة الإسلامية والتدخل فيها. فتدهورت يومًا بعد يوم الفنون الطبية للهوي، التي بدأت منذ زمن بعيد، ولم يعد هناك أحد يهتم بعلوم الهوي في الفلك، بسبب سوء البيئة الخارجية بشكل مطرد.

وعلى الصعيد الآخر مَنع بعض المسلمين أبناءهم من قراءة الكتب الصينية، وكرسوا أنفسهم للحياة الدينية، بسبب التمييز ضدهم من الناحية الاجتماعية. وعاد الإسلام مرة أخرى إلى فترة الجمود، بعد تطوره خلال فترة الانفتاح المؤقت.

سابعًا: سياسة الجمهورية الصينية (١٩١٢- ١٩٤٩م) تجاه الإسلام

تعد في الأساس السياسة الدينية القومية للسيد صن يات سين العمود الرئيسي

لسياسة الجمهورية الصينية (١٩١٢- ١٩٤٩م) تجاه الإسلام. "دعا صن يات سين إلى الثورة، ودعا إلى جمهورية القوميات الخمس؛ وهي قومية الهان والمان والمغول والهوي والتبت، وبشّر بالحرية الدينية".

كان على الإسلام أن ينتقل إلى عصر آخر، سواء بالنسبة للأوضاع الداخلية أو الأوضاع الدينية"[٢٧٣] . وتعاطف السيد صن يات سين مع أوضاع المسلمين، واهتم جدًا بالدور الثوري الذي قام به المسلمون، خلال النشاط الثوري الطويل الذي أطاح بأسرة تشينغ.

إن الحكومة الصينية في نانجينغ - التي أسستها الحكومة الشمالية بقيادة خسخو - اتخذت سلوكًا واضحًا تجاه الإسلام، في ضوء الدروس التاريخية للأسر السابقة، وسمحت للمسلمين بحرية العقيدة الدينية، لكن طبيعة الطبقة ذات السلطتين، حرّرت سياستهم تجاه الإسلام من الأسلوب الهاني التقليدي"[٢٧٤] .

◆ سياسة صن يات سين تجاه القوميات:

لم يتعامل السيد صن يات سين كثيرًا مع الإسلام ولم يتعرف عليه، خلال نشاطه الثوري المبكر. وقامت صداقة ثورية كبيرة بينه وبين وانغ كوان العلاّمة المسلم من قومية الهوي. وفور قيام الجمهورية الصينية (١٩١٢- ١٩٤٩م)، عارض شينغ يون حاكم قانسو قيام الجمهورية، وقاوم معتصمًا بالمناطق الشمالية الغربية، وشجع جنود تشينغ في منطقة قانسو وشينجيانغ على الخروج لمساعدة الملك.

وفي الوقت نفسه، تعرض قائد المسلمين ما آن ليانغ - الذي تولى منصب حاكم

[٢٧٣] - بايشو إي: (مختصر تاريخ الدين الإسلامي بالصين)، ص ٩٠، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، يونيو عام ٢٠٠٠م.

[٢٧٤] - بيوتشنقوي: "الإسلام والسلطة الصينية عبرالتاريخ"، ص ٢٧٩، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، نوفمبر عام ١٩٩٦م.

قانسو - إلى تضليل من شينغ يون، وارسال قواته التأديبية إلى الشرق، واحتل سريعًا شيان يانغ، فاهتزت حكومة الجمهورية الصينية (١٩١٢- ١٩٤٩م). وفي ضوء الوضع المعقد في ذلك الوقت، قررت حكومة الجمهورية الصينية (١٩١٢- ١٩٤٩م) حل قضية ما آن ليانغ بالطرق السلمية؛ إذ أرسلت موظفًا رفيعًا يطلب من وانغ كوان - علاّمة المسلمين المشهور - أن ينصح ما آن ليانغ بتقديم الولاء للجمهورية الصينية (١٩١٢- ١٩٤٩م). فقام وانغ كوان على الفور بإرسال برقية صادقة إلى ما آن ليانغ.

في ضوء شائعات شينغ يون التي تتعلق بتعارض نظام الجمهورية الصينية مع الصين وإضراره بأمهات الكتب الإسلامية، أشار وانغ كوان بشكل واضح وصريح إلى: "إن قيام الجمهورية، والمساواة بين القوميات الخمس، وحرية العقيدة، لا تتعارض مع دراسة الكتب الدينية. يا أخي ثبت إيمانك، اقسم بالله وما خلق: إن النظام الجمهوري لا يضر ديني، فلا تصدق شائعات الخونة وخدعهم".

حذره وانغ كوان بالحق انطلاقًا من العاطفة القومية، استنادًا لصفات ما آن ليانغ الذي يؤمن بالإسلام إيمانًا صادقًا، لقد مارست قائلاً: السياسة والحكم في المناطق الغربية، والوضع حاليًا، يتسم هذا كله بالتطور والتنمية السريعين، وحناجر الجماهير صوتها يعلو للسماء. فسوف تكون حجر أساس الجمهورية وبطلًا قوميًا وقائدًا دينيًا عظيمًا، وتلك فرصة لا يجب أن تفوته. في النهاية، طلب وانغ كوان من ما آن ليانغ "أن يتوقف عن الزحف والتقدم فورًا، وأرسل له برقية يمدح فيها نظام الجمهورية. فالسعادة تأتي من عامة الناس، بالتالي تدعم فرصة ازدهار الدولة وازدهار الإسلام. ولتقيم احتفالات كبيرة في شارع تشو شه كوو ببكين لتعمل على رفعة الإسلام وفَهم جوهره انطلاقًا من مستقبل الدولة والقوميات"[٢٧٥] . بعد أن تسلم ما آن ليانغ برقية وانغ كوان، أمر الجيش بالانسحاب من قانسو، لإنهاء الأزمة. وبعد وقت قليل، أرسل تباعًا كل قادة

[٢٧٥] - المشعانتنيغ: (نوادر آخانغ وانغ خاو ران)، نشرت في مجلة (إكليل القمر)، الجزء السابع، عام ١٩٣٥م، الدورية ١٥.

القوات في المناطق الشمالية الغربية؛ وهم مابوفانغ ومادجين شيانغ ومافو شيانغ ومالين ومانتشي، برقيات تمدح النظام الجمهوري.

مما رسّخ أساس حكومة الجمهورية الصينية (١٩١٢- ١٩٤٩م) في المناطق الشمالية الغربية أن وانغ كوان أثار بهذا الفعل اهتمام صن يات سين، وأصبح لديه فَهم عميق بخصائص الإسلام الصيني.

بعد فشل الثورة الثانية، أرسل صن يات سين بشكل خاص رسالة إلى وانغ كوان، يأمل أنه يستغل تأثيره على المناطق الشمالية الغربية للمشاركة في الثورة، فاتبع وانغ كوان نصيحته وأرسل برقية لكبار الموظفين السياسيين والعسكريين في المناطق الشمالية والغربية، وأرسل مندوبًا بشكل خاص إلى قوانغتشو لمقابلة صن يات سين وتقديم تقرير إليه.

وبعد أن وصل صن يات سين إلى بكين، افتتح وانغ كوان حفل الاستقبال المنعقد في جمعية كوجيون في مدينة بكين. هذه المقابلة الأولى بين صن يات سينو وانغ كوان، وشعرا منذ اللقاء الأول بأنهما صديقان قديمان، فألقى صن يات سين خطابًا في الاجتماع، دعا فيه - بشكل واضح - إلى اتحاد القوميات كافة، بما فيها المسلمون للنضال من أجل الصين وتنميتها، و"سيكون على رأس المبادئ الشعبية الثلاثة المساواة بين القوميات التي حررت الوطن.

فقد تعرض الهوي إلى الاضطهاد الشديد في الصين عبر التاريخ، تعرضوا لكثير من المعاناة، لذا كانت ثورتهم هي الأقوى. عمل منذ ذلك اليوم على إيقاظ شعب الهوي، مما زج بهم في الحركة الثورية للتحرير القومي. واشتهرت قومية الهوي بالشجاعة وعدم خوفهم من الاستشهاد، فإيقاظ وعي الهوي الضمان الحقيقي والعظيم للطريق الثوري"[٢٧٦].

٢٧٦- بايشو إي: (مختصرتاريخ الدين الإسلامي بالصين)، ص ٣٧، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، يونيو عام ٢٠٠٠م.

في هذا الاجتماع، أثنى صن يات سين على الإسلام ثناءً عطرًا، وقال إنه "أعظم الأديان وأنبلها"[٢٧٧]، وتمنى من الإسلام الصيني "أن يوحّد جميع المؤمنين في أرجاء البلاد بالمشاعر الدينية، وينشر خاصة الأفكار الوطنية، ويساعد الدولة، ويدفع المسيرة السياسية إلى الإمام، ويزود قوة التعليم، وينمي روح التعليم، ويعيد الحالة السابقة له"[٢٧٨].

كان لهذه الممارسات الثورية لصن يات سين تأثير هام على تطوير سياسته وتشكيلها تجاه الأديان والقوميات. وتُعد السياسة الدينية والقومية مضمونًا رئيسيًا، وتُعد خلفية مهمة لفَهم سياسة الجمهورية الصينية (١٩١٢- ١٩٤٩م) تجاه الإسلام، في مبادئ الشعب الثلاثة التي دعا إليها السيد صن يات سين.

◆ فكر الحفاظ على الوحدة ومعارضة الانقسام:

كرّس صن يات سين حياته للإطاحة بحكم النظام الإقطاعي من خلال الثورة، لكن تمسك من البداية حتى النهاية بإقامة دولة موحدة متعددة القوميات تتمتع بالحكم الشعبي والمساواة بين جميع الأقليات داخل الصين.

دعا، بحزم، إلى تحقيق وحدة القوميات والأراضي والجيش والحكومة والإدارة الداخلية والشئون المالية، في "بيان رئيس الجمهورية الصينية المؤقت" الذي نشره عندما تولى منصب الرئيس المؤقت الأول في جمهورية الصين في (١٩١٢- ١٩٤٩م)، فقد أشار إلى "إن الدولة ذاتها تتمثل في شعبها، فاتحاد الهان والمان والمغول والهوي والتبت يكوّن الدولة، ويمثل الهان والمان والمغول والهوي والتبت شعبًا واحدًا، ومن ثم دعا إلى الوحدة القومية".

ومن أجل ذلك، وضَع العلم ذا الألوان الخمسة، الذي يُعبر عن "جمهورية القوميات

٢٧٧- سجل حوارات صن يات سين التي نشرتها (جريدة الحرية الكبرى)، في ١٦ من سبتمبر، عام ١٩١٢م.

٢٧٨- سجل حوارات صن يات سين التي نشرها (تقرير خاص) في ٢٢ من سبتمبر، عام ١٩١٢م.

"الخمس" ليكون علم الجمهورية الصينية. ووسّع صن يات سين مفهوم "القوميات الخمس" ليشمل جميع القوميات في أرجاء البلاد، خلال إعادة تنظيم حزب الكومينتانغ الصيني عام ١٩١٩م.

أثارت أفكار السيد صن يات سين الحماسة الوطنية لدى المسلمين الصينيين بشكل كبير، "شارك الهوي في المعارك الثورية كافة، إذ مات منهم عدد لا يحصى، وتولى الكثيرون من الهوي الأمور العسكرية الهامة في جميع المناطق الشمالية الغربية والجنوبية الغربية والمركزية منذ حرب المقاومة ضد اليابان. يمكن القول إن الهوي استحوذوا على المجموع الكلي، من الذين يفتكون بالعدو ببسالة على الجبهة، ومن الذين ينشطون بهمة ونشاط في الخلف، وهذا ما لم يكن موجوداً من قبل"[٢٧٩].

◆ فكر تأكيد المساواة القومية والدعوة إلى الوحدة القومية:

يعتقد السيد صن يات سين: إنه يجب على الصين إزالة الفجوة بين القوميات وحلّ مشكلاتها، فأهم الأشياء تحقيق المساواة بين القوميات كافة.

"انهيار الدولة ليس بسبب الدين، إن انهيار الدولة لا يعني بالضرورة خطأ من ناحية الدين. لكنه مشكلة من مشاكل النظام. فالدين الجيد لا يستطيع القيام بدور فعال في إطار نظام سياسي غير سليم". "فالإصلاح السياسي، يعني المساواة بين شعوب القوميات الخمس، والمساواة بين أديانها"[٢٨٠].

يرى صن يات سين أن سبب اندلاع ثورة ١٩١١م، يكمن في الاضطهاد القومي الشديد وعدم المساواة بين القوميات، "من اليوم ستكون القوميات الخمس أسرة واحدة،

٢٧٩- بايشو اي: (مختصر تاريخ الدين الإسلامي بالصين)، ص ٣٨، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، يونيو عام ٢٠٠٠م.

٢٨٠- الخطاب الذي ألقاه السيد صن يات سين في الاجتماع الصيني الإسلامي في بكين في ١٢ من سبتمبر عام ١٩١٢م، نشرت الطبعة الثانية ٢٢ من سبتمبر عام ١٩١٢م في "تقرير خاص".

يتمتعون بمكانة متساوية، ولا بد من حل التمييز القومي، وفي الوقت نفسه يجب حل قضية التمييز السياسي".

ينص "قانون الجمهورية الصينية المؤقت" الذي وضعه السيد صن يات سين وأشرف عليه، على المساواة، بين مختلف القوميات، لا فرق بين الناس على أساس العنصر والطبقة والدين"، "يتمتع الناس بحرية العقيدة الدينية"[٢٨١].

وهذه هي المرّة الأولى في تاريخ الصين التي يتم الإعلان فيها عن مبادئ المساواة بين مختلف القوميات في شكل دستور، والمرة الأولى التي يتم الإعلان فيها عن مبادئ حرية العقيدة، وهذا له مغزى تاريخي عظيم.

عقد الكومينتانغ اجتماعاً مؤقتاً لممثلي البلاد، أكد فيه البرنامج السياسي والقومي الذي وضعه الكومينتانغ في بيانه الكبير، وأكد ما يلي:

"أولاً: سعْي القوميات الصينية إلى التحرير.

ثانياً: المساواة بين جميع القوميات داخل الصين".

عقد حزب الكومنتانغ في عام ١٩٤٦م الاجتماع المركزي لممثلي الدولة، من أجل تخفيف حدة الخلاف بين الكومنتانغ والأقليات التي تعيش في الحدود، والحصول على دعم الطبقة العليا للأقليات، وإصدار ٩ نصوص لحل قضية القوميات، من خلال "مشروع القرار الذي يتعلق بتقرير القضية القومية".

◆ تحفيز التطور القومي، والدعوة إلى تقرير المصير والحكم الذاتي:

يعتقد صن يات سين أن جميع القوميات الصينية لديها واجب وعليها مسئولية في الحفاظ على الوحدة الوطنية، فأكد "الوحدة بين الهان والمان والمغول والهوي والتبت، وأكد العمل سوياً في مختلف الظروف". وفي الوقت نفسه، اقترح "أن تساعد الحكومة

٢٨١- انظر متفرقات المادة الخامسة والسابعة في الباب الثاني من "قانون الجمهورية الصينية المؤقت".

القوميات الضعيفة والصغيرة داخل الدولة، على الحكم الذاتي وتقرير مصيرها"، وأمل في أن تمارس الأقليات الحكم الذاتي داخل الدولة الموحّدة، لتعزيز القوة الثورية بين كل القوميات داخل الدولة.

وهذا الرأي يتفق تمامًا مع برنامج الحزب الشيوعي الصيني القومي. أكدت المادة ١١٩ والمادة ١٢٠ من (دستور الجمهورية الصينية ١٩١٢- ١٩٤٩م) الذي صدر في ١ من يناير عام ١٩٤٧م بشكل منفرد، قضيةَ الحكم الذاتي للمناطق الحدودية من الناحية القانونية.

◆ إعادة النظر في ترسيم الحدود وتنمية مناطق القوميات:

لم يضع السيد صن يات سين نظرية الثورة الديمقراطية فحسب؛ لكن قدَّم برامج شاملة لتأسيس الدولة وحكمها؛ من بينها تنمية مناطق القوميات التي تعيش على الحدود، وتنمية البناء الثقافي والاقتصادي للأقليات، واحتل هذا المحتوى مركزًا هامًّا في هذه البرامج الشاملة.

على سبيل المثال "خطط الصناعة والتجارة" المشهورة؛ فقد اقترح استخدام السكك الحديدية لربط المناطق الحدودية بالأراضي الداخلية، وإقامة مشروعات الري على نطاق واسع في منطقة منغوليا وشنجيانغ وغيرها من المناطق، والعمل على ازدهار المناطق الحدودية.

اتخذت حكومة نانجينغ سياسة التهجير القومي للحدود، واهتمت بسبل معيشة السكان المحليين، وطبَّقت سياسة رعاية الطفولة تجاه البناء الاقتصادي، وبدأت في تنمية التعليم ووسائل المواصلات، واستخدمت سياسة مبادئ الشعب الثلاثة للدعاية إلى التعليم وتنمية المدارس، وغيرها من الإجراءات. ومن المؤسف، أن هذه السياسات والإجراءات لم يتم تطبيقها بالكامل، بسبب تقصير في حكم الكومنتانغ.

◆ مكافحة الاستعمار والنضال من أجل الاستقلال الوطني:

أكد كثيرًا السيد صن يات سين - في أواخر أيام حياته -: "إن الهدف القومي هو حصول القوميات الصينية على استقلالها بحرية عن العالم"، "إن القوميات الصينية تطلب تحرير نفسها"، "وكل هدفها مكافحة الإمبريالية". لم تكن أفكار صن يات سين تعارض كل ما هو أجنبي؛ بل على العكس فقد دعا إلى "اتحاد القومية الصينية مع العالم على أساس من المساواة، والنضال جنبًا إلى جنب".

كما أشار بشكل خاص في القضية الإسلامية إلى: "إن قومية الهوي تحتل مركزًا متفوقًا في آسيا، تعتنق دول كثيرة في أوروبا وأفغانستان والدول العربية والمغرب وبلوجستان، الإسلام"، و"ثمَّة دول إسلامية في أوروبا وإفريقيا وآسيا، مزدهرة وقوية، وصلت حاليًا كثير من هذه الدول إلى درجة الانهيار؛ والأسباب التي أدت إلى انهيارها مرتبطة بالسياسة السيئة، وليست لها أيَّة علاقة بالدين. إن تحول الصين إلى جمهورية، وتحسين سياستها، بالإضافة إلى الدين القويم للهوي، والدعم المتبادل، أدى ذلك كله إلى التطور الشامل، وازدهار القومية الصينية. وبعدما ازدهرت الصين، اتحدت الهوي عن طريق الاتحاد الديني، مع الدول الضعيفة في إفريقيا وآسيا وأوروبا، وبذلت كل ما في وُسْعها لتنشيط هذه الدول"[٢٨٢].

◆ سياسة حكومة نانجينغ للسيطرة على الإسلام:

منذ قيام حكومة جمهورية الصين في نانجينغ في أبريل عام ١٩٢٧م حتى قيام الصين الجديدة في ١ من أكتوبر ١٩٤٩م، في فترة الحكم التي استمرت ٢٢ سنة، كانت سياسة الكومنتانغ وحكومة نانجينغ تجاه الأديان والقوميات تتخللها من البداية حتى النهاية أفكار الشوفانية الهانية، التي تحاول صهر جميع الأقليات في شعب الهان، من أجل الحفاظ على المصالح الأساسية للطبقة الحاكمة.

---

[٢٨٢]- خطابات السيد صن يات سين في الاجتماع الصيني الإسلامي، في بكين في ١٢ من سبتمبر ١٩١٢م، (جريدة تشنغتشونغ الوطنية)، ١٧ من سبتمبر ١٩١٢م.

لكن، من أجل مسايرة اتجاه التطور السياسي الصيني الرأسمالي الديمقراطي، واجهت الواقع القاسي الذي زاده الخلاف القومي والدولي، وأيدت حكومة نانجينغ مفهوم صن يات سين تجاه الأديان والقوميات، ووضعت إجراءات سياسية تتمتع بمغزى إيجابي تجاه الدولة والقوميات. في الوقت نفسه، أمسكت الطبقة العليا من المسلمين كثيرًا بزمام السلطة السياسية والعسكرية الصينية في المناطق الشمالية الغربية، في فترة حكم الكومنتانغ، فقد كان تأثير الإسلام ومكانته في هذه المنطقة على درجة عالية من الأهمية، لذا أصبح قوة وعنصرًا اجتماعيًا تهتم به حكومة نانجينغ اهتمامًا كبيرًا.

اقتدت العناصر اليابانية ذات النزعة العسكرية - خاصة بعد اندلاع حرب المقاومة - بنموذج "دولة منشوريا"، بعد أن انكشفت المؤامرة التي دبرتها العناصر اليابانية لإقامة دولة الهوي في المنطقة الشمالية الغربية، وأولت حكومة نانجينغ اهتمامًا كبيرًا بمعالجة العلاقة بين الإسلام الصيني وحرب المقاومة، ولم يذهب شيانج كاي شيك بنفسه لمواساة ممثلي المسلمين فحسب وطمأنتهم؛ بل سيطر مباشرة على المنظمة العالمية للمسلمين، وهي "الجمعية الصينية الإسلامية لإنقاذ الدولة"، من خلال باي تشونغ شي الذي يثق فيه.

"بعد أن انتهت مهمة القوات الشمالية، في حرب المقاومة في أحد أيام يوليو، أصدرت الحكومة تصريحًا للحفاظ على الإسلام ومواساة المسلمين، وهذا ما يمكن أن نراه في أكثر الأحيان"[283]. عمومًا، فقد سيطرت حكومة نانجينغ على الإسلام وطبقت سياسة الانصهار والدمج تجاه المسلمين، بشرط اعترافها بالإسلام وحمايته.

من النظرة الشاملة، نجد أن تكتيك حكومة نانجينغ الإداري في تعاملها مع الشئون الإسلامية والمسلمين، تركيبة متناقضة، تتمتع بخصائص ثنائية؛ على سبيل المثال، تنص المادة ٥ من (دستور جمهورية الصين) - بشكل واضح - على "المساواة بين جميع القوميات الصينية"، لكن رفض شيانج كاي شيك في كتاب (مصير الصين) الاعتراف

---

[283] - باىشو اي: (مختصر تاريخ الدين الإسلامي بالصين)، ص ٣٧، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، يونيو عام ٢٠٠٠م.

بوجود كل القوميات داخل الصين، واعتقد أن القومية الصينية تشكلت من اندماج أكثرية الأديان، فلا فرق بين القوميات في الصين إلا بالأديان. عرّف قومية الهوي وغيرها من الأقليات "بأنها قوميات ذات عادات حياتية خاصة"، ولم يعترف بأنهم قومية واحدة. مثال آخر، يتباهى دائمًا الكومنتانغ بأنه ورث تعليمات رئيس الوزراء التي تقول "إن الناس لها حرية الاعتناق الديني"، وأعرب عن دفاعه عن الإسلام واعترافه به، لكن من أجل الحفاظ على مصالح الرأسماليين وملاك الأراضي الكبار، عزز من سياسة الاندماج والسيطرة على الإسلام في الإجراءات الواقعية.

قبل اندلاع حرب المقاومة ضد اليابان، ظهرت بشكل أساسي سياسة حكومة نانجينغ في الدفاع عن الإسلام والاعتراف به، من خلال معالجة الأمور بتركها تسير على طبيعتها.

ولم تتخذ من الأساس إجراءات تشجيعية وإيجابية تجاه الإسلام والمسلمين، فضلاً عن أنها لم تتنبه إلى جذب الطبقة العليا من المسلمين الذين يعيشون في المنطقة الشمالية الغربية ومعالجة التهييج الذي أثارته القضايا الدينية.

اهتمت حكومة نانجينغ اهتمامًا كبيرًا بأثر الإسلام وتغيُّر المشاعر الوطنية للمسلمين المقيمين في المنطقة الشمالية الغربية، بعد حادثة ٧ من يوليو عام ١٩٣٧م، وبعد أن انكشفت المؤامرة التي دبرها اليابانيون لإقامة "دولة الهوي"[284]. وكثيرًا ما أعلن شيانج كاي شيك أمام كبار الشخصيات الحكومية في حديثه عن احترامه للإسلام والمسلمين، وطالبهم باحترام المعتقدات الدينية للمسلمين، ورجا من المسلمين "أن يؤمنوا

---

[284] - بسبب تخلف طرق الإحصاء، ثمَّة أخطاء واضحة في إحصاء الكومينتانغ للمسلمين الصينيين، فاعتقدوا أن عدد المسلمين الإجمالي من ٤٠ إلى ٥٠ مليون شخص،أي يمثلون عشر عدد السكان، ومن ثم اعتقدوا أن ثمَّة علاقة مهمة بين المسلمين ومستقبل حرب المقاومة. ويعتقد أيضًا السيد باىشو اي في كتابه (مختصر تاريخ الدين الإسلامي بالصين) أن عدد المسلمين الصينيين "وصل من ٣٠ إلى ٤٠ مليون شخص، في عهد أسرة تشينغ".

بمبادئ الشعب الثلاثة، مثل إيمانهم بالنبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، وأن يدافعوا عن الوطن بروح مؤمنة بالدين"[٢٨٥].

أصدر شيانج كاي شيك توجيهاته خلال حضوره حفل الافتتاح الأول لممثلي أعضاء الدولة: بأنّ "روح الإسلام مخلصة للدولة، وتطلق العنان للشجاعة والإقدام، في أي مكان"، "لذا يمتدح أوساط المثقفين الإسلاميين، بشكل خاص هذه الأخلاق الكريمة، وتزيد من قوة حرب المقاومة ضد اليابان".

أكد شيانج كاي شيك في حفلة الشاي التي أقيمت في جمعية الإسلام الصيني لإنقاذ الدولة "إن الإسلام دين مقبول، ودين مخلّص للناس والدنيا، ".

ومن هنا تظهر الروح العظيمة للدين الإسلامي. وفي عام ١٩٤٠م، أرسلت حكومة نانجينغ متخصصين لاصطحاب شيانج كاي شيك ليوقع بنفسه (كتاب الإخوة المسلمين وتقريرهم عن مناطق الحروب)، ثم اتجهوا إلى المناطق المحتلة شمال الصين، لتعبئة المسلمين في المناطق المحتلة والاستجابة لنداء السلطة المركزية للمقاومة بإيجابية ضد اليابان.

امتدح (كتاب الإخوة المسلمين وتقريرهم عن مناطق الحروب) قائلاً: "إن الإخوة المسلمين الشجعان، يتلقّون تعليمات القرآن الكريم وروح الحق التي عمل بها النبي محمد (صلى الله عليه وسلم)، تحت توجيهات حزبنا، وأيدوا الحكومة، وكانوا كالوتد في حرب المقاومة ضد اليابانيين، وحققوا مآثر مجيدة"، وبالرغم من "أنهم تعرضوا لجميع الآلام النفسية والجسدية، لكنهم دافعوا عن أفكار السلطة المركزية، وازداد عزمهم مع مرور الوقت"، وقال: "إن الإخوة المسلمين أصبحوا أعضاء مُهمين في الدولة، ولهم قوة عظيمة بين القوميات، ولا بد من توفير فرص لهم، وعليهم أن يعملوا بكل جد من الآن فصاعداً

[٢٨٥]- تعليمات شيانغ كاي شيك التي أعطاها للمسلمين في حفل تقديم الراية، التي أقيمت لممثلي إنقاذ الدولة من الشعب والجيش المسلمين في قانسو ونينغشيا وتشينهاي، في ١٧ من أكتوبر عام ١٩٣٨م، نقلًا عن "أقوال حول الدين الإسلامي"، العدد الأول للجريدة في ١٥ من يناير ١٩٣٩م.

في البيئة العسرة والصعبة، وذلك من أجل تحقيق الإنجازات العظيمة في حرب المقاومة وبناء الدولة"[٢٨٦].

في فترة حرب المقاومة ضد اليابان، قامت القوات اليابانية بتدمير الكثير من المساجد، وحولت بعضها إلى معسكرات؛ مما أثار غضبًا شديدًا لدى المسلمين. لذلك طبعت لجنة الكومنتانغ للشئون العسكرية مخصوص بلاغ يقول: "ممنوع تمركز العساكر داخل المساجد"، ووزعته على جميع المساجد على نطاق واسع، وطلبت من جنودها احترام العقيدة الإسلامية.

بعد أن انتصرت حرب المقاومة، بادر شيانج كاي شيك بالدفاع عن الإسلام والاعتراف به في فترة حرب المقاومة، من أجل أن يقوّى حكمه الديكتاتوري، وفي الوقت نفسه يزيد من رأس المال السياسي في الحرب الأهلية. في عام ١٩٤٧م، بعد الانتهاء من إصلاح مسجد تايبينغ لو، كتب شيانج كاي شيك مخصوصًا على لوحة تقدير "الدين الحق"، في عيد الفطر المبارك، أقام مراسم تعليق اللوحة في المسجد.

في العام نفسه، بعد أن استعاد المسلمون الصينيون حقهم في الذهاب إلى فريضة الحج، سمح شيانج كاي شيك خصيصًا لـ٤٠ مسلمًا بالذهاب إلى مكة المكرمة لأداء فريضة الحج بشراء العملة الأجنبية بالسعر الرسمي، واستقبل شيانج كاي شيك فوج الحجاج مرتين؛ في فترة ذهاب أفواج الحجاج وإيابهم، بل أرسل طائرة خاصّة لإعادة المسلمين الذين انتهوا من فريضة الحج إلى موطنهم الأصلي.

من أجل تجنب حدوث حادثة ازدراء الدين التي نتجت عن سوء فَهم، نشرت اللجنة الإدارية لحكومة نانجينغ على مستوى الدولة تعميمًا يحظر ازدراء الأديان في ٢٤ من نوفمبر عام ١٩٤٧م: "الناس لها حرية العقيدة الدينية، فالدستور ينص

[٢٨٦]- (دورية جمعية الدين الإسلامي الصينية لإنقاذ الدولة)، العدد ١١، من الجزء الأول، ١٥ من مارس عام ١٩٤٠م.

بوضوح أن الإسلام دخل الصين، منذ زمن بعيد، وأصبح أحد الأديان الرئيسية في الصين، فعلينا احترام عاداته وتقاليده، ولا يجب أن نفتري عليه ظلمًا وعدوانًا. فلا بد من البحث في جرائد البلاد كافة، عن أي تمييز بلا سبب تجاه هذا الدين، فالذي يشوه سمعة الإسلام بلا وازع، ولا تمنعه العقيدة الدينية، فهو يجهل حق الاتحاد القومي، ولا بد من تشديد الحظر على هؤلاء؛ بل يجب الإبلاغ عنهم، وحظر الافتراء على الأديان، من أجل الاتحاد وتقوية الدولة"[٢٨٧].

وفي الوقت الذي اعترفت فيه حكومة نانجينغ بالإسلام ودافعت عنه، لم تترك الرقابة على الإسلام واستغلاله، وفي الوقت نفسه لم تعترف بكينونة قومية الهوي، كما لم تكن معترفة بكينونة قومية التبت بصفتها قومية تدين بالبوذية، كما اتخذت سياسة الاندماج تجاه المسلمين، للوصول إلى هدف "توحيد الدولة وتثبيت أركانها".

قبل حرب المقاومة، اهتم شيانج كاي شيك اهتمامًا كبيرًا باستغلال مكانة جيش الهوي وتأثيره في نفوس المسلمين، ومن ثم اتبع بشكل سلس الرأي السياسي لحكومة نانجينغ والكومنتانغ، من خلال السيطرة على المسلمين. وظلت العلاقة بين شيانج كاي شيك وجيش الهوي في المنطقة الشمالية الغربية قائمة حتى تحرير الصين. وبعد اندلاع حرب المقاومة، بدأت تتدخل حكومة نانجينغ في بناء التنظيمات الجماهيرية للمسلمين، وتسيطر على الشئون الإسلامية والمسلمين، من خلال السيطرة على جمعية الإسلام الصينية لإنقاذ الدولة ومنشوراتها.

تنص بشكل واضح لائحة جمعية الإسلام الصينية لإنقاذ الدولة على: "لا بد أن تتوافق المعتقدات الدينية مع المعتقدات السياسية، وأن تصب المصالح الدينية في مصالح الدولة". بالإضافة إلى وضع (الطرق المؤقتة لإدارة المساجد) و(القواعد العامة لتنظيم مجلس إدارة المساجد) و(تطبيق طرق إدارة المساجد وتنبيهات القاعدة العامة لمجلس

٢٨٧- العدد ٨- ١٢ من الجزء السابع (دورية الجمعية الإسلامية الصينية) في مارس عام ١٩٤٨م.

إدارة المساجد)، وغيرها من البنود، وذلك من أجل تعزيز سيطرة سلطة الكومنتانغ على جميع المساجد في أرجاء البلاد.

والمثال النموذجي على سياسة الاندماج تجاه المسلمين رفض الكومنتانغ الاعتراف بقومية الهوي، والاعتراف فقط بوجود الإسلام، ومارست بكل قوة سياسة الاندماج تجاه المسلمين.

وقامت الطبقة العليا من الكومنتانغ والجهاز الإعلامي بالدعاية الغوغائية إلى "نظرية الاندماج مع الصينيين"، وادّعوا أن "الهوي هم الهان الذين يؤمنون بالإسلام".

وفي سبتمبر عام ١٩٤٠م، قامت اللجنة الإدارية لحكومة نانجينغ وفقًا لقرار شيانج كاي شيك، بنشر سياسة التعميم، إذ أعلنت بشكل رسمي "أنه لا فرق بين الهوي والهان في أي شيء، غير شعائرهم الدينية، وهذا ينطبق أيضًا على الذين يؤمنون بالكاثوليكية والمسيح يسوع، وبذلك يصبحون هم الذين يؤمنون بالإسلام، فلا داعي أن يُطلق عليهم الهوي"[٢٨٨]، ورفضت رفضًا تامًا وجود قومية تدعى الهوي.

نَشَرَ وو تشونغ شين – الذي تولى منصب رئيس مقاطعة شينجيانغ خلفًا لشينغ شي تساي – (كتاب جماهير مقاطعة شينجيانغ)، اعتقد فيه أن الأقليات القومية فرع من قومية الهان؛ بل ليست ثمّة قومية الويغور والقازاق والأقليات القومية، وهذا كشف بشكل واضح الأفكار الشوفانية الهانية لحكومة نانجينغ. فتوغلت سياسة حكومة نانجينغ تجاه الإسلام تدريجيًا في طريق مسدود، بسبب هذه الأفكار، وازداد الخلاف بين القوميات المسلمين وغير المسلمين.

تعكس تمامًا سلسلة الصراعات التي بدأت بسبب احتجاج جماهير المسلمين الصينيين – ضد ازدراء الإسلام في ثلاثينيات القرن الماضي وأربعينياته – معارضة

٢٨٨- (القاموس الإسلامي الصيني الكبير)، ص ٢٨، دار نشر جيانغسو للكتب القديمة، طبعة عام ١٩٩٢م.

جميع الجماهير القومية للنظام السياسي الديكتاتوري والقمعي، وسعيهم نحو رغبة شديدة في تحقيق المساواة بين القوميات.

كتب لوشون حول هذا الحادث يقول: "خلال سفرنا للجنوب هذه المرة، تصادف ركوبنا الحافلة نفسها مع وفد جماعة حماية الدين، وقد عم جوٌ من الضجيج والضوضاء بين المئات من المودعين لهم. ولم ينتهِ الأمر عند هذا الحد فحسب؛ فكلما تعاملت الحكومة المركزية بالضعف أو عدم الاتزان، يتخذ معتنقو الإسلام الكثير من الأنشطة والمواقف. هكذا هو التاريخ، والأسباب غاية في التعقيد. إن ما نراه الآن مازال يعد بداية لا أكثر. وفي اعتقادي سيزداد الأمر تعقداً وخطورة"[٢٨٩]. توضح هذه الحقيقة اللاحقة صحة حكم لوشيون. ومن أجل الحصول على حرية العقيدة والمساواة بين القوميات بدأ المسلمون الصينيون من جميع القوميات في النضال بشجاعة لتحرير أنفسهم، تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني.

---

[٢٨٩]- لوشون (مجموعة لوشون)، الجزء ١٢، ص ١٢٨، دار نشر الشعب للأدب، طبعة عام ١٩٨١م.

الباب الخامس

قومية الإسلام في الصين

إن جوهر الدين هو الإيديولوجيا، وهو القوة الروحية التي تُؤثر تأثيرًا كبيرًا في المشاعر العامة للجماهير وإدراكها العميق. تنتمي القوميات إلى المجموعات الاجتماعية، وتتمتع بالخصائص الاجتماعية باعتبارها جمهورًا يعيش بشكل جماعي.

ثمّة علاقة متبادلة بين الأديان والقوميات؛ فهي الأكثر عمقًا وشمولية وتعقيدًا وأهمية في العلاقة بين أفراد مجموعة الثقافة الاجتماعية وأفراد الأشكال الثقافية. وظل الإسلام على اتصال متبادل مع جميع القوميات بلا استثناء خلال مسيرة تطوره في الصين.

إذ ساير الإسلام التطور الاجتماعي؛ بل انسجم مع الواقع الاجتماعي للفترات التاريخية كافة، وهذا ما لم تثبته مسيرة التطور التاريخي فحسب؛ بل أثبتته أيضًا حاجة الإسلام نفسه إلى التطور والوجود. بدأ الإسلام يتمتع بخصائص محلية وقومية صينية، بعدما دخل الصين، مما جعل الثقافة الصينية الإسلامية جزءًا مهمًّا في الثقافة الصينية التقليدية، وظهرت بشكل واضح الواقعية والحتمية للدين الإسلامي، وهما اللتان تتفقان مع التطور التاريخي والاجتماعي الصيني.

مرورًا برسل تانغ والتجار والأجانب في أوائل عهد أسرة تانغ الذين جاءوا إلى الصين، حتى التجار البربر في عهد الأسر الخمس (٩٠٧- ٩٦٠م)، والتجار الأجانب الخمسة الكبار في عهد أسرة سونغ، وقومية الهوي في عهد أسرة يوان، حتى اكتمالها بالمعنى الواسع في عهد أسرة مينغ - يرجع أصل قومية الهوي إلى العرب والفرس وسكان وسط آسيا وغيرهم من الذين اعتنقوا الإسلام وعاشوا في الصين.

بدأت القوة المتماسكة للمسلمين الذين عاشوا في الصين في عهد أسرة تانغ والأسر الخمس وسونغ ويوان تتضاعف وتتمركز، وبدأت تتضح خصائص الوحدة القومية والدينية، وأنتجت تدريجيًّا الوعي والإدراك بالحفاظ على القومية، وأنتجت - تدريجيًّا - الكثير من المنظمات الدينية، بسبب تغيرات البيئة الخارجية وزيادة عدد المسلمين.

فقد حفظت هذه الأنظمة خصائص الإسلام، وصانت معتقداته وأنظمته والكثير من العادات والتقاليد الدينية. والأهم أن الإسلام الصيني تميّز بخصائص صينية فريدة، خلال انسجامه مع المسيرة التاريخية والاجتماعية الصينية بلا توقف، وشكّل أولاً قومية الهوي بالمعنى الواسع في الصين، خلال مسيرة القومية الطويلة، وأصبح في النهاية الدين الذي تعتنقه قومية الهوي والويغور والقازاق ودونغ شيانغ والقيرغيز وسالار والطاجيك والأوزبك والباوآن والتتار، بإجمالي عشر أقليات، بل كان له تأثير واضح ومتطور بين الأقليات التي تعيش في التبت.

انقسم الإسلام إلى الكثير من الطرق والمذاهب، خلال هذه المسيرة. وثمّة الكثير من الفروع والطرق الصغيرة تحت كل مذهب كبير. وتنعكس بدرجات مختلفة خصائص المذاهب والطرق الإسلامية الصينية، بين الأقليات العشر التي تعتنق الإسلام. من أجل تسهيل عملية الدراسة والبحث، يدور هذا الباب حول العلاقة بين الإسلام والأقليات العشر التي تعتنق الإسلام في الصين، ليشرح فكرة تطور الإسلام في الصين.

أولاً: قومية الإسلام:

نما الإسلام من دين محلي إقليمي إلى دين عالمي، ومن الطبيعي أن تكون مسيرة نشر الإسلام وتأسيسه مسيرة للتغلب على القبلية والعرقية وصلة الدم ولون البشرة واللغة والحدود والعادات والتقاليد والإلحاد، وغيرها من العناصر المقيّدة.

خلال مسيرة خروج الإسلام من شبه الجزيرة العربية، والتحول من المعتقدات الروحية للعرب إلى الأديان المشتركة في القوميات المتعددة والشعوب التي تعيش في المناطق الشاسعة، طرأ - من ناحية - تغلغل متبادل وتأثير متبادل بين أيديولوجيته وأيديولوجية المناطق التي ينتشر فيها؛ فاستوعب التقاليد والثقافة الراسخة في هذه المناطق واندمج معها، بل شهد بذاته تغيرات باستمرار، "إن الإسلام الصيني الذي يعرفونه الناس اليوم، هو في الواقع الإسلام القومي والمحلى الذي اكتمل على أرض

الصين"[290]. وعلى الجانب الآخر حافظ الإسلام من البداية حتى النهاية على الخاصية الجوهرية للمعتقدات الدينية الأخرى، خلال مسيرة التطور والتحول المستمر، "وحافظ على تأثيره وسلطته وأسبقيته ذات القيمة الروحية والدينية. وجعل لنفسه نظامًا عقائديًا يتمتع بالانفتاح وسَعَة الصدر والأسبقية، لتقبله جميع شعوب العالم بمختلف خلفياتها الثقافية"[291].

نرى من هذه الزاوية: أن تشكيل الإسلام الصيني ظاهرة عظيمة في تاريخ الثقافة الشرقية والعالمية، وهي محتوى وجانب مهم في تاريخ الثقافة الصينية وأديانها. ونرى في الإسلام - في حد ذاته - وجود اختلاف كبير وتغاير بين متطلباته الروحية التي تمثله والدين التقليدي الصيني والأخلاق والتقاليد والعادات ومفهوم الشعائر واتجاهات القيم.

وهذا هو سبب اعتبار أن الإسلام "له عادات مختلفة وبيئة مختلفة" لفترة طويلة في الصين. لكن عملَ الإسلام على استيعاب الخلاصة الثقافية الصينية التقليدية، وانسجم مع واقع حياة المسلمين الصينيين، وتماشى - بشكل إيجابي ورئيسي - مع التطور الثقافي والعسكري والاقتصادي والسياسي الصيني، وكوّن الآداب النظرية الإسلامية التي تتفق مع واقع الصين.

كان ثمّة اصطدام متبادل وصراع واندماج وتغيرات بين الإسلام مع الفلسفة الصينية وآدابها، والثقافة الصينية التقليدية الدينية، وتحول الإسلام تدريجيًا إلى الصينية يومًا بعد يوم، وشكّل النظريات والشعائر للإسلام الصيني المتوافق مع الواقع الصيني.

إن جوهر الانقسام المذهبي للدين الإسلامي ذي الصبغة الصينية الذي يمثله

---

[290] - جينإيجيو: "قومنة وأقلمة الدين الإسلامي في الصين"، منقول عن (دراسات الديانات العالمية)، ص ١، العدد الأول، عام ١٩٩٥م.

[291] - يانغ تشي تشين ويانغ خوا (الوضع الحالي والتطور التاريخي للدين الإسلامي في الصين)، ص ٦٥، دا رنشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، أكتوبر عام ١٩٩٩م.

المذهب الإخواني الذي ظهر في نهاية عصر تشينغ، هو رد فعل حيال تصيين الإسلام. لذا فإن محلية الإسلام في الصين هي التواصل المنهجي بين حضارتين عن طريق الأفكار ومفهوم القيمة، وهي نموذج التواصل والتأثير والدور المتبادل بين ثقافتين مختلفتين.

تجلّى نظامان على وجه العموم بين الأقليات العشر التي تعتنق الإسلام في الصين، ثمّة نظام عقائدي يرتكز على قومية الهوي وسالار والباوآن الهوي ودونغ شيانغ. وهذه القوميات من العرب والفرس وسكان وسط آسيا وغيرهم من المسلمين الذين جاءوا إلى الصين، واندمجوا مع القوميات المحلية الأخرى وشكّلوا قوميات جديدة.

والنظام العقائدي الآخر يرتكز على الويغور والقازاق والطاجيك والقيرغيز والأوزبك والتتار، وهم يعتنقون الإسلام مع الحفاظ على ثقافتهم القومية الخاصة بهم المتكونة منذ آلاف السنين.

قام الإسلام بدور شامل وجوهري بشكل كامل. إن الإسلام الصيني بلا شك ذو خاصية إسلامية في العقيدة الأساسية والنظام الديني والدروس والمجاملات، وغيرها من المجالات. لكنه تأثر بالثقافة الصينية التقليدية.

على سبيل المثال ثمّة علّامة صيني مسلم متبحّر في أساسيات اللغة الصينية، شرح الكتب الدينية وفسّرها بالأفكار الكونفوشيوسية، عقب استيعاب الثقافة الصينية التقليدية، وفقًا لسلسلة الفكر الذي يدعو إلى أنه "قد يختلف الدين لكن المنطق لا يختلف". خلال نشاطاته في ترجمة أمهات الكتب والمؤلفات، وأسفر عن استجابة طيبة، لتفسير أمهات كتب الإسلام، على أساس إحساس دافق بين خلجات قلبه بأنه (يبدو أن بينهما نقاط اتفاق ومواطن تشابه، فسهُل على المسلمين الصينيين تقبل دين مختلف قادم من الخارج، وأصلحوا بعض المحتويات الثابتة في الإسلام وتخفيفها أو تركها.

خلال نشر الإسلام والدعوة إليه، اقتبسوا بعض العناصر من الثقافة الصينية التقليدية، أو استوعبوها أو اندمجوا معها، وشكّلوا أفكارًا دينية تختلف عن الإسلام الخارجي؛ وأبرزها فكرة توحيد حب الدين وحب الوطن وفكرة "الإخلاص الثنائي" التي تقوم على الإخلاص لله والإخلاص للحاكم.

تلقى مسلمو الأقليات الصينية العشر – التي تعتنق الإسلام – هذه الأفكار، وشكّلوا العناصر الرئيسية للمبادئ الأخلاقية والثقافة الصينية الإسلامية. لكن في الوقت نفسه، شكّلوا مقاييس أخلاقية وسلوكية فريدة ومتقابلة، بين القوميات العشر المختلفة والنظامين المختلفين، بسبب اختلاف العادات والتقاليد بين المناطق والأماكن، وهذه هي الخصائص الواضحة التي لا يمكن تجاهلها عند البحث في قومية الإسلام في الصين.

إن مسيرة قومية الإسلام في حد ذاتها مسيرة من الصراعات والخلافات. نرى في حد ذاتها أنها تتسم دائمًا بصراع بين المذهب القديم والمذهب الجديد، وصراع مذهبي متطور وصراع طائفي متشعّب، خلال مسيرة القومية، بين القوميات المختلفة وتوحيدها.

نرى من البيئة الخارجية لهذه المسيرة، أن ثمّة صراعًا وخلافًا بينها وبين نظامها الثقافي والقومي، جعل الإسلام يُغيِّر باستمرار الثقافة القومية الأجنبية ويندمج معها ويستغلها، وفي الوقت نفسه، كانت الثقافة القومية الأجنبية توجهه وتتحفظ عليه وتعترف به.

الخلاصة: إن مسيرة القومية تشبه كثرة الإسلام وتنوعه في حد ذاته، فمسيرة القومية مثل مئة زهرة تتفتح، وبالرغم من أنها تحتوي أحيانًا على العنصر السلبي في أحد جوانبها الجزئية أو في المكان والزمان، إلا أن هذه المسيرة مازالت في استمرار وتطور حتى اليوم.

والجدير بالذكر: إنه خلال مسيرة قومية الإسلام، دائمًا ما أثيرت الشكوك حول اتجاهاتها الخارجية التي أثارت تساؤلات العالم الخارجي وريبته، عندما انسجمت العلاقة بين القوميات التي تعتنق الإسلام والقوميات الأخرى، وتوطدت العلاقات الداخلية بينهم، فآثر الناس استغلال المعتقدات الدينية الإسلامية في الدعوة إلى التعايش في وئام وحب وحنان وشفقة وحكمة وعدل، لتحافظ على هذه العلاقة، بل تدافع عنها.

وعلى العكس، عندما توترت العلاقات، تبنى الناس الموقف العدائي والعنف والحرب والمعارضة، بل استغلوا المعتقدات الدينية الإسلامية في تعميق الشقاق والمجابهة

بين الجانبين والعمل على نجاحها. "فمن الطبيعي أن تؤدي إلى تطور التعصب والخطاب العدائي لرفض كل ما هو مختلف، وما فيه كراهية الأجانب"[292]. فيصب الأول في صالح الحوار والتواصل بين القوميات والمذاهب والأديان، ويدفع التنمية والازدهار المشترك إلى الأمام، أما الآخر يشكل العنصر السلبي في مسألة التكوين أو الزمان والمكان.

لذلك، يجب التفكير بشكل مستفيض في تأثيرهما وجوانبهما، عند البحث في قضية قومية الإسلام.

ثانيًا: اسم (هوي) وأهالي قومية هوي:

عند البحث في قضية قومية الإسلام الصيني يجب - أولاً - التمييز بين العلاقة والتطور في مفهوم الهوي الهوي وأهالي قومية الهوي وغيرهم.

◆ المغزى الأول لمصطلح هوي هوي:

"لماذا تحول الإسلام المشهور في العالم، إلى هوي هوي، بعدما دخل الصين؟ تجب الإجابة عن القضايا التاريخية الغامضة، فمن الطبيعي أن تكون ثمَّة علاقة وثيقة بين اتساع هيمنة المغول والهجرة الجماعية للهويخة.

ومن خلال آلام المعارك المتبادلة التي استمرت لمئات السنين، والتأثير الثقافي المتبادل، تحولت الهوي هوي في الواقع إلى الإسلام، لكن أخذ المغول زمام المبادرة في قلب الحق والباطل رأسًا على عقب، وحوّلوا الإسلام إلى الهوي هوي"[293].

برز هذا المصطلح هوي هوي لأول مرة في كتاب (مينغ شي بيشان)، الذي ألَّفه تشينغ قوه في عهد أسرة سونغ الشمالية، إذ يقول في تسجيلاته: "إن جنود الهوي سجّلوا انتصارات عظيمة، وأنشدوا أغاني النصر، ولا تزال هذه الأغاني موجودة حتى الآن.

[292]- يانغ تشي تشين ويانغ خوا: (الوضع الحالي والتطور التاريخي للدين الإسلامي في الصين)، ص ٦٧، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، أكتوبر عام ١٩٩٩م.

[293]- ماتس بو: (الإسلام في الصين)، ص ١٥، دار نشر تانغ شان في مدينة تاي بي، الطبعة الأولى، أكتوبر عام ٢٠٠١م.

كلمات هذه الأغنية كثيرة جداً، ولغاتها فظة وسوقية"، سجّل تشينغ قوه بعض كلمات الأغنية؛ وهي "انتصر جيش الهوي، واسترد أرضه، وسحق عدوه"[294]. فأول ما سجل عن الهوي هوي من خلال تفسيرات تشينغ قوه لأغاني النصر، ثم جويان وو الذي عاش في نهاية عهد أسرة مينغ وأوائل عهد أسرة تشينغ، انه قال في كتابه (التسجيلات اليومية المعرفية): "إن قومية الهويخة في عهد أسرة تانغ هم قومية الهوي حاليًا"، "الهوي هوي اليوم، هي تحويل صوتي عن الهويخو"[295].

إن المفهومين اللذين قدمهما هذا التفسير هما "الهويخة هي الهوي هوي" و"الهوي هوي تحوُّل صوتي من الهويخو"، الأول تفسير خاطئ، والآخر تفسير منطقي.

أطلق قديمًا على الهويخة لقب دنغ لينغ، وهي إحدى قبائل التتر القديمة، وهي من جنس شيونغ نو نفسه. وفي الفترة المتأخرة لإمبراطورية هان (٨٩- ١٠٥م)، فتح دوو شيان منطقة شيونغ نو، فاستسلم جزءٌ منها، وانتقل الجزء الآخر إلى أوروبا.

لذلك، اضطربت سهول المغول التي كانت تحتلها شيونغ نو من قبل، فانتهزت قبيلة دنغ لينغ الفرصة ودخلت سهول المغول، وأطلق عليهم لقب تيلأ. وفي عام ٢٠٠م، عند إقامة الشيان بيين إمبراطوريتهم، ضموا قبيلة التيلأ إلى ملكهم، ولم يعد اسم شيونغ نو موجوداً.

لكن استمرت قبيلة التيلأ في التطور، وازداد عددهم بشكل كبير جداً، تحت حكم الشيان بيين. وفي حلول فترة الأسر الحاكمة الشمالية والجنوبية (٤٢٠- ٥٧٩م)، تعرض التيلأ إلى اضطهاد القبائل التركية الواعدة، فاضطرت إلى الهجرة إلى المناطق الشمالية الغربية.

[294]- مذكرات مدرسة خوداو جينغ: الجزء الأول من كتاب (مينغ شي بيشان)، ص ٢٢٤ - ٢٢٥، دار نشر الكلاسيكيات بشنغهاي.

[295]- جويان وو: (التسجيلات اليومية المعرفية)، الجزء ٢٩، (هوي هوي التبتية).

في عهد أسرة تانغ، تطورت قبيلة التيلأ حتى وصلت إلى ١٠٠ ألف أسرة، فقدموا هدايا الولاء لأسرة تانغ، بل تلقّوا أوامر أسرة تانغ، من أجل مقاومة غزو الأتراك.

في فترة تانغ جاو تزونغ (٦٥٠- ٦٨٤م)، قامت قبيلة التيلأ وجيش أسرة تانغ بحملة تأديبية ضد الأتراك، ووصلوا إلى طشقند حاليًا. وبحلول فترة وو خو (٦٨٤- ٧٠١م)، نهضت قبائل الأتراك مرة أخرى، فاضطرت قبيلة التيلأ إلى الهجرة مرة أخرى إلى الجنوب الغربي؛ حتى وصلت إلى المنطقة الواقعة شمال جبل تيان شان، وغيّروا اسمهم إلى الهويخة.

في العام الأول من عهد شوانزونغ إمبراطور تانغ (عام ٧١٧م) اتحدت قبيلة الهويخة مع قبيلة التتر التي تعيش في منطقة التاي، وكونوا "الدول التسع"[296] وألحقوا الأتراك هزيمة نكراء، ودخلت الهويخة فترة الازدهار الكامل، وأطلقت عليهم أسر تانغ لقب العائلة الشمالية.

بعد أن اندلعت الاضطرابات في آن شي، استغلت أسرة تانغ جنود الهويخة لإخماد هذه الإضرابات، وزوّجت أسرة تانغ ابنتهم الأميرة لقائد قبيلة الهويخة؛ بل وافقوا على إقامة علاقات تجارية معهم بسياسات تفضيلية.

لذا اشتُهرت قبيلة الهويخة بمساعدتها أسرة تانغ، في إدخال الأسلحة إلى الصين. ووفقًا للأبحاث الوثائقية للمبشرين الغربيين، كانت ثمّة النساء في عهد أسرة تانغ مضغوطات القدمين[297]، لكن هذا مقتصر فحسب على العاهرات، وتعد من متطلبات المهنة، لكن النساء الحرائر المنتسبات لعائلات فاضلة لم يكنّ مضغوطات القدمين.

---

[296] - الدول التسع: كانغ وآن وتساو وشا ومى وخا وشى وخوشون وأوو دا.

[297] - عادة صينية قديمة تقوم بلف أقدام الفتيات الصغيرات ببعض الأربطة، وربما وضعها في قالب حديدي؛ للحد من نمو قدم الفتاة. إذ توارثوا عادات تمدح صغر قدم الفتاة وتراه من أسرار جمالها. وهذا في الحقيقة أمر مؤلم جداً، يسبب آلامًا قوية في المشي والتنقل ويؤدي لأمراض عظام في سن مبكرة، ويُعدُّ من أساليب سوء المعاملة للمرأة.

قام الهويخيون بأسر النساء في كل مكان ونهبهن، بعدما ساعدوا أسرة تانغ، لكنهم لم يأسروا النساء مضغوطة القدمين، لأن حركتهن صعبة ولا يمكنهن ركوب الخيل، لذا قامت النساء الحرائر تباعًا بضغط أقدامهن من أجل الهروب من هذه الكارثة[298].

وفي نهاية عهد أسرة تانغ، شهدت قبيلة الهويخة انقسامًا داخليًا، فجزء منها انتقل من شينجيانغ إلى منغوليا، وشكّل قومية المغول؛ وجزء آخر انتقل إلى المنطقة الواقعة بين جبل خلان وخاداو، وانصهروا تدريجيًا مع شعب الخيتان التبتية وشكّلوا شعب التانغوت، واسسوا أسرة سيا الغربية[299]، وحافظوا على الوضع الانفصالي في الشمال الغربي.

إن الهويخيين الذين يعيشون في شينجيانغ، غيّروا اسمهم من الهويخة إلى الهويخو؛ كي يعبروا عن سمو مكانتهم وأصل نسبهم، وذلك في عهد أسرة تانغ (عام ٧٨٣م) في العام الرابع في عهد الإمبراطور تانغ دا تزونغ.

بعد ذلك، انتقلت قبيلة الهويخو تباعًا إلى وسط آسيا، لأنهم لم يتحملوا اضطهاد التبتيين، وبعد مرور ١٠٠ عام على الأقل اعتنقوا الإسلام[300].

ينتمي الهويخة والهويخو معًا إلى قبيلة التتر، ويستخدمون اللغة التركية، لأن لغتهم متشابهة، إذ قاموا بالتبادل التجاري مع أسرة سيا الغربية ولياو[301] وجين[302] والمغول، لذا

---

[298] - ماتسبوا: (الدين الإسلامي فى الصين)، ص ١٨، دار نشر تانغ شان بمدينة تايبي، الطبعة الأولى، أكتوبر عام ٢٠٠١م.

[299] - أسرة سيا الغربية: إمبراطورية تانغوت، وقد عرفها شعب التانغوتو سكان التبت باسم مين ياك. أما اسم "سيا الغربية" فمأخوذ من سجلات "سيسيا"، تعني حرفيًا سيا الغربية، ولهذا يُستخدم هذا الاسم غالبًا في الدراسات الصينية. وهذا الاسم مأخوذ من موقعها على الضفة الغربية للنهر الأصفر، في مقابل لياو (٩١٦-١١٢٥) وجين (١١١٥-١٢٣٤) الواقعتين على الضفة الغربية، وأسرة سونغ الواقعة في جنوبه. أما اسم "تانغوت" الذي يُستخدم في الإنجليزية في أتيمنا لاسما لمغولي الدولة تانغهوت (Taŋγud) الذي يُعتقد أنه له معنى كلمة "دانغسيانغ" (党項) نفسه، المستخدمة في الأدب الصيني.

[300] - ماتسبوا: (الدين الإسلامي في الصين)، ص ٢٢، دار نشر تانغ شان بمدينة تايبى، الطبعة الأولى، أكتوبر عام ٢٠٠١م.

[301] - أسرة لياو: أسرة إمبراطورية في شرق آسيا، حكمت مناطق منشوريا ومنغوليا، وأجزاء من شمال الصين.

ثمّة تسجيلات باسم الهويخة والهويخو وغيرها في كتاب (تاريخ لياو)، لذا من الصعب التمييز بين الكلمتين الهويخة والهويخو، وأحيانًا يتم نحت اللفظين المتجانسين، ودمجها في مصطلح "هوي هوي". لذلك، بدأ يُستخدم مصطلح هوي هوي في القبائل البدوية الشمالية في عهد أسرة سونغ الشمالية. ثم أطلق على الإسلام مصطلح دين هوي هوي، ويُطلق على المسلمين مصطلح هوي هوي، لكن ظهر هذا المصطلح في عهد أسرة يوان التي قامت بعد عدة سنوات. لذلك، لا علاقة للهويخة والهويخو في عهد أسرة تانغ بدين هوي والهوي هوي في معنى الإسلام.

٢،٢ أهالي قومية سمو[٣٠٣] وأهالي قومية هوي:

قسَّم المغولُ القوميات التي حكموها إلى أربع درجات، يحتل أهالي السمو من بينهم الدرجة الثانية، ويتمتعون بأسماء بعيدة عن أسماء الصينيين، وتختلف تصفيفات شعرهم ولون بشرتهم عن الهان، كما تختلف عادات أهالي السمو وتقاليدهم وملابسهم ولغتهم - وغيرها من الخصائص - عن الهان.

"بعدما فتح المغول غرب آسيا، أدخلوا كثيرًا من الجنود الأجنبية إلى الصين، من تايجو[٣٠٤] إلى فترة الخمسينيات في عهد سيجو[٣٠٥]، ووصل عدد جنود المناطق الغربية الذين تم حشدهم وإدخالهم الصين عاجلاً أو آجلاً، إلى مليون جندي، ووصل عدد الجنود وخدمهم إلى أكثر من عدد التجار.

٣٠٢- أسرة جين: تأسست في ماس، ليصبح شمال منشوريا من قبائل [جورشن] في ١١١٥. وفي ١١٢٥، وتمكنت من سحق أسرة لياو التي سيطرت على شمال الصين، بما في ذلك منشوري أو جزء من المنطقة المغولية لعدة قرون.

٣٠٣- أهالي السمو: اسم يطلق على القوميات التي تعيش في غرب الصين في عهد أسرة يوان.

٣٠٤- تايجو: تايجو ملكفوريو (٣١ من يناير ٨٧٧ - ٤ من يوليو ٩٤٣م)، يعرف أيضًا باسم تايجو وانغفون (وانغكون، 왕건) وباسم الملك تايجو أيضًا. وهو مؤسس سلالة غوريو، التي حكمت تكوريا ابتداء من القرن العاشر حتى سقوطها في القرن الرابع عشر. وحكم تايجو من سنة ٩١٨م إلى ٩٤٣م.

٣٠٥- الملك سيجوملك ملكة جوسون السابع، (ولد في ٢٩ من سبتمبر ١٤١٧م، وتُوُفِّيَ في ٨ من سبتمبر ١٤٦٨م)، (حكم من عام ١٤٥٥م إلى عام ١٤٦٨م)، وأصبح الملك في عام ١٤٥٥م.

هذا أول عدد ضخم من المهاجرين، وذلك لحفظ الأسرار الأجنبية، المرتبطة بالتحركات العسكرية، ولم يتم تسجيل ذلك في تاريخ أسرة يوان عمداً.

لم يتم ترحيل الغربيين الذين جنَّدهم المغول إلى بلادهم، بعد أن انتهت المعارك؛ وارسلوهم إلى معسكرات العمل كافة، ووزّعوا عليهم الأراضي، لتحويلهم من جنود إلى فلاحين. وزاد - فجاة - أعداد الأجانب من كل شكل ولون بين الشعب الصيني، وأصبح من الصعب التمييز بين جنسيتهم وأجناسهم، ومن ثم أطلق عليهم السمو، فتعقدت أجناسهم، ووفقًا لدراسة (سجلات زراعة تشو)، ثمَّة أكثر من ٣١ جنسًا". "هم فقط الأتراك والتتر الذين يعيشون في وسط آسيا، والقوقازيون والروس الذين يعيشون بالقرب من البحر الأسود، لكن أكثرهم من العرب والسوريين والعراقيين والفرس والأفغان الذين يعيشون جنوب شرق بحر قزوين، ومن الأتراك والروس المقيمين بالقرب من البحر. ويطلق أيضًا على التانغوتيين في آسيا الغربية والويغوريين في منطقة شينجيانغ، اسم أهالي السمو"[٣٠٦].

في عهد أسرة سونغ الشمالية، أُطلق على الهويخة والهويخو الذين ينتمون إلى التتر مصطلح هوي هوي، ولهم الكتابة المغولية نفسها والجنس المغولي نفسه.

في فترة جنكيز خان، ازدهرت قوة المغول، وانتهز الهويخة والهويخو الفرصة واستخدموا اسم قبيلة التتر، وتركوا اسم هوي هوي؛ بل تولوا مهمة الترجمة لجيش المغول ومهمة إرشاده في المناطق الغربية، من أجل إقامة اتصالات مع المغول.

لذا، في هذه الفترة، لم يعد لمصطلح هوي هوي هدف ثابت من تسميته. ومنذ ذلك الوقت، استخدم حكام المغول مصطلح سالارولا، لمناداة الأتراك والفرس والعرب الذين يعتنقون الإسلام.

٣٠٦- ماتسيبو: (الدين الإسلامي في الصين)، ص ٢٢- ٢٣، دار نشر تانغ شان بمدينة تايبي، الطبعة الأولى، أكتوبر عام ٢٠٠١م.

قدّم مؤرخ وسط آسيا المشهور فاسيلي بارتولد[٢٠٧] تفسيرًا لمصطلح سالارولا، قائلاً: "بالنسبة إلى المغول، تعد سارتيج أو سارتاجاتي تعني قومية ما، ولا تعني شعبًا ذا حضارة.

عيّن جنكيز خان أول قائد مسلم في منصب يدعى سارتاي أصلا خان للجوليين في شمال جيادسو، وهو أول مَن خضع له بهذه المنطقة، بالرغم من أنه من الناحية اللغوية فالجوليون ليسوا إيرانيين، بل هم أتراك.

الحس اللغوي المماثل لسارت يشكل مصطلح سارتاخلوا أو سارتول، وبدأ يُستخدم هذا المصطلح مبكرًا في عهد جنكيز خان. وبعد ذلك استخدم راشد الدين مصطلح سارتول ليعبّر عن معنى الطاجيكية، لكن إبين ومُهنا استخدما المصطلح ليعبرا عن معنى المسلمين"[٣٠٨].

قام كل من شوتينغ وبينغ دايا في فترة أسرة سونغ الجنوبية بترجمة سارتاولا رسميًا إلى هوي هوي، بل استخدما هذا المسمى لمناداة المسلمين.

في أوائل عهد أسرة يوان، رضيت حكومة سونغ الجنوبية بسيادة جزئية على الصين، فكانت معرفتها قليلة بأحوال غرب آسيا وآسيا الوسطى، وفي عام ١٢٣٢م وعامَي ١٢٣٥- ١٢٣٦م، سافر كل من شوتينغ وبينغ دايا رسولَيْن إلى المغول للبحث والدراسة، ولمعرفة أحوال الكثير من المناطق والدول التي استولى عليها المغول.

بعدما رجعا إلى أسرة سونغ الجنوبية، كتب كل من شوتينغ وبينغ دايا كتاب (لمحة عن حياة التتار السود)، سجّلا فيه أسماء الدول الغربية التي استولى عليها جيش المغول. وما يستحق الإشارة إليه في هذا الكتاب قيام شوتينغ وبينغ بالتمييز الدقيق بين

[٢٠٧]- فاسيلي فلاديمير وفتشبار تولد (١٨٦٩ - ١٩٣٠م) مستشرق روسي بارز، لاسيما في مجالات تاريخ الحضارة الإسلامية.

[٢٠٨]- بارتولد: (الدرس العشرون في تاريخ أتراك وسط آسيا)، ص ١٣٢، دار النشر الصينية للعلوم الاجتماعية، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٩م.

الهويخة والهويخو، وترجمة سارتاولا إلى هوي هوي، لذا طرأ تغيير كبير في مفهوم هوي هوي.

بعدما وحدت أسرة يوان الصين، فإن السجلات التي استخدمت مصطلح هوي هوي في مناداة المسلمين شُوهدت في المرسوم الإمبراطوري على من يعمل في التجارة اعتمادًا على اسلوب الاقتراض بالفائدة من أهالي المسرمان والويغور والهوي هوي. ودفع الفوائد وفقًا للقواعد المذكورة سلفًا[٣٠٩]. والمسرمان هنا هم المسلمون، وهوي هوي هم الذين يعتنقون الإسلام.

عندما بدأ المغول يطلقون على الذين يعتنقون الإسلام اسم سارتولا، لم يدركوا أن الصين بها الكثير من الناس الذين يعتنقون الإسلام، لذا ظل هذا الاسم مقتصرًا على مسلمي الفرس والعرب والخوارزم وخانات قراختاي. وبعدما دخلوا شمال الصين، دخل عدد كبير من جنود سارتاولا إلى الصين من الشرق، وازداد عددهم تدريجيًا، وكان جميعهم من السمو الذين يعتنقون الإسلام، لذا أُطلق عليهم هوي هوي.

بعد ذلك، فسّر بعض علماء الإسلام من الصينيين مصطلح هوي هوي من زوايا عدة وبصور مختلفة، من أجل تفسير المعنى الديني لمصطلح هوي هوي. فعلى سبيل المثال، قال وانغ داي يوو: "إن الإسلام دين الطهارة والصدق، وقد تشكل بين جنبات الكون. فكل المخلوقات تتجه بفطرتها إلى الإسلام، وتلك حقيقة الدعوة للإسلام. إن البحث في الإسلام يعني دراسة عقيدته وشريعته. فالعقيدة الإسلامية تنقسم في مغزاها إلى فرعين؛ فرع يهفو فيه الجسد للإسلام، وفرع آخر يهفو فيه القلب والروح للإسلام"[٣١٠].

[٣٠٩] وانغيون: (موسوعة السيد تشيو تجين)، الجزء ٨٨.

[٣١٠] وانغ داي يوو: (هوي هوي)، (التفسيرات الحقيقية للكنيسة الأرثوذكسية).

اكتساب أهالي الهوي لدفتر التعريف القومي والمغزى الهام من ذلك

انتظامُ سجل الأحوال المدنية (دفتر التعريف القومي) رمزٌ لسجل إدارة الأسرة الإقطاعية الصينية، هو يعتمد على الحملات التأديبية والضرائب والسخرة.

اكتمل تدريجياً هذا النظام وتوسَّع، في عهد أسر الحاكمة الشمالية الجنوبية (٤٢٠-٥٨٩م)، فنظام سجل الأحوال المدنية في عهد أسرة يوان موروث من الأسر السابقة.

منذ عام ١٢٣٥م – ويرمزون إليه "دفتر تعريف ووي إي" – بدأت أسرة يوان في التأسيس والإكمال لنظام سجل الأحوال المدنية. فأصدر يوان تاي تزونغ المعروف بأوقطاي خان[211] (عام ١٢٢٩- ١٢٤٢م) مرسوماً إمبراطورياً: "سواء كنت من التتار (المغول) أو من الهوي هوي أو شعب الخيتان وإذا كنت انخرطت بين سكاننا من خلال الأسر من قبل قواتنا، وتعيش داخل حدود الدولة فستكون بمثابة بشو كوو – عبيد، لكن المستقر خارج البلاد وحصل على جنسيات أخرى، فهو من رعية الإمبراطور، كما يجب على الأسرى والعبيد طاعة إدارة الحكومة المحلية، حتى لو تقابل مع سيده السابق، فلا يجب أن يتعرف عليه أو يعترف به السيد"[212].

أصبح هذا المرسوم المبدأ الأساسي الذي وضع نظام سجل الأحوال المدنية في عهد أسرة يوان. وبنظرة شاملة نراه يتضمن ثلاث نقاط رئيسية.

أولاً: يعد جميع الناس الذين تم إخضاعهم حدودياً هم أبناء الإمبراطور.

ثانياً: يعترف الإمبراطور بـ"شوكوو"[213] الذين استولى عليهم طبقة النبلاء والأمراء، لكنّ الباقين هم "رعية الإمبراطور".

---

[211]- أو قطاي خانهو أو لخلفاء جنكيز خان وثالثا بناءً همن زوجته الإمبراطورة بورته تولى حكم الإمبراطورية المغولية مباشرة بعد وفاة جنكيز خان في ١٨ من أغسطس ١٢٢٧م.

[212]- يوان (تونغجي تياوج)، الجزء الثاني، (خو لينغ خو لي).

[213]- يطلق على عبيد أسرة يوان المكلفين بشو كوو، وهي تعني الأشخاص الذين تم أسرهم، ومعظمهم من أسرى الحروب، ويعملون بخدمة أسيادهم. التشو كوو ينتمون إلى العبيد في عهد أسرة يوان، وهم جزء من ممتلكات الملاك، أي يمكن أن يقوم المالك ببيعه متى شاء. يكون التشوكوو وزوجاتهم وأولادهم من أملاك الملاك، كما يمنع القانون الاختلاط بهم أو الزواج منهم، لكن ليس ثمةً ذنب في أن يقوم المالك باغتصاب زوجة التشوكوو، أي (زوجة العبد).

ثالثاً: تأكيد الاختلاف العنصري الموجود في سجل الأحوال المدنية. فالمبادئ الأساسية المتعلقة بنظام سجل الأحوال المدنية في عهد أوقطاي خان، ظهرت واكتملت في (دفتر التعريف القومي ذي الصيغة الأميرية)، التي أصدرها يوان شيان تزونغ في العام الثاني من حكمه (عام ١٢٥٢م) و"بطاقة التعريف القومي المصورة" التي أصدرها يوان شه تزو (عام ١٢٧١م).

تم تقسيم سجل الأحوال المدنية في عهد مانغ يوان إلى الكثير من الأنواع وفقاً لنوع القومية والمهنة، وتم تقسيم سجل الأحوال المدنية من الناحية القومية إلى سجل الأحوال المدنية للمغول والهوي هوي والويغور وخاشي وخيتان والحرائر والهان وغيرهم. وينص (سجل الأحوال المدنية) على أنه: كل من يعمل بالإقراض (المرابين)، يمكنه العمل في التجارة مع الجميع في كل المناطق، على أن يحقق أهداف الإمبراطورية السامية، بأن يحوز على حق حسن معاملة السكان المحليين.

والمسلمون والويغور مثلهم؛ إذ يمكنهم أن يذهبوا لأي مكان للعمل والتجارة، لكن على أن يحوزوا على حق حسن المعاملة من قبل السكان المحليين. وهكذا يتم الحصول على دفتر التعريف الوطني.

ولا يحق للعاملين في المساجد سواء في الإدارة أو الأئمة أو العبّاد العمل في مجال التجارة والإقراض. إذ يتم ذلك وفقاً لقواعد الإسلام.

وقد ذكرت السجلات بعض الأسر المسلمة الحاصلة على هذه النوعية من دفاتر التعريف القومي، وذلك في إشارة إلى وجود أسر مسلمة ذات قواعد اقتصادية متميزة. كما ذكرت السجلات دفتر تعريف (داشهلين)؛ وهو أحد العاملين بإدارة المساجد، أما شيه ليوي فهو أحد العبّاد الصوفيين، في حين أن دفتر التعريف القومي الخاص بالتجار والمربين والمقرضين نوعية متفردة ومميزة جداً.

من "دفتر تعريف إي ووي" إلى (دفتر التعريف القومي ذي الصيغة الأميرية) حتى

"بطاقة التعريف القومي المصورة"، هذه السلسلة من السياسات والنصوص، أدخلت أهالي الهوي في سجل الأحوال المدنية الحكومية. هذا هو الأمر "التاريخي" في مسيرة قومية الإسلام، ودلالته عظيمة جداً"[214].

أولاً: يدل اكتساب الهوي هوي الجنسيّة على انتهاء عصر الأجانب، منذ دخول الإسلام الصين، بالرغم من تطبيق سياسة التصيين بدرجة عالية، التي بعضها رسمي، لكن ظل المسلمون القادمون إلى الصين وأجيالهم في نظر الشعب والحكومة في ذلك الوقت أجانب وتجاراً أجانب.

قال موظف حكومي في أسرة تانغ: "لم يعد الصينيون يتواصلون ويتاجرون ويتزوجون ويتصلون سراً مع الأجانب أو يتاجرون معهم، ويستخدمون أموال الأجانب، ولم يعد ممنوعاً على الأجانب شراء الممتلكات والعبيد"[215]. "ثمّة اختلاف بين الأجانب والصينيين، ولا يمكن زواج الصينيين من الأجانب، وغير مسموح للأجانب بشراء الأراضي والعقارات"[216].

اتخذت حكومة سونغ سياسة إدارية تميّز بين المحلي والأجنبي بالنسبة للأجانب، وبها كثير من القيود. وخلال مئات السنين بين أوائل عهد أسرة تانغ حتى أسرة يوان، بالرغم من تدفق المسلمين إلى الصين بلا توقف، تكاثر بعض المسلمين في الصين حتى الجيل الخامس والسادس، واعتنق أيضاً بعض الصينيين المحليين الإسلام، إلا أن المسلمين الصينيين لم يشكلوا وحدة قومية مشتركة.

من بين هذه الأسباب الرئيسية عدم التخلي عن المنزلة الأجنبية والسّجل المدني الأجنبي وتجار الهوي. فأكسبت أسرة يوان الهوي هوي الجنسية، وهذا يدل على انتهاء هذا الوضع.

---

[214]- المؤلف تشيو شوو لين: (تاريخ قومية هوي في الصين)، ص ١٤٦، دار نشر الشعب بنينغشيا، ديسمبر ١٩٩٦م، الطبعة الأولى.

[215]- (السجلات الإمبراطورية): سجل ينقل الخبرات السياسية من الإمبراطور الحالي لمن يخلفه، الجزء ٩٩٩.

[216]- (كتاب تانغ القديم)، الجزء ١٧٧.

ثانياً: يدل اكتساب الهوي هوي الجنسية على زيادة عنصر جديد في القوميات الصينية. فإذا اعتبرنا أن الأجانب وأصحاب السجل المدني الأجنبي والتجار الأجانب هم زوار أجانب، إذن أصبح الهوي هوي أحد أعضاء البيت العائلي الكبير الذي يضم جميع القوميات الصينية بفضل اكتسابهم الجنسية.

ثالثاً: وضع اكتساب هوي هوي الجنسية حجر الأساس لتشكيل وحدة قومية مشتركة لهم، إن خصائص القوميات الصينية الإسلامية متنوعة، في أوائل أسرة يوان، فكان أهم شيء تقسيمها وفقاً للخصائص العنصرية للقوميات الأجنبية، فمنهم العرب والفرس والأتراك وغيرهم من القوميات الصغيرة.

قامت حكومة يوان بتقسيم السمو إلى هوي هوي والويغور وخاشي والخيتان وغيرهم وفقاً للعقيدة والعرق، ويصب ذلك من الناحية الموضوعية في صالح الهوي هوي الذين يعتنقون الإسلام من مختلف القوميات في تشكيل اتحاد قومي طبيعي.

◆ العادات والصفات النفسية والقومية المشتركة لأهالي قومية الهوي:

قال إستالين: "أولاً القومية هي الوحدة المشتركة، وهي الأسرة الموحّدة التي يكوّنها الناس"، "إن الوحدة المشتركة ليست هي العرقية، ولا البدوية. إن القومية الإيطالية الحالية تكوّنت من الروم والأرمن والأتروسكان واليونانيين والعرب وغيرهم". تكوّنت القومية الفرنسية من الغاليين[217] والروم والبريطانيين والأرمن. كذلك تكوّنت القومية الألمانية والقومية الإنجليزية، من مختلف الأعراق والقبائل".

"الخلاصة، إن القوميات ليست أسرة الأعراق، وليست أيضاً الوحدة المشتركة للقبائل، بل هي الوحدة المشتركة للناس التي تكونت عبر التاريخ"[218].

---

[217]- الغاليون (Gauls بالإنجليزية و Gaulois بالفرنسية)، أحد الشعوب الأوروبية القديمة، ظهروا في نهاية عصر البرونز وبداية عصر الحديد في الأجزاء الجنوبية الغربية من ألمانيا، ثم انتشروا بعد ذلك وتوزعت مناطق سكناهم بين الجزر البريطانية غرباً وآسيا الصغرى (تركيا) شرقاً، لكن تبقى أشهرها وأعظمها بلاد الغال (أي فرنسا).

[218]- إستالين: (الماركسية والقضايا القومية)، نقلاً عن (موسوعة إستالين) الجزء الثاني، ص ٢٩٢، دار نشر الشعب، الطبعة الأولى، عام ١٩٥٣م.

قومية هوي هوي ليست الوحدة المشتركة للقبائل ولا الوحدة المشتركة للأعراق؛ بل هي الوحدة المشتركة للناس التي تكونت عبر التاريخ. إن شرط تشكيل هذه الوحدة المشتركة هي التكوين والاكتمال للعادات والصفات النفسية والقومية المشتركة للقوميات.

بحلول عهد أسرة مينغ، استقر عدد كبير من الهوي هوي المقيمين في المناطق الغربية بالصين. في الوقت نفسه، دخلت عناصر من قوميات أخرى في صفوفهم بلا توقف. وفي ذلك الوقت، ثمَّة من علّق على ذلك قائلًا: "ثمَّة سمو حقيقيون، وآخرون مزيفون، إما زوجتهم من السمو، أو أمهاتهم من السمو، فعاداتهم وتقاليدهم مختلفة، فنشأت فوضى داخل البلاد"[319].

مع الزيادة الكبيرة في أعداد الهوي هوي وانتشارهم في أرجاء البلاد، شكّلوا عادات واحدة وصفات نفسية وقومية مشتركة، مع جميع الجماعات التي تؤمن بالإسلام داخل الصين في عهد أسرة مينغ، من خلال الاقتباس التدريجي والاندماج مع ثقافة الهان.

تشكّلت الصفات النفسية والقومية المشتركة للهوي هوي في عهد أسرة مينغ، وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من البيئة الاجتماعية في ذلك الوقت. وفي عهد هذه الأسرة، انخفضت المكانة الاجتماعية للهوي بشكل ملاحَظ مقارنة بعهد أسرة يوان، "فقد تعرض الهوي لاضطهاد شديد وتمييز عنصري، لذا ظهرت فجوة بينهم وبين القوميات الأخرى وانعدمت بينهم الثقة، وولّد لديهم الشعور بالاشمئزاز تجاه الأفعال التي تجرح كرامتهم.

اضطر الهوي الذين تكونوا من كل القوميات إلى الاتحاد من أجل الانسجام مع البيئة الاجتماعية الجديدة"[320]. أصبح الإسلام الرابط الرئيسي. وفي مجرى الزمن الطويل، كانت ثمَّة اختلافات خارجية بين الأعراق والقوميات المختلفة التي تعتنق الإسلام، مثل المظهر واللغة.

[319] - (مصادر ومراجع أبحاث لي جي)، الجزء الأول،ص ١٧٨- ١٧٩، دار نشر الشعب بفوجيان، الطبعة الأولى، عام ١٩٧٥م.

[320] - المؤلف تشيو شولين: (تاريخ قومية الهوي في الصين)، ص ٣٦٢، دار نشر الشعب بنينغشيا، ديسمبر عام ١٩٩٦م، الطبعة الأولى.

بالرغم من أن ثمَّة اختلافات في العادات والتقاليد، لكن هذه الاختلافات ضئيلة جدًا مقارنة بالاختلافات بينهم وبين قومية الهان والمغول، "هذا الذي جعل كل الأعراق والقوميات التي جاءت معًا من المناطق الغربية، تقترب من بعضها يومًا بعد يوم في الحياة والشعور، وتندمج مع بعضها يومًا بعد يوم، مما أدى إلى تقليل نقاط الخلاف بينهما تدريجيًا، بل اتحدت النقاط المشتركة بينهما.

بالرغم من أن هذه النقاط المشتركة بينهم واحدة، إلا أن الاختلافات كبيرة بينهم وبين قومية المغول والهان. خاصة أن عقيدة الإسلام تقوم بدور واضح في تشكيلهم قومية واحدة"[321].

علّق مينغ تاي زو على قضية الهوي هوي قائلًا: "جميع القوميات، عاداتها مختلفة، اديانها مختلفة، ومعظمهم لم يتصيَّن"، ما يشار إليه أنه كلما زادت أعداد أهالي الهوي، زادت القوة التماسكية بين أهالي هذه القومية والمشاعر القومية المشتركة، والتعديل المستمر في سياسة أسرة مينغ تجاه الأديان والقوميات وتجاه المناطق الخارجية والغربية.

وفي الحقيقة، لم يكن تعليق دجو يوان دجانغ على الهوي هوي صحيحًا على الإطلاق، أو يمكن القول إنه بالغ في تأكيد خصوصية الاعتناق الديني لأهالي قومية الهوي، نظرًا لمعيار سياسة الاندماج. في الواقع، تأثرت عادات الهوي وتقاليدهم بعادات القوميات الأخرى وتقاليدها، خاصة قومية الهان، كما تقبّلوا الأفكار والأخلاق الكونفوشيوسية.

لذلك، نجد من النظرة الشاملة، أن تقاليد أهالي قومية الهوي وعاداتهم تتمتع بخصائص كثيرًا ما تتفق مع الآداب الكونفوشية، وقليلاً ما تختلف عنها، بل غالبًا ثمَّة اتفاق من ناحية الأمانة السياسية"[322].

[321] - باي شو إي: (بحوث دينية قومية)، ص ٩٢، دار نشر خهبي التعليمية، الطبعة الثانية، يناير عام ٢٠٠٢م.

[322] - ليو دجه: (شعائر إسلامية)، الجزء ١٩، (فصل الزواج).

اكتملت عمومًا عملية التصيُّن التي تظهر بوضوح في الملابس، كما اكتملت من الأساس عملية تصين الأسماء، وثمَّة تقدم ملاحَظ في توحيد عادات الطعام والشراب، كما اتخذت عادات الزواج والدفن شكلها النهائي من حيث الأساس، وغيرها.

من بينها "أصبحت قيود الزواج والطعام والشراب، جزءًا رئيسيًا في حياة الذين يعتنقون الإسلام وعاداتهم. سهّلت هذه العادات على من يعتنقون الدين نفسه الاقتراب من بعضهم، والابتعاد عن أصحاب الأديان المختلفة.

بالنسبة لعادات الزواج؛ قلت من فرص الذين لهم الدين نفسه في التزاوج الطبيعي، بل أصبح التزاوج من أصحاب الأديان المختلفة أمرًا استثنائيًا. هذا جعل القوميات المختلفة تزداد تباعدًا، لكن اندمج تدريجيًا أصحاب الدين الواحد. إن التلاحم الذي يزداد يومًا بعد يوم في علاقات الزواج، أخفى بشكل فعّال الاختلافات القومية القديمة، وتقدم يومًا بعد يوم نحو طريق تشكيل قومية جديدة"[223].

"القومية هي مجموعة مستقرة من البشر تشكلت عبر التاريخ تتمتع بلغة مشتركة وأرض مشتركة واقتصاد مشترك وصفات نفسية مشتركة، تظهر في ثقافة مشتركة"[224]. لذا فإن شكل اللغة المشتركة جانب مهم، خلال مسيرة البحث في قومية الإسلام في الصين.

لذا يقال، إن الرمز الآخر المهم في تشكيل المجموعة القومية هو تشكيل لغة مشتركة، خلال مسيرة الاندماج المستمر للدين الإسلامي مع الثقافة الصينية. بذلك خرجت من مرحلة الاعتماد بشكل أساسي على اللغة العربية والفارسية والتركية وغيرها من اللغات الأجنبية، ووصلت إلى تواجد عدة لغات اللغة الصينية واللغات الأجنبية، كما وصلت إلى استخدام اللغة الصينية بشكل عام، وفي النهاية استُخدمت اللغات الأجنبية بشكل قليل في اللغة الصينية.

[223]- باي‌شو إي: (بحوث دينية قومية)، ص ٩٢، دار نشر خهبي التعليمية، الطبعة الثانية، يناير عام ٢٠٠٢م.

[224]- إستالين: (الماركسية والقضايا القومية)، منقول عن (موسوعة إستالين)، الجزء الثاني، ص ٢٩٢- ٢٩٣، دار نشر الشعب، الطبعة الأولى، عام ١٩٥٣م.

"إن الاستخدام المشترك للغة الصينية أحد الرموز الرئيسية في تشكيل قومية الهوي"[225]، "يقال إن اللغة الصينية أصبحت لغة مشتركة بين أهالي قومية الهوي في منتصف القرن السادس عشر، وربما كانت متأخرة قليلاً، لكن لم تكن قبل ذلك"[226].

أصبحت اللغة الصينية الركيزة الأساسية في اللغات المشتركة لقومية الهوي، وأصبحت اللغة العربية والفارسية في المرتبة الثانية، وأصبحت اللغة التركية اللغة الأخيرة.

خلال استيعاب الكلمات الأجنبية، فالكلمات العربية مثل: إمام وإبليس وجثة وشهيد وجمعة وشمس ومهر وهدية والشيخ ودعاء ومسلم وغيرها؛ والكلمات الفارسية مثل: خفتان (صلاة العشاء) وديجار (صلاة العصر) والشامو (صلاة العشاء) والهدى (الله) وكابين (المهر) وماجا (القبر) وريمزون (الصلاة) وبانك (الأُذان) وغيرها؛ والكلمات التركية مثل: جنلان (قلم) وغلمان (لا أعرف) وغيرهما.

سبق أن شرح السيد باي شو إي قضية تشكيل اللغة المشتركة لقومية الهوي، وقال إن كتابة اللغة العربية وكتابة التركية أو كتابة الفارسية، "ليست بالضرورة تناسب كتابة الجماهير الغفيرة.

أعتقد أنه إذا كانت قومية الهوي لديها لغة مشتركة، خلال تكوينها، فربما لم تكن اللغة الفارسية أو العربية أو التركية، بل كانت اللغة الصينية. لأن اللغة الصينية سهلة الدراسة، خلال الفترة الطويلة التي عاش فيها شعب الهوي مع العدد الكبير من شعب الهان.

يبدو أن اللغة الصينية حلت محل الكثير من اللغات المختلفة الأصلية وأصبحت اللغة الجديدة المشتركة، وأصبحت السبب الرئيسي في تشكيل قومية جديدة. فإن لم يتقنوا اللغة المشتركة بشكل تام في عهد أسرة يوان، فعلى الأقل هم مؤهلون لمثل هذا الأساس"[227].

[225]- باي‌شو إي: (بحوث دينية قومية)، ص ١٨٨، دار نشر خهبي التعليمية، الطبعة الثانية، يناير عام ٢٠٠٢م.

[226]- باي‌شو إي: (الوضع الحالي والتاريخي لقومية الهوي)، ص ٦٧، دار نشر الشعب، الطبعة الأولى، عام ١٩٥٨م.

[227]- باي‌شو إي: (بحوث دينية قومية)، ص ٩٣، دار نشر خهبي التعليمية، الطبعة الثانية، يناير ٢٠٠٢م.

ثالثاً: الإسلام بالصين ونشأة قوميات هوي وسالار وباوآن ودونغ شيانغ:

مسيرة قومية الإسلام داخل الصين دفعت بشكل مباشر إلى تكوين أربع قوميات تعتنق الإسلام. ثمّة من علق على ذلك قائلاً: "قام الإسلام بدور حيوي وإبداعي في أصل هذه القوميات"[228].

◆ تكون قومية الهوي:

كتب باي شو إي: "بالرغم من أن قومية الهوي المصدر الرئيسي للأجانب، لكنها مجموعة بشرية وتشكلت وترعرعت محليًا بشكل كامل على أرض الصين. تعد قومية الهوي قومية تربّت على أرض الصين بصورة تامة وكاملة، لم تكن هذه القومية موجودة على سطح الكرة الأرضية، قبل ظهورها في الصين"[229].

بلغ حاليًا عدد قومية الهوي ٩ ملايين و٨١٦ ألفًا و٨٠٥ أشخاص، من بين ٥٥ أقلية قومية على مستوى البلاد، إذ تحتل المركز الثالث بعد قومية دجوانغ وقومية المان[230] بين عدد سكان الأقليات القومية، وهي القومية الأكثر انتشاراً في ربوع الصين.

تنتشر قومية الهوي في شمال نهر اليانغتسي وجنوبه، وأعلى النهر الأصفر وأسفله، وداخل سور الصين العظيم وخارجه، وتمتد من منطقة شينجيانغ غربيًا إلى شبه جزيرة شاندونغ شرقًا، ومن هيلونغ جيانغ شمالاً إلى جزيرة هاينان جنوبًا، أي أنها تنتشر في كل مكان في الصين. وتتمركز إلى حد ما في نينغشيا وقانسو وتشينغهاي وشينجيانغ، وخنان وخبي وشاندونغ، وانهوي وبكين ويوننان وغيرها من المقاطعات والبلديات والمناطق ذاتية

---

[228] - يانغ تشي تشين ويانغ خوا: (الوضع الحالي والتاريخي للدين الإسلامي في الصين)، ص ٦٦، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، أكتوبر عام ١٩٩٩م.

[229] - باي شو إي: (بحوث دينية قومية)، ص ١٩٧، دار نشر خهبي التعليمية، الطبعة الثانية، يناير عام ٢٠٠٢م.

[230] - (الإحصائيات الدورية لعدد سكان القوميات على مستوى الدولة)، منقول عن الإحصائيات الاقتصادية والقومية الشاملة لجهاز الإحصاء الوطني وجهاز التنمية الاقتصادية الوطنية والقومية: (حوليّة الصينية للإحصاء القومي)، طبعة عام ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى، ديسمبر عام ٢٠٠٤م.

الحكم. كما أنّ عددًا كبيرًا من الهوي في لياونينغ وجيلين، وتيانجين، وهيلونغجيانغ وجيانغسو وغيرها من المدن والمقاطعات.

إن المناطق المأهولة بقوميات الهوي، شكّلت خصائص معيشية تعتمد على العيش في تجمعات صغيرة ومنتشرة على مساحات شاسعة، من خلال الانتشار حول خطوط الري والمواصلات الرئيسية، بأحجام مختلفة في المناطق وأعداد السكان.

ثمّة حوالي ٩٦ في المئة من المناطق الإدارية للمقاطعات يعيش فيها الهوي، وهي المناطق الإدارية الحالية في الصين. وتمثل قومية الهوي التي تعيش في منطقة نينغشيا ذاتية الحكم حوالي ١٨ في المئة من إجمالي سكان الهوي على مستوى البلاد، وتمثل ٣٤ في المئة من إجمالي عدد سكان المنطقة"[231].

◆ المراحل الرئيسية الثلاث في تشكل قومية الهوي:

بنظرة كلية، فإن تشكيل قومية هوي مرّ بشكل عام بمراحل ثلاث؛ هي النشوء في عهد أسرة سونغ وتانغ، والتحول قبل منتصف عهد أسرة يوان ومينغ، والتكوين الأولي في عهد أسرة مينغ وتشينغ.

خلال خمسمائة عام أو ستمائة من عهد أسرة تانغ حتى عهد أسرة سونغ، انتشرت عقيدة الإسلام الصينية بشكل رئيسي من خلال العرب والفرس الذين جاءوا إلى الصين للعمل في التجارة أو رُسل الجزية، وأطلقت السجلات التاريخية عليهم اسم "الأجانب" و"التجار الأجانب" و"تجار الهو" و"رسل الجزية" وغيرها من الأسماء.

جاء هؤلاء الناس إلى الصين، وتمتعوا بمزايا العيش في المهجر، ولا تزال معتقداتهم الدينية جزءًا من حياتهم الشخصية. وبالرغم من عدم تكوين أسرة قومية في هذه الفترة، إلا أن ممارستهم الدينية وأنشطتهم حملت في طياتها الثقافة الإسلامية المبكرة في الصين، وشكّلت براعم قومية الهوي.

---

[231] - مركز أبحاث الدولة للقضايا القومية: (القوميات الصينية)، ص ٤٥، دار نشر الجامعة المركزية للقوميات، الطبعة الأولى، مارس عام ٢٠٠١م.

انتقل عدد كبير من اهالي قومية هوي المقيمين في الغرب إلى الشرق، وذلك خلال فترة أسرة يوان حتى منتصف أسرة مينغ، وعاشوا في سعادة داخل الصين، "اتخذوا من السهول الوسطى بيوتًا، وازداد عددهم في جيانغ نان بشكل خاص، ولم يرجعوا إلى موطنهم الأصلي". "فكانوا يعيشون في سعادة غامرة، يعملون في أرض الصين ويأكلون منها"[332]. وتنتشر قومية الهوي في أرجاء البلاد كافة، ويشكّلون نموذج "انتشار المسلمين على مستوى الصين"، مما نشر الإسلام بشكل واسع في الصين.

في هذه الفترة، بدأت تتحد الثقافة الإسلامية مع الأسرة القومية، بل اتجهت نحو مسيرة التحول الثقافي والقومي، مع تشكيل أسرة الهوي بشكل تدريجي. وكانت الثقافة الإسلامية ومعتقداتها على علاقة وثيقة بالقوميات التي تتكوّن، وكانت بمثابة الرابط الذي يجمع بين الجماعات القوميات ويقويها، وقامت بدور مؤثر لا يمكن إنكاره في تشكيل قومية الهوي، في الوقت نفسه، غيّرت من طرق القوميات في الحياة.

وتجلت بشكل ملموس في:

أولاً: "العقيدة هي القوة التحكُميّة في المشاعر والعقل"[333]. آراء الإخوان المسلمين ومشاعرهم التي أثرت في المعتقدات الإسلامية المشتركة، قلّت الفوارق اللغوية والعرقية والقومية والدولية بينهم، وشكّلت قوة تماسكية غير مرئية، وشجّعت على تشكيل نفسيّة قومية مشتركة.

ثانيًا: شكّلت منظمة الجياو فانغ[334] من الهوي المقيمين في مناطق متفرقة فرقًا ومجموعات، ووحدت الطرق الحياتية والثقافية الإسلامية لأهالي الهوي المقيمين في المناطق المختلفة، من خلال وحدة الآداب ونظام المعتقدات، وقدّمت ضمانات الاستمرار والاستقرار لتنمية أسر القوميات وتشكيلها.

---

[332] - شو يوو رن: (نصب هادجيهشين)، منقول عن (مجموعة دجي دجينغ)، الجزء ٥٢.

[333] - يانغ خواي دجونغ: (البحث في تاريخ قومية هوي)، ص ٤١، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى عام ١٩٩١م.

[334] - هي منظمة مختصة بعرض الأغاني والمسرحيات والرقص في الأماكن الرسمية في عهد تانغ وتشينغ.

ثالثًا: تزداد الاتصالات أكثر فأكثر بين الثقافة الدينية والعلمانية، خلال مسيرة اندماج الإسلام مع الثقافة الصينية، بل هيأت وحدة روحية داخل قومية الهوي، من ناحية مفهوم القيمة والسلوك والفكر.

يعد الإيمان مفهومًا عقائديًا، يساعد على تعزيز الوعي القومي، إذ وسّعوا مفهوم الإيمان، عن طريق النقطة الأساسية في العقيدة الإيمانية، فلم يعد يقتصر على النطاق الديني، بل اتسع ليشمل الإخلاص للقومية والدولة، بل أصبح أحد المعايير التي تفصل بين الحق والباطل[335].

بحلول أواخر عهد أسرة مينغ، أصبح مجتمع الهوي "يشبه مجتمع الهان في الزراعة والصناعة والتجارة". في ظل هذه الظروف التاريخية، شهد الإسلام الذي يمثل أيديولوجية الهوي، تغيرات جوهرية تنسجم مع الأوضاع الاجتماعية في الصين، بعدما مرت على الدعوة حوالي سبعمائة عام أو ثمانمائة، وشُكّلت الثقافة الإسلامية الصينية التي تتمتع بخصائص قومية الهوي، وأهم ما يرمز لهذه الثقافة اندماج العقيدة الإسلامية مع الثقافة الصينية الكونفوشيوسية.

ثمّة بشكل واضح: مؤلفات مكتوبة باللغة الصينية وأنشطة تفسير بالكونفوشيوسية، حوّلت الإسلام من اللغة العربية والشكل العربي إلى اللغة الصينية والشكل الصيني، فكان لها أثر طيب على المجتمع؛ وتمت ترجمة معنى الإسلام إلى الدين الحق، فظهرت العادات والخصائص الفكرية واللغوية للقوميات الصينية، وذلك يرمز إلى اكتمال تغيّرات الإسلام تجاه الثقافة القومية[336]؛ وتكوين نظام تعليم الكتاتيب، فأتمّ الصورة الصينية للدين الإسلامي.

---

[335] - انظر إلى لين سونغ (أوضاع وأحوال المسلمين في شارع نيوجية في بكين)، منقول عن (الدراسات الصينية عن قومية الهوي)، العدد الأول، ص ١٧١- ١٧٣.

[336] - فسّر علماء الدين الإسلامي من الصينيين في عهد أسرة مينغ معاني الدين الإسلامي بأنه "دين الحق والطهارة" وأنه "دين طاهر لا رجس فيه" و"الدين الواحد" و"الإسلام دين الله الواحد الأحد" وغيرها من التفسيرات. وربط علماء الدين الإسلامي من الصينيين الإسلام بأفكار الكاجيفولي الكونفوشيوسية، "تعني كلمة الكتي الطهارة، وتعني كلمة فولي الحق"، كا تعني قتل، فو تعني السماء، لذا تعني المسلمين". فالمعنى المباشر للإسلام هو كاجيفولي. هذا التفسير يرتبط بمعنى الطاعة في الإسلام، لكنها تمثل الأفكار الإنسانية والملائكية للدين الإسلامي. فالتغيرات التي أثارتها الاختلافات الفكرية واللغوية هي في الحقيقة نوع من الإبداع، أظهر الأسلوب الفكري للثقافة الصينية.

عناصر سكان قومية الهوي:

حاليًا، ثمَّة أربعة آراء لدى الأوساط الأكاديمية المحلية تجاه ذلك.

أولاً: الرأي الأول يعتقد أن أصل قومية الهوي يرجع إلى قومية الهويخة التي عاشت في عهد أسرة تانغ.

ثانيًا: الرأي الثاني يقول إن أصل قومية الهوي يرجع إلى المسلمين العرب والفرس وآسيا الصغرى والوسطى الذين جاءوا إلى الصين في عهد أسرة يوان.

ثالثًا: يقول الرأي الثالث إن أصلهم يعود بشكل رئيسي إلى القبائل التركية، ثم امتزجت مع العرب والأفغان والفرس.

رابعًا: يقول الرأي الرابع إن قومية الهان المصدر الرئيسي لقومية الهوي. ويعتقد الكاتب أن الرأي الأول واهٍ لا يستطيع الوقوف على قدميه، أما الآراء الثانية والثالثة والرابعة كلها حجج منطقية ويمكن الاعتماد عليها.

من النظرة الشاملة، نجد أن قومية الهوي ليست شاملة لجميع أهالي قومية الهوي الأجنبية، كما أنها ليست فرعًا لأيَّة قومية أخرى داخل الصين، بل هي أهالي الهوي الأجانب، وهي الأسرة القومية الجديدة التي تكوّنت بامتزاجها مع قومية الهان والويغور والمغول وغيرها من القوميات المختلفة.

ينعكس قبول قومية الهوى لقومية الهان خلال مسيرة التكوين، بصورة عامة، في التزاوج. فثمَّة سجلات متعلقة بأشكال التزاوج، أغلبها زواج رجل من الهوي بامرأة من الهان. وظهر هذا الشكل من الزواج، بصورة مبكرة، في عهد أسرة تانغ وسونغ. وفي القرن ١٣، تدفقت أعداد غفيرة من قومية الهوي، معظمهم من "العمال الحرفيين من قومية الهوي" و"جنود الهوي" الذين ابتعثوا إلى الشرق، وبعدما استقروا في الصين، تزوّجوا من نساء الهان، وقاموا بضمهن إلى جماعات الهوي.

وفقًا للمعلومات التي وُجدت في السجّلات التاريخية، ثمَّة بعض الهوي المشهورين الذين جاءوا من الشرق، كانت أزواجهم وأولادهم من قومية الهان، مثل زواج حاج حسن من شونشي وزواج إحسان من تشانغ شه، وزواج مجد الدين من دجيانغ شه ودجوو شه، وزواج شمس الدين من فانغ شه، وزواج ماينو من لوو شه ووانغ شه، وغيرها من الأمثلة.

في الوقت نفسه، تزوج رجال قومية الهان من نساء قومية الهوي، وانضم عدد كبير منهم إلى جماعات الهوي، فقد ظهر في سجل تشوان تشو "كان لبعضهم زوجات من السمو، وللبعض الآخر أمهاتهم من السمو" وهذا خير مثال على هذه الأوضاع.

وفقًا للمعلومات المنقوشة على الحجَر عند مدخل قرية شاشون في مدينة مينغتز في مقاطعة يون نان، كان لقب لين في هذه القرية لشخص من قومية الهان يعيش في فوجيان، من أجل انتقال السيد إحسان شمس الدين إلى يون نان، ودخوله في كنفه، تزوج امرأة مسلمة، ثم أسلم، وأصبح أحد أفراد قومية الهوي"[٢٣٧].

وفقًا (لسجلات شون خوا): في بعض مناطق الشمال الغربي، ثمَّة بعض من قومية الهوي تبنّوا أطفالًا من قومية الهان، أو بعض من قومية الهان اختلسوا بعض الأموال "فاستبدلوا جنسية الهوي بجنسية الهان"[٢٣٨]. وتحدث كتاب (سجل جوهشهتزونغ)عن اعتناق قومية الهان الدين الإسلامي واندماجهم مع جماعات الهوي، "فبداية من أسرة يوان، تمتع المسلمون بمعاملة حسنة وخاصة من قبل الحكومة، وقد نشأ نمو كبير وسريع للإسلام في مدينة تشوان تشو؛ إذ اعتنق عدد كبير من السكان المحليين الإسلام؛ منهم من يحب هذا الدين القادم من الغرب، ومنهم من خاف على أمنه وسلامته الشخصية، لكل واحد منهم هدف يسعى له".

بالإضافة إلى استيعاب عناصر من الهان، استوعبت أيضًا عناصر من الويغور

---

[٢٣٧]- راجع دجيانغ ينغ ليانغ (البحث في قرية شاشون بمدينة تشينغ نان عن قومية الهوي)، نقلًا عن (البحث في يون نان عن التاريخ الاجتماعي لقومية الهوي)، العدد الأول.

[٢٣٨]- جونغ جين هن: (شون خوادجى) الجزء الثامن.

والمغول وغيرهما من القوميات الأخرى. وأصبح بعض الويغور مسئولين داخل الحكومة وأرسل بعضهم للدفاع عن المناطق الاستراتيجية، لأنهم تعاونوا مع جيش المغول في فترة يوان، لذا ثمَّة كثير من الناس الذين تركوا جنسيتهم داخل الصين.

ففي العام ٢٢ في عهد أسرة يوان (عام ١٢٨٥م)، قاد جاو تشانغ وانغ ألف جندي من الويغور للدفاع عن مقاطعة يون نان، ثم تم تغييرهم بجزء من الهوي في يون نان[٣٣٩]، و خلال الفترة من ١٤٢٦- ١٤٢٨، قام الإمبراطور عاجلاً أم آجلاً بنقل قومية الويغور المقيمين في قانسو وليتغ تشو إلى منطقة تشجيانغ، وأصبحوا جزءاً من قومية الهوي التي تعيش اليوم في تشجيانغ[٣٤٠].

ضمّت جماعات الهوي إليها قومية المغول، وكانت لها علاقة مباشرة في اعتناق قومية المغول الإسلام، ومن الأمثلة النموذجية اعتناق ١٥٠ ألف شخص من الأنادا الإسلام، واندمج معظم هؤلاء الأشخاص بعد ذلك مع قومية الهوي. وانضم تباعاً إلى صفوف الهوي كلٌّ من اليهود الذين عاشوا في منطقة الكايفنغ في القرن العاشر والثاني عشر الميلاديين، والفلبينيين الذين هاجروا إلى دانتشو بمقاطعة شاندونغ، والتبتيين الذين عاشوا في منطقة الكاليجانغ بمدينة خوا لونغ بمقاطعة تشينغ هاي[٣٤١].

◆ **وضع مسمّى قومية الهوي رسمياً:**

في الفصل السابق، عرض الكاتب معنى مصطلح هوي هوي وتطوره. فإذا قلنا إن المُسمّى المستخدم والمحبّب لمثقفي أسرة يوان، في عهد أسرة يوان، أدى إلى دمج الهوي

٣٣٩- راجع ماديان شينغ: (الدين الإسلامي وقومية الهوي)، منقول عن (البحث في يون نان عن التاريخ الاجتماعي لقومية الهوي)، العدد الأول.

٣٤٠- وانغ دجونغ هن: (تاريخ القوميات الصينية)، ص ٦٤٢، دار نشر العلوم الاجتماعية الصينية، الطبعة الأولى، ديسمبير عام ١٩٩٤م.

٣٤١- وانغ دجونغ هن: (تاريخ القوميات الصينية)، ص ٦٤٢، دار نشر العلوم الاجتماعية الصينية، الطبعة الأولى، ديسمبير عام ١٩٩٤م.

والهوي والهويخة والهويخو وغيرها، إذن يُعد الإسلام الرمز القومي الوحيد في مؤلفات بعض رجال تشينغ.

وأطلقوا على الهوي والويغور اسم الهوي، كما أطلقوا على الهوي هوي اسم "الهوي هان" و"الهوي شو"، وعلى الويغور اسم "هوي تشان" و"هوي شينغ". وبالرغم من وجود تمييز عنصري في معنى المصطلح المستخدم، إلا إنهم مازالوا يعترفون بالفرق بينهما.

في عهد أسرة تشينغ، لا يزال أهالي الهوي يستخدمون هذا اللقب منذ عهد أسرة يوان ومينغ، وأطلقوا على أنفسهم مصطلح الهوي هوي، بل أطلق أيضًا الويغور على أنفسهم مصطلح "الهوي"[٣٤٢].

دائمًا ما دعا صن يات سين إلى جمهورية القوميات الخمس الهان والمان والمغول و الهوي والتبت، كما قال في بيان توليه أول رئيس مؤقت لجمهورية الصين في ١ من يناير عام ١٩١٢م: "إن الشعب هو جوهر الدولة، وإن هذه الدولة تضم الهان والمان والمغول والهوي والتبت".

إن كلمة الهوي التي قالها صن يات سين، في هذه الفترة، تضم في الحقيقة قومية الويغور وجميع القوميات التي تعتنق الإسلام. بعد ذلك، قال صن يات سين في المحاضرة التي أُقيمت في الجمعية الصينية للدين الإسلامي في بكين في ١٢ من سبتمبر من العام نفسه: "إن قومية الهوي في العالم، احتلت مركز الصدارة على قارة آسيا بلا استثناء، كما كان الإسلام في أوروبا وإفريقيا منذ ألف عام"[٣٤٣].

لذلك، اقترح أيضًا مفهوم "الأقليات القومية" من منظور قومية الهان، وفقًا للأوضاع الحقيقية لجميع القوميات الصينية، ولذا أُدرجت كل القوميات الصينية التي تعتنق الإسلام في مفهوم "الهوي".

٣٤٢- باي شو إي: باي‌شواي: (بحوث دينية قومية)، دار نشر خهبي التعليمية، ص ١٩٤-١٩٥، الطبعة الثانية، يناير عام ٢٠٠٢م.

٣٤٣- خبر نُشر في (جريدة الحرية الكبرى)، في ١٦ من سبتمبر عام ١٩١٢م.

عبّر شيانج كاي شيك عن الشوفينية الهانية العظيمة في مفهوم القوميات خلال فترة حكمه، ولم يعترف بوجود أيّة قومية صينية أخرى عدا الهان، واعتقد أن هذه القوميات ما هي إلا قوميات دينية.

في عام ١٩٤٣م، قال شيانج كاي شيك بوضوح في كتاب "مصير الصين" الذي نشره: "إن جميع القوميات الصينية الدينية، هي في الحقيقة قومية واحدة"، وأنكر تمامًا وجود الأقليات كافة. وأصبح مفهوم قومية هوي في الحقيقة مصطلحًا محظورًا خلال حكم شيانج كاي شيك، وأصبح يطلق على قومية الهوي "القومية ذات العقيدة الدينية المختلفة" أو "المواطنون ذوو العادات الحياتية الخاصة"، وتم حظر مصطلح قومية هوي في إقامة منظمات جماعية. على سبيل المثال في أكتوبر عام ١٩٢٩م، أقام كل من مايون تينغ ودا بو شينغ وغيرهما الاتحاد الشعبي الصيني لقومية الهوي، "تم تغيير هذا الاسم الذي ظل لمدة ثماني سنوات، إلى الجمعية الصينية للمسلمين، فتناقش ما جونغ مع وزير الداخلية حول نتائج تغيير الاسم، بأنها ستؤدي إلى تغيير مصير الجمعية، وتمت الموافقة على تعديل الاسم إلى الجمعية الصينية للدين الإسلامي"[٢٤٤].

قال الرفيق دجوو إن لاي معلقًا على ذلك في كتابه "الفاشية الصينية ـ الاستبدادية الجديدة": "إن المفهوم القومي لشيانج كاي شيك هو الشوفينية الهانية، بكل ما في الكلمة من معنى. ودائمًا ما كان يطلق على قومية المغول والتبت والهوي والمياو وغيرهم اسم سكان الحدود، من ناحية المسمى، ولم يَعترِف بهم قوميات. كما مارس الاضطهاد والتمييز القومي ضدهم من الناحية العملية".

يواجه الحزب الشيوعي الصيني منذ تأسيسه، القضايا الدينية والقومية المعقدة في الداخل، إذ اقترح سلسلة من السياسات الأساسية التي تعالج القضايا الدينية والقومية الصينية، وقدّم ضمانات هامة من أجل الانتصار للثورة الصينية. ودائمًا ما يعترف

[٢٤٤] - (جماهير الدين الإسلامي)، الجزء الأول عام ١٩٢٨م، العدد الثالث.

الحزب الشيوعي الصيني بأن الصين دولة متعددة القوميات، إذ أقام اتصالات مع جماعات الهوي العادية، خلال المراحل الأولى للمسيرة الكبرى؛ بل كان أول من اعترف رسميًا بقومية الهوي، ومن ثم وضع حجر الأساس النظري لتطور قومية الهوي في الصين الجديدة". في السنوات الأخيرة، "أصبحت الهوي قومية متعددة الجنسيات بعدما اعترفت بها الدولة رسميًا"، هذا يرمز إلى أن قومية الهوي التي تربّت وترعرعت محليًا في الصين، ليست لها مكانتها في الصين فحسب، بل لها أيضًا تأثير على باقي دول العالم.

- **الخصائص اللغوية لقومية الهوي:**

يتمتع مجتمع الهوي بأساس ثقافي ثري واسع، وذلك من خلال الانطباع التاريخي في ظل البيئة الثقافية لقومية الهان التي استمرت لمئات السنين. فاللغة الصينية وسيلة الاتصال اللغوي المستخدمة والشائعة بين عناصر المجتمع الهويي.

ثمّة الكثير من ألفاظ اللغة العربية والفارسية وألفاظ العامية الصينية التي ظهرت في عهد أسرة سونغ ويوان في لغة قومية الهوي. هذا الشكل اللغوي أطلق عليه "لغة المساجد"، لأنها نتجت بشكل رئيسي من تعليم المساجد وتربيتها.

أكثر الألفاظ الأساسية في لغة المساجد هي كلمات اللغة العربية والفارسية والصينية القديمة واللغة الصينية الشفهية التي ظهرت في عهد أسرة سونغ ويوان؛ بل استُخدمت قليل من كلمات اللغة الكونفوشيوسية والطاوية الموجودة في اللغة الصينية، وثمّة بعض الألفاظ الصينية المقلوبة أو كلمات صينية أُعيد تركيبها لتكوين كلمات خاصة بهم، وثمّة بعض الألفاظ العربية والفارسية المترجمة صوتيًا ودلاليًا.

من ناحية تركيب الألفاظ، استُخدمت اللغة العربية والفارسية في تركيب بعض الكلمات والعبارات، أو استُخدمت ألفاظ اللغتين السابقتين في وضع الحروف المساعدة في اللغة الصينية وتركيب بعض الكلمات والعبارات، أو استُخدمت الألفاظ الأساسية في

اللغة الصينية واللغة العربية واللغة الفارسية لوضع حروف مساعدة وتركيب الكلمات والعبارات، أو استُخدمت كلمات اللغة الصينية في تركيب كلمات وعبارات متخصصة.

ودائمًا ما تستخدم الكلمات السابق ذكرها بشكل قليل أو كثير في المحادثة بين عناصر المجتمع الهوهي، وفقًا لقواعد اللغة الصينية في تركيب الجملة، وتستخدم هذه الأشكال اللغوية بشكل أساسي داخل قومية هوي، وبالنسبة إلى معدل استخدامها، يستخدمها كبار السن أكثر من الشباب، ويستخدمها أهل الريف أكثر من أهل الحضر، ويستخدمها أصحاب المهن الدينية أكثر من عامة المسلمين، ويستخدمها سكان المناطق الفقيرة والمتخلفة أكثر من المناطق المتقدمة في وسائل الأخبار والمواصلات.

◆ تكون قومية سالار:

يبلغ العدد الحالي لقومية سالار حوالى ١٠٤ آلاف و٥٠٣ أشخاص[٣٤٥]، ينتشرون بشكل أساسي في محافظتَي الحكم الذاتي شونهوا وهوالونغ، وفي قرية داخجية ودجيشان بمقاطعة قانسو وغيرها، وتعيش الأقليات موزعة في خوانغ نان بمقاطعة تشينغهاي وهايبي وهايشي وغيرها من المناطق، وثمَّة عدد محدد من الأقليات تعيش في محافظة يننغ ومدينة أورومتشي بمقاطعة شينجيانغ. وانتقلت تدريجيًا قومية سالار التي تعيش موزعة في أرجاء البلاد من شونهوا إلى المناطق الماضية.

◆ الأصول التاريخية لقومية سالار:

أطلقت قومية سالار على نفسها هذا المسمَّى، وله طرق كتابية مختلفة في السجلات التاريخية الصينية؛ منها سالار وشاتس وقومية شاتس وسالا وغيرها من الطرق، ويطلق عليها أيضًا مسمًى سالاهوي، لأنها تعتنق الإسلام، لكن القوميات الأخرى تطلق عليها سالا.

٣٤٥- (البحث الدوري في أعداد القوميات على مستوى الدولة)، منقول عن الإحصاء الوطني العام للاقتصاد لهيئة الإحصاء القومي وهيئة التنمية الاقتصادية: (الحولية الصينية للاقتصاد القومي)، طبعة عام ٢٠٠٤م، دار نشر الشعب، الطبعة الأولى، ديسمبر عام ٢٠٠٤م.

يعد أجداد قومية سالا هم سالور السمرقند بوسط آسيا، وتنتمي إلى قبيلة ووجوز التركية الغربية. وتقع سمرقند في منطقة ما وراء النهر[٣٤٦]، ويعتنق أهالي هذه المنطقة الديانة البوذية والديانة الزرادشتية وغيرهما. وفي النصف الآخر من القرن السابع الميلادي أرسلت الدولة الأموية جيوشها لتأديب هذه المناطق.

وبحلول عام ٧١٥م، وصل قتيبة حاكم خراسان في الأسرة الأموية إلى منطقة يوو شا شوي، بعدما قاد الفتوحات في هذه المناطق، دمّر وأحرق المعابد والتماثيل البوذية والزرادشتية، وأحرق الوثائق الدينية المتعلقة بهما. وعندما فُتِحَت سمرقند تم تدمير الكثير من المعابد القديمة، وتم صهر التماثيل، وأمر قتيبة ببناء المساجد، ومكافأة من يؤمن، ويدفع الجزية كل من يتمسك بمعتقداته الأولى[٣٤٧].

بحلول منتصف القرن الثامن الميلادي، ترك سكان سمرقند من الأساس الديانة البوذية والزرادشتية، واعتنقوا الإسلام. وحصل سامانيون على حكم سمرقند، لأنهم اعتنقوا الإسلام.

في عام ٨٧٥م، انتهز ناصر حاكم سمرقند (؟ – ٨٧٩م) أفول شمس الخلافة العباسية، وأسس أسرة السامانية (٨٧٥م- ٩٩٩م)، وجعل بلاد ما وراء النهر وسمرقند مركزًا للثقافة في العالم الإسلامي، "بحلول أسرة السامان، تأسست مكانة الإسلام بشكل راسخ في شمال فرغانة وبلاد ما وراء النهر، وطُبّق المذهب الحنفي بشكل عام في الحياة الاجتماعية"[٣٤٨].

٣٤٦- منطقة وو خو شوي ويو شا شوي. هاتان المنطقتان النهريتان يطلق عليهما في السجلات الصينية التاريخية اسم بلاد وسط وراء النهر، أما السجلات التاريخية العربية فتطلق عليهما اسم بلاد ما وراء النهر، أما الكتب الغربية فتطلق عليهما منطقة بين النهرين، وتشيران حاليًا إلى أوزباكستان وطاجيكستان وجزء من منطقة قرغيزستان.

٣٤٧- وانغ جي لاي: (تاريخ آسيا الوسطى)، الجزء الأول، ص ٢٢٥، دار نشر العلوم الاجتماعية الصينية، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٠م.

٣٤٨- المؤلف جين إي جيو: (تاريخ الدين الإسلامي)، ص ٢٩٦، دار نشر الشعب بجيانغ سو، الطبعة الأولى، يناير عام ٢٠٠٦م.

في القرن الثالث عشر الميلادي، عندما فتحت جيوش المغول الغرب، وقّع جليمانغ قائد سمرقند على وثيقة للانتقال إلى الشرق، واصطحب معه ١٧٠ شخصًا من أتباعه[349]. وبعدما وصلوا إلى الصين، ذهبوا للحراسة في تشيدجوو (حاليا تشينغ هاي شون خوا)[350].

انطلاقًا من التطور الاقتصادي، زاد عدد السكان، بالإضافة إلى اتصالهم الوثيق مع جيرانهم من الهان والمغول والهوي والتبت، تطوروا تدريجيًا وأصبحوا أسرة مستقرة تتمتع بلغة مشتركة وأرض مشتركة واتصال اقتصادي مشترك وخصائص نفسية مشتركة وغيرها، وشكّلوا تدريجيًا قومية جديدة في القوميات الصينية، "فترة تكونهم محدودة في منتصف عصر أسرة مينغ"[351].

في عهد أسرة يوان، ورث قائد قومية سالا منصب دالوخواشي في تجيتشو (أي حامي القرية). وبعد القرن الرابع عشر الميلادي، نهضت أسرة مينغ، وورث قادتها تباعًا منصب باي خو- مسئول مئة أسرة، وفوتشيان خو- نائب مسئول ألف أسرة، وقدّم البلاط الإمبراطور إليهم "العلامات الذهبية".

بعد قيام أسرة تشينغ، ومن أجل تقوية حكمهم على شعب سالا، اعترفوا - من جانبٍ - بمكانة قائدها وفقًا لنظام أسرة مينغ، ومن جانب آخر أسسوا في أرضهم معسكرات شون خوا وصالات شون خوا.

---

[349]- لدى قومية سالا أنفسهم أساطير شفهية متعلقة بأصل القوميات؛ منذ زمن بعيد، هثمّة أخوان اسمهما جليمانغ وأحمان في سمرقند، قادا القبيلة نحو الشرق، بحثًا عن أرض النعيم، لأنهما ساخطان على الملك. وصلا إلى شادز بأو في شون خوا (اليوم دجيادز شيانغ)، بعد كثير من المشاق والصعاب، واكتشفا خصوبة التربة وسحر المياه، واكتشفا "القرآن الكريم" على قمة حجرية، واستقرا هناك تدريجيًا.

[350]- (البحث في حقيقة الهجرة وأصل قومية السالا)، منقول عن (جريدة معهد تشينغ هاي للقوميات)، الطبعة الأولى، عام ١٩٨١م.

[351]- المركز الوطني للبحث في القضايا القومية والوطنية: (القوميات الصينية)، ص ٥١٢، دار نشر الجامعة القومية المركزية، الطبعة الأولى، مارس عام ٢٠٠١م.

كانت حكومة تشينغ في هذه العملية لديها علاقة كبيرة بالعنف الذي قاده سوسيشاسان الذي اندلع في تاريخ قومية سالا في فترة تشينغ تشيان لونغ.

◆ **العقيدة الدينية لقومية السالا:**

قومية السالا إحدى الأقليات التي تعتنق الإسلام في الصين. ويمكن أن نرى من التاريخ السابق، أن أجداد قومية السالا اعتنقوا الإسلام عندما وقّعوا على وثيقة الانتقال إلى شون خوا مع حكام المغول. هذه هي أحد الأسباب التي جعلتهم يتخذون من مكان اكتشاف "القرآن الكريم" مسكنًا جديدًا. وفقًا لحكايات سالا الشفهية.

عندما هُجّر أجداد قومية السالا من آسيا الوسطى، كان الدين الإسلامي الذي يعتنقونه ينتمي للمذهب القديم، ويدعى المذهب القديم، وينتمون إلى المذهب السنّي القديم بين المذاهب الدينية، وينتمون إلى المذهب الحنفي في السنة.

الوعي الديني لشعب السالا قوي جدًا؛ فهم يحترمون بشكل صارم جميع النظم الدينية الإسلامية، ويحافظون على الأركان الخمسة، ويهتمون ببناء المساجد وترميمها. وبعدما استقر أجداد السالا في الشونهوا، تجنبوا ارتكاب الأخطاء في تفسير الإسلام، خوفًا من فقدان إيمانهم، فطلبوا مجيء ٤٠ عالمًا في الإسلام من آسيا الوسطى خاصةً، واختاروا عالمًا من بينهم يكون الأكثر دراية بالإسلام والشريعة الإسلامية والسُّنة، يكون مسئولًا عن إدارة الشئون الدينية (القاضي)، وفقًا لحكايات سالا الشعبية.

وبعدما دخلت المذاهب ونظام الطرق التي نشأت في خهتشو في قانسو إلى شونهوا، سريعًا ما اتحد نظام (القاضي) مع نظام دجياو فانغ الخاص بمذهب القديم، وشكّلا وحدة تنظيمية خاصة، ووضع "نظام سان تشانغ" و"نظام المساجد ذات المستويات الثلاثة".

قام نظام جادزوي بدور إيجابي واضح في الفترة الأولى، لتقوية العلاقات الداخلية بين القوميات والحفاظ على المعتقدات المشتركة، لكن، مع تطور الاختيار الشعبي الأوّلي لنظام جادزوى أصبح نظامًا وراثيًا، وبدأ يجاوز نطاقه الإداري نطاقه الديني.

في العام ٢٢ جوانغ شو تشينغ (عام ١٨٩٦)، أمرت حكومة تشينغ بإزالة نظام جادزوي، من أجل تخفيف حدة الصراعات والخلافات بين المذاهب، وتعزيز حكمها على شون خوا. واستمر نظام جادزوى ١٧ جيلًا في تاريخ قومية سالا.

◆ اللغة القومية لأهل سالا:

إن قومية سالا لها لغتها الذاتية، التي ترتبط بمنظومة لغات الأغوز[٢٥٢] فرع اللغات الغجرية من اللغات التركية إحدى اللغات الألطية. وتتقسم إلى لغتين محليتين؛ هما جيادز ومينغ دا، فاللغة المحلية مينغ دا تحتفظ بكثير من خصائص لغة سالا القديمة.

تضم لغة أهالي سالا كثيرًا من ألفاظ اللغة الصينية المساعدة، بالإضافة إلى اقترابها من لغات القوميات الأخرى المماثلة؛ بسبب تواصلها الطويل مع قومية الهان والهوي والتبت، ثمّة أيضًا ألفاظ من اللغة العربية والفارسية المستخدمة في الحياة اليومية والأنشطة الدينية، وثمّة ألفاظ من اللغة التيبتية.

كانت قومية سالا تستخدم لغة سالا الكتابية التي تعتمد على حروف اللغة العربية، وأطلقت عليها لغة الترك. وبحلول القرن ١٨ الميلادي، لم تكن تستخدم لغة الترك في التربية وتعاليم المساجد وترجمة أمهات الكتب وتفسير النصوص الدينية وغيرها من المجالات الدينية فحسب؛ بل أصبحت أداة في المراسلات الاجتماعية، وكتابة العقود وتسجيل الأمور الهامة وتأليف الكتب وغيرها. حتى اليوم، يحتفظ شعب سالا بمجموعة من المخطوطات المكتوبة بهذه اللغة في مجال التاريخ والدين والأدب. وحاليًا، يستطيع كثير من شعب السالا خاصة من الشباب استخدام اللغة الصينية، حتى أصبحت اللغة الصينية وسيلة الاتصال الرئيسية بينهم.

◆ التركيبة الاجتماعية لقومية السالا:

في الماضي، كان التنظيم الرئيسي لمجتمع قومية سالا هو أقيناي وكموسا وأجيلا؛

[٢٥٢]- لغات الأوغوز فرع رئيسي وكبير من عائلة اللغات التركية.

تعني أقياي العائلة في لغة سالا ذاتها، وهي المنظمة القريبة من أساس صلة الأرحام الأبوية، وتكونت من خلال بعض العائلات الصغيرة التي تعيش موزعة. (كموسا) تعني المصدر أو الجذر، وهى منظمة علاقات لصلة الأرحام البعيدة، وتكونت من بعض الأقيناي:

الكموسا: لهم مقبرة جماعية، يتبادلون المساعدات فيما بينهم عادة، ووضعوا هار (رئيس الكموسا) لإدارة الشئون الداخلية، ومن المعتاد أن يتولى الأغنياء هذه الوظيفة ويتوارثونها[٢٥٣].

أجيلا: تعني الريف في لغة سالا، تكونت من بعض منظمات كموسا، بها مراع وغابات عامة، وتشكّل بعض أجيلا ما يشبه الجمعية.

الجمعية: هي منظمة السلطة من الدرجة الريفية الأولى، لكل جمعية مسئول ومساعد مسئول ومسئول أصغر، وثمّة مسئول عام على المسئولين كافة، يكون هو (القاضي). وبحلول منتصف عهد أسرة تشينغ، شكّلت قومية سالا منطقة مأهولة بخمس جمعيات خارج خوا لونغ، وثماني جمعيات داخل شونخوا.

◆ تكوُّن قومية باو آن:

يبلغ عدد سكان قومية الباو آن حاليًا نحو ١٦ ألفًا و٥٠٥ أشخاص[٢٥٤]، وهي إحدى الأقليات الثلاث الخاصة التي تعيش في قانسو، يعيش أكثر من ٩٥ في المئة من قومية الباو آن مجتمعين في محافظة الحكم الذاتي لقومية سالا ودنغ شيانغ في تيشيشان في قانسو.

[٢٥٣]- (موجز تاريخ قومية سالا)، ص ١٧- ١٨، دار نشر الشعب بتشينغ هاي، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٠م.

[٢٥٤]- (البحث الدوري في عدد سكان القوميات على مستوى الدولة)، منقول عن الإحصائيات الاقتصادية والقومية الشاملة لجهاز الإحصاء الوطني وجهاز التنمية الاقتصادية الوطنية والقومية: (حوليّة الصينية للإحصاء القومي)، طبعة عام ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى، ديسمبر عام ٢٠٠٤م.

أُطلق على قومية الباو آن في التاريخ اسم هوي هوي وباو آن هوي، ويعيشون في الأصل في منطقة نهر لونغ وو في محافظة تونغ رين بمقاطعة تشينغ هاي حاليًا. في فترة وان لينيان في عهد أسرة مينغ عام (١٥٧٣- ١٦٢٠م)، أُطلق عليهم هذا الاسم، لأنهم شيدوا قلاع باو آن بالقرب من محافظة تونغ رين، وشيدوا معسكرات باو آن. كما تغيرت الآن كثيرًا أماكن وجود قومية الباو آن. انتقلت إلى شونخوا، ثم إلى لينغ شيا دا خاجيا بمقاطعة قانسو حاليًا، التي استقروا بها في عام تونغ جي وتشينغ شيان فانغ (داخل حدود محافظة الحكم الذاتي التي تعيش فيها قومية سالا وقومية دونغ شيانغ وقومية الباو آن في تيشيشان).

تُعد قومية الباو آن أمة موحدة؛ اعترف بها مجلس الدولة في ٢٠ من مارس ١٩٥٢م، بعد تأسيس جمهورية الصين الشعبية. بالنسبة لأصل هذه القومية، ليس ثمَّة حكم قاطع موحد حاليًا، بسبب نقص السجلات التاريخية، ونعرض أهم وجهات النظر التالية:

أولاً: تقول الأبحاث والدراسات المتعلقة بأماكن قومية الباو آن في البحث الاجتماعي والمكاني للأقليات على مستوى البلاد في عام ١٩٥٨م، ووجهة نظر الأكاديمية الصينية للبحث الاجتماعي في عام ١٩٦٣م التي كَتبت كتاب (مجموعة مختصرة لتاريخ قومية باو آن) وطبعته، لدراسة التاريخ الاجتماعي للأقليات في قانسو، والافتراض الأوّلي عن أصل قومية الباو آن - تقول إنها من قومية المغول، وانصهرت طبيعيًا مع جزء من الهوي والهان والتبت، خلال مسيرة التطور التاريخي لفترة طويلة.

ثانيًا: تقول وجهة النظر الموجودة في كتاب (موجز تاريخ الباو آن) الذي أصدرته دار نشر الشعب بقانسو في أغسطس عام ١٩٨٤م: إن أصل قومية الباو آن من قومية المغول، وتشكّلت باندماجها مع الهان والتو والهوي والتبت وغيرها من القوميات، من خلال الاتصال الوثيق.

ثالثًا: تتضح وجهة نظر شخصيات قومية الباو آن التي شاركت في تأليف كتاب (أحوال محافظة الحكم الذاتي تشيشان التي يعيش بها قومية السالا وقومية الدونغ شيانغ وقومية الباو آن)، الذي أصدرته دار نشر الشعب بقانسو في سبتمبر عام ١٩٨٦م: إن أصل قومية الباو آن هي السمو الذين يعتنقون الإسلام، وتشكّلوا باندماجهم الطبيعي مع قومية الهوي والتبت والهان والتو، من خلال الاتصال لفترة طويلة.

رابعًا: يقول وانغ دجونغ هان في كتابه (تاريخ القوميات الصينية): "إن أصل قومية الباو آن من المغول الذين يعتنقون الإسلام، وبعضهم من أهالي قومية الهوي الذين جاءوا من خاتشو (لينغ شيا بمحافظة قانسو حالياً)، لكن بعضهم من جنود الحكومة الذين جاءوا من شنشي وقانسو للدفاع عن المناطق النائية والقاحلة". يعتقد وانغ دجونغ هان أن قومية المغول ضمت إليها قومية الهان والتو والهوي وغيرها من القوميات الأخرى، وتطورت بعد ذلك وشكّلت قومية الباو آن، وفقًا للسجلات، والحكايات الشعبية المُجمّعة.

◆ متى اعتنقت قومية الباو آن الإسلام؟

ليست ثمَّة حاليًا معلومات موثّقة يمكن الاعتماد عليها. لكن يمكن أن نرى آخر فترة زمنية، من خلال الهجرة الجماعية لهذه المسيرة. ففي فترة تشينغ شيان فانغ، اعتنق أصحاب السلطة في منطقة تونغ رين الديانة البوذية، وطلبوا من شعب الباو آن الذي يعتنق الإسلام تغيير ديانته، فاضطر كثير من شعب الباو آن إلى الهجرة إلى شونهوا، فتلقّوا معاملة حسنة ومساعدات من شعب قومية السالا الذين يعتنقون مثلهم الإسلام؛ بل سكنوا معهم في ذلك المكان.

لكن لم يجد شعب الباو آن مكانًا لحرث الأرض وزراعتها، لكثرة سكان شونهوا

يحصر [illegible] انتقلوا [illegible] إلى الشرق، حتى وصلوا في النهاية إلى [illegible] الموجودة في لانتشو[illegible].

يمكن أن نرى من هذا المقطع التاريخي أن شعب الباو آن اعتنق الإسلام في [illegible].

يعتقد شيخ ليان كاي في كتابه (الخطوط العريضة لتاريخ القوميات الصينية) أن شعب الباو آن اعتنق الإسلام في أواخر فترة أسرة مينغ، لكن [illegible] منطقة الباو آن [illegible] لهذا الشعب، لكن في فترة [illegible] في عهد أسرة تشينغ. من المؤسف أن الشيخ ليان كاي لم يقدم معلومات أو أدلة يمكن الاعتماد عليها.

يؤمن شعب الباو آن على حد [illegible] بالمذهب الإخواني والمذهب القديم [illegible] من الطرق الصوفية على حد [illegible] بسبب اختلاف مصادر التعاليم.

◆ [illegible] الطرق بين شعب الباو آن:

إن [illegible] في الحياة الروحية والنفسية والاجتماعية لشعب الباو آن [illegible] تأثيراً عميقاً في تاريخ شعب الباو آن واقتصاده وثقافته وغيرها من المجالات كافة.

تتسم كل أعياد شعب الباو آن وعاداتهم في الختان وطرق علاجهم من الأمراض وعاداتهم في الأمور الجنائزية والزواج بخصائص إسلامية عميقة. فنرى من البيئة الاجتماعية لحياة شعب الباو آن أن الإسلام قام بدور تشجيعي ومتماسك في تكوينها.

[illegible]- مركز الدولة للدراسات القومية: (القوميات الصينية) ص [illegible]، دار نشر الجامعة القومية المركزية، الطبعة الأولى، مارس عام [illegible]م.

◆ تمتلك قومية الباو آن لغة ذاتية لكنها ليست كتابية:

لغة الباو آن فرع من اللغات الألطية[٣٥٦] التي تضم اللغة المغولية، ولها علاقة أهلية واضحة مع لغة المغول ولغة الداور التي تعد من العائلة اللغوية نفسها، وهي قريبة إلى حد ما من لغة تو ولغة دونغ شيانغ، وثمّة تشابه من الأساس بين كثير من الألفاظ، ولم تشكل لغة الباو آن على كثير من ألفاظ اللغة الصينية والتبتية (التي تمثل حوالى ٥٠ في المئة) فحسب، بل تتأثر كثيراً باللغة الصينية من الناحية الصوتية والقواعد اللغوية[٣٥٧]، بالإضافة إلى ذلك، تأخذ لغة الباو آن قليلاً من ألفاظ اللغة التركية والعربية، خاصة المستخدمة في الأنشطة الدينية والحياة الدينية.

◆ تكون قومية دونغ شيانغ:

يبلغ عدد سكان قومية الدونغ شيانغ حوالي ٥١٣ ألفًا و٨٠٥ أشخاص[٣٥٨]، منتشرة بصورة عامة في إي لي في شينجيانغ وولاية جانان ذاتية الحكم التي تعيش فيها قومية التبت، ودنغ شي ولان دجوو وولاية لين شيا ذاتية الحكم بقانسو، التي تعيش فيها قومية الهوي، وثمّة عدد قليل منهم يعيشون موزعين في ولاية بنينغ شيا ذاتية الحكم التي تعيش فيها قومية الهوي.

أطلق اسم دونغ شيانغ على هذه القومية، لأنها تعيش في شرق لينغ شيا (يطلق عليها قديماً اسم خهتشو، وأصبحت مدينة خهتشو هي المركز، ثم انقسمت إلى أربع

---

[٣٥٦]- اللغات الألطية مجموعة لغات تضم ثلاث أسر لغوية: اللغات التركية (لغة جمهورية تركيا هي إحدى لغات هذه الأسرة)، واللغات المغولية (اللغة الرسمية لجمهورية منغوليا التي تسمى بلغة الخالخا، هي إحدى لغات هذه الأسرة)، واللغات التنغوزية المنشورية.

[٣٥٧]- مركز الدولة للدراسات القومية: (القوميات الصينية)، ص ٦٦٠، دار نشر الجامعة القومية المركزية، الطبعة الأولى، مارس عام ٢٠٠١م.

[٣٥٨]- (الإحصائيات الدورية لعدد سكان القوميات على مستوى الدولة)، منقول عن الإحصائيات الاقتصادية والقومية الشاملة لجهاز الإحصاء الوطني وجهاز التنمية الاقتصادية الوطنية والقومية: (حوليّة الصينية للإحصاء القومي)، طبعة عام ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى، ديسمبر عام ٢٠٠٤م.

قرى، شمالًا وجنوبًا وشرقًا وغربًا). وقبل قيام الصين الجديدة، لم يعترف الكثير من حكام الأسر الإقطاعية السابقين بأن قومية الدونغ شيانغ أمة موحدة، وأطلق عليها "دونغ شيانغ هوي". وذلك لأنها تشبه من الأساس قومية هوي بلين شيا في العقيدة الدينية والعادات الحياتية، وكثيرًا ما تعود إلى قومية الهوي في الوثائق التاريخية.

كان يُطلق أحيانًا على شعب قومية الدونغ شيانغ اسم "شعب التو دونغ شيانغ"، و"شعب المغول دونغ شيانغ"، و"هوي هوي المغول" وغيرها. وبعد قيام الصين الجديدة، أقرت الدولة بقومية لدونغ شيانغ، وأطلقت على منطقتهم ذاتية الحكم اسم بلدية دونغ شيانغ ذاتية الحكم.

منذ القرن الثالث عشر، عاش بعض الناس الذين جاءوا من مختلف المناطق ومختلف القبائل والقوميات، معًا على أرض دونغ شيانغ، وتعلموا من بعضهم البعض، واندمجوا معا تدريجيًا. وأخيرًا شكّلوا أسرة قومية جديدة، اسمها دونغ شيانغ، بحلول أسرة مينغ[٢٥٩].

كان يتم دائمًا تسجيل أنشطتهم وأحوالهم مع أحوال قومية الهوي في المواد الوثائقية؛ بسبب عدم الاعتراف بهم قومية خاصة، بالإضافة إلى أن قومية الدونغ شيانغ لها لغة قومية، لكن ليست لها لغة كتابية، وثمّة نقص شديد في المواد التاريخية عن أصل القومية، لذا من العسير البحث الوثائقي عن أصل هذه القومية. وبعد التحرير، كوّن بعض العلماء بعض وجهات النظر التالية من خلال الدراسة والبحث:

أولاً: أصل قومية الدونغ شيانغ من الهان والمغول والسمو الذين يعتنقون الإسلام وغيرهم.

ثانيًا: جاءت قومية الدونغ شيانغ من آسيا الوسطى في القرن الثالث عشر الميلادي. هذا

٢٥٩- مركز الدولة للدراسات القومية: (القوميات الصينية)، ص ٣٧٩، دار نشر الجامعة القومية المركزية، الطبعة الأولى، مارس عام ٢٠٠٣م.

الرأي اتفقت عليه تدريجيًا الندوة الأكاديمية المختصّة بالنظر في أصل قومية الدونغ شيانغ، كما نال تصديق قومية الدونغ شيانغ. حتى اليوم، تنتشر بين أهالي الدونغ شيانغ رواية تقول: إن أجدادهم هم شعب السارتا الذين عاشوا في آسيا الوسطى.

جاء شعب السارتا إلى الصين مع جيوش جنكيز خان التي فتحت الغرب، واستقروا في منطقة الدونغ شيانغ، واندمجوا مع قومية المغول والهان وغيرهما من القوميات، وشكّلوا قومية دونغ شيانغ الحالية. وفي عهد أسرة يوان، أُطلق على مسلمي العرب وغرب آسيا والمناطق الغربية اسم سارتا أو سارتاولا، وتم إدراج السارتاولا المطيعين في صفوف السمو.

ومن ذلك نرى أن شعب الدونغ شيانغ أطلق على نفسه اسم سارتا، ويعتقدون أن لهم علاقة مع هوي هوي المقيمين في آسيا الوسطى، وهذا يتفق مع رواية الأوساط الأكاديمية المحلية عن الهجرة من الغرب.

ثالثًا: أصل قومية الدونغ شيانغ من عمال الهوي الحرفيين وجيش الهوي الذين وقّعوا عقودًا مع جنكيز خان خلال فتوحاته في آسيا الوسطى. ووصل عدد العمال الحرفيين من الهوي وجيشهم نحو ٢٠٠ ألف شخص، وفقًا لتسجيلات الكتب التاريخية، ووصل جزء من الجيش إلى منطقة الدونغ شيانغ. وأُلحق جيش الهوي بجيش تاماتشي[٢٦٠]، يخوضون المعارك عند اندلاع الحروب ويعملون بالزراعة وقت السلم.

حتى اليوم، ثمّة في مناطق قومية الدونغ شيانغ أسماء لأماكن؛ منها تون تيان وتون دي ومين دي وتون دي الجديدة، وغيرها من أسماء الأماكن، تؤكد أحوال جيش تاماتشي

٢٦٠- جيش تاماتشي: جيش المغول، عبارة عن قوات خاصة، تتألف من صفوة الجنود وأقواها، تكون هذه القوات في مقدمة الجيش عندما تكون الحرب ضارية وعند اقتحام القلاع والحصون.

في دونغ شيانغ تون تان من زاوية جانبية. لكن تم توزيع العمال الحرفيين من الهوي في مساكن جماعية حسب تخصصاتهم؛ بل تمت تسمية مساكنهم حسب أعمالهم، حتى اليوم تطلق أسماء مختلف الحرف العمالية على الكثير من القرى في محافظة دونغ شيانغ ذاتية الحكم، مثل بلدة ميان جوتش، تعني قرية عمال الفضة؛ وقرية التشي، تعني قرية عمال الغزل والنسيج، وقرية تومونتشي، تعني قرية الحدادين؛ وقرية تاوماوتشي تعني قرية عمّال الدباغة، وقرية تاموتشي، وهي تحوُّل صوتي عن جيش تاماتشي، تعني كلًا من باسوتشي وشاهتشي ودالوخواتشي، حرّاس المواقع الهامّة. فنرى من ذلك أن منطقة الدونغ شيانغ مكان لإقامة العمال الحرفيين من الهوي، وهي مكان لمعسكرات الجيش الهوهي.

رابعاً: قومية الدونغ شيانغ هي من نسل المغول. وتشير بعض البيانات إلى أن قومية الدونغ شيانغ من نسل جنود المغول، وتحولوا من جنود إلى مدنيين. وثمّة أسس واضحة على هذه الحجة، وأصبحت هاتشو معسكرًا مهمًا لجيش المغول، بعدما استولى عليها جنكيز خان وعلى شينينغ، وفي مارس عام ١٢٢٧م، وفقًا لسجلات (تاريخ يوان) أصبحت هاتشو موقعًا استراتيجيًا لتمركز قوات الجيش المغولي، من أجل السيطرة على التبتيين.

أخمد قوبلاي خان كانغ التبت، واتخذ من بكين عاصمة له، وأرسل تزونغ وانغ ووان خو فو والتبتيين إلى خهتشو. وفي نهاية القرن الثالث عشر، تمركز أنادا حفيد قوبلاي خان في منطقة تانغ وو داخل خاتشو، وقاد ١٥٠ ألف شخص لاعتناق الإسلام، مما دفع عددًا كبيرًا من شعب المغول تباعًا إلى اعتناق الإسلام.

بعد أن وحّدت أسرة يوان الصين، بدأ كثير من جيش المغول الذين يعتنقون الإسلام في ترك وظائفهم العسكرية والالتحاق بوظائف مدنية، وتزوجوا من النساء في ذلك المكان وأنجبوا الأطفال، وبدأوا يبنون أنفسهم بأنفسهم. وبالرغم من أن هذه الحجة تناسب السجلات والوقائع التاريخية، إلا أن عدد سكان الدونغ شيانغ اليوم ليسوا فحسب مجرد

مئات الآلاف من سكان المنطقة، وفقًا لعدد جنود المغول الذين يعتنقون الإسلام في ذلك الوقت.

يعتقد الكاتب أنه بالرغم من اختلاف الرأيينِ الثاني والثالث عن الآراء الأربعة السابقة، إلا انهما متطابقان من الأساس في المضمون، ويتفقان مع الواقع.

إذا بحثنا من منظور الدراسات اللغوية (ثمّة لغة خاصة بقومية الدونغ شيانغ، لكن ليست لها لغة كتابية قومية)، وتنتمي لغتها إلى اللغات المنغولية إحدى اللغات الألطية، وتمثل الفاظ اللغة المنغولية بها حوالي ٦٠ في المئة، وهي المكون الرئيسي لألفاظ لغة دونغ شيانغ ومفرداتها. وبمقارنتها مع لغات أخرى من العائلة اللغوية نفسها نجد أن لغة دونغ شيانغ تحتفظ بكثير من مواصفات اللغة المنغولية القديمة من الناحية الصوتية والقواعد اللغوية[٣٦١]. ويمكن أن نبرهن على وجهة النظر السابقة من هذه الزاوية. لذا، من النظرة العامة نجد أن شعب الدونغ شيانغ "يتكون بشكل أساسي من الهوي والمغول، ويندمج مع جزء من شعب الهان والتبت في تكوينه"[٣٦٢].

فقومية الدونغ شيانغ قومية يعتنق جميع شعبها الإسلام. وبدأ اعتناق الدونغ شيانغ الدين الإسلامي قبل تكوينهم، بل كان اعتناق الإسلام القوة المحفزة والرابط لتكوين قومية الدونغ شيانغ.

يقال إن علماء الإسلام المقيمين في آسيا الوسطى يدعون إلى الإسلام في منطقة دونغ شيانغ، خلال تكوين قومية الدونغ شيانغ، وتنتشر حتى اليوم الحكايات الشعبية

---

[٣٦١]- ثمّة تقارب شديد بين لغة الدونغ شيانغ واللغات المحلية للتو والباو آن والويغور (الويغور: هم مجموعة عرقية صينية وينبغي التفريق بينهم وبين قبيلة الأويغور، فالويغور بوذيون)، يستطيع مستخدمو هذه اللغات المختلفة أن يتبادلوا أطراف الحديث، تعكس هذه الأوضاع من جانب آخر تأثير الثقافة المغولية على قومية الدونغ شيانغ، كما يتمتع البحث عن أصول قومية الدونغ شيانغ بمغزى دلالي مهم.

[٣٦٢]- المؤلف وانغ دجونغ هان: (تاريخ القوميات الصينية)، ص ٨٥٨، دار نشر العلوم الاجتماعية الصينية، الطبعة الأولى، ديسمبر عام ١٩٩٤م.

التي تقول: إن الهاموز قاد ٤٠ فلسفياً وقاد أليانطا ٨ من الدعاة، بل ثمَّة مقابر وجبال تثبت وجود هاموز.

منذ منتصف عهد أسرة تشينغ، أصبحت الدونغ شيانغ إحدى المناطق الرئيسية التي تنشر المذاهب والطرق الإسلامية في الشمال الغربي، وبها الكثير من مؤسسي المذاهب والطرق، مثل ماوان فو مؤسس المذهب الإخواني، وهو من الشعب الدونغ شيانغ.

"ثمَّة تأثير واضح للمذاهب الخمسة للدين الإسلامي في الصين بين شعب الدونغ شيانغ، وكل مذهب له الكثير من الأتباع في قومية الدونغ شيانغ.

أولاً: وضع شعب الدونغ شيانغ أو دعا شعب الدونغ شيانغ إلى طرق الدجان مينغ وطرق الخومين لمذهب الخُفية وطرق باى دجوانغ من والمذهب الإخواني، ثم طوّروهم إلى جميع المذاهب الموجودة في منطقة الين شيا. ويتمتع شعب الدونغ شيانغ بمكانة تاريخية واضحة، في تاريخ تطور الإسلام في الصين"[263].

ثانيًا: الإسلام وعلاقته بقوميات الويغور والقازاق والطاجيك والقيرغيز والأوزبك والتتار مسيرة قومية الإسلام في بلاد الصين قامت بدور تشجيعي وتداخلي، في تطوير قوميات الويغور والقازاق والطاجيك والأوزبك والتتار، وغيرهم.

◆ الإسلام وقومية الويغور:

يبلغ حاليًا عدد سكان قومية الويغور ٨ ملايين و٣٩٩ ألفًا و٣٩٣ شخصًا[264]، وهي القومية الخامسة بين ٥٥ أقلية قومية في بلاد الصين بعد قومية الدجوانغ وقومية المان وقومية الهوي وقومية المياو. ويتركزون بشكل عام في شينجيانغ[265]، بالإضافة إلى المناطق

[263]- المؤلف تشين ليان كاي: (الخطوط العريضة في تاريخ القوميات الصينية)، ص ٢٧٠، دار النشر الصينية للاقتصاد والمال، الطبعة الأولى، ديسمبر عام ١٩٩٩م.

[264]- (الإحصائيات الدورية لعدد سكان القوميات على مستوى الدولة)، منقول عن الإحصائيات الاقتصادية والقومية الشاملة لجهاز الإحصاء الوطني وجهاز التنمية الاقتصادية الوطنية والقومية: (حوليّة الصينية للإحصاء القومي)، طبعة عام ٢٠٠٤م، الطبعة الأولى، ديسمبر عام ٢٠٠٤م.

[265]- شينجيانغ: تعرف أيضًا باسم منطقة ترك ستان الشرقية ذاتية الحكم.

المأهولة بالويغور في تشانغده وتايوان بمقاطعة خونان، ولويانغ وتشنغتشو بمقاطعة خنان وبكين، وغيرها من المناطق.

تعد قومية الويغور إحدى القوميات العشر التي تعتنق الإسلام في بلاد الصين، وتعد أيضًا القومية الثانية بعد قومية الهوي من حيث عدد المسلمين بين الأقليات القومية في بلاد الصين.

◆ أصل قومية الويغور:

قومية الويغور لديها تاريخ طويل. وظهر اسم قومية الويغور قبل أكثر من ألف عام، لكن تكونت هذه القومية بالمعنى الحديث في القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر الميلاديين. ويعني مصطلح الويغور في اللغة الويغورية الاتحاد والتحالف[266] والارتباط والتضامن.

وظهر هذا الاسم مبكرًا في (ويو شو. جاو تشيئ تشوان) في القرن الرابع الميلادي، وتُرجم إلى الويخية، وهى قبيلة اتحدت مع قبيلة من تيجاو تشئ. وأُطلق عليهما اسم الهويخة والهويخو، بعد القرن السابع.

وفي عهد أسرة يوان ومينغ، ترجم هذا الاسم إلى الويغور. وفي عام ١٩٣٤م، أقرت حكومة شينجيانغ[267] رسميًا بالويغور بوصفه اسمًا قوميًا مترجمًا عن اللغة الصينية، ثم

[266]- مؤلفات راشد، ترجمها يوو دا جيون ودجوو جيان تشي: (الموسوعة التاريخية)، الجزء الأول، المجلد الأول، ص ١٣١- ١٦١، دار النشر التجارية، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٣م.

[267]- منذ أكثر من ٢٠٠٠ عام بعد الهان الغربية، تطلق السجلات التاريخية السابقة في بلادنا على الشمال والجنوب والغرب لتيان شان اسم المناطق الغربية. وبعدما وحّدت حكومة تشينغ شمال تيان شان وجنوبها في عام ١٧٥٥م، أطلقت على هذه المنطقة اسم المناطق الغربية وشيجيانغ وشيتشوي وشينجيانغ وغيرها من الأسماء الأخرى. وأصبح اسم شينجيانغ يُستخدم بعد إنشاء هذه المنطقة، ولم يعد يستخدم اسمها (تركستان الشرقية). وثمَّة عدة أسباب جعلت حكومة تشينغ تطلق على المنطقة الغربية اسم شينجيانغ:=

أولًا: بحلول فترة الإمبراطور تشيان لونغ (١٧٣٦- ١٧٩٥م)، مكّن القرار الحكومي الذي أصدرته حكومة تشينغ أخيرًا من المرور داخل أرجاء الصين، وأكمل مهمة الأباطرة الصينيين السابقين قبل أسرة تشينغ في توحيد الصين، وتحمل تشيان لونغ المسؤولية بالكامل تجاه ذلك، وأسس بنفسه في النهاية منطقة تحكمها حكومة تشينغ تدعى شينجيانغ، والمنطقة التي أطلقت عليها الحكومة اسم شينجيانغ في ذلك الوقت بها

ظل هذا الاسم المترجم حتى يومنا هذا.

تُعد قومية الويغور أمة ذات أصول عدة؛ أهم فرعين هما:

أولًا: شعب الهويغخة القادم من هضبة التبت.

ثانيًا: الشعوب الأصلية المقيمة في سهول الحدود الجنوبية لمنطقة شينجيانغ.

واندمج الشعبان بشكل واسع وشامل في القرن التاسع الميلادي، واندمجا اندماجًا كليًا في أوائل القرن السادس عشر، مكونين قومية جديدة موحدة، اسمها قومية الويغور الحديثة.

كان ثمّة اختلاف واضح بين الأعراق والكتابات واللغات في منطقة شينجيانغ، قبل منتصف القرن التاسع الميلادي. وثمّة الكثير من قبائل التيالا الرعوية التي تتحدث اللغة التركية في منطقة شينجيانغ، "يمكن أن نرى من البيانات الوثائقية والصور والنقوش في ذلك الوقت، أنهم ينتمون إلى سلالات المغول ذوي الوجوه العريضة والعيون الدقيقة والأنوف الصغيرة، لكن لحيتهم قصيرة"[٢٦٨].

لكن على العكس كثيرًا ما يظهر سكان جنوب شينجيانغ "بخصائص الشعب الأوروبي ذي الأنوف العالية والعيون العميقة واللحية الطويلة"[٢٦٩]. كما أن لغة منطقة

=منطقة وو مينغ بمقاطعة يونان ومنطقة آن شون وجوو دجوو بمقاطعة جوى جوو ومنطقة جين تشوان. على الجانب الآخر، بعدما استعاد دزوو دزونغ تانغ منطقة إيلي من روسيا القيصرية، بذل كل جهده في إقامة إقليم في شينجيانغ، كتب في الدزوا جين (إحدى الوثائق الرسمية في الدولة) "أنه جاء إلى هنا، لإعادة أرض الميلاد"، باسم شينجيانغ، معبراً عن معنى جديد، فاشينجيانغ منذ قديم الأزل هي أرض صينية، أطلق عليها معنى "عادت أرض الميلاد"، لأنها عادت إلى الصين حديثًا، فتحمل المشاعر العميقة للجنود الذين استعادوا أرضها المسلوبة تجاه هذه الأرض.

[٢٦٨]- المركز الوطني للبحث في القضايا القومية والوطنية: (القوميات الصينية)، ص ٨٦، دار نشر الجامعة القومية المركزية، الطبعة الأولى، مارس عام ٢٠٠١م.

[٢٦٩]- فنغشيمين: (البحث في تكوين قومية الويغور في العصر الحديث واندماج قومية لموبين)، منقول عن (مجموعة أبحاث عن تاريخ شينجيانغ)، دار نشر الشعب بشينجيانغ، الطبعة الأولى، عام ١٩٨٢م.

جنوب شينجيانغ ليست واحدة، ويُعتقد أن لديها ٧ لغات و٢٤ لغة كتابية، معظمها ينتمي إلى اللغات الهندوأوروبية[٢٧٠]. وتأثرت منطقة شرق شينجيانغ تأثيرًا كبيرًا بالثقافة الصينية.

بدا الإسلام ينتشر بشكل واسع في منطقة شينجيانغ، منذ اعتناق شاتوك بوجلا خان بوك حاكم كازاخستان الإسلام في عام ٩٤٣م. وفي أوائل القرن السادس عشر، أقام سعيد خان حاكم شختاي خانات يارتشيانغ خان في كاشغر، واتخذ من الإسلام علمًا، وازال تأثير الديانة البوذية، وبعدما وحّد سياسة تاليموبين واقتصادها وثقافتها ودينها، دفع سكان المنطقة إلى اكتساب صفات نفسية وقومية مشتركة، ومن هنا بدأت تتكون قومية الويغور بالمعنى الحديث.

أسست قبيلة زنغهار خانات زنغهار[٢٧١] في القرن السابع عشر الميلادي في منطقة بشمال شينجيانغ. وفي عام ١٦٧٨م، قاد زنغهار زعيم خانات زنغهار الجيش نحو الجنوب، وقضى على خانات ياركينت، وأقام سلطة الدمية لمملكة جديدة على يد خوجه أباك.

وخوجه أباك زعيم مذهب الإرشاد الإحساني في الإسلام، وأقام سلطة النظام الزراعي الذي يجمع بين التعليم والزراعة، واعتمد هو وخلفاؤه على الغزاة الأجانب من آسيا الوسطى والزنغهار، ولم يتوقف عن بثّ الانقسامات والاضطرابات في جنوب شينجيانغ، وجلب كوارث فظيعة على شعب الويغور.

[٢٧٠]- اللغات الهندوأوروبية إحدى أكبر أسر اللغات. يعتقد أنّ كل هذه اللغات تشترك في جذر مشترك، أي لغة تعود إلى ما قبل التاريخ وتفرّعت عنها كل هذه اللغات، وتدعى اللغة الهندية الأوروبية البدائية. ويقدّر عدد اللغات واللهجات المنتمية لهذه الأسرة بقرابة الخمسمائة. ويبلغ عدد المتكلمين بها (بصفتها اللغة الأم) في العالم حوالي ثلاثة مليارات.

[٢٧١]- خاناتزنغهار: إحدى القوى البدوية التيت في السهوب الأوراسية، وغطت منطقة زنغاريا بأكملها وامتدت من الطرف الغربي لسور الصين العظيم، إلى الشرق حتى كازاخستان حاليًا، وشمالاً من قيرغيزستان حاليًا إلى سيبيريا جنوبًا، (وتعد معظم هذه المنطقة جزءًا من إقليم شينيانغ الحديث).

بعدما وحّدت أسرة تشينغ منطقة شينجيانغ، أقامت حامية عسكرية في إيلي في أكتوبر عام ١٧٦٢م، وطبقت الحكم العسكري الذي يترأسه على قائد إيلي العسكري.

مارس قائد إيلي العسكري سياسات مختلفة تجاه القوميات والمناطق المختلفة في شينجيانغ، وما طبقه في شينجيانغ هو نظام جاسيك، وطبق نظام البلديات الإدارية في المناطق التي يكثر فيها شعب الهان في شرق شينجيانغ، لكن طبق نظام البوق في المناطق التي يقيم فيها الويغور في جنوب شينجيانغ، لكن ألغى النظام الوراثي للبوق.

في عام ١٨٧٨م، استعاد أدزو دزونغ تانغ منطقة شينجيانغ من أيدي أجوبا، وبعدما أجبر روسيا القيصرية على تسليم إيليتا في عام ١٨٨٢م، أنشأت حكومة تشينغ مقاطعة شينجيانغ في عام ١٨٨٤م. من أجل تحسين العلاقة وتصحيحها مع الطبقة العليا من الويغور.

وعن إزالة جذور الانقسام، وإخماد الاضطرابات على الحدود الشمالية الغربية، عدلّت حكومة تشينغ (المواد المتعلقة بشينجيانغ والمسلمين)؛ من بينها الاعتراف بصورة عامة بالثقافة القانونية والدينية والقومية لمناطق الويغور. هذا القانون دفع علاقة المسلمين الويغور بالوطن إلى الأمام، كما أسفر عن معانٍ إيجابية لتطوير قومية الويغور نفسها وتطوير الإسلام في منطقة شينجيانغ.

◆ الإسلام يصبح العقيدة الأساسية لقومية الويغور:

كان سكان قومية شينجيانغ يعتنقون الديانة البوذية والمانوية[272] والسمانية والإسلامية، قبل منتصف القرن الخامس عشر، وكان بعضهم يعتنق الزرادشتية. ووفقًا

[272]- المانوية، أو المنانية كما ذكر ابن النديم في الفهرست، ديانة تنسب إلى ماني الذي ظهر في زمان شابور بن أردشير، وقتله بهرام بن هرمز بنشابور بعد عيسى المولود في عام٢١٦م في بابل. وقيل إن الوحي أتاه وهو في الثانية عشرة من عمره، وكان في الأصل مجوسياً عارفاً بمذاهب القوم، وكان يقول بنبوة المسيح ولا يقول بنبوة موسى، فنحى منحًى بين المجوسية والمسيحية.

للبيانات الأجنبية، كانت ثمّة دعوة محدودة النطاق إلى النسطورية[273] (البدعة النسطورية) في منطقة شينجيانغ. "أصبح الإسلام بالكامل عقيدة شعب الويغور في شينجيانغ، في النصف الثاني من القرن الخامس عشر"[274].

بعدما ازدهر الإسلام في شبه الجزيرة العربية ووحّدها، أسلمت معظم آسيا الوسطى والهند وباكستان وأفغانستان وفارس، خلال الفتوحات الخارجية، ومن ثم شكّلت حزامًا إسلاميًا نصف دائري حول منطقة شينجيانغ. وهاجمت جنود قتيبة[275] مدينة كاشغر، خلال فتوحاته في آسيا الوسطى، وفقًا للتسجيلات التاريخية العربية. تقول معظم وجهات النظر المحلية: إن الإسلام تطور من الغرب إلى الشرق، حتى

[273]- كنيسة المشرق (بالسريانية: ܥܕܬܐ ܕܡܕܢܚܐ عيتّادْمَدنحا)، كما عرفت بعدة أسماء؛ مثل كنيسة فارس، الكنيسة النسطورية هي كنيسة مسيحية، وجزء تاريخي من تقليد المسيحية السريانية ضمن المسيحية الشرقية. تستعمل تسمية كنيسة المشرق في وصف تاريخ الكنائس السريانية الشرقية التي ورثت عنها تقليدها الكنسي المميز لها، وتشمل هذه الكنائس حاليًا - بحسب هذا التعريف - كلًّا من كنيسة المشرق الآشورية وكنيسة المشرق القديمة والكنيسة الكلدانية الكاثوليكية في الشرق الأوسط، بالإضافة إلى مجموعة من الكنائس في الهند؛ أبرزها كنيسة السريان الملبار الكاثوليك. وعقائديًا يستعمل مصطلح كنيسة المشرق في وصف الكنائس الشرقية المستقلة التي استمرت في اتباع العقيدة الأنطاكية خلال مجمع أفسس، رافضة بذلك مقرراته، وهو الأمر الذي أكسبها خطأ وصف "النسطورية"، فهي بهذا التعريف تنحصر في كنيسة المشرق القديمة وكنيسة المشرق الآشورية.

[274]- يانغ تشي تشين ويانغ خوا: (الوضع الحالي والتطور التاريخي للدين الإسلامي في الصين)، ص ١٩، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، ديسمبر عام ١٩٩٩م.

[275]- قتيبة بن مسلم الباهلي (٤٩ - ٩٦ هـ / ٦٦٩ - ٧١٥ م) قائد إسلامي شهير؛ قاد الفتوحات الإسلامية في بلاد آسيا الوسطى في القرن الأول الهجري. وكان أبوه "مسلم بن عمرو" من أصحاب "مصعب بن الزبير" والي العراق مصعب لأخيه أمير المؤمنين عبد الله بن الزبير، وقاتل معه في حربه ضد عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هجرية، وقد نشأ قتيبة على ظهور الخيل رفيقًا للسيف والرمح، محبًا للفروسية، وقد أبدى شجاعة فائقة وموهبة قيادية فذة، لفتت إليها الأنظار خاصة من القائد العظيم المهلب بن أبي صفرة، وكان خبيرًا في معرفة الأبطال ومعادن الرجال، فتفرس فيه أنه سيكون من أعظم أبطال الإسلام، فأوصى به لوالي العراق الشهير الحجاج بن يوسف الثقفي الذي كان يحب الأبطال والشجعان، فانتدبه لبعض المهام ليختبره بها، ويعلم مدى صحة ترشيح المهلب له، وهل سيصلح للمهمة التي سيوكلها له بعد ذلك أم لا. فتح خوارزم وبخارى، وسمرقند، وبلخ، واستشهد سنة ٩٦ هـ، وعمره ٤٨ سنة.

عمّ منطقة شينجيانغ، والدليل على انتشاره الواسع اعتناق شاتوك بجلا خان الإسلام، وثمّة عدة دلائل كبرى على انتشار الإسلام في منطقة شينجيانغ.

أولاً: اعتناق ٢٠٠ ألف تركي الإسلام بعدما اعتنقه شاتوك بجلا خان.

ثانيًا: تسجيلات (تاريخ الصين في إدارة المنطقة الغربية): "فتح بوغلا تركستان، وانتصر انتصارًا عظيمًا، وأسر الكثير منهم، ومهد الطريق الجنوبي لتيان شان، لدخول المسلمين"، وهؤلاء الأسرى هم أصل المسلمين الويغور في منطقة شينجيانغ.

ثالثًا: تسجيلات (تاريخ راشد) تقول إن ثمّة ١٦٠ ألفًا من المغول اعتنقوا الإسلام بقيادة تيمور هنتوخي المغولي.

رابعًا: بعدما تولى ابن تيمور هنتوخي العرش، أجبر شعب الويغور الذين يعتنقون البوذية في منطقة توربان على اعتناق الإسلام، مما أخفى تدريجيًا تأثير الديانة البوذية على هذه المنطقة.

يقول إنجلز[٢٧٦]: "لم تكن ثمّة نقطة تحول تاريخية عظيمة في الأديان، إلا للأديان العالمية الثلاثة الموجودة حاليًا، البوذية والمسيحية والإسلام"[٢٧٧]. هذا الرأي يتفق تمامًا مع مراقبة التطبيق الفعلي لقومية الويغور في التحول الديني. وكان شعب الويغور في حاجة إلى دين جديد، ليحل محل الدين القديم الذي عفا عليه الزمان.

وخلال الاضطرابات الدينية الطويلة أعطى ظهور الدين دفعة للذين يبحثون عن دين جديد ونظام اجتماعي جديد، وجذب أتباعًا جددًا على دفعات متتالية، وأثرى حياة شعب الويغور بالحيوية والنشاط.

[٢٧٦]- يطلق أيضًا عليه اسم فريدريش إنغلس (٢٨-١١-١٨٢٠ في «بارمن»، بروسيا (حاليًا فوبرتال، ألمانيا) - ٥-٨-١٨٩٥م) فيلسوف ورجل صناعة ألماني، يُلقّب بـ «أبو النظرية الماركسية» إلى جانب كارل ماركس. اشتغل بالصناعة وعلم الاجتماع وكان كاتبًا ومنظرًا سياسيًا وفيلسوفًا. يعد أب نظرية الماركسية بالإضافة إلى كارل ماركس نفسه.

[٢٧٧]- إنجلز: (نهاية الفلسفة الكلاسيكية الألمانية)، منقول عن الجزء الرابع من (مختارات من ماركس وإنجلز)، ص ٢٥٧، دار نشر الشعب، الطبعة الثانية، يونيو عام ١٩٩٥م.

◆ الخصائص الدينية لشعب الويغور:

يتبع معظم مسلمي الويغور المذهب السنّي، يستندون إلى "القرآن الكريم"، والحديث الشريف، ويتمسكون بأركان الإيمان الستة[٢٧٨]، ويؤدون أركان الإسلام الخمسة[٢٧٩]. إن المذهب الصوفي له تأثير طويل الأمد بين شعب الويغور، فالتيار الرئيسي هو مدرسة النقشبندي، وفي الوقت نفسه ثمّة أنشطة واضحة لمدرسة القادرية والتياسطية والسهو روادية في منطقة شينجيانغ.

أطلق على زعيم الصوفية اسم إيتشان، وانتشرت بشكل واسع جميع مدارس مذاهب الإرشاد[٢٨٠]، وانتشرت المساجد، وانتشرت المدارس الدينية في المدن والقرى، كما يمكن أن ترى في أي مكان المزارات التي تدل على معتقدات المذهب الإرشادي.

جاء مذهب الإرشاد في شينجيانغ من آسيا الوسطى، وتطور بعدما دخل منطقة شينجيانغ، وازدهر في القرن السابع عشر الميلادي، كذلك طبّق المذهب الإرشادي النظام الوراثي، فعائلته هم آل البيت والصحابة، ويجب على المؤمنين الامتثال بشكل مطلق لترتيب الإرشاديين.

مزارات المذهب الإرشادي أماكن يقوم المؤمنون بزيارتها، ودائمًا ما تقوم جماهير الويغور بتوحيد زيارة المزارات والتقرب إلى السلف الصالح في الشعائر الدينية لمذهب الإرشاد، كذلك بدأ شعب الويغور في سَنّ نظام قانوني للمسلمين في عهد أسرة كالا خان، وكان الحكم بالشريعة الإسلامية في فترة خاتيو قائد خانات يارقند.

[٢٧٨]- أركان الإيمان في الإسلام ستة: هي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

[٢٧٩]- أركان الإسلام الخمسة: الشهادتان (شهادة أن لا إله إلا الله، وشهادة أن محمدًا رسول الله)، والصلاة (وهي خمس صلوات كل يوم)، والزكاة، والصوم (في شهر رمضان)، والحج (من استطاع إليه سبيلًا).

[٢٨٠]- مذهب الإرشاد: مذهب إسلامي منتشر في منطقة شينجيانغ. ويعود لفظيًا إلى كلمة (المرشد والمعلم والدال).

أصبح الإسلام المقياس لأنشطة الناس كافة؛ وأصبح الناس يتبعون الإسلام في مبادئهم الأخلاقية وآدابهم وحفلاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ومنذ أن احتل الإسلام مكانة متميزة في المجتمع الويغوري كانت تحتوي القصص الشعبية والأعمال الأدبية لقومية الويغور على المبادئ الأخلاقية للدين الإسلامي، وأصبحت بشكل عام عادتهم في الزواج والأمور الجنائزية والختان والمحرمات على الطريقة الإسلامية. وظهرت في الوقت نفسه ظاهرة الويغورية الإسلامية، خلال اعتناق الويغور الدين الإسلامي.

إن الشامانية من الديانات البدائية، وانتشرت بشكل واسع بين الكثير من القوميات التي تتحدث اللغة التنجويستك ـ المان واللغة التركية إحدى اللغات الألطية في شمال بلادنا وجنوبها وغربها وشرقها، وكانت تعتنق قومية الويغور والقازاق[381] والقيرغيز[382] والأوزبك بصورة عامة الديانة الشامانية، من الناحية التاريخية.

كما شرحنا سابقًا فإن الإيمان الديني عند الأجداد الأوائل للويغور معقد جداً، وفي الفترات التاريخ المختلفة أو المناطق المختلفة، كانوا يؤمنون بالبوذية والمانوية والزرادشتية، والنسطورية، وإن مفهوم الديانة الشامانية الأرواحية يتضمن عبادة الطوطم والطبيعة، وعبادة الحيوانات والنباتات، وعبادة الأسلاف.

وظلت محفوظة بدرجات متفاوتة، من خلال الامتزاج والاقتباس من هذه الديانات. وبعد قبول الويغور الإسلام، ظلت بعض العادات والتقاليد الخاصة للشامانية وبعض الديانات الأخرى محفوظة لديهم، وظهرت في مظهر الويغورية الإسلامية: فعلى سبيل المثل في منطقة لوتشو على الحدود الجنوبية، شاع عبادة الناس للأولياء ومقابرهم،

381- شعب الكازاخا والقازاق (بالكازاخية: Казақтар) أحد الشعوب التركية الموجودة بالجزء الشمالي من آسيا الوسطى، ويتركزون في كازاخستان، لكن منهم في أوزباكستان، والصين، وروسيا، ومنغوليا. يرجع الكازاخ إلى أصول تركية ممثلة بقبائل القبجاق والكومان والنوغاي وقارلوق والخانكليز التركية.

382- القرغيز إحدى العرقيات التركية. استوطنوا في وسط آسيا في دولة قيرغيزستان وقسم في آسيا الصغرى، ويتحدثون اللغة القيرغيزية، وهي من مجموعة اللغات التركية.

ويعتقد "أن من يعبد المزار، سيصل إلى شاطئ المثل العليا، ومن يعتز بتراب مقابر الأولياء، سيكن كل شيء على ما يرام"[383].

بالإضافة إلى أن المسلمين الويغور يعبدون الزعماء الدينيين أو الشخصيات الأسطورية البطولية القديمة كعبادتهم للأراضي المقدسة، ويعقدون اجتماعات منتظمة، ولا يخافون من الطرق الطويلة، ويرتلون الكتب المقدسة، ويرقصون رقصة السحرة، باستمرار دون توقف، لإحياء الذكريات، بالإضافة لهذا كله فما إن يمرض الناس، حتى يقوم المتخصصون بقرع الدفوف، فيطير الناس فرحًا، لطرد الأرواح الشريرة من المريض.

وهذه الظاهرة تعكس دمج المقررات الدينية الإسلامية مع مراسم الشامانية، وهي في الواقع إحدى الصور التعبيرية الويغورية الإسلامية.

◆ قومية القازاق والإسلام:

يبلغ تعداد سكان قومية القازاق[384] حاليًا مليونًا و٢٥٠ ألفًا و٤٥٨ نسمة[385]، يتوزعون بشكل رئيسي في إيلي، وموري، وباركول في شينجيانغ، وفي أورومتشي وشيخهتسي، وكاراماي، وهايشي تشينغهاي، وأكساي قانسو، وغيرها من الأماكن الأخرى. وتُعد قومية القازاقية من القوميات متعددة الجنسيات، وينقسم الجزء الداخلي إلى ثلاثة أقسام: الجوز الكبرى والجوز الوسطى والجوز الصغرى، وينقسم كل جوز إلى عدة قبائل.

383- ماماتي سالي: (مزار شينجيانغ وعبادة المزار)، نقلاً عن (دراسات الديانات العالمية)، العدد العاشر، لعام ١٩٨٦م.

384- ثمَّة عدة تفسيرات لمعنى كلمة كازاخ: لاجئ والهارب؛ والفتاة الجميلة؛ والفارس؛ والبجعة البيضاء؛ والناس الشجعان الأحرار في السهوب. من بينهم أن الحجج الخمس تتنافى نسبيًا مع تاريخ الكازاخ.

385- (الكثير من الإحصاءات العامة للسكان الدولة كلها)، نقلاً عن إدارة التنمية الاقتصادية للجنة القوميات الوطنية وإدارة الإحصاء الشامل للاقتصاد الوطني، التابع لمكتب الإحصاء الوطني (حولية الإحصاءات القومية الصينية)، طبعة ٢٠٠٤، دار نشر القوميات، الطبعة الأولى، ديسمبر لعام ٢٠٠٤م.

◆ **أصل قومية القازاق:**

يعد أصل قومية الكازاق معقداً نسبياً، ويُعتقد عموماً أنها تكوّنت بشكل أساسي من امتزاج عدة قوميات وشعوب مثل ووسون وكانغتو واليانتشا قديماً، والسكيثيين وداييوتشي من سهوب آسيا الوسطى وشيونغنو وشيانبي ورووران والأتراك وتهلي والخيتان والمغول وغيرهم، من الذين دخلوا المنطقة فيما بعد.

ومنذ ازدهار قومية المغول بقيادة جنكيز خان في القرن الثالث عشر الميلادي، حتى قيام أسرة القازاق في القرن الخامس عشر الميلادي، في هذه الفترة، عجلّت بعض القبائل التي يرجع أصلها إلى القازاق خطى الاتحاد مع القوميات، وشكّلت في النهاية كيانًا مشتركًا لقومية القازاق، وأقاموا علاقات وثيقة جداً مع دولة القبيلة البيضاء (أوردا خان) التاريخية.

في أثناء قيام جنكيز خان بالحملات، وزع الأراضي الشاسعة التي احتلها على أبنائه، فحصل أوردا على المنطقة الشرقية لكازاخستان اليوم، وأسس دولة أوردا خان (القبيلة البيضاء)، ووحد دولة القبيلة الذهبية التي أسسها شقيقه جوجي خان (جونشي خان) في القرن الرابع عشر الميلادي.

وبحلول بداية القرن الخامس عشر الميلادي انقسمت دولة أوردا خان (القبيلة البيضاء) إلى دولة خانات بخاري، وظلت مهيمنة بعض الوقت، ونشبت صراعات داخل المجموعة الحاكمة لدولة أدورا خان (الدولة البيضاء). وهجّر خان دولة القبيلة البيضاء رعاياه إلى نهر تشو، وأنشأ دولة خانات القازاق بصفتها كيانًا سياسيًا جديداً في عام ١٤٥٦م، ووحّد القبائل البدوية المحيطة بها.

وبحلول أواخر القرن الخامس عشر الميلادي، تشكّلت في النهاية قومية القازاق المستقرة ذات الاسم المشترك، واللغة المشتركة، والمنطقة المشتركة، والحياة والاقتصاد المشتركيْن، والخصائص النفسية المشتركة، التي تتمثل في ثقافة مشتركة.

وفي عام ١٧٥٥م، بدأ الاتصال رسميًا بين أبلاي خان قائد الجوز الوسطى القازاقستانية مع الجنرال دنغ بيان في عهد أسرة تشينغ، وإقامة علاقة موالية. وكان أبلاي خان من أحد الخانات القازاقستانية المشهورة، وقدّم إسهامات عظيمة تجاه التطور الجيد في العلاقات بين القازاق وحكومة تشينغ.

منذ ذلك الحين، ازدهرت يومًا بعد يوم التبادلات الاقتصادية والثقافية الداخلية مع قومية القازاق، وبدأت الهجرة برًا إلى الحدود الداخلية لشينجيانغ حاليًا بحثًا عن الماء والكلأ، وأصبحوا أعضاء في الأسرة الصينية الكبيرة.

◆ **الإسلام الإيمان الرئيسي لقومية القازاق:**

إن تاريخ تطور قومية القازاق يتشابه في الكثير مع الويغور، فقد كانوا يؤمنون بالديانات الأولى والبوذية والنسطورية وغيرها، ومرّت الدعوة إلى الإسلام فيها بمرحلة طويلة جداً.

دخل الإسلام من منطقة الأنهار السبعة في آسيا الوسطى في القرن الثامن الميلادي إلى سهوب قازاق، وغالبية السكان تؤمن بالمذهب الحنفي السني.

وفي فترة خانات قارلوق ٧٦٦م-٩٤٠م، انتشر الإسلام على نطاق واسع في منطقة قازاق. ووفقًا لسجلات بلتورد، في عام ٩٦٠م، اعتنق عشرين ألف تركي الإسلام. وفي فترة أسرة قالا خان، انتشر الإسلام على نطاق واسع في منطقة قازاق. وفي الفترة بين القرنين الخامس عشر والسادس عشر تقريبًا، كان الإسلام يمثل مكانة رئيسية في منطقة القازاق. واعتنقت ست عشرة قبيلة قازاقية في شينجيانغ وقانسو وتشينغهاي الإسلام.

يُعد الشعب القازاقستاني من القبائل البدوية، وهي تعيش حياة البداوة، ليس لهم مسكن محدد؛ بل يعيشون بحثًا عن الماء والكلأ، وهذا جلب صعوبات واضحة تجاه إسلامهم، فمن الصعب الوفاء بالالتزامات المحددة في تعاليم الإسلام.

فالمساجد نادرة في المناطق الرعوية، فيؤدون الصلاة في أي مكان داخل خيمة. وفي الوقت نفسه، نظراً لخصائص القبائل البدوية، فالتعليم المدرسي قليل جداً، ومن ثم تأثرت التربية الإسلامية والتربية الثقافية بشكل واضح.

ومنذ العصر الحديث، أرسى الإسلام دعائمه مع انتشاره الواسع بين شعب القازاق، وطرأت تغيرات عظيمة على العادات الشعبية والثقافية القازاقستانية، والجدير بالذكر - بصفة خاصة - أن مسلمي قازاق نالوا حرية الاعتقاد الديني، مع ترجمة "القرآن" إلى لغة قازاق في العصر الحديث، مما حسَّن فهمهم كثيرًا تجاه الإسلام.

من ناحية الاعتقاد الديني، فقد طبَّق مسلمو القازاق الإسلام بشكل أساسي في جوانب الحياة كافة، كما هو الحال مع القوميات الأخرى التي تعتنق الإسلام في بلاد الصين.

وبالمثل، فقد ظلت صورة القازاقية الإسلامية واضحة نسبيًا في قازاقستان، وفي الوقت نفسه الذي يؤمن فيه الناس بالله ويعبدونه، لا تزال آثار عبادة السماء والأرض والشمس والقمر والنار والماء باقية في المناطق البدوية في قازاق. وعلى سبيل المثال عندما يحل الجفاف ويقل المطر، وتتأثر المراعي، ويبدأ الناس عادة في إقامة مراسم الشامانية ورقصة السحرة، ويلحقون في نهاية نصوص صلاة الشامانية أو الأدعية اسم الله.

يُعد الإسلام الإيمان الأساسي وركيزة الإيمان عند أهل القازاق، لكن ظلت آثار الشرك في التاريخ تختفي تارة وتظهر أخرى، وكان دائمًا الرعاة الذين يؤمنون بمذهب الإرشاد[286]، وأعضاء هيئة التدريس أو الدراويش[287] يقومون بدور الشامانية، وللقيام بمهمة الشامانية، ويرتدون "قبعة عالية ولباس الرهبان، ويملؤون عصا التسول بأنواع

286- هو مذهب إسلامي صوفي، ظهر في شينجيانغ، ويعني (الكمال).

287- الدراويش هم زهاد بعض الطرق الصوفية، وهم شديدو الفقر والمتقشفون عن اقتناع وإيمان. وهم يعيشون على إحسان الآخرين زهدًا في امتلاك أي أملاك مادية.

الحلقان كافة، ويقرأون التعاويذ ويقرعون الأجراس"، "ويقرأون الحظ، ويعالجون الأمراض بالسحر ويطردون الأرواح الشريرة"[288].

◆ قومية الطاجيك والإسلام:

يبلغ التعداد الحالي لسكان الكازاخ في بلدنا حوالي ٤١ ألفًا و٢٨ نسمة، ويتوزع معظمهم بشكل أساسي في محافظة طاجيك ذاتية الحكم التي تقع في الجزء الجنوبي الغربي لإقليم شينجيانغ، ويتوزع القليل منهم في يارقند[289] وبوسكام ويتشنغ وبيشان وغيرها في شينجيانغ. إن قومية الطاجيك من أحد الشعوب القديمة في بلدنا وآسيا الوسطى.

وتنتمي قومية الطاجيك إلى سكان البحر المتوسط والهند وأوروبا. وأطلقوا على أنفسهم قومية طاجيك، ولا تتفق آراء الناس حتى اليوم حول أصل التسمية، وأهمها طاتي وضاي وضاشي وطاته، وغيرها من الآراء، لكن يُعتقد عمومًا أن طاجيك جاءت من كلمة طاجي، وفي اللغة الطاجيكية تعني تاج الملك، وترجع قومية الطاجيك إلى القبائل التي تتحدث اللغة الفارسية في الجزء الشرقي لهضبه بامير من عدة قرون.

تتوزع هذه القبائل على الكثير من المناطق التي تقع في الجزء الجنوبي الغربي لإقليم بلاد الصين شينجيانغ في وقت مبكر جدًا. ومن المؤكد أن أسلافهم ترجع إلى مملكة الحجر المتعرج التي تأسست على خط محافظة طاجيك ذاتية الحكم (طاشجرجان اليوم)، وثمَّة سجلات تفصيلية عن هذه المملكة في كتاب (سجلات الرحلات)، كتبه سونغ يون من أهل مدينة دونخوانغ في فترة الأسر الجنوبية والشمالية و(سجلات تانغ العظمى عن المناطق الغربية) كتبه الراهب البوذي تشيونتسانغ[290] في عهد أسرة تانغ.

288- بازلوف: (الدين الإسلامي عند شعوب كازاخستان وآسيا الوسطى)، نقلاً عن (ترجمات للدراسات القومية)، العدد الأول، لعام ١٩٨٩م.

289- ياركند: مقاطعة في شينجيانغالويغور الصينية ذاتية الحكم، وتقع في الحافة الجنوبية من صحراء تكلماكان في حوض تاريمو، وهي واحدة من ١١ ولاية تدار تحت ولاية كاشغر، أغلبية السكان من الويغور المسلمين، وتتم زراعة الكثير من المحاصيل مثل القطن والقمح والذرة والفواكه (خاصة الرمان والكمثرى والمشمش).

290- راهب بوذي صيني وعالم ورحالة ومترجم، وصف التفاعل بين الصين والهند في أوائل فترة أسرة تانغ.

كانت قومية طاجيك تؤمن بالديانات البدائية والزرادشتية والبوذية. وفي القرن العاشر الميلادي، ومع اكتمال الفتح العربي لآسيا الوسطى، اعتنقوا الإسلام بوجه عام. ومنذ القرن الحادي عشر الميلادي، اعتنقوا مذهب الإسماعيلية من فرق الشيعة الإسلامية (مذهب الإمام السابع).

هذه هي نتاج نشر الإمام نصر – من قادة مذهب الشيعة – مذهب الإسماعيلية لفترة طويلة في منطقة بامير. وكان تأثير نصر على قومية الطاجيك كبيرًا جداً، وظلت قصائد الزواج القدري وكلمات التأبين الليلي وغيرها من القصائد الغنائية التي كتبها تُستخدم حتى يومنا هذا في الصلوات وحفلات الزفاف ومراسم الجنائز وغيرها. إن الاختلافات بينهم وبين باقي الأقليات التي تؤمن بالإسلام أنهم لا يصومون عمومًا، ولا يذهبون إلى مكة للحج، إنما يحجّون في الأماكن المقدسة لمذهب الإسماعيلية في الهند. ولا يؤدون الصلاة كل يوم كغالبية عامة المسلمين، إنما يصلون فقط في الأعياد. وينتمي الكثير من مسلمي طاجيك إلى الإرشاد، وتوارثوا وظيفة الإرشاد جيلاً بعد جيل، وعمل الكثير منهم مساعدين لمذهب هالي في جميع المناطق.

من أجل حماية قائدهم الديني، كانوا يقومون بجولات تفقدية كل عام لجميع المناطق التي بها أتباعهم. وكانت مزارات طاجيك بها قباب بوجه عام، وتُغمس عمدان خشبية طويلة حول القبّة، ويتخذونها عُكاز يد لأهل البيت، وتُكدس في المزار قرون خراف برية ضخمة وأحجار ذات ألوان مختلفة، مكانًا لاستراحة أهل البيت.

◆ قومية القرغيز والإسلام:

يبلغ التعداد السكاني لقومية القرغيز في بلاد الصين حاليًا حوالي ١٦٠ ألفًا و٨٢٣ نسمة[٢٩١]، يتوزّع غالبيتهم بصورة عامة في ولاية قزلسو قرغيز ذاتية الحكم بإقليم شينجيانغ، ويتوزع القليل منهم في أوكتوربان وونسو وبايتشنغ وخوتيان وبشان وكاشغر وينجيسر وياركند وأقسو وكورلا ووينتشوان وبولي وغولجا، وغيرها من الأماكن.

٢٩١- (الكثير من الإحصاءات العامة لسكان الدولة كلها)، نقلاً عن إدارة التنمية الاقتصادية للجنة القوميات الوطنية وإدارة الإحصاء الشامل للاقتصاد الوطني، التابع لمكتب الإحصاء الوطني (حولية الإحصاءات القومية الصينية)، طبعة ٢٠٠٤، دار نشر القوميات، الطبعة الأولى، ديسمبر لعام ٢٠٠٤م.

يسكن عدد قليل من القرغيز داخل محافظة فويو بمقاطعة هيلونغجيانغ. والقرغيز أحد الشعوب القديمة في إقليم شينجيانغ، كالويغور والكازاخ. وفي سجلات تاريخ بلدنا، كان يطلق على القرغيز اسم تيانكون وجون وتيجو وججو وتشجو وشياجاز وقلقيز وقرجيز وجاجيز وبولت، وغيرها من الأسماء.

تعد القرغيز قومية ذات تاريخ طويل، كانوا يؤمنون في تاريخهم بالشامانية واللامية وغيرهما من الديانات الأخرى، ويرجع تاريخ اعتناقهم الدين الإسلامي إلى سبعمائة سنة أو ثمانمائة تقريبًا، من منتصف القرن الثامن الميلادي و حتى القرن العاشر الميلادي، انتقلوا تباعًا للعيش في لياو (ختيان) وقراخانات وشيلياو (الخانات السود) والمغول، تحت حكم خلفاء تشاخاتاي لفترة طويلة.

خلال أسرة قراخانات، اتبع بوغراخان الإسلام في جميع أنحاء البلاد، فكان من الواجب على القرغيز الذين يعيشون في ظل حكم القراخانات أن يعتنقوا الإسلام.

في منتصف القرن الرابع عشر الميلادي، اعتنق حكام تشاخاتاي خانات الإسلام، وهذا أدخل قومية القرغيز التي تعيش في ظل حكم تشاخاتاي خانات في الصفوف التي تعتنق الإسلام. واحتل الإسلام مكانة بارزة بصفة عامة بين شعب القرغيز، حتى منتصف القرن الثامن عشر الميلادي.

إن القرغيز قومية تعتمد على الترحال بحثًا عن الماء والكلأ، وقليلاً ما تمارس الزراعة والصيد. لذلك، فالمساجد الثابتة والمدارس الدينية قليلة إلى حد ما. فمكانة الإمام عندهم أقل من مكانة الإمام عند أهل الويغور، وما يطلبه الإمام منهم إقامة الصلاة، لكن إذا لم يؤدوها فلهم كامل الحرية الشخصية. ومراسم الصلاة عند شعب القرغيز بسيطة جداً، ويمكنهم إقامة الصلاة على الأرض السهلية.

من وجهة نظر المعتقد الديني، فإن العقيدة القرغيزية تتبع المذهب الحنفي السني الإسلامي. ولأن القرغيز كانوا يعتنقون الشامانية واللامية لفترة طويلة، ظلوا بعد

اعتناقهم الإسلام يحتفظون بتنكيري[٢٩٢] (السماء)، وطقوس تقديم القرابين لإله الماشية (عبادة إله النار)، وغيرها من العادات والتقاليد ومفاهيم الشامانية. بالإضافة إلى ذلك، مازال بعض القرغيز يحتفظون ببعض بقايا الشامانية، بجانب الإيمان بالديانة اللامية، ويقدمون القرابين لتماثيل الشامانية والتماثيل البوذية المختلفة، وفي أثناء طقوس تقديم القرابين وعلاج المرض وحفلات الزفاف ومراسم الجنائز، وغيرها، يطلبون من الشامانية تأدية رقصة السحرة وقراءة كتب اللامية.

◆ قومية الأوزبك والإسلام:

الأوزبك قومية متعددة الجنسيات، ويعيشون بشكل أساسي في أوزباكستان وكازاخستان وقيرغيزستان وتركمانستان وإيران وأفغانستان ودول آسيوية أخرى. ويبلغ التعداد السكاني لأوزبك حاليًا في بلدنا نحو 12 ألفًا و٣٧٠ نسمة[٢٩٣]، ويتوزعون بصفة عامة في شينجيانغ وأورومتشي وينينغ وموري وتشتاي وتاتشنغ وكاشغر وياركند ويتشنغ، وغيرها من الأماكن الأخرى.

يُطلق على قومية الأوزبك الشعب التركي والبخاري والفرغاني والخوارزمي والسمرقندي، ويرجع أصل كلمة الأوزبك إلى سودان محمد أوزبك حاكم (خانات التشينشة) القبيلة الذهبية أحد الخانات المغولية الأربعة[٢٩٤]. وانتقل معظم أسلاف الأوزبك إلى خانات القبيلة الذهبية، من القرن الرابع عشر إلى القرن السادس عشر الميلاديين، وبدأوا يتقبلون تدريجيًا الإسلام، وأقاموا خانات الأوزبك في أوائل القرن السادس عشر، تحت تطبيق سودان محمد أوزبك السياسة الإسلامية.

٢٩٢- واحد من أسماء أكبر الآلهة وأهمها في عقيدة الترك، ويُشار إلى عبادة التنكري عادةً بتنكيرية. إن الكائنات الرئيسية في التنكرية هي الأب السماوي والأرض الأم.

٢٩٣- (الكثير من الإحصاءات العامة لسكان الدولة كلها)، نقلاً عن إدارة التنمية الاقتصادية للجنة القوميات الوطنية وإدارة الإحصاء الشامل للاقتصاد الوطني، التابع لمكتب الإحصاء الوطني (حولية الإحصاءات القومية الصينية)، طبعة ٢٠٠٤، دار نشر القوميات، الطبعة الأولى، ديسمبر لعام ٢٠٠٤م.

٢٩٤- يطلق أيضًا على سودان محمد أوزبك في تاريخ أسرة يوان اسم أوزبجخان أو أوزبوك.

كان دخول أسلاف الأوزبك إلى قمة الصين، في عهد أسرة يوان. وكان الأوزبك ذوي ذكاء وخبرة بالحياة، يأتون إلى شينجيانغ للتجارة مع الجيش باعتبارهم من تجار القبيلة الذهبية، وفي عهد أسرة مينغ. هاجر التجار الأوزبك على مجموعات من وادي فرغانة[٢٩٥] إلى شينجيانغ لمزاولة التجارة. وفي عهد أسرة تشينغ، كانت أعداد الأوزبك في شينجيانغ مناسبة، ووفقًا إلى إحصاءات عام ١٨٢٨م، وصل أعداد الأوزبك في كاشغر وخوتيان ويارقند إلى ١٢٦٧ أسرة و٧٤٣٥ نسمة.

من ناحية التاريخ، فقد كان الأوزبك يعتقون الديانة الشامانية والزرادشتية والمانوية والبوذية وغيرها، وبعد اعتناق الإسلام، كانوا يتبعون المذهب السُني في إيمانهم. وبعد دخول الأوزبك شينجيانغ، بسبب الظروف الاقتصادية الممتازة نسبيًا، تبرعوا لبناء مساجد كبيرة ومدارس دينية في المناطق التي يوجدون فيها مثل كاشغر وإيلي ويارقند وتشتاي وغيرها.

وظهر بعض الموظفين الدينيين من الأوزبك في المساجد التي تبرعوا لإنشائها والمساجد التي يتركز فيها مسلمو الأوزبك نسبيًا والمدارس الدينية. وهذه أحد الأسباب التي جعلت الإسلام يتمتع بمكانة عالية في منطقة شينجيانغ، برغم قلة أعداد الأوزبك.

◆ التتار والدين الإسلامي:

التتار أمة ذات تاريخ طويل، وثمَّة ترجمات صوتية[٢٩٦] مختلفة لكلمة التتار، وهي دادا ودادان ودادا ودادا في كتب تاريخ بلاد الصين. وكان التتار أول من هاجروا إلى الصين

٢٩٥- وادي فرغانة: واد يقع في آسيا الوسطى وتتقاسمه كل من أوزباكستان وقيرغيزستان وطاجيكستان، ويرتفع إلى حوالي ٤٦٠ مترًا عن مستوى سطح البحر.

٢٩٦- يانغ تش تشنغ ويانفهوا: (تطور تاريخ الدين الإسلامي في الصين ووضعه الحالي)، ص ٢٩، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، أكتوبر ١٩٩٩م.

من العشرينيات والثلاثينيات من القرن التاسع عشر الميلادي من قازان[297] والأورال[298] وسيبيريا[299] وغيرها من الأماكن.

ويبلغ تعداد سكان التتار في بلدنا حوالي ٤٨٩٠ نسمة[400]، يعيشون بشكل أساسي في يينينغ وتاتشنغ، وأورومتشي، وغيرها من الأماكن الأخرى بإقليم شينجيانغ.

وكانت ثمَّة ثلاث فترات ذروة أساسية عند دخول التتار إقليم شينجيانغ.

الأولى: من الثلاثينيات والخمسينيات من القرن التاسع عشر الميلادي، استغّل بعض المغول ميزة إتقانهم اللغة الروسية، ولغة قوميتهم ولغة الويغور ولغة كازاخستان، للعمل في التجارة وشراء المواد الخام بوصفهم ممثلين تجاريين للرأسماليين الروس، ومع مرور الزمن استقروا في شينجيانغ.

---

[297] – قازان: عاصمة جمهورية تتارستان، وإحدى أكبر المدن الروسية؛ إذ تأتي بالمرتبة الثامنة في قائمة أكبر مدن روسيا الاتحادية، تقع مدينة قازان عند التقاء نهري الفولجا وقازانكا في روسيا الأوروبية. أما الكرملين في قازان فهو موقع التراث العالمي. في أبريل ٢٠٠٩م.

[298] أورال: كانت تعرف سابقًا باسم يايتسك، هي مدينة في شمال غرب كازاخستان، عند التقاء نهري الأورال وتشاغان، على مقربة من الحدود الروسية. وأورال عاصمة لمقاطعة غرب كازاخستان. بما أنها تقع على الجانب الغربي من نهر الأورال تعد جغرافيًا في أوروبا. ويشكل الكازاخنحو ٦٠٪ من التكوين العرقي. حسب تعداد ٢٠١٢م فإن عدد سكانها ٢٧١,٩٠٠ نسمة.

[299] – سيبيريا: الجزء الشرقي والشمال الشرقي من روسيا. يمتد غربًا من جبال الأورال حتى المحيط الهادي شرقًا، ومن المحيط المتجمد الشمالي حتي حدود كازاخستان ومنغوليا والصين جنوبًا، وتمثل ٧٧٪ من مساحة روسيا (١٣,١ مليون كيلو متر مربع) لكن عدد سكانها يمثل ٢٧٪ فقط من سكانها (٣٩ مليون نسمة).

[400] – (الكثير من الإحصاءات العامة لسكان الدولة كلها)، نقلاً عن إدارة التنمية الاقتصادية للجنة القوميات الوطنية وإدارة الإحصاء الشامل للاقتصاد الوطني، التابع لمكتب الإحصاء الوطني (حولية الإحصاءات القومية الصينية)، طبعة ٢٠٠٤م، دار نشر القوميات، الطبعة الأولى، ديسمبر لعام ٢٠٠٤م.

الثانية: في الفترة بين ١٩٠٥-١٩١٤م، بسبب القمع الوحشي من روسيا القيصرية[401] للثورة البرجوازية الأولى، هربت مجموعات كبيرة من التتار والمثقفين إلى شينجيانغ.

الثالثة: منذ ١٩١٤م، هرب بعض شباب التتار غير الراغبين في التعرض لنيران المدفعية إلى شينجيانغ. بالإضافة إلى ذلك، بعد ثورة أكتوبر، انتقل بعض صغار الملاك والحرفيين اليدويين إلى شينجيانغ، هربًا من الفوضى الناجمة عن الحرب.

وكان التتار الذين هاجروا إلى شينجيانغ في الفترات المختلفة يعيشون في وفاق قومي مع الويغور والقازاق والأوزبك والقيرغيز، وتزاوجوا من بعضهم، وازداد عدد السكان تدريجيًا.

ومن الناحية التاريخية: كان التتار يؤمنون بالديانة الشامانية والزرادشتية والمانوية وغيرها، وبدأوا يعتنقون الإسلام في القرن العشرين الميلادي، وتطورت تدريجيًا العقيدة المشتركة للأمة كلها، وأصبحت تنتمي إلى المذهب السنّي الإسلامي، وبعد هجرة التتار إلى شينجيانغ، شاركوا في الأنشطة الدينية للقوميات المحلية التي تعتنق الإسلام، وشاركوا بإيجابية في بناء المساجد، وكانوا يؤدون الواجبات والدروس الدينية في وقتها. ومن الناحية التاريخية، قد شيّد التتار مدارس تقوم على التعليم الديني، لإعداد موظفين دينيين.

وخلال مسيرة الحياة الطويلة في شينجيانغ، أخذ التتار في بلدنا عادات القوميات التي تؤمن بالإسلام وتقاليدها، وعلى سبيل المثال يقدّسون التتار في بلدنا المزارات والأماكن المقدسة، وهذا لن تراه كثيرًا عند التتار الأجانب.

---

[401] – روسيا القيصرية: الاسم الرسمي للدولة الروسية بين اتخاذ إيفان الرابع لقب القيصر في ١٥٤٧م حتى قيام بطرس العظيم بإنشاء الإمبراطورية الروسية عام ١٧٢١م. شهدت هذه الفترة من تاريخ روسيا احتلالها الخانات إلى الشرق والتوسع في سيبيريا. كما شن القياصرة عدة حروب على السويد والعثمانيين والاتحاد البولني- الليثواني وأدت إلى ظهور روسيا بوصفها قوة إقليمية كبرى.

الباب السادس

إسهامات الإسلام الكبرى في مجالات العلوم والثقافة الصينية

اليوم ثمَّة بعض القوى في العالم الغربي تفتري - باستهتار - على الإسلام، ويشير بعض الحكماء في دول الغرب بوضوح إلى أنه في مركز الإمبراطورية الإسلامية، قام رواد الثقافة بدمج الثقافات الآسيوية والأوروبية مًا، لاستخلاص لُبابها، وبعد ذلك بذر بذور ثقافة المسلمين.

فنمت وترعرعت هذه البذرة، وأخيرًا تشكّلت ثقافة المسلم العربي الفريدة"، "ولما أوجدت روح المسيحية الغربية الكنائس الكبيرة ذات الطابع الروماني والطابع القوطي، نشأ نزاع بين الإمبراطور والبابا من أجل السلطة والمغانم، ولما شاعت المثل العليا للفرسان، اتجه الشرق الإسلامي بقوة صاعدة منذ القرن الثامن الميلادي، وأثّر العالم الحضاري في ذلك الوقت بإنجازاته العظيمة في الفن والفكر.

وانبثقت هذه الثقافة عن اختراعات واكتشافات جديدة، حتى القرن الثالث عشر الميلادي (عاصفة المغول)، ودُفن أخيرًا الينبوع الذي كان لا ينضب تقريبًا، لكن كل ما أنتجه كان واضح الخصائص، يلمع بألوان مختلفة، ومر بقرون عدة تقلّبت فيها الأوضاع، ومازالت حتى اليوم لم تفقد حيويتها"[٤٠٢].

"يُعد العصر الإسلامي استمرارًا لعصر عظيم، وبرغم أن ذلك العصر أفل نجمه تاريخيًّا، إلا أن تراثها الثقافي مازال راسخًا في جميع أنحاء العالم، يقدم ثمارًا وفيرة"[٤٠٣].

لكن ما نحتاج تأكيده، أن إمبراطورية الخلافة العربية تعد الدولة القوية الجديدة الصاعدة في غرب آسيا، وتتوافق فترة ازدهارها في الأساس مع فترة أسرة تانغ الصينية.

ثمَّة نوعان أساسيان من العرب جاءا إلى الصين في ذلك الوقت:

---

[٤٠٢]- هربرتجوتشالك (ألمانيا) – ترجمة يان روى سونغ: (الإسلام الذي صدم العالم) – ص ١٣٧- دار نشر الشعب بشانشي – الطبعة الأولى، في سبتمبر ١٩٨٧م.

[٤٠٣]- هربرتجوتشالك (ألمانيا) – ترجمة يان روي سونغ: (الإسلام الذي صدم العالم) – ص ١٣٨، دار نشر الشعب بشانشي – الطبعة الأولى، في سبتمبر ١٩٨٧م.

الأول: مجيء رسول الخليفة إلى الصين لتقديم هدايا الولاء. ابتداء من العام الثاني للإمبراطور تانغ يونغ هوي (سنة ٦٥١م) حتى منتصف العام الرابع عشر للإمبراطور تانغ تشن يوان (سنه ٨٤١ م)، بلغ عدد مرات تبادل الرسل أكثر من ٣٠ مرة.[٤٠٤]

الآخر: مجيء التجار المسلمين إلى الصين، في فترة أسرة تانغ، ذاع صيت الانفتاح والتقدم الثقافي والازدهار الاقتصادي للصين.

جاءت قوافل التجار المسلمين العرب والفرس براً عبر طريق الحرير، وبحراً عبر ميناء قوانغتشو وتشيوانتشو وغيرهما من الموانئ الأخرى. وبدأ هؤلاء التجار والرسل في نشر الثقافة الإسلامية في الصين.

تتمثل إسهامات الإسلام وتأثيراته تجاه الثقافة الصينية بشكل أساسي في ثلاثة جوانب:

أولاً: تشكيل ثقافة إسلامية صينية ذات خصائص إسلامية؛ مثل المدارس الخيرية الإسلامية الصينية، وغيرها.

ثانياً: جلبت التكنولوجيا والعلوم المتقدمة للعرب؛ مثل الفلك والطب والملاحة (البحار) والبناء، وغيرها من مهارات التجارة.

ثالثاً: غرس الثقافة الوطنية الفاضلة التي أوجدتها الثقافة الصينية، وأصبحت جزءاً مهماً من ثقافة الأسر والقوميات الصينية، من خلال توطين المسلمين الذين جاءوا للصين. وتشرح الأبواب والفصول الأخرى من (النص الكتاب) التصيين للدين الإسلامي، والتركيز هنا فقط على شرح أحوال الجانب الثاني والثالث التي لا تثير اهتمام أحد.

٤٠٤- كتب دينغ مينغرن: (الثقافة الإسلامية في الصين) – ص ٢ – دار نشر الثقافة الدينية – الطبعة الأولى، مايو (أيار)، عام ٢٠٠٣م.

أولاً: الإسهامات الإسلامية تجاه العلوم الصينية:

من خلال عملية الاستملاح (التحول للمسيحية) في الإمبراطورية الرومانية، اتُّهمت العلوم بأنها سيئة السمعة، وتم اضطهاد العلماء مرة تلو الأخرى. في ذلك الوقت، كان لا بد من الابتعاد عن الأفلاطونية الجديدة في أثينا، كما انتقلت أيضاً الرياضيات والطب والكيمياء السحرية والفلسفة وغيرها من مراكز الدراسات إلى مركز العالم الإسلامي. لذلك، بُعثت التقنية والعلوم للحياة من جديد، اتساقاً مع ازدهار الإسلام في غرب آسيا، وبدا عهد جديد في تاريخ العلوم والتقنية.

وكان مجيء مسلمي غرب آسيا إلى الصين دلالة على بداية النشاط وتبادل التقنية والعلوم بين الإمبراطورية العربية والصينية، ومنذ ذلك الحين حتى أكثر من ١٣٠٠ عام من اليوم، تدفقت أعداد كبيرة من علماء المسلمين الصينيين البارزين في كثير من مجالات العلوم، قدموا إسهامات جديرة بهم تجاه الثقافة والتكنولوجيا والعلوم الصينية.

◆ النظام الأسبوعي والتقويم الفلكي الذي يمثله التاريخ الهجري (هوي):

في تاريخ "ترجمة قرن من الزمان" للدين الإسلامي، تمت ترجمة أمهات الكتب الفلكية اليونانية ككتاب "المجموعة الفلكية الكبرى" وغيره إلى اللغة العربية، وبعد ذلك ارتشف العرب المعرفة من الهنود.

أجرى علماء الفلك أمثال البيطري حاسبات دقيقة على طرق تتعلق بفلك البروج والشمس والقمر والكوكب السيّار.

تحت تأييد الخليفة المأمون، أجرى الكثيرون من علماء الفلك العرب الحجج والأبحاث النقدية مُنظمة تجاه النظام الفلكي لبطليموس، وصنعوا أيضاً المنقلة اللازمة لمعهد الدراسات الفلكية والمُحلَّقة وآلة السُدس والربع ذات نصف القطر الكبير، ورسموا صوراً فلكية علمية نسبياً، مما وضع علم الفلك العربي في مكانه متقدمة في القرون الوسطى.

ان تقويم الإسلام (ويعرف بتقويم هوي) (الهجري) يشير إلى التقويم القمري، وهو عصر ١٦ من يوليو عام ٦٢٢ ميلادياً، وبعد دخول الإسلام الصين منذ عصر أسرة تانغ يلازم التقويم الإسلامي حياة المسلمين الصينيين ولا يزال يستخدم حتى اليوم.

بدأ رسمياً التبادل بين الصين والفلك العربي في العام الثاني لحكم سونغ تاي تزو في بداية فترة أسرة سونغ الشمالية (عام ٩٦١م)؛ إذ ذهب لو موو (اسمه مُعز) من الروم (تعرف اليوم بآسيا الصغرى أو الأناضول) إلى الصين لمزاولة التجارة ودفع الجزية، ونال إعجاب الإمبراطور سونغ تاي تزو، وشارك المستشار ليو باي في تأليف كتاب تقويم نانجينغ، وتم منحه وظيفة مشرف، ولُقب (نبيل). وسكن في قرية يونغ آن في مدينة جنغ بمقاطعة شاندنغ.

عمل المعز في الهيئة المركزية العليا للفلك، وهذه تُعد سابقة في تولي المسلمين الوظائف العليا، وبعدما تقاعد تولى ابنه البكر (الأكبر) ما آه منصب المشرف ولُقب بالنبيل، وتولى ابنه الثاني ما هواي منصب مراقب فلكي سنة ١٠٠١ في العام الرابع في عهد الإمبراطور سونغ جين ترونغ.

أدخل أبناء المعز الفلك العربي الصين، وقدموا مآثر جليلة خاصة، وأدخلوا رسمياً - لأول مرة - نظام الأسبوع الإسلامي إلى التقويم الصيني، وأدخلوا أيضاً موقع فلك البروج الاثني عشر، وطريقة حساب تاريخ تعامد الشمس على القصر، إلى علم الفلك الصيني، وهي أحد الإسهامات المهمة لكتاب "تقويم نانجينغ" تجاه التقويم الصيني، وله تأثير عميق، واتبع كلٌّ من كتاب "جنغ يوان لي" وكتاب "تقويم إي تيان" اللذين ألحقا نظام حساب الأسبوع.

تعد فترة أسرة يوان من أزهى العصور في تاريخ علم الفلك الصيني، ويمثل عالم الفلك الصيني جوة شوتينغ وعمله "تقويم الوقت" أعلى مستوى لعلم الفلك العالمي في ذلك الوقت.

وهذا كله له علاقة وثيقة لا تنفصل عن علم الفلك العربي. وقد أحرز علماء الفلك في أسرة يوان إنجازات عظيمة، ومن أحد الأسباب المهمة، امتلاك أجهزة متقدمة لم تكن موجودة في أية أسرة سابقة في ذلك الوقت. وكان لهذه الأجهزة المتقدمة تأثير عربي كبير وأدخلها العرب مباشرة إلى الصين[405].

وقبل جوة شوتينغ، قدّم جمال الدين من الهوي إسهامات عظيمة للأعمال الفلكية في أسرة يوان. وفي العام الرابع من أسرة يوان عام ١٢٦٧م، قدّم جمال الدين لحكومة أسرة يوان المُحلّقة التي صنعها والبصلة وجهاز قياس الانحراف وجهاز قياس المستوى، وجهاز الكرة السماوية، وجهاز الكرة الأرضية، وجهاز الإسطرلاب، وسبعة أجهزة فلكية أخرى، وكتاب "تقويم عشر آلاف سنة" الذي ألّفه، وشعر قوبلا بعمق وروعة "التقويم الفلكي للبين واليانغ"، وكلّف جمال الدين بمنصب (رئيس المرصد) أمين المرصد الفلكي لقومية هوي، ومنصب السكرتير المراقب الذي يتولى الإشراف والجمع للرسومات المصورة للتقويم الملكي والكتاب البين واليانغ المحظور.

في الوقت نفسه، نشر كتاب "تقويم عشر آلاف سنة" لوضعه موضع التنفيذ في أنحاء البلاد كافة[406]. وظل يُستخدم حتى أوائل عهد أسرة مينغ، وكان تأثيره طويلاً وعميقًا في تاريخ التقويم الصيني.

وفي عام ١٢٧٦م، كان هناك جوي- بياو (مزاولة صينية قديمة)، وجهاز تيان، وجهاز يانغ وغيرها من الأجهزة التي تلعب دورًا مهمًا في التوقعات الفلكية، من بين ١٣ جهازًا فلكيًا اخترعها جوه شوتينغ، وهذه الأجهزة السبعة ناتجة من إسهامات جمال الدين.

في بداية تأسيس أسرة مينغ، أقام مينغ تاي ذو (ويُعرف بالإمبراطور هونغوو: أي القوة العسكرية) مرصدًا فلكيًا لقومية هوي في نانجينغ، وجاء العالم العربي حيدر عدول

---

[405]- ليو الوارفارين: "تأثير علم الفلك العربي على تنمية علم الفلك في أسرة يوان الصينية"، نشر في "المنشورات الشهرية لعلم التاريخ"، العدد السادس، لعام ١٩٨٥م.

[406]- "تاريخ يوان"، الجزء ٩٠، ص ٢٢٩٧.

الذي كان يعمل في الأصل في المرصد الفلكي في أسرة يوان والمراقب ديا ليبوا شي وتشينغ علّي وأكثر من ٢٠ عالم فلك للعمل بوظيفة مراقب في المرصد الفلكي.

وفي العام الثاني للإمبراطور هونغوو (عام ١٣٦٩م) جاء الرومي ماجد الدين، ومشايخ ومحمد وماهش وأربعة آخرون من أبنائه إلى الصين، وتمت توصية الثلاثة المتخصصين السابقين للعمل مراقبين في المرصد الفلكي.

وفي العام الثالث للإمبراطور هونغوو، تم تغيير المرصد الفلكي هوي إلى مرصد للظواهر الطبيعية هوي، وإنشاء أربعة علوم: الفلك، والساعة المائية، وتقويم داتونغ، وتقويم هوي. وتم منح أبناء مادرو الدين - كل على حدة - دكتوراه في رصد الظواهر الطبيعية، ومراقبًا لمرصد الظواهر الطبيعية، ونائب مراقب مرصد الظواهر الفلكية، وغيرها من الوظائف.

بدأ أبناء مادرو الدين بالمسح الفلكي الكبير في أثناء عملهم في مرصد الظواهر الطبيعية، وقاموا بمراجعة سلسلة من المعطيات الفلكية وتحسينها، وفي العام الخامس للإمبراطور هونغوو (عام ١٣٨٢م)، أمر الإمبراطور مينغ تاي ذو كلاً من مشايخ ومحمد خان بترجمة المؤلفات الفلكية العربية.

وفي العام السادس عشر للإمبراطور هونغوو (عام ١٣٨٣م)، ترجم محمد خان كتاب "الفلك". وفي العام الثامن عشر للإمبراطور هونغوو، ترجم مشايخ "تقويم هوي". ويعد "تقويم هوي" أول كتاب في علم الفلك العربي يأتي إلى الصين مشروحًا بطريقة منهجية منذ فجر التاريخ، وله تأثير كبير في تنمية علم الفلك ابتداء من أسرة مينغ حتى أسرة تشينغ، "ومن يدرس تقويم هوي في أسرة مينغ يكن ذا عقيدة مميزة، ونرى مدى تأثير تقويم هوي العميق والطويل"[٤٠٧]، وتعد الكثير من المعطيات الفلكية المستخدمة في

٤٠٧- تيشن هوي بن: "مكانة الدين الإسلامي في التاريخ الصيني"، ويوجد أيضًا في "الثقافة الإسلامية الصينية"، ص ١٧، دار الكتاب تشونغ هوا، ١١ من نوفمبر ١٩٩٦م، الطبعة الأولى.

"تقويم هوي" الأكثر تقدمًا في العالم في ذلك الوقت، والأكثر دقة أيضا في تنبؤ بالكسوف المعمول به، "وظل يُستخدم أكثر من مئتين وسبعين عاما"[٤٠٨].

◆ علم الطب لدى قومية هوي:

لم تكن رغبة خلفاء الإمبراطورية العربية الثراء فحسب؛ بل كانت رغبتهم في العافية، ومن ثم دفعت هذه الرغبة الحكام إلى رفع مستوى العلاج الطبي للإمبراطورية. ففي فترة الخليفة الرشيد، تم إنشاء مستشفى ببغداد عاصمة الإمبراطورية، وبعد ذلك أُنشئ تدريجيًا - ومحاكاةً - مستشفى أو مستوصف في جميع أنحاء الإمبراطورية، وأُنشئ نظام العيادات الخارجية.

دفعت المتطلبات النوعية ومستوى العلاج الطبي إلى تنمية نظريات الطب وعلم العقاقير، واستُخدم الشراب والكحول وغيرهما من الأدوية على نطاق واسع، وخلال عدة قرون لاحقة ظلت كتب علوم الطب للعرب المواد الاساسية لمؤسسات التعليم العالي في أوروبا.

خلال عهد أسرة تانغ، وفي أثناء مزاولة التجار العرب والفرس التجارة في الصين، جلبوا معارف الطب الإسلامي إلى الصين. ووفقًا للسجلات التاريخية، في عهد أسرة تانغ، انتشرت العقاقير العربية إلى الصين عبر القنوات التجارية أمثال لُبان والمُر وبنزوين والسوالع والزاج المالي والملح الأخضر والكبريت الحجري والكهرمان والكلاميين واللوز وهوهوانغ لان وهليلا، وغيرها.

واعتمد دوان تشنغ شي، عالم الطب في أسرة تانغ، على صفته الخاصة بصفته ابنًا لرئيس الوزراء، حصل على معارف عن العقاقير الإسلامية الوفيرة جداً، وفي كتابه الذي ألفه "شيانغ تزاتزو"، سجّل بشكل مفصل نسبياً عشرات الأسماء والمواصفات لعقاقير نباتية وحيوانية من الفارسية والعربية.

٤٠٨- نقلا عن "تاريخ مينغ شه - لي تشي". و(مينغ شه) كتاب يضم عرضًا تاريخيًا للتراجم والسير، يضم ٢٣٢ جزءًا.

ويعد هذا الكتاب من المراجع المهمة لأسرة تانغ وما بعدها، يتعرَّف منه الصينيون على العقاقير الإسلامية.

كما أن كتاب "الأعشاب الطبية والعقاقير البحرية" الذي ألفه لي سون وريث الفرس في عصر الأسر الخمس سجّل أكثر من مائة نوع لأسماء العقاقير الفارسية والعربية وأماكن إنتاجها وأغراضها وفاعليتها وغيرها، وزوده بمحتوى عن الطب الصيني التقليدي.

في عهد أسرة سونغ، ومع اتساع نطاق التجارة وحجمها، بدأ دخول الأدوية التي تصنع من البان وغيره بكميات كبيرة إلى الصين، ووفقًا للمعلومات، بلغ حجم البان العربي الذي دخل في مرة واحدة إلى عشرات الكيلو جرامات، واتسع ليشمل عشرات الأنواع.

كما أن كتاب "تاي بينغ شنغ هوي فانغ" وكتاب "سجل شنغ تي" وكتاب "طبقات الأعشاب الطبية" وغيرها من المؤلفات الطبية في أسرة سونغ سجّلت الكثير من الوصفات الطبية للعقاقير العربية التي تعتمد في الأساس على هوياو (الحلبة – تنطق الهولوبا).

في كتب الطب، اقتباسات من علوم الطب العربي، وإضافات كثيرة من الوصفات الطبية كالحبوب والمسحوق والمرهم والصبغة، لتغيير التقاليد التي تقوم على خلاصة الأعشاب في الطب الصيني.

بالنسبة للتكنولوجيا الطبية، بدأ استخدام أدوية التخدير العربية في العلاج الطبي في عهد أسرة سونغ، وكان يتم استيراد جذور الداتورا الصفراوية المخدرة ذات السمية الشديدة من العرب؛ وبدأ أيضًا دخول طريقة التقطير الدوائي العربي إلى الصين، ليستخدمه الشعب ويتقنه.

مع غزو الجيش المغولي في فترة أسرة يوان، جاء الأطباء والأدوية الإسلامية مع الجيش إلى الصين، في الوقت نفسه لمجيء مسلمي غرب آسيا بأعداد كبيرة للصين، ونالوا التصديقات والدرجات العلمية تدريجيًا في تخصصات جراحة العظام والجراحة العامة وعلاج جميع الأمراض المستعصية، حتى نظر قوبلا خان إليهم بعين الاهتمام.

وفي السنة الرابعة لتشونغ تونغ (عام ١٢٦٣م)، كان عيسى هوي – الذي كان ماهرًا في عمل العقاقير الطبية وفي لغة القبائل الغربية – متقناً للتقويم الغربي والهيئة الثانية للطب والصيدلة، وبعد ذلك أقام معهد تنغشي للطب والصيدلة.

وتعد أول هيئة طبية إسلامية تظهر في تاريخ الصين، وهي أول حدث مهم في تاريخ الطب الصيني.

في العام الخامس عشر من عهد أسرة يوان، تغير معهد تنغشي للطب إلى جوانغ هويس، "وكان لا بد من استيعاب طب هوي. ومن ثم، أصبح يُطلق على طب هوي وأدوية هوي اسم آخر؛ هو الدواء الإسلامي في الصين، وكان للدواء الإسلامي مكانة عالية عند حكومة أسرة يوان، ولم يكن لها تأثير في ظل الطب الصيني التقليدي"[٤٠٩]. وفي الوقت الذي أنشئت تدريجيًا هيئة للطب وعقاقير هوي، استمر دخول ثمار الطب الإسلامي الذي يمثل أعلى مستوى في العالم في ذلك الوقت، وزاد تدعيم علم طب هوي وتحسينه، الذي أكد مكانته الرسمية.

كما أن ثمار علم طب هوي استوعب الكتب القديمة وسجلات الطب الصيني التقليدي ككتاب "الطعام والشراب"، و"جزء العمل الضروري للمنزل"، وغيرهما، ليثبت بقوة هذه النقطة.

وما يستحق ذكره أن كثيرًا من علماء الطب المشهورين يتمتعون بمستوى عال من العلم والمكانة الاجتماعية، وقد سبق أن تولى سدانيش عالم طب هوي وظيفة طبيب، وبعد ذلك تولى منصب محافظ جيان تشانغ.

٤٠٩- يانغ هواي جونغ ويوجين جوي: "الإسلام والثقافة الصينية"، ص ٢٦٠، دار النشر نينغشيا الشعبية، الطبعة عام ١٩٩٥م.

كما أضاف كتاب "الاحتفال الرسمي يونغلي" إلى الجزء الخامس عشر "الوصفة الموثوقة لروي تجوتانغ" الذي ألفه، ثم أضاف إليه كتاب "المستودعات الأربعة"، ثم طبع ونُشر في اليابان.

في فترة أسرة يوان، "تطور علم الطب هوي وأصبح علم طب جديد كامل النظام، وهيئة طب مستقلة عن الطب الصيني"[410].

تُعد فترة أسرة مينغ فترة ملخصة واستنتاجية لنظريات علم الطب الإسلامي، وهي أيضًا فترة المعرفة والتكنولوجيا المتقدمة التي أخذ فيها الطب الصيني التقليدي كمية كبيرة من علم الطب الإسلامي"[411]. ويُعد كتاب "القانون في الطب" لابن سينا عالم الطب العربي المشهور (ترجم إلى الصينية كتاب "قانون الثالث عشر الطبي") مؤلفًا ضخمًا يجمع أساليب الطب الإسلامي ونظرياته.

وكانت ثمَّة ترجمات كاملة، بعد التدفق على الصين منذ بداية أسرة يوان، حتى أسرة مينغ، وسميت بـ"الوصفة الطبية هوي". ويعد ظهور الترجمات الصينية هذه علامة فارقة في دخول الطب الإسلامي الصين. ويحتوي كتاب "الوصفة الطبية هوي" على ٣٦ جزءًا. المتبقي ٤ أجزاء من ٤٨٥ صفحة، وبه ٢٠٠ ألف رمز. هذا الكتاب كامل النظام، وكامل الأنواع، يحتوي على قسم الباطني وقسم الجراحة وقسم أمراض النساء وقسم الأطفال وقسم العظام وقسم الأمراض الجلدية وقسم الأمراض العصبية وقسم صناعة الدواء، وبه أساليب علاج ذكية جداً ومهارات التشخيص.

لم يُثرِ هذا الكتاب كثيرًا علم الأعشاب الطبية فحسب؛ بل جلب إنجازات علم الطب الأكثر تقدمًا في العالم في ذلك الوقت للصين، كالفنون الطبية الجديدة، التي تختلف كليًا عن أسلوب الطب الصيني.

410- تشو روي خاي وماتين باو: كتاب "التعليم التقليدي الوطني لقومية هوي"، ص ٤٨، دار النشر نينغشيا الشعبية، طبعة أكتوبر، لعام ٢٠٠٢م.

411- يانغ خوانش ونغويي وتشنقوي: (الإسلام والثقافة الصينية)، ص ٢٦٢، دار نشر الشعب بنينغشيا، طبعة عام ١٩٩٦م.

كان دخول علم الطب الإسلامي للصين منذ البداية، له أثره على علم الطب الصيني، وكانت تعد مسيرة مستمرة. وكان تأثير علم الطب هوي - باعتباره علم طب مستقل - في هذه العملية من الفرد إلى العام ومن غير المباشر إلى المباشر ومن البسيط إلى المنظم، إذ اندمج مع علم الطب التقليدي الصيني من الفردية إلى العامة، ومن ثم تبادلا التكامل والاستخدام، وتبادلا الاقتباس.

ومع تغلغل الطب الصيني التقليدي في حياة الشعب بجميع طبقاته الاجتماعية، أصبح ثروة مشتركة للأسر الصينية. وحاليًا يرجع جذور الكثير من الأدوية الصينية، وأساليب العلاج المستخدمة في الحياة اليومية في الطب الصيني إلى مصدر علم الطب هوي؛ مثل طريقة رد خلع مفصل الكتف وطريقة علاج الفصد، والعلاج بكأس الحجامة، وطريقة التشخيص والوصفة الطبية لعلاج البهق وغيرها.

◆ مدينة بكين بين فن العمارة العربية الإسلامية والعصر القديم:

يعد فن العمارة جزءًا مهمًا من الثقافة العربية. في نهاية القرون الوسطى، ومع زيادة قوة العلمانية، كانت الإمبراطورية العربية في أوج فتراتها، انطلاقًا من حاجتها إلى الحياة الدينية والتباهي بالسلطة الوطنية في الخارج، "ويعتقد الأمويون أنه لا بد من إعطاء مظهر الهيبة والعظمة للدين الإسلامي"[412].

وكانت انتصارات العرب في غرب آسيا وشمال إفريقيا، جعلتهم يحتلون الكثير من المباني الرائعة والفخمة، خاصة أنهم استوعبوا المهارة والفن في العمارة المتقدمة بدرجة كبيرة من الأُمم التي احتلوها[413]، كما "أبدعوا نظام بناء يجمع خصائص البناء الشرقي

412- هربرت جوتشالك (ألمانيا) - ترجمة يان روي سونغ: (الإسلام الذي صدم العالم) - ص ١٧٨- دار النشر الشعب بشانشي، الطبعة الأولى، في سبتمبر ١٩٨٧م.

413- نا تشونغ وتشو كاي وشه شي تونغ وآخرون: (التراث والامتزاج: الثقافة العربية) - ص ٢٣٦- دار النشر الشعب بجه جيانغ - طبعة مارس ١٩٩٣م.

والغربي، ووصل إلى مستوى عالٍ[414]، كما أن الجمع بين فن البناء هذا ومهارة البناء العربي وعقد أبدع فن بناء عربي – إسلامي مشهوراً في التاريخ"[415].

في عام ٦٩١م، بدأ عبد الملك – خامس خلفاء بني أمية – في بناء قصر ومسجد مهيب عظيم. وخير شاهد على هذا مسجد قبة الصخرة الذي يقع في القدس، وصولاً المسجد دمشق الذي شُيد على أسس المعبد الروماني، والمسجد الأقصى في القدس، ودار الشجرة وقصر القبة الخضراء في عصر الخليفة العباسي، وتاج محل في الهند، وغيرها من المباني المشهورة. شكّلت بذلك فنًا إسلاميًا – عربيًا خاصًا. "وكمثل روح المسيحية الغربية تمامًا أبدعت بناءً ذات طابع قوطي وروماني، كذلك أبدعت روح الإسلام الشرقية أسلوب البناء العربي– رفع القبة الشامخة – القوميات التي أخضعتها، فأظهر سمو الإسلام؛ كما تخترق السماء تلك المآذنة التي تطاول السماء، فتذكر الناس بملكوت السماء، ويعطي ذلك البهو المهيب الفخم متعدد الألوان الغامضة الناس شعوراً عميقًا بعظمة الله وضآلة الذات؛ كما أن ممر الجناح الطويل وشكل القوس البديع والزينة التي لا مثيل لها تمثل روح العصر – الراحة والثقة"[416].

ما يستحق ذكره من أعمال العمارة عند العرب مدينة بغداد. "أطلقت لؤلؤة الشرق بغداد شعاع الإشراق من القصة الخرافية "ألف ليلة وليلة". وها هنا قصر هارون الرشيد الفخم الثري . في الماضي – كان سحر بغداد الذي لا يضاهَى، يجذب عدداً لا يحصى من الزوار الذين يتمتعون بموهبة الشعر.

اليوم، حتى وإن اختفى منظرها الرائع، لكن ما زالت أطلالها الباقية تُذكّر الناس

---

[414]- تا تشونغ وتشو كاي وشه شي تونغ وآخرون: (التراث والامتزاج: الثقافة العربية) – ص ٢٢٥ – دار نشر الشعب بيجه جيانغ – طبعة مارس ١٩٩٢م.

[415]- تاتشونغ وتشوكاي وشيشي: "التراث والامتزاج: الثقافة العربية"، ص ٢٢٦، دار النشر تشجيانغ الشعبية. طبعة مارس ١٩٩٢م.

[416]- تاتش وتشوتش وكاكوشه شيتونغ وآخرون: (التراث والامتزاج: الثقافة العربية) – ص ٢٢٨ – دار نشر الشعب – طبعة مارس عام ١٩٩٢م.

بماضيها العظيم". ولفهم هذه المدينة التي أنشأها الخليفة المنصور على ضفة نهر دجلة، عليك بقراءة تاريخ بغداد، ولم يعد الاعتماد وحده على المخلفات كافيًا، فلا بد من الاطلاع على الوثائق ذات الصلة بها، وتعد بغداد الأصلية هي المدينة، وقطرها تقريبًا ٢,٥كم. فالمركز هو قصر الخليفة، حوله عشرون قاعة إدارية بانتظام، وفي الخارج محاط بثلاثة أسوار، تفصل المنطقة المركزية عن ضواحيها.

وثمّة أربعة أبواب مؤدية للضواحي، لكن لا يمكن الدخول والخروج كما تشاء، وثمّة مساكن مقامة بين المدينة الداخلية والمدينة المركزية، وثمّة كذلك مساحة خالية بين المدينة وسابقتها.

والمدينة الداخلية عبارة عن قلعة عظيمة. الجزء السفلي لسور المدينة سمكه حوالي ٣٠ مترًا، ثم يتضاءل كلما ارتفع لأعلى، وبأعلاها برج صغير، وثمّة خندق المدينة المائي خارج الأسوار الثلاثة، وثمّة باب مقوس له طريق كبير يجتاز المدينة الخارجية ليتخطى الخندق ويؤدي إلى مكان بعيد، كما أن برج بوابة المدينة الخارجية يطاول السماء، وفي الخارج قبة مدهونة بطلاء زجاجي أخضر خارجيًا ومطلية بالذهب داخليًا، يستطيع الناس من أعلى البرج النظر إلى المدينة بأكملها، وثمّة منصة واسعة أعلى سور المدينة، يمكن للناس السير هناك أو ركوب الخيل للفّة واحدة"[417].

في ١٦ من يناير عام ١٢٥٨م، حاصر جيش المغول بقيادة هولاكو[418] بغداد، وبحلول ١٠ من فبراير، استسلم الخليفة المستعصم بالله (تولى الحكم من ١٢٤٢م–١٢٥٨م) وأكثر من ٣٠٠ موظف كبير وصغير والأطفال لجيش هولاكو.

---

[417]- هربرت جوتشالك (ألمانيا) – ترجمة يانرويسونغ: (الإسلام الذي صدم العالم) – ص ١٨٥-١٨٦– دار نشر الشعب بشانشي، الطبعة الأولى، في سبتمبر ١٩٨٧م.

[418]- هولاكو هو حفيد جنكيز خان، والأخ الأصغر لمنوكوخان، من خانات المغول الكبار (الذي تولى الحكم من١٢٥١م–١٢٥٩م)، وكان قائدًا لجيش المغول في الزحف نحو جنوب غرب آسيا في المرة الثالثة.

ونهب جيش المغول بغداد، وتعرضت المباني الفخمة في بغداد لمصيبة فادحة[419]. وهزت العمليات العسكرية لجيش المغول أراضي أوراسيا، ودمرت الكثير من السلطات السياسية التي تضمها الخلافة العباسية، وكانت الآثار التخريبية الناجمة عن الحرب فادحة جداً.

لكن كان القضاء على التقاليد والسياسة والاقتصاد والجغرافيا وغيرها من العوامل التي منعت التواصل الثقافي بين الشرق والغرب في ذلك الوقت، السبب وراء انتصارات المغول المستمرة، وبدأ تقصير مسافة التواصل بين الشرق والغرب، ومن ثم ظهرت أزهى العصور التي لا مثيل لها.

"في عام ١٢١٨م، بدأ جنكيز خان بالزحف بعيداً نحو غرب آسيا"، "وجاءت أعداد لا تحصى من المسلمين تباعاً من الشرق مع المغول، كان ذلك بسبب وقوعهم في الأسر أو استسلامهم".

"وبعد زحف المغول نحو الغرب، انقطع الاتصال بين الصين والغرب، لكن لم تكن أعداد التجار وطالبي الوظائف الذين جاءوا إلى الصين من مسلمي هوي قليلة"[420]. "في القرن ١٣، فتح زحف المغول نحو الغرب إقليم شينجيانغ الشاسع، وأقام إمبراطورية ضخمة على أراضي أوراسيا، وفي الوقت نفسه الذي بدأ فيه الاتصال بين الصين والغرب، بدأ الاتصال بالمعنى الحقيقي الذي لا مثيل له بين نظام الثقافة الصيني ونظام الثقافة العربي الذي يتمثل في الثقافة الإسلامية في ذلك الوقت.

---

[419]- وطبقًا لتسجيلات كتاب "مجموعة التاريخ" لراشد الدين الذي صدر عام ١٩٥٧م عن دار النشر باكو: بعد استسلام الخليفة يوم ١٠ من فبراير عام ١٩٥٨م، دخل جيش المغول بغداد يوم ١٣ وقاموا بالقتل والحرق والنهب لسبعة أيام. ويوم ٢٠ من فبراير، أدخل جيش المغول المستعصم بالله في حقيبة ودهسه الحصان حتى الموت، وانتهت الإمبراطورية العباسية التي استمرت ٥٠٠ سنة.

[420]- باي شو يي: "المخطوطات الباقية من تاريخ الإسلام في الصين"، ص ١٧٠، دار النشر نينغشيا الشعبية، طبعة سنة ١٩٨٣م.

وكان جيش المغول عند اقتحام المدن وغزو المناطق يمنح أفضليةً خاصة للحرفيين وجميع الفنيين، وقد وقّع الوثيقة تقريبًا ١٣٠ ألف حرفي بالتوالي (حتى قال بعض المؤرخين إنه ما يقرب من مليون حرفي). بالإضافة إلى تطلع نبلاء المغول إلى التكنولوجيا المتقدمة في الغرب، وتدفّق تدريجيًا الكثير من علماء المسلمين إلى أرض الشرق"[421].

ولهذا السبب، دخل فنّ العمارة الإسلامية – العربية الصين مع مسلمي غرب آسيا، في عهد أسرة يوان، وأبدعت تأثيرًا كبيرًا في العمارة الصينية. (ومن بينها) الإسهامات العظيمة لحيدر الدين أشهر مهندس عمارة في عهد أسرة يوان، وتسلمت الأجيال الأربعة لحيدر الدين منصبًا في وزارة الأشغال لأسرة يوان، وتولى هو شخصيًا منصب شانغشو (وزير) لوزارة الأشغال وإدارة هيئة الهندسة المدنية.

ويمكن القول إنه وُلِد في أسرة أرستقراطية هندسية، وقد اشتهر حيدر الدين شهرة كبيرة باعتباره منظم البناء ومصمم الجوتشينغ ومجموعة القصور، في خان بالق سابقًا (بكين حاليًا).

"أنشأ المهندس المسلم المشهور نظام مدينة بكين على غرار القصر الإمبراطوري للخليفة في بغداد، ويُقال أيضًا إن المعبد السماوي صنعته يد حرفي مسلم"[422]. أشار السيد باي شو يي إلى: "أن إسهامات حيدر الدين في مجال هندسة البناء، كانت أول اكتشاف لمؤرخ العصر الحديث لتشين يوان دي، وله تعليقات وبحث وثائقي تفصيلي، يمكنه سدّ نقص كتب التاريخ"[423].

قال تشين يوان تساي في كتاب "اختبار الصينية لأهل منطقة يوان شي": "إنه لم يتم

---

[421]- تشو روي هاي وماتين باو: كتاب التعليم التقليدي الوطني لقومية هوي"، ص ٥٠، دار النشر نينغشيا الشعبية، الطبعة أكتوبر سنة ٢٠٠٢م.

[422]- يانغ هواي جونغ ويوجين جوي استشهدا بوجهة نظر المؤرخ التايواني المشهور مامينغداو. كتاب "الإسلام والثقافة الصينية"، ص ١٢٥، دار النشر نينغشيا الشعبية، طبعة سنه ١٩٩٥م.

[423]- باى شو يي: "تاريخ قومية هوي الصينية"، ص ٨١٥، دار نشر تشونهوا، طبعة سبتمبر سنه ٢٠٠٣م.

تداول كتاب "تاريخ يوان"، لحيدر الدين. كما سجّل كتاب "سجلات الأسلاف" حدث بناء جونغتشينغ"، وفي دنغهاي ديسمبر (كانون الأول) للعام الثالث لأسرة يوان، يقال فقط إن (شانغشو) وزير الأشغال سوجونغ تشانغ راوشينغ، ودوان تيان يو وغيرهما من الزملاء في وزارة الصناعة بنيا جونغتشينغ، وليس حيدر الدين وحده، وفي الماضي لم يكن أحد يعلم عن حيدر الدين شيئًا.

كانت المدينة القديمة لياوتين، تقع جنوب غرب المدينة الحالية. وفي عام تشي يوان (وهي فترة حكم قوبلاي خان من أسرة يوان: أي من عام ١٢٦٤م-١٢٩٤م) نُقلت المدينة إلى الشمال الشرقي، ووُضع لها أحد عشر بابًا. وثمّة ثلاث وجهات للجنوب الغربي والشرقي، ولها جميعًا ثلاثة أبواب. والشمال له بابان، وبذكاء شديد أُغلقت الناحية الشمالية لكن تم تطوير الناحية الجنوبية.

وثمّة بابان في كل من الشرق والغرب، ومازالت تسعة أبواب من السالف حتى اليوم، ولم تكن مساحتها كبيرة في عهد أسرة يوان. ومع ذلك يرى زوار بكين اليوم جمال القصر الإمبراطوري في المدينة، والجمال والفخامة في يوتشه تين تشي، ويتعرّفون على المناضلين، الذين جاءوا من التاشي، وثمّة مقالة "نظام القصر الإمبراطوري" في واحد وعشرين "سجل وقف الزراعة"، به أربعة آلاف وخمسمائة كلمة، وثمّة مقالة "سجل تراث المدينة المحرمة" في كتاب "مجموعة كتب تشي بوذو تشاي"، وبه ألفان وستمائة كلمة، يصف فيه مدى عظمة القصر الإمبراطوري في عهد أسرة يوان، كما نقرأ النمط الأسود أوانغ، لنتعرّف منه على حيدر الدين، ولا يمكن عدم الاعتماد إلا على المالك الأصلي ي اليد العاملة وذي العمل الفكري المشرّف"[٤٢٤].

وأشار تشينغدي – في الوقت نفسه – إلى أن الجميع يعرف مآثر هندسة حيدر دين في تاريخ العمارة والهندسة الصينية، وسيرته الذاتية ليست في كتاب "تاريخ يوان"، ليس ثمّة أي كلام سري، ولا ينبغي التقليل من شأن العلماء المهندسين مطلقًا"، "وثمّة

– باي شو يى: "تاريخ قومية هوي الصينية"، ص ٨١٦، دار نشر تشونهوا، طبعة سبتمبر ٢٠٠٣م.

١٣١ جزءًا في كتاب "تاريخ يوان الجديد" لإكمال السيرة، وينبغي على وي شنغشيان إطلاق روح البناء لحيدر الدين، وعلى حد علمي يجب وضع أولوية لـ(فنغتي) دراسة الحياة"[٤٢٥].

مع دخول الدين الإسلام الصين، دخل فنّ عمارة المساجد تدريجيًا إليها، بالإضافة إلى البناء المدني العادي، وأبرز فنّ العمارة ذات الثقافة الإسلامية في المدن والقرى الصينية بأسلوب مختلف. ووفقًا لتسجيلات الوثائق، فإن أول مسجد في الصين بُني في عهد أسرة تانغ، وبُنيت أيضًا المساجد في المناطق التي يعيش فيها المسلمون في كل من وقوانغتشو، وتشيوانتشو، وهانغتشو، يانغتشو وبكين ونانجينغ وغيرها، في عهد أسرة سونغ. ونرى من أسلوب العمارة حفاظ المساجد الأولى بشكل كبير على الخصائص الفنية للعمارة في مناطق غرب آسيا، وثمّة مسجد تشيوانتشو ومسجد الصحابة (ويعرف بمسجد الأصحاب) اللذان مازالا محفوظين حتى اليوم، وأيًا كان بناء الشكل الخارجي كاملاً، فلا بد من الترتيب والتخيل الجُزئي، وجميعها يمثل أسلوب البناء الإسلامي للفرس والعرب في القرنين ١٣و١٤ الميلاديين.

حتى عهد أسرة مينغ وأسرة تشينغ، كان معظم العمارة الحديثة عبارة عن الجمع بين أسلوب العمارة الإسلامي وأسلوب العمارة التقليدي الصيني، باستثناء المساجد الواقعة في مناطق أخرى. "حتى ولو استخدمت عمارة المساجد نمط منزل الفناء الصيني التقليدي (البيت الرباعي) في منتصف عهد أسرة تشينغ إلى العصر الحديث وأواخره، كان لا بد أن يستخدم الحرفيون المسلمون أسلوبًا جديدًا بطريقة إبداعية، لحل عدم التوافق والانسجام من ناحية التركيب، مثل تركيب السقف المموج المترابط وغيره، لتلبي بقدر الإمكان الاستخدام الفعلي للأنشطة الدينية في المساجد"[٤٢٦]، ويعد هذا أحد إسهامات المهندسين المسلمين للعمارة من قومية هوي، وغيرها، تجاه علم العمارة الصيني.

[٤٢٥]– باي شو يى: "تاريخ قومية هوي الصينية"، ص ٨١٧، دار نشر تشونهوا، طبعة سبتمبر ٢٠٠٣م.

[٤٢٦]– تشو روي هاي وماتين باو: كتاب التعليم التقليدي الوطني لقومية هوي"، ص ٥١-٥٢، دار النشر نينغشيا الشعبية، طبعة أكتوبر سنة ٢٠٠٢م.

◆ مسلمو الصين وإقامة مشاريع الري:

جاء معظم أوائل مسلمي الصين من وسط آسيا وغربها، ذات الطبيعة الجافة قليلة المطر. في وقت مبكر، كانت ثمَّة تكنولوجيا متقدمة نسبيًا لإنتاج الزراعة في سمرقند وبخارى وغيرهما من مناطق وسط آسيا، خاصةً تكنولوجيا الري.

ومع دخول الإسلام الصين، دخلت تكنولوجيا الري الزراعي مع أوائل مسلمي الصين، واستُخدمت على نطاق واسع في المناطق التي يعيشون فيها. في تاريخ الري الصيني، قدّم سيد أجل شمس الدين[427] في عهد أسرة يوان وهاروي في عهد أسرة مينغ وغيرهما إسهامات عظيمة في خدمات الري للوطن، باعتبارهما من علماء الري المسلمين.

نشأت حالة من حدوث فيضانات مستمرة في سنوات متلاحقة، في أثناء حكم سيد أجل شمس الدين، بسبب إهمال صيانة مرافق الري الموجودة في ديناتشي، مما دفعه لوضع شروط نظام عمل الفلاحين لإدارة الري في ديناتشي. وفي العام الثالث عشر يوان

[427]- سيد أجل شمس الدين عمر: سياسي مشهور، كان في السنوات الأولى في عهد أسرة يوان. أجل شمس الدين عمر. تاريخ يوان": كان سيد أجل شمس الدين ويعرف عمر، من قومية هوي"، وهو من أصل بايهمبر (كلمة فارسية)، ولغة دولته سيد أجل، من القومية النبيلة بويانهوا. زحف الملك تايجو نحو الغرب، وقاد آلاف الفرسان والفهود والصقور، وعاد وقدّم الولاء لجينكيز خان، فأمرة جنكيز خان بالانضمام إلى الحرس الإمبراطوري، ويقود الفتوحات مع الجيش. ومن فترة أو قطاي خان إلى مونكو خان، تولى منصب..... داروجاتشي (مسمى وظيفي باللغة المغولية) في سانجو يونني، وداروجاتشي في أرلو بينغيانغ وتاييوان، ودوانشي (موظف حكومي) في بكين، وغيرها من الوظائف. في بداية تولي قوبلاي خان العرش، تولى في بكين شوانفوشه (هي وظيفة مُفتش، يتفقد المناطق المنكوبة من أثر الحروب ومناطق جفاف المياه). وشانغشو الثلاثة (أي الوزارات الثلاث: وزارة التاريخ ووزارة الخدمات ووزارة المراسم)، وإدارة الخزانة الوطنية وإدارة الشؤون الحكومية لجونشو، ووزارة الحق والعدل وإدارة ستشوان وشنشي. حتى أنشا العام الحادي عشر من أسرة يوان (١٢٧٤م)، تولى سيد أجل إدارة المقاطعة. وظل ٦ سنوات في يوننان، وقام بإصلاح السياسات الفاسدة، ونمى الإنتاج، واتبع الكونفوشيوسية، لتعزيز التواصل بين يوننان والسهول الوسطى، وقدم إسهامات عظيمة، وبعد وفاته منحته حكومة يوان لقب ملك شيانيانغ (اسم لمدينة في مقاطعة شنشي).

جي يوان (١٢٧٦م)، وبعد دراسة سيد أجل شمس الدين مشاريع الري ونظام جريان الأنهار المحيطة بديناتشي، اقترح برنامجًا وسلسلة من الأفكار لتنظيف نهر ليو وتوسيع الميناء وإقامة السدود وتقليل الصرف وإدارة تربية المواشي.

ومن خلال جهد ومشقة لمدة ثلاث سنوات، وتحت إشرافه، تم تطهير نهر بانلونغتيانغ، وبنى سدًا للمياه في سونغ تيانغ، وحفر نهر تينجي، وباوشيانغ وماليـاو و٦ أنهار صناعية أخرى، ولم يحل فقط مشكلة الفيضان بنظام جريان نهر ديناتشي من الأساس، بل حل - بشكل جيد - مشكلة تعديل منسوب مياه نهر ديناتشي المُحيرة منذ مدة طويلة، وري الحقول، ووضَعَ أساسًا متينًا لتنمية الزراعة في منطقة ديناتشي.

"وتحت إشراف سيد أجل شمس الدين، كانت مشاريع تعديل الري مفصلة جدًا، والأنظمة محفوظة، وحتى اليوم، لا تزال باقية واضحة"[428]. ومن هنا، اتسع معسكر منطقة ديناتشي، وتطور سريعًا معسكر الجيش وأصبح نموذجًا ومثلًا لمعسكرات العمل، وكان ترميم نظام الري في ديناتي أول مشروع ضخم لإقامة مشاريع الري في تاريخ يوننان، وأدارت الأسر اللاحقة والمسؤولون ديناتشي، مُستخدمين بشكل أساسي طرق إدارة سيد أجل الدين شمس الدين وأفكارها. وفي الوقت نفسه، مع تنمية حكومة أسرة يوان ليوننان، قاد المسلمون المقيمون في باوشان ودالي وغيرهما من المناطق تجديد بناء مشاريع الري المحلية وشاركوا فيها.

"ومنذ دخول الهوي يوننان .... وهم يقيمون سلسلة من مرافق الري ومشاريعها مع كل طوائف الشعب المحلية، والإسهام في إعادة الإنتاج الزراعي وتوسيع المعسكرات"[429]، "بلغ عدد معسكرات الجيش والشعب التابعة لإدارة يوننان إلى أكثر من

[428]- باي شو بي: الجزء الثاني "تاريخ قومية هوي الصينية" - ص ٧٧٥ - دار نشر تشونهوا - الطبعة الأولى في سبتمبر ٢٠٠٣م.

[429]- تشو روى خاي وماتين باو: "كتاب التعليم التقليدي الوطني لقومية هوي" - ص٥٣ - دار نشر الشعب بنينغشيا - الطبعة الأولى في أكتوبر ٢٠٠٢م.

١٢ معسكرًا، وبلغت مساحة المعسكر أكثر من سبعين ألف مزدوجة (أي تقريبًا ٤٠٠ ألف مو)، معسكر الشعب به أكثر من ١٥ ألف أسرة تقريبًا، ومعسكر الجيش به أكثر من ٢٨٠٠ أسرة وأكثر من ٥٧٠٠ فرد. ويمثل مسلمو هوي في معسكر الجيش نسبة كبيرة"[٤٣٠].

كان شمس عالمًا مسلمًا آخر في فترة أسرة يوان، وهو ذو معرفة واسعة ومواهب عدة، وذو شهرة عالمية واسعة. تناولت أعماله دراسة المؤلفات الكونفوشية، وتغيرات الظواهر والتاريخ والجغرافيا وأعمال الري وغيرها من المجالات، وقد ضاعت بعض أعماله المهمة؛ ككتاب "مذكرات فينغتوه جينيانغ" و"سجل شوه دونغ يانغ" و"خرائط الدول الغربية"، وغيرها من الأعمال الجغرافية، ولا يزال كتاب "وجهة نظر في الأعمال الوقائية من الفيضانات" – وهو موجود – العمل المهم المتعلق بأعمال الري.

ويتعمق شمس في هذا الكتاب بكل جهد ودقة في مؤلَّفات تنظيم الأنهار لجوشوتينغ وغيرها، وبعد الدراسة الميدانية، ألَّف الكتاب بعد مرور عدة سنوات، ونشره في يوان جي يوان (سنة ١٣٢١م)، ويُقسم الكتاب إلى وجهات نظر حول الأنهار والنُظم ومشاريع العمل والنقل وطرق الحساب و٦ أبواب غيرها، ويعد الكتاب من أعظم الإسهامات في تاريخ تنظيم الأنهار الصينية، واشتُهر بأنه عمل صانع العصر، وظلت تطبيقاته تتوارث حتى اليوم.

كما أن كتاب "المستودعات الأربعة" منح هذا الكتاب تقييمًا عاليًا، ويرى أنه "لكل باب محتوياته، -، وطرق الزراعة والصيد والتنظيف وبناء السدود والقوانين وإعداد الملح لإشعال النار وإكمال طريق السلف.

ويعتقد أويانغ أن سماتشيان (مؤرخ صيني مشهور) وبانجوتي (مؤرخ صيني) كتبَا

[٤٣٠]– تشيوشوسن : المجلد الأول "تاريخ قومية هوي الصينية" – ص ٢٢٣ –دار نشر الشعب بنينغشيا– الطبعة الأولى ديسمبر ١٩٩٦م.

كتاب "القنوات" وكتاب "الوديان" يشرحان فقط حقائق تنظيم مياه الأنهار والترع، ولا يوضّحان الطرق، مما يجعل الأجيال اللاحقة التي تقوم بهذا العمل ليست لديهم أية دراسة أو بحث. وبالرغم من أن كل ما سجلاه كانت طرقًا معيارية من الأجيال السابقة، إلا أنه مع تغيرات التضاريس، تغيرت الناس والأحداث، كما أنها ليست جيدة جداً بالنسبة للأجيال اللاحقة، لكن يمكن معرفة الحديث من خلال القديم، فالقواعد لا تزال باقية، لكن لا يمكن اعتبارها سوى مرجع"[٤٣١].

هاي روي سياسي مشهور في بداية أسرة مينغ، وكان موظفًا في أسرة تشينغ، وهو ذو شهرة عالمية واسعة. وفي يونيو (حزيران) للسنة الثالثة مينغ لونغ تشينغ (سنة ١٥٦٩م)، ترقّى إلى رتبة رقيب في الجناح الأيمن، ومراقب على الحكومات العشر في نانجينغ لتطهير ووسونغ، وثمّة إسهامات كثيرة في مجال مشاريع الحفاظ على المياه. وتضم الحكومات العشر في نانجينغ أكبر مقاطعتين اليوم؛ هما جيانغسو وآنهوي، ومعظم القرى الغنية المحيطة بهما. لكن كان السبب من كثرة استغلال مياه بحيرة تايهو في إثراء هذه المناطق فيض مياه البحيرة في البحر، عبر نهر ووسونغ عندما يرتفع منسوبها.

بسبب إهمال تطهير نهر ووسونغ لسنوات طويلة، ترسّب الطمي بشكل خطير، ومع اقتراب كارثة الفيضان، لم تجرِ مياه بحيرة تايهو بسلاسة نحو البحر، ويتحول الفيضان إلى كارثة، وعلى العكس يتحول تخزين مياه بحيرة تاي إلى "قاتل" يخرب الأرض الزراعية، وبعد تسلّم هاي روي المهمة، هطلت الأمطار بغزارة، مما أدى إلى انتشار جثث الموتى جوعًا.

لذا، طلب هاي روي تطهير نهر ووسونغ، وأشار إلى: "أن الدولة في حاجة إلى نقطة المياه من نهر ووسونغ، والشعب يعتمد عليها، وإصلاحه وتطهيره أمران بطيئان لا

[٤٣١]– "فهرس كتاب المستودعات الأربعة"، الجزء السادس و التاسع "وجهة نظر في الأعمال الوقائية من الفيضانات"، استشهد بالجزء الأول من كتاب "تاريخ قومية هوي الصينية" من تأليف تشيوشوسن، ص ٣٠٧، دار النشر [illegible]شيا الشعبية، ديسمبر ١٩٩٦م، الطبعة الأولى.

يتحققان في يوم واحد"، وفي الوقت نفسه، قدم برنامجه واضحًا لاحتياجات التطهير: "يمكن فتح الطريق القديم لنهر ووسونغ عن طريق استغلال قوة ضحايا المجاعة، ويمكن إنقاذ الشعب من المجاعة عن طريق استغلال الطلب على متر الفضة، وبذلك يكون أصاب عصفورين بحجر واحد"[432].

وقد لاقت طريقة "تقديم المعونة عن طريق التوظيف" لهاي رون لإدارة نهر ووسونغ قبولاً شديدًا من الضحايا، وجاءت اليد العاملة بكثرة، وتنافسوا بحماس للعمل. وبحلول فبراير من العام التالي، انتهى مشروع الري لتنظيف نهر ووسونغ.

وفي العام الرابع والعام الخامس لونغ تشينغ، هطلت الأمطار بغزارة مرة أخرى، ولم تحدث فيضانات، وبذلك يكون هاي روي قد قدم عملًا عظيمًا للسكان المحليين. وبعد ذلك، أشرف هاي روي على نهر بايماو، وقام بوضع أساس متين، لتنمية المشاريع المائية الزراعية، لست حكومات جيانغنانسو، وسونغ وتشانغتشو، وهانغتشو، وتياشينغ، وهوتشو.

وبعد ذلك، "في خلال عشرات السنوات، بالرغم من حدوث كوارث بسيطة، إلا أنها لا تعد كونها كوارث ضخمة". وتقول السجلات المتخصصة "سيرة هاي روي . تاريخ مينغ": كان روي مصلحًا شجاعًا، قام بالتطهير والفتح لنهرَيْ ووسونغ وبايماو، ليصبا في البحر، واعتمد الشعب على فوائدهما".

بالإضافة إلى ذلك، فقد أثرى مسلمو الصين نظريات علم المشاريع المائية الصينية من الناحية النظرية، وثمّة كتاب "حلول الأنهار التسعة" لتيانغ شيانغ نان، يشرح بالتفصيل وجهة نظر حول تنظيم الأنهار، ويُعَد عَمَلاهُ "كتاب مجرى نهر تشونغ تشو" وكتاب "اختبار مجرى جيانغشي" من الإسهامات العظيمة في مجال علم المشروعات المائية. وفي الوقت نفسه انتقل المسلمون الذين انتشروا في الصين من السهول الوسطى

[432]- هاي روي: "فتح نهر ووسونغ وتطهيره"، نقلا عن الجزء الاول لـ"مجموعة هاي روي"، ص ٢٣١-٢٣٢م.

إلى أطراف البلاد، أو على الحدود الزراعية، أو إقامة حامية أو إحياء الأرض الموات واستغلالها، وإقامة المشاريع المائية، والقيام بالأعمال الزراعية بجد، وتقديم إسهامات عظيمة في تنمية الزراعة المحلية. مثلاً، قد وصف الصحفي المشهور فانتشانغ تيانغ في ثلاثينيات القرن الماضي، في كتابه "زاوية الشمال الغربي للصين" أن تينتي أكثر المناطق كثافة بالهوي، وهم يمثلون روحًا مختلفة في كل مكان، كما أن الطرق والمجاري المائية داخل حدود تينتي مرتبة أحسن ترتيب، وشبكة الممرات بين حقول الأراضي الزراعية مرتبة جداً، واكتشفوا بصعوبة بالغة الأراضي غير المستغلة. أما بالنسبة للزراعة واجتثاث الأعشاب الزراعية، فهذا يحتاج إلى جهد حقيقي للوصول إليه".

◆ السفينة الشراعية ورحلة تشانغخه للكنوز السبعة:

بمناسبة دخول الإسلام الصين، ومع ازدهار التجارة البحرية بين الشرق والغرب، تطوَّر طريق الحرير البحري بصور كبيرة؛ مما دفع بصناعة السفن والملاحة البحرية للأمام، ووصف العالِم الياباني سانغيوان جي تسانغ في عمله "اختبار بوه شوجنغ": "قبل وصول الأُوروبيين في أوائل القرن الثامن حتى أواخر القرن الخامس عشر، في خلال ثمانمائة عام، كان ثمَّة المحتكرون الذين يمارسون التجارة العالمية، مع العرب. وكانت أزهى فتراتهم، وبعد تنصيب بغداد عاصمة للخلافة العباسية في النصف الثاني من القرن الثامن. قامت التجارة بين العرب والصين بحرًا، وفي ذلك الوقت، كانوا يحاولون تجاوز متاعب الإدارة دون أن يدخروا جهداً"[433].

برع العرب في صناعة السفن، في وقت مبكر من القرن الأول الميلادي، فقد صنعوا السفينة (مادراتا) باستخدام حزمة ألياف النخيل، وفي أوائل القرون الوسطى، كان البحارة على طول الساحل الجنوبي بين العرب وعمان، يستخدمون حبال النارجيل

[433]- نقلا عن يانغ هواي تشونغ: "تنمية ومتابعة التقاليد الملاحية لقومية هوي"، ونقلا عن المؤلف ووهاي ينغ "تشينغه والثقافة الإسلامية لهوي"، ص ٨٧، دار النشر نينغشيا الشعبية، الطبعة الأولى يوليو (تموز) سنة ٢٠٠٥م.

المنتجة من جزر المالديف في تصنيع السفن الخشبية وخياطتها، وهي المراكب الشراعية (مركب) و(سفينة) التي اشتهرت شهرة عالمية بعد ذلك[434].

وقد ذكر جين جي هان في كتاب "حالة عشب الجنوب": "إن نخلة السكر تُستخدم في عمل الشراع، ويُستخدم لحاء النخل في عمل الحبال، ويمكن الحصول على الماء بالصلابة والمرونة، ويقوم الهو بربط الخشب معًا لعمل مركب"[435].

ذكر تشوداتين في الجزء الثامن عشر من كتابه "لغة تشو. مركب تينغبو" من جزء "لغة قوانغدونغ": "إن مراكب اليشب الصغيرة، لا يستخدم فيها معجون، ولا مسمار، ويقومون بغرز الخيط في الخيزران، وهكذا في كل الجسم. وإن دخلت مياه البحر من الثغرة، تُحدث صوتًا من المياه المتراكمة، فلا بد من نضح الماء بدلو كبير طوال اليوم، ليزيل الخطر الكامن.

وتكون وجهة المركب مدببة وذيلها كبيرًا، كالبطة الأم، لتواجه الإعصار وتسبح مع الأمواج، وثمَّة خشبة عظيمة كعمود فقري للسفينة، ويكون قاع السفينة مستديرًا ومتينًا، لتستطيع اجتياز الأمواج.

قال سويون: "لا تستخدم مراكب الأجانب المسامير، وتستخدم فقط نخل السكر في عمل الحبل، وسكرًا مطحونًا، يجفف بشدة، ثم يذوب في الماء كطلاء، وظلت هكذا منذ قديم الأزل"[436]، وتشبه هذه المركب تمامًا المراكب الشراعية العربية، من الواضح أن ثمَّة

[434] - في أثناء مرافقة الكاتب لرئيس اللجنة في زيارة عمّان عاصمة سلطنة عُمان في ١٢ من ديسمبر سنة ١٩٩٨م، داخل باحة الفندق المبيت، رأى النسخ المطابقة المُكتشفة لسفينتي (مركب) و(سفينة). وشعر الوفد المرافق المحلي بالفخر الشديد، وعبّروا مرارًا وتكرارًا للكاتب أنه شاهد تاريخي على تبادل الزيارات الودية بين الشعبين العماني والصيني، وفي أثناء محادثات سلطنة عمان مع رئيس اللجنة، تحدثوا حول أمر (مركب) و(سفينة).

[435] - نقلا عن المؤلف تشيوشوسن: الجزء الأول "تاريخ قومية هوي الصينية"، ص٩٨، دار النشر نينغشيا الشعبية، الطبعة الأولى، ديسمبر ١٩٩٦م.

[436] - نقلا عن المؤلف تشيوشوسن: الجزء الأول "تاريخ قومية هوي الصينية"، ص٩٩، دار النشر نينغشيا الشعبية، الطبعة الاولى، ديسمبر ١٩٩٦م.

اتصالاً وثيقًا بينها وبين فن أوائل المسلمين الذين عاشوا في جزيرة هينان وعلى طول ساحل قوانغدونغ في فترتيّ أسرة تانغ وسونغ.

ومن خلال التنمية على مر مئات السنوات في فترتي أسرة سونغ ويوان، حتى حلول فترة أسرة مينغ، قد تطورت بدرجة كبيرة صناعة السفن الصينية، واكتملت يومًا بعد يوما تقنيتها. كما أن التقدم الكبير في صناعة السفن قدَّم عملًا تاريخيًا جليلًا للسفينة الشراعية ورحلة الكنوز السبعة.

وقدم جينغه[437] مآثر مجيدة في مجال تقنية صناعة السفن، باعتباره رئيس البعثة الحكومية لأسرة مينغ، كما أحرز نتائج بارزة في مجال الملاحة. وبعد تلقي المهام، كانت أول مهمة لجينغه الإشراف على صناعة السفينة التي ستعبر المحيط.

واختار مصنعًا لصناعة السفن لونغ جيانغ على نهر ثُلاثي الشعب في منطقة شياجوان في نانجينغ قاعدةً لبناء السفن، وفي الوقت نفسه، أقام في تشينغجيانغ وتايتسانغ وفوتشو، وغيرها، قواعد مساعدة في بناء السفن. وتحت مساعدة حكومة مينغ، اعتمد جينغه على القوة الوطنية المتدفقة في ذلك الوقت وتكنولوجيا صناعة السفن عالية المستوى، وأنشأ أسطولًا بحريًا متكامل الأنواع والأكثر تقدمًا والأكبر حجمًا في العالم في ذلك الوقت، ووضع أُسسًا مادية وفيرة للوصول إلى الغرب بنجاح.

ووفق الإحصاءات "سجّل الإمبراطور يونغلي" أنه قد وصل عدد السفن التي أصلحها وصنّعها أكثر من ألفي سفينة، وفي أثناء فترة حكم الإمبراطور يونغلي فقط، ومن خلال بعض تكنولوجيا صناعة السفن وحجمها في ذلك الوقت نعرف كل ما وصلت إليه.

[437] - جينغه (١٣٧١م-١٤٣٤م)، اسمه ما، ولقبه الناس باسم المخصي الثالوث البوذي أو المخصي سانباو، من قومية هوي، من كونيانغ (وتعرف اليوم تتنينغ) في يوننان، هو من البحارة العظام في أسرة مينغ، تولى العمل عند أسر مينغ الثلاث الإمبراطور يونغلى والإمبراطور رندونغ والإمبراطور شواندونغ، لمدة ٢٩ عامًا، زار فيها أكثر من ٣٠ دولة إفريقية وآسيوية. وهذا الحدث العظيم في السنوات الأولى لأسرة مينغ، وهو أيضًا العمل الجليل في تاريخ الملاحة العالمية، وله مغزى عميق للصين وتاريخ العالم.

وفي العام الثالث للإمبراطور يونغلي (سنة ١٤٠٩م)، وطبقًا لأوامر الإمبراطور يونغلي، قاد جينغه مجموعة عظيمة مكونة من ٢٧ ألفًا و٨٠٠ شخص، منهم بحّارة وجنود وأطباء ومترجمون. وزار جينغه بالتوالي ٣٥ دولة إفريقية وآسيوية، معتمدًا في ذلك على أسطول بحري متقدم وكبير، وكتب بذلك صفحة لامعة جدًا في تاريخ البحرية العالمية وتاريخ العلاقات الصينية والأجنبية وتاريخ التواصل الثقافي بين الصين والدول الأجنبية.

كان يبلغ عدد الأسطول البحري في الملاحات الطويلة لجينغه أكثر من مائة سفينة في كل مرة، وأكثر مرة وصل إلى ٢٠٠ سفينة، وهذا يمثل تناقضًا صارخًا مع دخول ٢ سفن إلى داجاما في المحيط الهندي وسفينة واحدة إلى ماجلان في المحيط الهندي؛ واكتمل آخر تسجيل لملاحة جينغه.

في سنة ١٤٩٢م اكتشف كولومبوس أمريكا وداجاما في سنة ١٤٩٨م،كان قد وصل إلى رأس الرجاء الصالح قبل أكثر من نصف قرن. وتعد "خريطة الملاحة لجينغه" التي رسمها أول خريطة لملاحة المحيطات البعيدة في الصين والعالم، وتوفر لرحلات الأجيال القادمة نحو الغرب قاعدة علمية مهمة عن جهات السير والاتجاهات والرحلات البحرية والمراسي والشواطئ الضحلة والموانئ وغيرها، التي تشير لها الخريطة؛ وكانت مسافة رحلة الكنوز السبعة أكثر من خمسين ألف كيلو متر، قام فيها بالتجارة الشعبية والتجارة الرسمية لفترة طويلة وبشكل واسع مع أكثر من ثلاثين دولة إفريقية وآسيوية، وفتح طريق الحرير، إلى أن وصل إلى الهدف الاستراتيجي؛ ألا وهو إعلان حكومة مينغ "عن النعمة والسلطة" و"إعلان عن قوة الصين وغناها" والتقرب من الشعوب البعيدة"؛ كانت مؤلفات جينغه مع الموظفين المرافقين، مثل كتاب "المسح الشامل لشواطئ المحيطات" وكتاب "خرائط الكعبة المشرفة" لماهوان[٤٣٨]، وكتاب "انتصار النجوم على الظروف البيئية" لفيشن[٤٣٩]، وكتاب "علامات الدول الغربية" لجونغجين[٤٤٠] وغيرها.

[٤٣٨] - ما هوان: كاتب صيني من مسلمي هوي، يجيد اللغة العربية.

[٤٣٩] - فيشن: أحد الرحالة الذين سافروا مع جينغه في أربع من رحلاته.

تُسجل ظروفَ البيئة والعادات المحلية، والطقوس والعادات، والجغرافيا والجبال، والمناخ والمنتجات، والاعتقاد الديني والكتابة واللغة وغيرها، لجميع الدول التي زاروها، واصبحت مادة تاريخية مهمة للناس لفَهم جميع الدول الإفريقية والآسيوية، وفتح أول نهر للتواصل الثقافي بين الصين والغرب.

"جلبت الأنشطة والزيارات التي قام بها جينغه وهسان وغيرهما في ما يقرب من ثلاثين عامًا الكثير من الكتب القديمة والسجلات الإسلامية من الدول الإسلامية، وقدمت مصادر لأنشطة ترجمة الكتب للغة الصينية للأجيال القادمة هو دنغتشو[٤٤١] ووانغ داي يو[٤٤٢] وماتشو[٤٤٣] وليوتشي[٤٤٤] وغيرهم"[٤٤٥].

بالإضافة إلى ذلك، ألف علماء من الهند وماليزيا وسنغافورة - وغيرها من الدول - كتبًا يشرحون فيها نشْر جينغه الثقافة الإسلامية والثقافة الصينية في الكثير من دول جنوب شرق آسيا، وشكّل في هذه البلدان حقائق تاريخية للصينيين تجاه المجتمعات ذات ثقافة إسلامية.

◆ الأرقام العربية والهندسة التقليدية:

إن تطور الرياضيات العربية بفضل الرياضيات الهندية والرياضيات الكلاسيكية الأوروبية، ازداد بشكل كبير على هذا الأساس.

[٤٤٠] - جونغجين: أحد المرافقين لجينغه.

[٤٤١] - عالم إسلامي صيني، ومؤسس التعليم الديني، عاش من (١٥٢٢م—١٥٩٧م).

[٤٤٢] - أستاذ وعالم إسلامي مشهور في أواخر أسرة مينغ وأوائل أسرة تشينغ. وعاش في جينغ لينغ (نانجينغ حاليًا).

[٤٤٣] - أول عالم إسلامي في فترة أسرة تشينغ، عاش في يونان.

[٤٤٤] - عالم إسلامي مشهور في فترة أسرة تشينغ، وهو من المعمرين، قد بلغ من العمر ٩٦ عامًا، وله الكثير من الأبحاث والمؤلفات، وله دراسات لبراهين السيد ماتسي يوان.

[٤٤٥] - وانغ ذهوا: "إسهامات جينغه في الثقافة الإسلامية الصينية"، نقلا عن "جينغه والثقافة الإسلامية لهوي" تأليف ووهاي ينغ، ص ٨١، دار النشر نينغشيا الشعبية، الطبعة الأولى، يوليو ٢٠٠٥م.

"سجّل يوان وانغ شهديان وشانغ تشيويننغ[446] في كتابهما "إشراف السكرتارية" مصادر ومراجع قديمة في الرياضيات التي تم جمعها من المرصد الفلكي لهوي، منها الجزء الثامن (نفس مايلي) من "الحسابية بصفتها طريقة للحساب".

الجزء الثاني عشر من "سفينة كمقياس للأخلاق"، والجزء السابع عشر من "الثواني الهندسية كالمراسم واللوائح الحسابية"، والجزء الخامس عشر من "المراتب الحسابية الأربع لوو هولاي". بالإضافة إلى أدوات الرياضيات "بركار (برجل)"[447]، وقد استُخدمت المعارف الرياضية التي جاءت من العالم الإسلامي، عندما ألف جوشوتيننغ في أسرة يوان كتاب "تقويم الوقت"، خاصةً علم المثلثات الكروية. واستخدم الصينيون في الرياضيات الأرقام العربية في بداية أسرة يوان"[448].

كان القرن الثالث عشر الميلادي فترة حصلت فيها الرياضيات الصينية على إنجازات لامعة، واشتهر تشيوتيورون وليجي[449] بين علماء الرياضيات الخمسة الكبار في العالم في القرن الثالث عشر الميلادي. كانت هذه الفترة، هي دخول الرياضيات العربية الصين، وأحدثت فترة ذات تأثير عظيم على الرياضيات التقليدية الصينية، ويتمثل هذا التأثير بشكل أساسي في:

[446]- وانغشهديان وشانغتشيوينغ: كاتبان صينيان عاشا في عهد أسرة يوان، كان وانغشهديان من مقاطعة شاندونغ الصينية.

[447]- ألف تشيوشوسن: الجزء الأول "تاريخ قومية هوي الصينية"، ص 288، دار النشر نينغشيا الشعبية، الطبعة الأولى، ديسمبر ١٩٩٦م.

في كتاب السيد ماجيان "تفسير كتب هوي لإشراف السكرتارية في أسرة يوان"، ترجم عنوان الكتاب المنقول صوتيًا عن الحروف العربية السابقة إلى الصينية: "الحسابية" تُرجمت إلى "عُدَّ" و"سفينة مقياسًا للأخلاق" تُرجمت إلى "طوف الكنز"، "السواني الهندسية كالمراسم واللوائح الحسابية" تُرجمت إلى "هندسة رياضية"، وتُرجمت "المراتب الحسابية الأربع لووهولاي" إلى "النصوص الأصلية الإقليدية".

[448]- ألف تشن هويبن: "الدين الإسلامي الصيني"، ص ١٤٣، دار الصحافة التجارية، الطبعة الأولى، ديسمبر ١٩٩٧م.

[449]- علماء رياضيات صينية.

الأول: استخدام الأرقام العربية:

إن الأرقام التسعة الأخيرة من ١-٩ التي نستخدمها حاليًا هي الثمار المشهورة للهند القديمة، وبعد دخول العرب أوروبا، أضافوا الرقم "٠" المهم، وأُطلق عليه "الرقم العربي"، منذ القرن الثالث عشر والقرن الرابع عشر، استخدم كل من عالم الرياضيات تشنتيوشاو (١٢٠٢م-١٢٦١م) في كتابه "الفصول التسعة في الرياضيات" وليجي (١١٩٢م-١٢٩٧م) في كتابه "قياس مرآة البحر المستديرة" و"قوانين أيجو" الرقم "٠"، دون اتفاق سابق، وبدآ يستخدمان الرقم الممثل للـ"٠". وانتشرت الأرقام العربية الأخرى باستثناء "٠" في الصين، بسبب استعمالها في المرصد الفلكي هوي.

ووفقًا للاكتشافات الأثرية، اكتُشف بالحفر في أطلال آنشي وانغ[450] من أسرة يوان بين الريف ومدينة شيآن في سنة ١٩٥٦م، في شارع ليجيازو في حي بودونغ في شنغهاي في سنة ١٩٨٠م، بشكل منفصل خمسة ألواح حديدية، وبعض من القلائد المصنوعة من اليشم، محفور عليها باستخدام الأرقام العربية ستة خطوط بالطول والعرض (المربعات السحرية)، ويثبت هذا حقيقة دخول الأرقام العربية الصين من جانب واحد.

ثانيًا: طريقة الحساب بالصحن والتراب:

إحدى طرق الحساب في الهند القديمة، وهي عبارة عن نثر التراب على الأرض أو في صحن، والكتابة بآلة [illegible]ادة، لذلك سميت بطريقة الحساب على الصحن والتراب، وبعدما دخلت هذه الطريقة المناطق العربية، استخدموها على نطاق واسع.

وبعد دخول التقويم الفلكي لهوي إلى الصين، دخلت معها طريقة الحساب على الصحن والتراب، وفي أثناء فترة أسرة يوان أصبحت هي طريقة الحساب عند (سيمو) الأجانب ونبلاء المغول، وبعد قيام أسرة مينغ، دخلت طريقة الحساب على الصحن والتراب مناطق السهول الوسطى.

[450]- أحد النبلاء الصينيين

وفي فترة سنوات هونغ وو، "تُرجمت طريقة الحساب على الصحن والتراب إلى حساب هان"، ومن هنا أطلق عليها الصينيون اسم "طريقة حساب هان". لكن على عكس موظفي هوي الذين تولوا الوظائف في المرصد الفلكي استمروا في استخدام الطرق العربية التقليدية في الحسابات الفلكية والاعتماد على الكتب المنقولة من المناطق العربية، استمروا في استخدام الطرق العربية التقليدية في الحسابات الفلكية والاعتماد على الكتب المنقولة من المناطق العربية، التي حافظت على خصائص وطريقة الحساب المستخدمة في المناطق العربية.

ومن ثم، تعلم بعض الصينيين، مثل تشوشيانغ[451] رئيس مرصد الظواهر الطبيعية، طريقة الحساب القديمة هذه، وأتقنوها، وقد أثنى على تشوشيانغ الإمبراطور تانغشونجي "إذ درس الطرق الغربية في الفلك وأصبح علامة عصره"[452].

ثالثًا: نظام عد ستة عشري:

إن نظام عد ستة عشري دخل للصين مع تقويم هوي. وقد أشار السيد ناتشونغ[453] بشكل خاص إلى أنه: "في عهد يونغلي في أسرة مينغ (١٤٠٣م-١٤٢٤م)، دخل نظام العد العربي الصين"[454]. ونرى في جميع نصوص تقويم هوي التي ما زالت باقية إلى اليوم تقسيم الدرجة الواحدة (١) إلى ٦٠ دقيقة والدقيقة الواحدة (١) إلى ٦٠ ثانية والثانية الواحدة (١) إلى فيمتو ثانية والفيمتو ثانية الواحدة (١) إلى جزء من الفيمتو ثانية، وغيرها من طرق الحساب تحويل نظام عد ستة عشري.

[451] - هو مهندس للمرصد الفلكي، ولد في ١٧ من أبريل سنة ١٩٥١م في مقاطعة شنشى. كان محبًا للدراسة وشغوفًا بالكتابة والرسم.

[452] - نقلا عن تشو روي خاي وماتين باو: كتاب التعليم التقليدي الوطني لقومية هوي"، ص ٥٩، دار النشر نينغشيا الشعبية، الطبعة أكتوبر سنة ٢٠٠٢م.

[453] - ناتشونغ (١٩٠٩م-٢٠٠٨م): مؤرخ عربي ومُعلم اللغة العربية، واسمه بالعربي عبد الرحمن.

[454] - ألف كل من ناتشونغ وتشوكاي وشهشي معًا: "التراث والامتزاج: الثقافة العربية"، ص ٣٠٠، دار النشر تشجيانغ الشعبية، طبعة مارس ١٩٩٣م.

بالإضافة إلى ذلك، دخول الرياضيات العربية الصين، وفنّ قطع سهم وقوس للدائرة (حساب المثلثات الكروي)، وفن قطع سهم وقوس للدائرة إحدى الطرق التي تقوم على حساب خط دائري مقوس مع سهم ووتر مثلث وغيره من الخطوط المستقيمة"[455]. أول رؤية للحساب على الأرض في الجزء الثالث عشر "النظام الموحد للرياضيات" (نشر في ١٥٩٢م)، "الحساب على فراش الأرض، ولا داعي لاستخدام الصحن للمعرفة"، وإن هذه طريقة حسابية تحضيرية، انتشرت في المناطق العربية في القرن الثالث العشر والقرن الرابع عشر، كما انتشرت في أوروبا. لذلك، يعتقد لي يان مؤرخ رياضيات، أن الحساب على فراش الأرض التي سجّلها تشينغداوي[456] في عهد أسرة مينغ، أدخلها العرب إلى الصين.

ثانيًا: الإسهامات الإسلامية تجاه الثقافة الصينية:

قال السيد ناتشونغ بشكل ملخص: "إن العرب جسر نقل الثقافة الصينية للغرب، كالاختراعات الصينية الأربعة وصناعة الورق والطباعة والبوصلة والبارود، وانتقلت بالتوالي إلى أوروبا عن طريق العرب في القرون الوسطى، وأحدثت تأثيرًا لا يمكن توقعه ـو تنمية الحضارة الإنسانية، كما قال الفيلسوف البريطاني فرانسيس بيكون: إنها غيّرت الكثير من مظاهر الأشياء وأحوالها في العالم أجمع، ومن ثم أحدثت تغيرات لا تعد ولا تحصى، وليست ثمّة أيّة إمبراطورية أو أي مذهب أو أي كوكب أحدث حركة وتأثيرًا كبيرًا على الشؤون الإنسانية مثل هذه الاختراعات الفنية.

[455] - كان جوه شوتين الذي كان يمثل أعلى مستوى حساب التقويم الصيني في عهد يوان الذهبي، يستخدم في كتابه "تقويم الوقت" فن السهم والقوس يقطع دائرة الذي لم يستخدم من قبل في حساب علم الفلك الصيني، وغيرها من طرق حساب الرياضيات. وبسبب أن فن السهم والقوس يقطع دائرة يُعد محتوى مهمًا في الرياضيات العربية، كان أصل هذه الطرق الحسابية لجوه شوتين التي خرجت بمفردها من الرياضيات التقليدية الصينية السابقة غير واضحة، لذلك اعتقد الكثير من العلماء المحليين والأجانب أمثال كانغ روير وتشياوجي صادون وماتيان وغيرهم أن هذه الطرق مصدرها العرب. لكن ينكر بعض العلماء بشدة هذا الكلام.

[456] - تاجر ومخترع الحساب بالمحسب في عهد أسرة مينغ.

وصف ماركس البارود والبوصلة والطباعة بالاختراعات الثلاثة العظيمة، التي جلبتها المجتمعات المبشرة بالبرجوازية (الرأسمالية)"[٤٥٧].

يكون انتشار أيَّة ثقافة دائمًا في اتجاهين وبطرق عدة. ونقل العرب الثقافة الصينية إلى الغرب، وفي الوقت نفسه جلبوا دون وعي إلى الصين الثقافة العربية – الإسلامية في أثناء عملية التواصل، ومن خصائصها الاندماج مع الثقافة الصينية، بالإضافة إلى امتصاص جميع العادات الاجتماعية والثقافة المحلية الراسخة عند القوميات، ونبتت جذورها على أرض الصين. "إن تطور الثقافة الإسلامية الصينية – كذلك إنتاجها - لم يثرِ – فقط – الحياة الثقافية والحياة العقائدية لجميع المسلمين في الصين، بل اتسع ليمتد ويتعمق في معرفة عالم الفكر الصيني، ومما لا شك فيه، أنها ثقافة يوان الفريدة من الثقافات المتعددة للقوميات الصينية، وتحتل مكانة مهمة في الثقافة الصينية"[٤٥٨].

◆ إثراء اللغة العربية للكتابة الصينية:

ليس ثمَّة شيء أعظم شأنًا وأعمق تأثيرًا وإنجازًا من تعميم اللغة العربية ونشرها، في الثقافة العربية – الإسلامية. وقال الكاتب الفرنسي رينان (١٨٢٣م-١٨٩٢م): "الذي جذب انتباه الناس، في تاريخ الإنسانية، انتشار اللغة العربية، لكنها كانت في البداية لغة لا يعرفها الكثيرون، وبعد ذلك أصبحت لغة غنية وجميلة وتسهل دراستها.

إن جمال اللغة العربية جعلها على مرّ العصور المختلفة لا تمر بتغيرات كثيرة، "لم أرَ من قبل أسرع من انتشار اللغة العربية، من بين جميع اللغات، وقد انتشرت في جميع أنحاء العالم، فهي لغة عظيمة، كما أنها لغة سياسية ودينية"[٤٥٩].

٤٥٧- ألف كل من ناتشونغ وتشوكاي وشهشي معًا: "التراث والامتزاج: الثقافة العربية"، ص ٢٩٦، دار النشر تشجيانغ الشعبية، الطبعة الأولى مارس ١٩٩٣م.

٤٥٨- ماتشي وي: "إيجاز القومية الإسلامية الصينية ومكانتها في الثقافة الصينية"، نقلا عن "مقالات عن الثقافة الإسلامية"، ص٢٨، دار النشر الصينية للعلوم الاجتماعية، الطبعة الأولى، أغسطس ٢٠٠١م.

٤٥٩- ألّف كل من ناتشونغ وتشوكاي وشهشي معًا: "التراث والامتزاج: الثقافة العربية"، ص ١١، دار النشر تشجيانغ الشعبية، الطبعة الأولى، مارس ١٩٩٣م.

بالرغم من أن كلام رينان به بعض من العاطفة، لكنه يشرح بوضوح إحدى الحقائق.

ومع اتساع الإمبراطورية العربية وتطورها، استوعبت الثقافة العربية – الإسلامية النتائجَ الرائعة لثقافات جميع القوميات المقهورة، ومن خلال حركة الترجمة لمدة مئة عام، استوعبت خلاصة الثقافة الرومانية واليونانية والفارسية وغيرها من الثقافات، وتطورت سريعًا وأصبحت ثقافة قوية، وتغلغلت على نطاق واسع في الكثير من الدول الآسيوية والإفريقية والأوروبية، ومع دخول اللغة العربية هذه الدول والمناطق، دخلت كلمات كثيرة في هذه الدول والمناطق.

وطبقًا للإحصائيات غير المكتملة، فقد تأثرت باللغة العربية لغات لما يقرب من مائة دولة أو قومية بدرجات متفاوتة؛ من بينها ٣٧ لغة استخدمت – أو ما زالت تستخدم – أحرف اللغة العربية، وتمثل الألفاظ التي تستخدمها اللغة اليومية الفارسية من اللغة العربية ١٦٪، والألفاظ التي تستخدمها لغة الملايو من اللغة العربية ٢٥,٥٪، والألفاظ التي تستخدمها اللغة السواحلية من العربية ٣٠٪، وثمَّة أكثر من ٤٠٠٠ كلمة في اللغة الإسبانية أصلها من اللغة العربية، "وثمَّة أكثر من ١٠٠٠ كلمة في اللغة الإنجليزية أصلها من اللغة العربية، ومن هنا اشتقّت آلاف الكلمات، والأكثر استخداماً من بينها ٢٦٠ كلمة تقريباً"[٤٦٠]. كما لا تقل الألفاظ العربية في اللغة الفرنسية واللغة الإيطالية واللغة الألمانية عن اللغة الإنجليزية[٤٦١].

كان دخول الدين الإسلامي الصين عن طريق السلام وتولي المسلمين القادمين من الخارج مراكز العمل، لم يكن هدفهم نشر الدين، بل مزاولة التجارة. وبعدما عاشوا في الصين، حافظوا على إيمانهم، تزاوجوا من الصينيين والأجانب، وبمرور آلاف السنوات تشكَّل الوضع الحالي للمسلمين.

٤٦٠- ألف جوشاوهوا: "دراسة الثقافة العربية – الإسلامية عن: منظور اللسانيات الثقافية"، ص١٧٧-١٩٣، دار النشر شيشه، الطبعة الأولى، سبتمبر ٢٠٠٩م.

٤٦١- ألف كل من ناتشونغ وتشوكاي وشهشي معًا: "التراث والامتزاج: الثقافة العربية"، ص ٣٢٠، دار النشر تشجيانغ الشعبية، الطبعة الأولى، مارس ١٩٩٣م.

وفي الوقت نفسه، لأن المسلمين عاشوا منتشرين في أنحاء البلاد، لم يشكّلوا قوة سياسية مستقلة، واعتمدوا كثيراً على الحُكام وقدموا ولاءهم لهم. لذلك، كان تأثير اللغة العربية على اللغة الصينية محدوداً بشكل كامل. لكن أثرى الإسلام اللغة الصينية وطورها، سواء بقليل أو كثير، في مسيرة التطور التي ظلت أكثر من ألف سنة في الصين.

أولاً: اقترضت اللغة الصينية بشكل مباشر ألفاظاً من اللغة العربية. مثلاً من الدواء الصيني ما يُسمى بـ(المر) و(الحلبة) وبيرنه وظفيران؛ ومن النبات ما يُسمى بالثوم؛ ومن الطيور ما يُسمى (بجعة)، وغيرها.

ثانياً: الألفاظ التي استوعبها الكلام بشكل مباشر من اللغة العربية. إن كثيراً من المصطلحات المتعلقة بالطب والفلك والرياضيات والكيمياء وغيرها من التخصصات مصدرها من اللغة العربية؛ مثل الشراب العطري وشراب الزعفران والكافور والتمر الهندي ودخان الماريجوانا (القنب) والمسك وخشب الصندل وغيرها من المصطلحات الطبية؛ وبرج العقرب، والنسر الطائر، وبرج العقاب، وكوكب القيثارة، وغيرها من المصطلحات الفلكية؛ والصفر وغيره مثل الجذر والجيب وغير ذلك من مصطلحات الرياضيات، وإيثانول (الكحول) وكربونات الصوديوم (الصودا) والتقطير والقلويات والإثمد ورهج الغاز (الزرنيخ الأحمر) وغيرها من المصطلحات الكيميائية.

وفي أثناء التواصل الثقافي بين الصين والغرب، انبثق هذا من ألفاظ اللغة العربية، وأثرت – وحسّنت كذلك – بشكل غير مباشر نطاقَ التعبير اللغوي للغة الصينية وقدرته.

ثالثاً: مسلمو الصين. إذ تأثرت اللغة الصينية التي استخدمها مسلمو هوي بشكل خاص تأثيراً عميقاً باللغة العربية. وفي أحاديث مسلمي هوي وألفاظهم، امتزجت باللغة العربية امتزاجاً شديداً، لدرجة أن بعض تراكيب الجمل تأثرت بها.

في الجزء الأول من "القاموس الإسلامي" الذي ألّفه تين إيتيو[٤٦٢]، جمع فيه ٢٦٤ كلمة، من بينها ٥٣ كلمة مترجمة صوتياً من اللغة العربية، هي تمثل ٢٠٪ تقريباً، وبلغت الألفاظ العربية المترجمة بالمعنى إلى ٧١ لفظة، وهي تمثل ٢٧٪ تقريباً، ويشكل مجموع الاثنين ٤٧٪. وفي "قاموس الكلمات الشائعة عند مسلمي هوي" الذي ألفه، تمثل الألفاظ الدخيلة من أصل اللغة العربية حوالي ٥٢٪.

الخزف الصيني الأزرق والأبيض وخزف هوي الأزرق:

◆ الخزف الصيني الأزرق والأبيض

اشتهرت الأغنية "الخزف الصيني الأزرق والأبيض" للمغني جوي تشو[٤٦٣] شهرة عالمية؛ مما جعل من الخزف الصيني الأزرق والأبيض رمزاً للثقافة الصينية القديمة. وبعد أولمبياد بكين سنة ٢٠٠٨، شاع الخزف الصيني الأزرق والأبيض في أنحاء الصين، وفي ديسمبر سنة ٢٠٠٩م، قدمت شركة لينوفو أجهزة الكمبيوتر المحمولة وهياكل الكمبيوتر مُزخرفة بالخزف الصيني الأزرق والأبيض، وقدمت بعض شركات الهاتف الجوّال أجهزة منه مزخرفة بالخزف الصيني الأزرق والأبيض. ولعب أيضاً مسلمو الصين دوراً مهماً، في ظهور الخزف الصيني الأزرق والأبيض.

في صناعة الخزف الصيني القديم، قدم المسلمون الصينيون إسهامات عظيمة في تطوير صناعة الخزف. ومن بينهم مثال نموذجي، ألا وهو خزف هوي الأزرق.

قد ذكر وانغ شيماو[٤٦٤] في عهد أسرة مينغ في كتابه "مذكرات رحلات بحرية ساحرة" أنه: "كانت أصباغ خزف هوي يتم استيرادها من الدول الأجنبية. وفي فترة تشينغدا مينغ

٤٦٢- من قومية هان، ولد في أكتوبر سنة ١٩٢٣م، في مدينة شنغهاي، وتخرج في جامعة بكين، قام بالكثير من الأبحاث، وتولى الكثير من الوظائف البحثية، وكان مشرفاً على رسائل الماجستير والدكتوراه، وزار مركز الدراسات الدينية في جامعة تورنتو الكندية، وزار معهد اللوثرية ومعهد هدسون فورد في أمريكا، حضر الكثير من المؤتمرات في أمريكا وكندا وإيطاليا وإيران وأستراليا وغيرها من الدول.

٤٦٣- مغنٍّ تايواني، له الكثير من الأغاني المشهورة.

٤٦٤- ولد (١٥٣٦م-١٥٨٨م)، هو ابن المؤرخ والأديب وانغ شيدجن. وقد أتقن الشعر.

(١٥٠٦م -١٥٢١م)، كان الخصيان أصحاب السلطة والنفوذ يقومون بحراسة يوننان للحصول على الصبغة، باستخراجها من الأحجار ثم يدّعون الطفولة، وكان سعرها باهظًا، وضعف سعر الذهب، وقد عُرف أنه يمكنها عمل الخزف من خلال حرفها واستخدامها بطريقة فعالة"، كما أن المادة الخام المستوردة مادة الكوبالت التي تتمتع في الصومال، وبها نسبة عالية من الحديد، ونسبة منخفضة من المنجنيز، وتُرجمت إلى الخزف سومالي الأزرق، وفي أثناء فترة حكم الإمبراطور تشينغدا، سُميت رسميًا بـ"خزف هوي الأزرق". الذي دخل من يوننان[٤٦٥].

قال أيضًا العالم والأستاذ الألماني بول كالآيل: "في أثناء فترة حكم الإمبراطور تشينغدا، بُني مصنع لصناعة الخزف في قرية نينغدا بمقاطعة جيانغشي، وتخصص في صناعة الخزف للعائلة الإمبراطورية. وكان هذا المكان مركزًا لصناعة الخزف الصيني منذ عهد أسرة مينغ، وكان مركز المسلمين الصينيين في مقاطعة يوننان، وحصل موظف رفيع المستوى من هذه المقاطعة على سيان (السمائي) الإسلامي من المناطق والدول الأجنبية، إذ يمكن استخدامها في تقليد الأحجار الكريمة.

وكان الخزف المصقول للعائلة الإمبراطورية مناسبًا جدًا. وكانت الصبغة السماوية أغلى ضِعف الذهب، كونها مستوردة من الخارج في ذلك الوقت"[٤٦٦].

في فترة حكم الإمبراطور يوغلي وشواندا، ظهرت أشكال للخزف جديدة لم تكن موجودة في عهد أسرة يوان؛ مثل الزجاجة المفلطحة ذات الأذنين والزجاجة المطوية ذات الأذنين والزجاجة السماوية، وغيرها.

[٤٦٥]- تشين فووى: "تاريخ التواصل الثقافي بين الصين والغرب"، ص ٣٠٩، دار النشر شنغهاي، سنة ١٩٨٥م، الطبعة الأولى.

[٤٦٦]- بول كارلايل (الألماني): "الوثائق التاريخية الإسلامية المتعلقة بأحوال الصين قبل ١٥٠٠ سنة وبعدها – على أكبر مؤلف ذكريات رحلة إلى الصين"، انظر النص المترجم "ذكريات رحلة إلى الصين"، ص ٢٠٣، مكتبة سانليان، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٨م.

تكوّن ظهور أشكال الخزف بتأثير الدول الإسلامية، في أثناء رحلة الكنوز السبعة. وتم صُنع بعضها وتصميمها بشكل خاص لتصديرها إلى الخارج، كما تم وضع كتابة عربية أو صور ذات طابع عربي على الخزف الصيني. وقد ظهر هذا الخزف ذو الطابع العربي على الخزف الصيني الأزرق والأبيض في فترة حكم الإمبراطور يوغلي وشواندا، وبحلول فترة الإمبراطور تشينغدا أصبح شائعًا جدًا.

في كتاب "مذكرات رحلة إلى الصين" لعلي أكبر، ثمّة صور توضيحية على أطباق خزفية مصنوعة في فترة تشينغدا الصينية ومزخرفة بأحرف عربية. ويقول بول كارلايل في مقالة عن "الصين التي وصفها عالم الجغرافيا التركي طبقًا للمراجع الإيرانية" إن ثمّة أوعية خزفية صينية نُقشَ عليها باللغة العربية محفوظة في مدينة ميونخ، ترجع إلى أوائل القرن السادس عشر الميلادي، وكان قد تم تصدير كمية كبيرة من الخزف الصيني في عهد أسرة مينغ، خاصة أن الخزف الصيني الأزرق والأبيض يتمتع بسمعة عالية، وثمّة تصاميم عربية تُزين بعض الخزف.

سجّل السيد ماويدو[٤٦٧] – الذي حصل على شهرة عالمية في السنوات الأخيرة – أكثر من عشر صور لأوعية الخزف الصيني الأزرق والأبيض، ذات التصميم المُزخرف بالكتابة العربية، في المؤلفات المتعلقة بتجميع الخزف.

◆ صناعة الخمور ومشتقاتها:

دخلت إلى السهول الوسطى منتجات جديدة لكثير من أنواع الخمور في عهد أسرة يوان. وأصبحت هذه المنتجات جزية لتفردها وارتفاع ثمنها وحلاوة مذاقها، وانتشرت بين الشعب بعد ذلك، وأصبحت من الحاجات التي لا يمكن الاستغناء عنها في الحياة اليومية.

[٤٦٧]- ولد في ٢٢ من مارس ١٩٥٥م في بكين، وهو من الخبراء القدماء ومن جامعي القديم.

أجاد الفرس صناعة جميع أنواع الشراب اللذيذ . و(شربت) أحد المشروبات المفضلة عند الفرس، وهي ترجمة صوتية عن اللغة الفارسية شربت. وطبقًا لتسجيلات الوثائق التاريخية في أسرة يوان، في سنة ١٢٢٠م، أهدى سأنبي طبيب سمرقند لجنكيز خان مشروب الشربة، وتدريجيًا أصبحت مشروب القصر في فترة أسرة يوان.

وبعد ذلك أنشأت أسرة يوان هيئة لتصنيع شربت بشكل خاص في العاصمة، وأطلق عليها المسؤولون "شربتش" . وثمّة طريقتان لتصنيع الشربة.

الأولى هي تقشير الليمون والبَبَاز والعنب وغيرها من الفاكهة، ثم تقطيعها وإزالة الرواسب، وإضافة العسل والسكر والعطر وغيرها من المشروبات، بعد التقليب في لهب صغيرة.

الأخرى هي وضع العقاقير والعطور والقرفة والقرنفل ولبّ الفول الأبيض وتليّف وغيرها، وتقليبها في اللهب مع إضافة العسل، ويكون له مفعول طبي. ونظرًا لارتفاع الطلب، أمرت أسرة يوان فيما بعد بإقامة ورش عمل في قوانغتشو، وتشيوانتشو، ويوننان، وتشنجيانغ وغيرها، لإنتاج جميع أنواع الشربة لتقديمها للقصر الإمبراطوري. وقد سُجِّل بشكل خاص في "ضريبة الجزية الأرض" من الجزء السادس: "إن أربعين زجاجة من الشربة التي قام بتصنيعها شيوتيليس، نائب الرئيس التنفيذي المحلي السابق، عن طريق سلق العنب والبَبَاز والبرتقال وغيرها من الفاكهة، وتقديم الحكومة الخيول والسفن لشحن الجزية" .

وسجل في "داشينغجوس. معبد سينغ" في الجزء التاسع من "المناسب جدًا لعلامة تشنجيانغ": "تُسلق الشربة باستخدام البهارات، ثم نخلطها مرة أخرى بماء الينابيع والعسل؛ والشربتش هو المسؤول المتخصص في تصنيع هذه الجزية، وقد أجاد شيوتيليس تصنيع هذا المشروب، كما أمره شيافاتينباي من الأسرة الحاكمة أن يتخصص في تصنيع هذه الجزية. وبحلول العام التاسع من حكم أسرة يوان، ذهب رئيس المقاطعة سيد أجل

(تعني باللغة العربية سيد المجد) إلى يوننان، وفي العام الثاني عشر من حكم أسرة يوان، ذهب إلى مقاطعة فوجيان وتشجيانغ لصناعة هذا المشروب" .

وفي عطلة نهاية الأسبوع من خريف سنة ٢٠٠٨م، تناول الطعام مع السيد لوتشينغوي خبير القضايا اليابانية المشهور، وذكر أن اليابانيين يزعمون أن الساكي[468] أعلى درجة من النبيذ الأبيض في العالم. بالنسبة لهذه الحجة، لم يوافق عليها الكاتب في ذلك الوقت، لأن درجة النبيذ الأبيض لنغيهتاي وصلت إلى ٧٠ درجة.

وبعد الاطلاع على المراجع، عرفتُ أن النبيذ الأبيض جزء من الامتزاج بعد التقطير مرتين، بينما الساكي الياباني لم يمر بعملية التقطير، ويوضح هذا المعنى أن حجة اليابانيين راسخة القدمين. ودخلت تقنية تقطير النبيذ الأبيض لدينا من الفرس في عهد أسرة يوان. وقد قال يذتشي في بداية أسرة مينغ ونهاية أسرة يوان: "إنه بدأ تصنيع نبيذ العنب ونبيذ دلاتي في عهد أسرة يوان" .

فيما يتعلق بنبيذ دلاتي، ذكرت "مقالات نظام مُعقَّد" من الجزء الثالث "الخشب والعشب" : "إن النبيذ الفرنسي، يُستخرج من خلاصة النبيذ الساخن باستخدام الأجهزة، ويُعرف حاليًا بـ (دلاتي)، وهو نبيذ مُركّز جداً، وصافٍ كالمياه، وغطاؤه شفاف" .

وقد سَجلت تسع وسبعون من جزء "مذكرات وقائع هونغوو"، في السنة السادسة من حكم الإمبراطور هونغوو: "قدّم البحّارة هوي نبيذ -دلاتي هديةً"، وسجّل خصائصها قائلًا: "إن مادة دلاتي نقية. ويقال إن عطرها يستطيع علاج أمراض القلب، ويستخدم في عمل مساحيق التجميل لتجميل النساء"، ومن تحليل جميع الوثائق التاريخية، تبين من الواقع أن دلاتي نبيذ أبيض صاف بدرجة عالية مستخلص من عملية التقطير.

[468]- الساكي شراب كحولي ياباني يصنع من الأرز المخمر؛ ومكوناته الأرز والماء، ويقدم باردًا أو دافئًا حسب المواسم والأذواق، تتراوح نسبة الكحول فيه بين ١٨ إلى ٢٠ بالمئة. والساكي قد تُطلق في أماكن أخرى من اليابان على مشروباتٍ كحوليّة مختلفة.

وقال تشوداروى[469] من عهد أسرة يوان: "إن - دلاتي النبيذ المُقطَّر"، وذكر طريقة صناعته: "وبالنظر إلى آلة التقطير البرونزية التي صنعوها، يمكن تقسيمها إلى جزأين التقطير وطهي النبيذ، وهي عبارة عن آلة مستديرة من الخارج وداخلها فارغ، ويُوضع بداخلها النبيذ، فيخرج النبيذ من آلة التقطير كالتعشيق المُحكم. ثم نغلي النبيذ على نار شديدة، ثم يتصاعد البخار إلى أعلى، ثم تتساقط القطرات، داخل صحن معدني، ثم نملأ منه كوبًا من اليشب مرة أخرى، وندعو الأصدقاء لحضور مأدبة الخمر وشرب النبيذ، مما يجعلهم في حاله سكر طينة". يمكن الحكم الأوليّ على ما سبق، أن العرب والفرس أدخلوا فن التقطير إلى الصين في فترة أسرة يوان، وصنعوا منها جميع أنواع النبيذ الأبيض الممزوج بدرجاته المختلفة التي نشاهدها في الوقت الحالي.

بالإضافة إلى أن نبيذ العنب من المنتجات الخاصة بمناطق وسط آسيا، قام السكان المحليون بإحضارها إلى مناطق السهول الوسطى. وسجّل يلوتشوتساي[470] ما سمعه وشاهده في آسيا الوسطى في "مذكرات رحلة إلى الغرب"، وفي سمرقند تُصنع الخمر من العنب والخوج، وطعمها كطعم نبيذ تشونغشانتيو. في فترة أسرة يوان، بدأت تنتشر زراعة العنب في المناطق الشمالية من الصين، وفي كل عام يُصنع نبيذ العنب في جينينغ لو (تايوان مركز مقاطعة شانشي)، وتُقدم جزيةً للقصر الإمبراطوري.

وقد سجّل يتذتشي: "في كل عام يُصنع نبيذ العنب في تاييوانفو وغيرها من المناطق، ويُرسل إلى تايشينغ شانتشنغ في شهر أغسطس. وللتمييز بين النبيذ الحقيقي والمزيف، فإن الحقيقي لا يتجمد، ويتساقط كالماء، أما النبيذ المزيف يتجمد ويصبح سميكًا وصلبًا"، من هذه التسجيلات، استطعنا إنتاج عنب عالي الجودة في مقاطعة شانشي، وانتشر نبيذ العنب في حديقة إي التي تنتجها تايوان في جميع أنحاء البلاد، فتشعر دون شك بأنه كلام منطقي.

---

[469] - رسام وشاعر، ولد (١٢٩٤م-١٣٦٥م).

[470] - سياسي، ولد (سنة ١١٩٠م-١٢٤٤م)، وكان مساعدًا ومعاونًا لأولاد جينكيز خان وأحفاده.

الباب السابع

نشأة وتطور سياسة الدولة تجاه الإسلام خلال الثورة الديمقراطية الجديدة

منذ تأسيس الحزب الشيوعي الصيني، وهو يهتم بالقضايا الدينية والقومية في الصين اهتمامًا كبيرًا، ويعدها مهمته التاريخية. وفي الوثائق المنهجية الصادرة بالتوالي عن الحزب الشيوعي الصيني، تم إدراج حلّ القضايا الدينية والقومية في الصين ضمن أحد المحتويات المهمة.

في جميع فترات البناء الاشتراكي وثورات الديمقراطية الجديدة، وضع الحزب الشيوعي الصيني سلسلة من السياسات لحل القضايا الدينية والقومية، وفقًا لتغيرات الوضع وخصائص القضية الدينية والقومية في الصين، كما لعب دورًا مهمًّا في إيقاظ الأقليات واستنفارها للمشاركة في ثورة الديمقراطية الجديدة التي قادها الحزب الشيوعي الصيني والنضال الثوري الوطني ضد الغزاة اليابانيين، والسعي من أجل تحرير الشعب الصيني وتحرير الأقليات القومية الأخرى، وتأسيس الصين الجديدة وغيرها من المهام.

كما لعب دورًا مهمًّا في تعزيز قضية البناء الاشتراكي في مناطق الأقليات، والإسهام في الازدهار والتنمية المشتركة لجميع القوميات وتعزيز الوحدة الوطنية. وقد ثبت علميًّا أن السياسات والمناهج الدينية والقومية للحزب الشيوعي الصيني صحيحة وفعالة، وتُعد نموذجًا لحل القضايا الدينية والقومية في العالم، "وتُعد الصين هي أكثر الدول نجاحًا في حل القضايا القومية في العالم"[٤٧١].

إن عملية التطوير والتشكيل للسياسة والمنهج الديني والقومي للحزب الشيوعي الصيني، كشفت تدريجيًّا مسيرة الطريق الصحيح لحل القضايا الدينية والقومية الصينية لتوحيد الدولة متعددة القوميات، عن طريق المزج الواقعي بين النظريات الدينية القومية للماركسية واللينينية مع القضايا الدينية والقومية الصينية، وهذه العملية

---

[٤٧١]– كتب نائب رئيس اللجنة الدائمة لمؤتمر الشعب الوطني عبارة ثناء على (لمحة عامة على السياسة المنهجية القومية للحزب الشيوعي الصيني)، نقلاً عن تينبينغجاو ووانغتيه جي: (لمحة عامة على السياسة المنهجية القومية للحزب الشيوعي الصيني)، ص١، دار نشر التعليم بهيلونغجيانغ، الطبعة الثانية، أكتوبر ٢٠٠٢م.

تشكلت من النظريات الدينية والقومية للماركسية واللينينية بخصائص صينية، وتُعالج باستمرار القضايا الدينية والقومية الصينية، مما حرّر جميع الأقليات وطوّرها. وبرغم أن هذه العملية صعبة وشاقة، إلا أنها فتحت آفاقًا واسعة بعد الاختبارات.

ونرى من تحت الغطاء أن سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام، تضم سياسته تجاه الإيمان بالإسلام والأقليات العشر التي تعتنق الإسلام. ونرى من نظامها أنها تضم النظريات الأساسية التي تتعلق بالقضايا القومية والإسلامية في الصين، كما تضم الأفكار السياسية والمنهجية والنظرية التي تتعلق بحلّ القضايا القومية والإسلامية، وتضم المبادئ والسياسات والطرق المتعلقة بالقضايا القومية والإسلامية، وغيرها من الأفكار في مختلف المجالات، فمحتواها ثريّ وعميق وواسع المعرفة، متضلع من العلوم، وهذا المحتوى هو أحد المحتويات الرئيسية التي شكّلت النظام النظري للدين والعرق بخصائص صينية.

وتسهيلاً للبحث والدراسة، يتناول هذا الكتاب فترة ٢٨ سنة على تأسيس الصين الجديدة وتأسيس الحزب الشيوعي الصيني، واتخاذ الثورة الديمقراطية الجديدة نقطة انطلاق، وناقش تطوُّر سياسة الحزب الشيوعي الصيني وتكوينها تجاه الإسلام.

من أسباب تطور سياسة الحزب وتكوينها:

أولاً: كان هذا الزمن فترة نمو الحزب الشيوعي الصيني من الطفولة إلى النضج، وانتقلت سياسته تجاه الإسلام من التفرق النسبي إلى الكمال والنظام، وشكّلت بذلك إطارًا أساسيًا ومحتوى لسياسة الحزب تجاه الإسلام بعد تأسيس الصين.

ثانيًا: في هذا الزمن، مرّ الحزب الشيوعي الصيني بمسيرة من الضعف إلى التطور في حكم بعض المناطق الحدودية؛ كمقاطعة نينغشيا وقانسو وشنشي، ومرت سياسته تجاه الإسلام بعملية التدقيق من الناحية النظرية إلى الناحية العملية.

ثالثًا: في أثناء النضال الكبير والعنيف مرتين في حرب التحرير وحرب مقاومة اليابان،

كانت سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام تُساير تغيرات الأوضاع وتطوراتها، وتضع أولوياتها في المقام الأول، وقدمت خبرتها اليوم إسهامات للدين الإسلامي والأقليات العشر التي تعتنق الإسلام، خاصة أنها تحمل دلالة إرشادية واقعية قوية.

أولاً: نُبذة عن سياسة الحزب الشيوعي تجاه الإسلام خلال الثورة الديمقراطية الجديدة

يمكن دراسة سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام من ناحيتين؛ مقدمته النظرية وخلاصته العملية.

◆ المقدمة النظرية:

إن أيّة صياغة سياسية لحزب وتطورها، لا تنفصل عن معتقداتها الأساسية، أو بتعبير آخر: إنها تصوير وتحديد لعقائدها الأساسية. ولا تَستثنِي سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام من ذلك أحداً. كما كشفت المظاهر الدينية للماركسية مصدر الوجود والتطور والنتاج الديني المستمد من تناقض الحياة المادية والصراع القائم بين علاقة الإنتاج بالإنتاجية الاجتماعية[٤٧٢].

إن الدين نتاج المجتمع الإنساني، وإن بقاء الدين وتطوّره يتوقف في نهاية التحليل على ظروف الحياة المادية، في فترة تاريخية محددة. ينعكس السلوك والإيمان الديني على الإنسان من خلال الواقع الاجتماعي، وجوهر الإنسان عبارةٌ عن المجموع الكلي لجميع العلاقات الاجتماعية.

وإن الإيمان الديني للإنسان لا يُولد، ولا يمكن تفسيره بصفته نظرة ثقافية ضيقة "غبي قابل محتال"، إنما هو اتصال وترابط مع الظروف الاجتماعية وطرقها لحياه

---

[٤٧٢]- الجزء الثاني من (الأعمال الكاملة لماركس وإنجلز)، ص ٨٢-٨٣، دار نشر الشعب، طبعة سنة ١٩٧٩م.

الإنسان والعوامل الذاتية الخاصة به. إن الشيوعيين الصينيين يتمسكون بالمظاهر الدينية والقومية للماركسية باعتبارهم من الحزب الماركسي، ويعتقدون أنه "لا مناص من ظاهرة الاعتقاد الديني، ما دام للناس بعض المشاكل لا يستطيعون حلها أو تفسيرها من الناحية الفكرية، فبعض الإيمان يحمل شكلًا دينيًا، وبعضه لا يحمل"[٤٧٣].

وهذه هي المقدّمة النظرية الأساسية لسياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام.

كان هذا الحزب يحمل الأفكار الدينية والقومية للسيد صن يات سين[٤٧٤]، ويُقر دائمًا بأن الصين دولة واحدة متنوعة القوميات، ويعتقد أن الأقليات - بما فيها من قوميات تعتنق الإسلام داخل الصين - عضو من الأسرة الصينية الكبيرة.

في هذه القضية، لم يعترف الحزب الشيوعي الصيني مع الطغمة الحاكمة بقيادة شيانج كاي شيك[٤٧٥] بوجود الأقليات في الصين، وثمَّة وجهة نظر تقوم على أن الصين بها ديانات مختلفة وقومية واحدة، وهذا يُوضح التناقض الكليَّ. وهذه هي المقدمة النظرية الثانية لسياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام.

◆ الاحتياجات التنموية:

٤٧٣- الجزء الثاني من (مختارات تشوانلاي)، ص٢٦٧، دار نشر الشعب، طبعة ١٩٨٤م.

٤٧٤- صن يات سين (قوانغدونغ ١٢ من نوفمبر ١٨٦٦م، تُوُفِّي في طريقه إلى بكين ١٢ من مارس ١٩٢٥م). قائد سياسي وفيلسوف ومنظر ثوري صيني. شكل سنة ١٩١٢م حكومة مؤقتة في الصين بعد الإطاحة بأسرة تشينج التي حكمت الصين من عام ١٦٤٤م حتى عام ١٩١١م.[1] وأعلن قيام الجمهورية في الصين عام ١٩١٣م. أول رئيس لجمهورية الصين ومؤسس الكومينتانغ، يعد والد الصين الحديثة. وأطلق اسمه على جبل في نانجينغ تخليدًا لذكراه.

٤٧٥- ولد في ٣١ من أكتوبر ١٨٨٧م، وتُوُفِّي في ٥ من أبريل ١٩٧٥م. قائد سياسي وعسكري صيني، تولى رئاسة حزب الكومنتانج الوطني بعد وفاة صن يات سين عام ١٩٢٥م، وقاد الحكومة الوطنية لجمهورية الصين من عام ١٩٢٨م لعام ١٩٧٥م، وقاد (حملة الشمال) لتوحيد الصين ضد أمراء الحرب التي أدت لأن يصبح رئيس جمهورية الصين عام ١٩٢٨م.

خلال المسيرة الكبرى، أقام الحزب الشيوعي الصيني اتصالاً وثيقًا مع الأقليات التي تعتنق الإسلام في منطقة الشمال الغربي، خاصة قومية الهوي. وبعد أن وصل الجيش الأحمر شمال شنشي، أولى الحزب اهتمامًا كبيرًا بمعالجة قضايا الإسلام والمسلمين بشكل سليم ومعاملتهم معاملة حسنة، من أجل سحق البلبلة والفوضى والانقسام بين علاقة الهوي بالهان، وتدبير مؤامرة "دولة الهوي".

كانت "الخطوط العريضة المتعلقة بقضايا قومية هوي" التي صاغتها اللجنة المركزية للعمل شمال غرب، التي فحصتها ووافقت عليها سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، علامة، ترمز إلى اكتمال سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام.

ومن الوثائق المنهجية المهمة من "الخطوط العريضة المتعلقة بقضايا قومية هوي"، أنه تم عرض سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام "الاحترام والحماية" بشكل مُنظم ومُلخص، كما عرضت سلسلة من الاستراتيجيات الملموسة تهدف إلى الرعاية والدعم.

عندما كانت حكومة المناطق الحدودية في شنشي وقانسو ونينغشيا تُنفِّذ سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام، احترمت المسلمين وعقيدتهم، ومنحتهم المساواة من الناحية السياسية، وقدمت لهم الدعم من الناحية الاقتصادية، ودفعت الجانب الثقافي للأمام بإيجابية، كما قامت بمزيد من إثراء مضمون سياسة "الاحترام والحماية" وأكمله من ناحية الممارسة العملية.

إن سياسة هذا الحزب تجاه الإسلام خرجت تدريجيًا من النضال الثوري طويل الأجل، وتعد هي "الأساس للسياسات الدينية والقومية التي تشكّلت على أساس الامتزاج الواقعي بين النظريات الدينية والقومية للماركسية واللينينية مع القضايا الدينية والقومية الصينية"[٤٧٦].

٤٧٦- يوتشينغجوي: (نظام حكم الأسرة المالكة السابقة الصينية والدين الإسلامي). ص٤٤٧، دار نشر الشعب بنينغشيا، الطبعة الأولى، نوفمبر عام ١٩٩٦م.

ويمكن القول: إنها تصوير وتحديد للمنهج الأساسي الذي وضعه الحزب الشيوعي الصيني لحل القضايا الدينية والقومية في ظل بيئة اجتماعية وظروف تاريخية خاصة.

ويمكن القول انطلاقًا من هذا المعنى، إن سياسة "الاحترام والحماية" تجاه الإسلام اكتمال وإثراء للمنهج الأساسي للحزب الشيوعي الصيني تجاه الدين والقوميات.

◆ المضمون الأساسي لسياسة "الاحترام والحماية":

إن المضمون الملموس الذي أقر بوضوح سياسة "الاحترام والحماية" للحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام، في "الخطوط العريضة المتعلقة بقضايا قومية هوي" هي: احترام حرية الإيمان الديني لشعب الهوي، واحترام عاداتهم وتقاليدهم، وتنمية فضائل الإسلام، ودعوة الإسلام لمقاومة اليابان، وحماية المساجد وحظر أي عمل ومعارضة أي قول يُهين الإسلام ويُقلل من شأنه.

إن "الخطوط العريضة المتعلقة بقضايا قومية هوي" وممارسات الحزب الشيوعي الصيني زودت من تحسين هذه السياسة في مجال العقيدة والسياسة والاقتصاد والثقافة وغيرها، من أربعة مجالات أخرى.

◆ احترام العقيدة:

اعترف الحزب الشيوعي الصيني بأن الإسلام ليس عقيدة بسيطة بالنسبة لقومية هوي؛ إنما جزء لا يتجزأ من حياتهم الاجتماعية وراية مقدسة للنضال الموحد. وترى وجهة نظر الماركسية واللينينية أن "إسقاط الدين" يرفع رغبة الناس تجاهه، كما أنها أفضل وسيلة لمنع زوال صحيح الدين"[٤٧٧]، فهي "نظرة ثقافية سطحية وبرجوازية وضيقة"[٤٧٨].

٤٧٧- لينين: (نظرة على موقف حزب العمال تجاه الدين الإسلامي)، نقلاً عن الجزء الثاني (الأعمال المختارة لينين)، ص٣٧٦، دار نشر الشعب، طبعة ١٩٩٥م.

٤٧٨- لينين: (نظرة على موقف حزب العمال تجاه الدين الإسلامي)، نقلاً عن الجزء الثاني (الأعمال المختارة لينين)، ص٣٧٨، دار نشر الشعب، طبعة ١٩٩٥م.

بتمسك الحزب الشيوعي الصيني بهذه النظرة، وفي (قرار اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني المتعلق بالواجبات والأوضاع السياسية بعد ما تجمع الجيش الرابع)، اعلن فرضية مشهورة تتعلق بالسياسة الأساسية للحزب تجاه الأقليات: "إن طرق ماركس ولينين وستالين ونظرياتهم المتعلقة بالقضايا القومية، السلاح الأكثر ثقة لنا في معالجة قضايا الأقليات"[٤٧٩].

وهذا أول مرة يَعرض فيها الحزب الشيوعي الصيني على جميع الأحزاب دراسة طرق ماركس ولينين وستالين ونظرياتهم المتعلقة بالقضايا القومية، مما يُوضح أن الحزب الشيوعي الصيني بدأ يهتم بشكل حقيقي بمعالجة القضايا الدينية والقومية.

وفي الحقيقة، وفي وقت مبكر في سنة ١٩٢٤م، ثمَّة قول شهير للرفيق ماو تسي تونغ إلى الناس في كتابه "تقرير ودراسة عن حركة الفلاحين في هونان": "كان بوذا من الفلاحين، وإذا أتت فترة محددة ترك فيها الفلاحون بوذا من أيديهم، فلا يجب على الآخرين ترك بوذا مبكرًا ليحلوا محل الطباخ الغائب.

فالسياسة المعلنة للحزب الشيوعي تجاه هذه الأمور هي: "ضرورة ضبط النفس، وإلا خرجت الأمور عن السيطرة"[٤٨٠]، وقد أكد رفيق تشو أن لاي بشكل خاص أنه: "بالنسبة للمعرفة الماركسية واللينينية عند أعضاء الحزب الشيوعي تحتاج إلى جميع الناس، وتحتاج إلى توحيد مفهوم العالم ومفهوم الإنسانية عند جميع الناس، وهذا مستحيل"[٤٨١]. وأشار بعض العلماء، في الأنشطة التطبيقية للثورة، أن مدارك الحزب الشيوعي الصيني تجاه القضايا الدينية والقومية تتعمق باستمرار، ويعتقد "أن الإيمان

٤٧٩- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٣٠٧، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعية الصيني، الطبعة الأولى ١٩٩١م.

٤٨٠- ماو تسي تونغ: (تقرير ودراسة عن حركة الفلاحين في هونان)، نقلاً عن الجزء الأول (الأعمال المختارة لماو تسي تونغ)، ص٣٤-٣٥، دار نشر الشعب، الطبعة ١٩٩٦م.

٤٨١- تشو أن لاي: الجزء الثاني من (الأعمال المختارة لتشو أن لاي)، ص٤٠١، دار نشر الشعب، الطبعة، سنة ١٩٨٤م.

الديني قضية المعرفة عند الناس وقضية العالم الداخلي"، وهي عبارة عن نشاط روحي كامل الحرية من ناحية الجوهر، وما هو سوى اختيار حر للناس، أما بالنسبة إلى الصواب والخطأ، فلا يمكن معرفته إلا بالأساليب الروحية.

وإن إلغاء الدين وحظره باستخدام أوامر إدارية وأساليب تعسفية بسيطة، وإعلان الحرب تجاه الإسلام، مخاطرة من الناحية السياسية، وتصرف أحمق، وستكون عواقبها فقط اختفاءً مؤقتًا للفكر والاعتقاد الديني، وتحريك مزيد من مشاعر التعصب تجاه الدين.[482]

في ظل هذه الأفكار التوجيهية، احترم الحزب الشيوعي الصيني الإيمان الديني للمسلمين احترامًا شديدًا. وعلى سبيل المثال عندما دخل الجيش الأحمر قرية المسلمين في قانسو، شرح الرفيق ماو تسي تونغ بنفسه للجنود الاعتقاد الديني لقومية الهوي وعاداتهم وتقاليدهم، وحذر الجنود من دخول القرية والإقامة بها، خاصة عدم السماح لهم بالإقامة في المسجد، وفي اليوم الأول لدخوله شخصيًا منطقة المسلمين في محافظة شيتي، أمر الحارس تشين تشانغ فنغ بإهداء فلاحي الهان المحليين كل أكياس الطعام الجافة المقلية في زيت الخنزير.[483]

في ٥ من أكتوبر ١٩٥٢م، قبل وصول القوة الرئيسية في الجيش الأحمر للجنة المركزية بقيادة الرفيق ماو تسي تونغ إلى التجمعات السكنية الفردية المأهولة بشعب الهوي عند سفح جبل ليوبان، قال للحرس الواقف بجانبه: "إن المسلمين لهم الكثير من القواعد؛ منها على سبيل المثال أنهم لا يأكلون لحم الخنزير، ولا يقولون كلمة (خنزير). ولما نصل إلى منطقة المسلمين، تناول لحم الضأن والبقر، ولا داعي لذكر لحم الخنزير، وهذا يسمى احترامًا لعادات الأقليات.

[482]- دي كانغ شينغ وينغ ياو: (الاشتراكية والديانة الصينية)، ص٢٢-٢٤، دار نشر الشعب بجيانغشي، الطبعة الثانية، أغسطس ١٩٩٦م.

[483]- ما شيان لون: (الإنجازات العظيمة للجيش الأحمر تجاه الأعمال القومية خلال المسيرة الكبرى)، (تقرير معهد قويتشو للقوميات)، الدورية الأولى، ١٩٩١م.

وسوف يرحّبون بك ما دمت تحترم هذه القواعد، وإن لم تلتزم بها جيدًا فستجلب مشاكل كثيرة"[484]. أشار رفيق تشوان لاي بشكل خاص: "أن ما يتعلق بالاعتقاد الديني،

[484]- سون باو اي وليو تشون ذنج وتسوجوى لان، (حياة القراءة لماو تسي تونغ)، دار نشر الوثائق المركزية، الطبعة الخامسة، نوفمبر سنة ٢٠٠٧م. وقد ذكر هذا الكتاب، أن الرفيق ماو تسي تونغ اقام هذه المرة في المساكن الفردية، واتفق مع إمام المسجد ولجنة إدارة المسجد بعد التشاور، على إقامة افخم المراسم عند قومية هوي "مادبة مشتركة" (مادبة يُعرض بها جميع الأطعمة المقلية وعين الجمل واللب (بذر البطيخ) و(السكر)، استقبالاً وترحيبًا بقدوم الجيش الأحمر. ومع شروق اليوم الثاني، ذهب إمام المسجد وما يون تشينغ ومائتين شان وتسعة آخرين إلى منزل تشنغنتيا الذي يسكن فيه ماوتسي تونغ. في البداية، منعهم الحرس. لكن سمع ماو تسي تونغ صوتًا في الخارج؛ فسمح لهم بالدخول، وتقدم الشيخ خطوة إلى الأمام، وانحنى لماو تسي تونغ وهو يضم اليدين قائلاً: "السلام (وتعني باللغة العربية التحية)"! واستقبلهم ماو تسي تونغ وهو مشرق الابتسامة، وانحنى وهو يضم اليدين أيضًا، ورد بلهجة هونان القوية: "شعب هوي الطيب". ثم سأل ماو تسي تونغ مبتسمًا: "أتخافون من الجيش الأحمر أم لا؟". اجاب الإمام الكبير وهو مشغول: "قد مر الجيش الأحمر بالمساكن الفردية". وقد عرفنا بعد ذلك أن الجيش الأحمر مُعلم الفضيلة، ولا خوف منه". سمع الجميع ذلك فضحك. ثم أشار الإمام الأكبر بيديه إلى "المادبة"، طالبًا من ماو تسي تونغ تناول الطعام، وتناول بيده حفنة صغيرة من السكر، وبيده الأخرى أعطى للحارس تشينغ تشانغ فانغ قطعة حلوى بنكهة طعام الهوي. وفي هذا الوقت، هلل الجميع. وبعد أن انتهت مراسم الاحتفال، دعا الإمام الأكبر ماو تسي تونغ إلى دخول الفناء الكبير للمسجد. وبه حديقة في وسط الفناء، فاهدى الإمام إلى ماو تسي تونغ الدوح الصيني، فقرّب ماو تسي تونغ الزهرة من أنفه وشمّها، وقال مرارًا وتكرارًا: "شكرًا لك ... شكرًا لك". وقبل دخول الفناء الكبير، توجه إلى غرفة الوضوء واستخدم "زجاجة الحساء" ليغسل يديه ووجهه، ثم خلع نعليه وغسل قدميه وترجل نحو الفناء الكبير. إذ النحت بجميع التصاميم النباتية والأحرف العربية. وقد اثنى ماو تسي تونغ على ذلك قائلاً: "إن النقوش جميلة، ، ومسلمو الهوي أذكياء". إن ماو تسي تونغ رجل بسيط وصادق وودود. وكان في القاعة الكبيرة يحكي بشغف للجميع قصة "مسجد القدم الذهبية"، وقال: "ثمّة مسجد في مدينة نانجينغ، يُعرف باسم آخر، ألا وهو المسجد الذهبي". ويقال بعدما سار تشويوانتشانغ الإمبراطور هونغوو، قام بزيارة المسجد بشكل خاص مرة واحدة، وحرس الإمبراطور كلٌّ من الجنرال تشانغيوتشون والجنرال هوداهاي من قومية الهوي. وبعدما نزل الإمبراطور من المحفّة (المحمل/ العربة) اتجه مباشرة إلى الفناء الكبير للمسجد، وعندما تقدم خطوة إلى الأمام، أمسك بيديه كل من الجنرالين (تشانغ وهو) قائلين: "اخلع نعليك عند دخول فناء المسجد، يحيا الإمبراطور". وما أن سمع حتى تراجع سريعًا. وقال وهو يخلع نعليه: "إني قادم، سألقي هذا الحذاء، وأرتدي آخر مُرصّعًا بالذهب"، ومن هنا سمّي باسم مسجد القدم الذهبية". سمع الإمام الأكبر هذا القصة فتأثر بشدة، وأمسك بيد ماو تسي تونغ بشدة. وخرج من الفناء الكبير، ودعاه إلى الجناح الغربي. وكان ثمّة "تسعة مقاعد حول المنضدة (بها تسعة أطباق مليئة بالطعام، وهي إحدى ولائم الهوي لاستقبال كبار الزوار)"، وجلس الجميع، وتناول ماو تسي تونغ الطعام بسعادة شديدة، وكان يضيف الطعام للآخرين بين الحين والآخر. ولمّا غادر ماو تسي تونغ المساكن الفردية، قدّم الإمام الأكبر "جميع الخراف" هديةً له نيابة عن أشقائه من الهوي.

هي حرية، لا يمكن التدخل فيها، وينبغي احترام الاعتقاد الديني للآخرين"[485]. وفي الوقت نفسه، بالنسبة لجيش الأقليات الذي شارك في الثورة "تم إنشاء فريق مستقل من الهوي، به عادات الهوي وتقاليدهم"، كما أقام جنود من الهوي في الجيش الأحمر أنشطة دينية إحياءً لذكرى "المولد النبوي" في مسجد بمحافظة ستشوان ماو خلال المسيرة الكبرى.[486]

وبعد وصول الجيش الأحمر إلى قاعدة شمال شنشي، أصدر "إعلان الحكومة المركزية الصينية والسوفيتية تجاه شعب هوي" يوم ٢٥ من مايو سنة ١٩٣٦م، ينص على: "إننا نحمي المسجد والإمام والحرية المطلقة للإيمان الديني لشعب الهوي، وفقًا لمبدأ حرية الإيمان"، مما يمثل موقفًا صادقًا في معاملة الحزب الشيوعي الصيني تجاه المسلمين.

وعلّق إدغار سنو على هذا قائلاً: "ينبغي على الجيش الأحمر احترام سياسة الإسلام بعاداته وتقاليده بكل حذر وانتباه، حتى يترك انطباعًا طيبًا في نفوس الفلاحين والإمام المشككين فيهم"[487].

اهتم الحزب الشيوعي الصيني بشكل كبير بقضايا الإيمان بالإسلام، في أثناء حكم المنطقة الحدودية في شانشي وقانسو ونينشيا، ويمكننا إلقاء نظرة على مُوجز سيرة إنشاء المساجد في المناطق الحدودية.

وفي نوفمبر ١٩٤١م كانت (اللجنة الحكومية للشؤون القومية في المناطق الحدودية في شانشي وقانسو ونينشيا توجّه خطاب التوصية وتقرير المجلس الاستشاري)، ترى أنه

485- (الأعمال المختارة من مجموعة مؤلفات الجبهة الموحدة لتشوان لاي)، ص ٣٨٥، دار نشر الشعب، الطبعة سنة ١٩٨٤م.

486- شيونغشوبي وهيتايتشونغ: (سياسة حزب شيه لون تجاه الدين خلال المسيرة الكبرى للجيش الأحمر)، دراسات الديانات العالمية، الدورية الرابعة، سنة ١٩٨٦م.

487- إدغار سنو (أمريكي): (النجم الأحمر يضيء الصين)، ص٢٩٠، المكتبة الثلاثية، الطبعة سنة ١٩٧٩م.

"مهما كان العصر قريبًا أو بعيدًا، فالصراعات بين الهان والهوي عدةٌ، بسبب القمع وانتهاك المساجد أو الآداب والأعراف، وتعتقد حكومة المناطق الحدودية أن الاعتقاد الديني حرية لأيّة قومية، كما يجب احترام العادات والتقاليد، وعند إقامة الهوي مسجدًا، تُقدم الحكومة لهم المساعدات والتسهيلات من أراضٍ ومصروفات وغيرها، وثمّة مساجد وأماكن لشعب الهوي في المنطقة الحدودية"[488].

وفي فبراير ١٩٤٠م، اقترحت جمعية الهوى بيانآن لإنقاذ الدولة بناء مسجد ومطعم إسلامي في مدينة يانآن، وانتهى البناء في شهر سبتمبر من العام نفسه، بعد موافقة حكومة المناطق الحدودية في شانشي وقانسو ونينشيا عليه، وكتب ماوتسي تونغ على هذا المسجد بقلمه الشخصي كلمة "مسجد" بالرموز الصينية، وتم حفرها على واجهة البوابة التذكاريّة الحجرية للمسجد، كما كتب إمام المسجد ماشينغ فو كلمة "مسجد" على ظهر البّوابة التذكاريّة الحجرية باللغة العربية.[489]

وفي ٧ من أكتوبر من العام نفسه، حضر مراسم افتتاح المسجد ٢٠٠ مندوب عن جميع الهيئات الحكومية في المنطقة الحدودية بشانشي وقانسو ونينشيا، كما حضر مراسم الافتتاح كلٌّ من تشودا[490] وشوتياتذاي[491] ووليويهان[492] وأيستشي[493]، ولتهنئة

488- (اللجنة الحكومية للشؤون القومية في المناطق الحدودية في شنشي وقانسو ونينغشيا تجاه خطاب التوصية وتقرير المجلس الاستشاري)، نشرت في (مجموعة الوثائق التاريخية الدينية والقومية في المناطق الحدودية)، ص١٢٧، دار نشر الشعب بشانشي، الطبعة سنة ١٩٩١م.

489- وقد أحرق هذا المسجد من أساسه عند هجوم هوتسونغ نان على مدينة يان أن. وفي أثناء تنظيف آثار المسجد في يناير ١٩٧٠م، تم استخراج البوابة التذكارية الحجرية "للمسجد" التي كتبها الزعيم ماو تسي تونغ.

490- ضابط بالجيش وأحد قادة الحزب الشيوعي الصيني. منحته الجمهورية الصينية الشعبية لقب "المشير"، وهو يؤمن بأفكار الماركسية واللنينية.

491- معلم وناشط اجتماعي بارز.

492- كان وزيرًا سابقًا في الجبهة المتحدة للحزب الشيوعي الصيني، وثوريًا من طبقة البروليتاريا، وعضوًا في اللجنة الدائمة للمكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني.

المسلمين أهدتهم حكومة المنطقة الحدودية لوحة ثناء كُتب عليها "الإرادة الجماعية سور حصين".

◆ المساواة من الناحية السياسية:

إن قضية المساواة القومية قضية أساسية في العلاقات القومية الصينية والأجنبية قديمًا وحديثًا، وهي قضية جوهرية من ناحية القضية القومية. كما أن الاضطهاد القومي والسيطرة والاستغلال والتمييز والقيود والعبودية والصهر، وغيرها، دلالة التمييز العنصري أو نتاجه.

ويدعو الحزب الشيوعي الصيني دائمًا وأبدًا إلى المساواة الكاملة بين جميع القوميات في جميع مجالات الحياة الاجتماعية، باعتباره من الحزب الماركسي، وتعد المساواة القومية أحد المبادئ الأساسية لمعالجة العلاقات القومية.

وفي "بيان ١ من أغسطس"، إعلان أن الحزب الشيوعي سينفذ سياسة المساواة نفسها بين جميع القوميات داخل الصين[٤٩٤]. وفي ديسمبر ١٩٣٥ ومايو ١٩٣٦، أصدر ماو تسي تونغ إعلانًا للمغول وشعب الهوي، كل على حدة، باسم الحكومة المركزية السوفيتية الصينية، يفضح فيه قيام حكومة تشانغ كاي تشيك بجرائم القمع الوحشي تجاه الأقليات، كما أعلن بصرامة أن "الأمة لا يعلوها شيء، وفي الوقت نفسه، أعلن المساواة بين القوميات كافة"[٤٩٥].

وثمَّة أربعة جوانب تقوم عليها نظرية المساواة القومية للحزب الشيوعي الصيني وسياستها؛ وهي:

٤٩٣- فيلسوف صيني من المغول.

٤٩٤- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٣٠٤، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٤٩٥- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٣٢٢، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

أولاً: "المساواة بين جميع القوميات التي تطلب دخول الصين"[٤٩٦]، "وأن تكون ثمَّة حقوق متساوية بين الهان وجميع القوميات كالمغول والهوي والتبت ومياو وياو وبي وفان"[٤٩٧].

ثانيًا: "الاعتراف بحقوق المساواة والحكم الذاتي لجميع الأقليات الموجودة داخل حدود الصين"[٤٩٨].

ثالثًا: أن تكون ثمَّة حقوق مُتساوية بين جميع القوميات من ناحية اللغة والكتابة والعادات والتقاليد والاعتقاد الديني[٤٩٩]، "وينبغي على المشرك أن يُحتَرَم من المؤمن، وينبغي على المؤمن أن يحترم المشرك. ويجب التعاون بين المشرك والمؤمن. ويجب التعاون مع من يؤمنون بديانات مختلفة"[٥٠٠].

رابعًا: التمسك بسياسة المساواة القومية في جميع الأعمال[٥٠١].

إن فكرة المساواة تجسيد ملموس ودقيق جدًا لسياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام، وعلى سبيل المثال، بالنسبة للصراع بين الهان والهوي القائم فعليًا في ذلك الوقت، يعرض بوضوح "أنه يجب أولاً إنهاء الصراع بين الهان والهوي وفقًا لمبدأ المساواة

٤٩٦- الجزء الثاني من (الأعمال المختارة لماو تسي تونغ)، ص ٧٥٢، دار نشر الشعب، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩١م.

٤٩٧- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٥٩٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٤٩٨- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص١١٢٣، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٤٩٩- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٣٢٣، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٥٠٠- الجزء الثاني من (الأعمال المختارة لتشوان لاي)، ص٢٦٧، دار نشر الشعب، الطبعة سنة، ١٩٨٤م.

٥٠١- (الأعمال المختارة من رسائل ماو تسي تونغ)، ص ٣٤٩، دار نشر جيش التحرير الشعبي الصيني، الطبعة سنة ١٩٨٤م.

"القومية"، ويتضح من المكانة السياسية لقومية هوي "تمتُّع قومية هوي بحقوق متساوية مع قومية الهان"[502]، ونصّ فيما يلى أربعة إجراءات ملموسة:

١- إعطاء شعب الهوي حق إدارة الشؤون الذاتية، في ظل مبدأ المقاومة المشتركة ضد اليابان.

٢- مشاركة الهوي بعدد مناسب يليق بهم في الحكومة المركزية وحكومة مقاطعة قانسو، بوصفهم أعضاء في اللجنة وأعضاء في العمل الإداري، ومشاركتهم بعدد مناسب يليق بهم، وهو نفسه في أجهزة السلطة الحاكمة في جميع مقاطعات المدن والمحافظات التي يعيش فيها الهان والهوي.

٣- أن تكون ثمَّة أماكن يعيش فيها الهوي، وأعضاء من الهوي بعدد مناسب يليق بهم في المجلس الاستشاري بالمقاطعات والمحافظات والمدن.

٤- أن تكون ثمَّة أماكن يعيش فيها الهان والهوي معًا، وينبغي على الحكومة المحلية إنشاء لجنة مكونة من شعب الهوي المحلي، بصفتها هيئة في حكومة المقاطعات والمدن والمحافظات، لإدارة الشؤون المتعلقة بالهوي، وتصحيح العلاقات بين الهان والهوي"[503].

اتخذت حكومة المنطقة الحدودية في شنشي وقانسو ونينغشيا الكثير من الإجراءات التطبيقية والتأمينية في القضايا الأساسية؛ كمشاركة المسلمين في الأنشطة السياسية والانتخابات وإقامة مناطق ذاتية الحكم واجتماعات الرأي وحرية التنظيمات، وما يرتبط بالمساواة السياسية، وفقًا لسياسة الحزب الشيوعي تجاه الإسلام:

٥٠٢- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٦٥٣، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٥٠٣- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٦٥٢، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

أولاً: ضمان مصالح المسلمين من خلال قوانين الانتخابات، ووضع نصوص ملموسة ومتخصصة تجاه مشاركة المسلمين في الانتخابات من خلال قوانين الانتخابات التي أقرتها الدورة الأولى للمجلس الاستشاري في المنطقة الحدودية في ١ من يناير ١٩٣٩م، والدورة الثانية للمجلس الاستشاري في نوفمبر ١٩٤١م، ومحاولة تطبيق هذه النصوص بكل جهد في الانتخابات.

وعلى سبيل المثال انتخابات الدورة الثانية للمجلس الاستشاري، انتُخب مافوشينغ بصفته واحدًا من الأعضاء الثمانية عشرة (١٨) في اللجنة الحكومية، ويمثل المسلمون ثلاثة (٣) أعضاء في المجلس الاستشاري للمنطقة الحدودية، كما يمثلون أحد عشر (١١) عضوًا في المجلس الاستشاري للمحافظات، ويمثلون واحدًا وعشرين (٢١) عضوًا في المجلس الاستشاري الريفي.

ثانيًا: مساعدة المسلمين في إنشاء هيئة حكم ذاتي في جميع مناطق القوميات بجميع مستوياتها:

كما نصّ (البرنامج الإداري) الذي أُعلن في ١ من مايو ١٩٤١م: "وفقًا لمبدأ المساواة القومية، تطبيق حقوق المساواة بين قومية المغول والهوي مع الهان في مجال السياسة والاقتصاد والثقافة، وإقامة مناطق ذاتية الحكم للمغول والهوي".

وفقًا لهذا البرنامج، تمت إقامة ٥ قرى ريفية ذاتية الحكم للهوي، بالتوالي، بعد عام ١٩٤١م. وفي هذه القرى، ينتخب الجمهور بنفسه عمدة القرية، ويدير العمدة الشؤون السياسية والاقتصادية والثقافية للقرية. ووفقًا لتقرير (جريدة التحرير اليومية) في يوم ٢٩ من ديسمبر ١٩٤٥م، كان ثمَّة ٥٩ رجلًا منتخبًا و٥١ امرأة منتخبة عن القرية الريفية ذاتية الحكم للهوي في منطقة سانتشه بمحافظة تشينيوان، وفي انتخابات هذا العام، حضر الجميع الاجتماع.

في ذلك الوقت، كان عمدة القرية خونغتيونغ عنيفاً في موقفه تجاه الجماهير، ولا يحظى بالثقة، وبعد أن عقدت القرى الريفية ذاتية الحكم اجتماعاً للريفيين، اتخذت قرار سحب الثقة من عمدة القرية، وفي منطقة جوانتشونغ شونتشونغ، تقي (الهاني/الصيني) شاوتشونغ حباً وتأييداً من الهوي بسبب احترامه لأشغاله الهوي التعصبين والشعر، عمدة القرية ورئيس المجموعة الإنتاجية للهوي بصفة استثنائية.

ولا يمكن تحقيق هذه الانتخابات الديمقراطية في الصين في ذلك الوقت إلا في مناطق القوميات ذاتية الحكم في المناطق المحررة الواقعة تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني[504].

ثالثاً: ضمان حق نشر الرأي للمسلمين وحرية التنظيم:

إن جمعية المسلمين بيانكو لإنقاذ الدولة - التي تأسست في ٢٦ من فبراير ١٩٤٠م - أول مجموعة من الأقليات لإنقاذ الدولة ضد اليابان في المنطقة الحدودية بشنشي وقانسو ونينغشيا. ثم تأسست بالتوالي جمعية الهوي لإنقاذ الدولة ضد اليابان وجمعية الهوي العامة في جميع مناطق جي شونغ.

وعندما تأسست المنطقة الحدودية بينتشاتشي، تأسست بشكل موحد الجمعية العامة الموحدة للهوي لإنقاذ الدولة ضد اليابان في جميع المناطق الحدودية جين تشا جي. كما لعبت هذه المجموعة دوراً إيجابياً في القيام بالدعاية وتعبئة المسلمين لمقاومة اليابان وتنظيم قوات مسلحة ضد اليابان ومعالجة القضايا الحياتية والإنتاجية للمسلمين وغيرها من القضايا، وأصبحت منظمة قوية للمسلمين متحدة كشخص واحد مع قواعد الحزب الشيوعي الصيني المتحد لمقاومة اليابان.

[504]- قوة اللي: (الخطيط المريحة الحكم الذاتي للمناطق القومية الصينية)، نقلاً عن (دراسات قومية)، العدد الخامس، لعام ١٩٨٩م.

تقديم الدعم الاقتصادي:

إن المضمون السياسي والاقتصادي للحزب الشيوعي الصيني المتعلق بالأقليات ثري جداً، ويتمثل بشكل أساسي في ميدانين:

الأول: تقديم المساعدة الخالصة والمساعدة الحقيقية تجاه الأقليات.

وبعد أن اكتشف الحزب والجيش الأحمر البيئة السيئة لمناطق الأقليات والحالة الاقتصادية الفقيرة للأقليات، ركّزوا وأعطوا مصالح الجمهور اهتماماً كبيراً، وقدموا لهم مساعدة حقيقية، "حافظ الجيش الأحمر بصرامة على الأنظمة الثلاثة الكبرى والتنبيهات الثمانية، حتى لو شرب الجميع سلطانية من المياه وأكل قطعة من الفطير، لا بد من دفع أموال أكثر من ضعف قيمتها، ، و مكافأة عامة الناس لترقيعهم أثوابهم و طحن شعير الهضاب لهم.-. وكان نقص المياه في منطقة جونديان سبباً في مساعدة شعب التبت الجيش الأحمر في حربه المصيرية، فكانت مكافأته عالية جداً"[505].

الآخر: تطبيق سياسة المساواة بين جميع القوميات من الناحية الاقتصادية.

"وتطبيق المساواة القومية، فشعب المياو وشعب الهان لهما الحقوق نفسها؛ من الناحية الاقتصادية والسياسية"[506]. لذا، في الأنشطة التجارية الكثيرة، وضع الحزب والجيش الأحمر نفسه من البداية إلى النهاية كياناً عادياً في التبادلات السوقية، وتوسع في الأنشطة التبادلية والشرائية مع الأقليات الفقيرة على أساس المساواة.

وفي ظل توجيه المبدأين، اقترح الحزب الشيوعي الصيني مجموعة من سياسات التنمية الاقتصادية للأقليات بما فيها القوميات التي تعتنق الإسلام داخل الصين، كما

[505]- هوويتيه: (سياسة الجيش الأحمر تجاه الديانات القوميات خلال المسيرة الكبرى)، (دورية قوي تشو للعلوم الاجتماعية)، العدد السادس، لعام ١٩٨٨م.

[506]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٢٤٦، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

اقترح من خلال (مشروع موجز للقوانين الأساسية للجمهورية الصينية والسوفيتية)، أنه "تجب مساعدة الأقليات بكل جهد في تطوير القوة الإنتاجية للاقتصاد، مما يؤدي إلى الوصول إلى القاعدة المادية الحضارية للاشتراكية السوفيتية"[507].

كما اقترح (بيان الحزب الشيوعي الصيني تجاه الوضع السياسي الحالي) الذي كان في العام نفسه "مساعدة جميع الأقليات على تطوير اقتصادها وثقافتها القومية"[508]. كما اقترح (القرار المتعلق بشأن قضايا الأقليات داخل الصين) الذي كان في عام ١٩٣١م، "المراعاة الشديدة تجاه تطوير الإنتاجية لجمهورية الأقليات الواقعة بين الجمهورية السوفياتية الصينية أو المناطق ذاتية الحكم"[509].

إن هذه السياسات والمبادئ ستنعكس على تنمية الاقتصاد للأقليات التي تعتنق الإسلام في الصين، كما تشير - بشكل خاص - إلى شعب الهوي: "أنه يجب أن تكون ثمّة سياسات مناسبة لشعب الهوي، وعدم انتهاك حقوق الحياة للأقليات من الناحية السياسية والاقتصادية"[510].

بلغت وثائق الحزب الشيوعي الصيني المتعلقة بحياة قضية شعب الهوي ونتاجها أكثر من ١٤ وثيقة (تشمل الأوامر والتقارير والرسائل والبرامج وغيرها)، خلال فترة الحرب الثورية الأهلية الثانية. واقترح (منهج النضال لشعب الهوي) في سنة ١٩٥٣م "إعادة الأراضي والثروات والماشية التي لم تستحوذ عليها الإمبريالية وأمراء الحرب

507- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص١٢٣، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

508- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص١٢٩، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

509- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص١٧٠، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

510- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٤٦، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

والبيروقراطيون ومُلّاك الأراضي من الهان، وتوزيعها على فقراء الهوي"، "وتوزع الماشية والأراضي التي لم تستحوذ عليها قومية الطبقة الحاكمة على فقراء الهوي بالمساواة"[511].

وكان بيان (قومية فان وهوي وقاو في المنطقة العسكرية شمال غرب الجيش الأحمر الصيني المكون من الفلاحين والعمال) الذي كان في العام نفسه، يقترح أنه قد "قام الاتحاد السوفيتي بتوزيع أراض زراعية والبقر والخراف والحبوب الغذائية والأبنية والثروات على فقراء الهان والفان"، "وأعطى الاتحاد السوفيتي للعمال عمل ثماني ساعات"، "وألغى الاتحاد السوفيتي جميع المبالغ المالية الضريبية التي أصدرها موظفو الهان في الكومينتانغ، وعارض التجنيد الإجباري للناس سُخرة"[512].

كما اقترح (موجز شعار حركة الجيش الأربعة للجيش الأحمر الصيني من الفلاحين والعمال) في ١١ من يونيو ١٩٣٦م، إلغاء "الضرائب الباهظة والرسوم المرهقة على أمراء الحرب من موظفي الهان الذين اضطهدوا مسلمي الهوي"، "وحماية تجارة مسلمي الهوي، وحماية التُجار الكبار والصغار من مسلمي الهوي"، "ودعا الجيش الأحمر الناهض لليابان إلى تحسين حياة مسلمي الهوي"[513].

اتخذت حكومة المنطقة الحدودية في شانشي وقانسو ونينغشيا الكثير من الإجراءات العمليّة، من أجل حماية تنمية اقتصاد المسلمين ودعمها، في ظل الأحوال والظروف الاقتصادية الصعبة للغاية نفسها.

وطبقًا للإحصائيات غير الكاملة، هرب إلى المناطق الحدودية أكثر من ألف أسرة

511- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٤٨٨، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

512- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٣٤٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

513- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص381، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

من الهوي؛ لعدم تحمل اضطهاد حكومة الكومنتانغ، "فأعطتهم حكومة المنطقة الحدودية رسميًا أراضي بورًا، وطبقًا للإحصائيات غير الكاملة: أعطت الحكومة المسلمين (شعب الهوي) ٤٠٠٦ مو (وحدة المساحة الصينية للأراضي) من الأراضي الزراعية، و١١١٣٥ مو من الأراضي البور في سهل جوانتشونغ، وأعطت المسلمين (شعب هوي) ٢٠٠ مو من أراضٍ سكنية في منطقة تشنغ بمحافظة يانتشي، وأعطت تسع أسر منهم ٤٠٠ مو من الأراضي الزراعية بمحافظة هوان، وخمسة بيوت في الكهف و٣٠ مو للمقابر"[514].

وفي العام نفسه، منحت حكومة المنطقة الحدودية سياسة الدعم الإيجابي للمسلمين المقيمين في المناطق التابعة للصين، وخصصت هذه الحكومة ثلاث معونات غذائية للاجئين المسلمين المهاجرين من المناطق ذاتية الحكم، وهي قروض زراعية بقيمة ١٥٠ ألف يوان و١٠٠ شانغ من الأراضي الزراعية و٢٥٠٠ كيلو علف، بالإضافة إلى ذلك، قدّمت عشر عربات غزل هدية مجانية، وقدّمت الدعم للنساء المسلمات على تنمية الإنتاج.

وفي ٣٠ من مايو ١٩٤٤م، في تقرير (جريدة التحرير اليومية)، قد قال أحد الأئمة من أهل البلد بشكل عاطفي: "إن جيش الطريق الثامن صديقنا، وهذا ليس تملقًا له، فقد كانت جميع منشآته لدعم تنمية المسلمين، توافق قوانين الدولة والسُنَّة، لذا نقول إنه صديق طيّب، وندائي للجميع بالاجتهاد في العمل، وطاعة أوامر الحكومة وقوانينها".

◆ دفع الثقافة إلى الأمام:

خلال الثورة الديمقراطية الجديدة، أعطى الحزب الشيوعي الصيني اهتمامًا كبيرًا بتنمية الأقليات ثقافيًا وتربويًا، كما اتخذت إجراءات وسياسات مناسبة في جميع مراحل الثورة. وأعلن (مشروع موجز للقوانين الأساسية للجمهورية السوفيتية الصينية) في مايو ١٩٣٠م "أن المغول والهوي وميولي والكوريين قوميات ضعيفة تعيش داخل الحدود

[514] - ترى (اللجنة الحكومية للشؤون القومية في المناطق الحدودية في شانشي وقانسو ونينغشيا تجاه خطاب التوصية وتقرير المجلس الاستشاري)، نقلا عن (مجموعة الوثائق التاريخية الدينية والقومية لقومية المناطق الحدودية في شانشي وقانسو ونينغشيا)، ص١٣١-١٣٢، دار الشعب بشانشي، طبعة سنة ١٩٩١م.

الصينية، وعلى الاتحاد السوفيتي تقديم المساعدة لهؤلاء القوميات الضعيفة أو المتخلفة في تنمية ثقافتها القومية ولغتها وغيره"[515].

وبعد هذا الإعلان القضية اللغوية التي يطرحها الحزب الشيوعي الصيني لأول مرة من أجل تطوير الأقليات، وهو يحمل معنى واضحًا ومهمًا. إن (بيان الحزب الشيوعي الصيني تجاه الوضع السياسي الحالي) في أغسطس من العام نفسه، أعلن بشعار واضح أنه "تجب مساعدة جميع الأقليات في الثقافة والاقتصاد والقومية"، "وتطبيق التعليم الإلزامي بالمجان في أنحاء البلاد"، ويرى "أن هذه الطلبات حاجة ملحة لملايين الكادحين الصينيين، وهذا يجب أن يكون أكثر البرامج العملية الملموسة لحكومتي الاتحاد السوفيتي والصيني.

وبدا التنفيذ الإيجابي الصارم، في اليوم الأول لتأسيس حكومة الاتحاد السوفيتي"[516]. في (تعليمات عمل الأقليات في الدوائر السياسية في المنطقة العسكرية شمال غرب للجيش الأحمر الصيني من العمال والفلاحين)، في مايو ١٩٣٥م، اقترح "العمل الثقافي للأقليات وأنشأ مدرسة لأهل القومية، وتعين أساتذة لغة من أهل القومية"[517].

واقترح (بيان الحكومة المؤقتة لاتحاد شمال غرب الجمهورية السوفياتية الصينية تجاه لجنة الأقليات هوي وفان وبي) "رفع التعليم والثقافة لقومية الهوي والفان والبي، وإنشاء مدرسة لهم، وتدريس الكتب بلغتهم، وعدم تقاضي أجر من الشباب والفتيات من هذه القوميات نظير تعليمهم"[518].

[515] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص١٢٢، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[516] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص١٢٩-١٣٠، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[517] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٢٨٢، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[518] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٢٦٤، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

وفي (بيان الحكومة المركزية للجمهورية السوفياتية الصينية تجاه قومية الهوي) في ١٩٣٦م، تم اقتراح "حماية ثقافة المسلمين (الهوي)، وتنمية التعليم والثقافة للمسلمين (الهوي)، وإنشاء جريدة لهم، ورفع مستوى التعليم والثقافة الوطنية"[٥١٩].

وتم استثمار الكثير من الموارد المالية والطاقة في المنطقة الحدودية بشانشي وقانسو ونينغشيا من أجل تطوير قضايا الثقافة والتربية للمسلمين، وتأسس بشكل خاص جمعية الهوي للتقدم الثقافي التي تقوم بتنمية الثقافة القومية. وفي مجال التعليم الوطني، وبين عامي ١٩٣٨م-١٩٤٥م في المنطقة الحدودية، تم إنشاء ٨ مدارس ابتدائية إسلامية في جميع المناطق التي يسكن فيها المسلمون، ويكون المعلمون فيها من المسلمين، ويدرسون مواد إسلامية؛ وفي أكتوبر ١٩٤١م، تم استثمار مليون وسبعمائة ألف يوان لإنشاء مدارس إسلامية عامة.

وفي مجال التعليم الاجتماعي في محافظة دنغبان، أُلحق بالمدرسة الإسلامية العامة مدرسة ليلية وفصول محو الأمية، وفي الوقت نفسه استغلت هيئة تعليم المنطقة الحدودية ذهاب المسلمين لأداء الصلاة في المسجد، وقامت بقراءة الجرائد للجماهير، وتعليم الجماهير الكتابة والقراءة. وأنشأت بعض المدارس الابتدائية الإسلامية مجموعة أسرية لمحو الأمية، وساعدت في محو أمية البالغين المسلمين وربات البيوت، وحصلت على نتائج جيدة.

وفي مجال تدريب كوادر الأقليات، أسست مدرسة الحزب فصولًا للمسلمين من خلال وضع أساس لفصول القوميات في يوليو ١٩٣٩م؛ كما أسست المدرسة العامة - شمال شانشي - فرقة عمل من الأقليات في أغسطس ١٩٤٠م، وأنشأت بشكل منظم الهيئة القومية في يونيو (حزيران) من العام التالي، وكان طلابها الأساسيون من المغول

٥١٩- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٣٦٧، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

والهوي والتبت وبي ومياو والمان وغيرها من كوادر القوميات، وبعد ذلك، مع احتياجات تطور العمل القومي، وفي سبتمبر سنة ١٩٤١م، على أساس الهيئة القومية للمدارس العامة في شمال شانشي، أُسس أيضًا معهد يانان لدراسات القوميات، ولتدريب عدد كبير من كوادر الأقليات، وتمثل كوادر المسلمين الصينيين عددًا كبيرًا منهم.

ثانيًا: تطور سياسة الحزب الشيوعي تجاه الإسلام خلال الثورة الديمقراطية الجديدة.

خلال الثورة الديمقراطية الجديدة، كانت سياسة الحزب الشيوعي تجاه الإسلام وغيره من الديانات والقوميات سياسة واحدة، تسير نحو التغيّر من التبعثر النسبي إلى المنهجية، والتغيّر من النظريات الخالصة (البحتة) إلى النظريات والتطبيق، والتغير من المنهجية إلى العملية.

◆ فترة الحرب الثورية الأهلية الأولى:

كان المؤتمر الوطني الأول للحزب الشيوعي الصيني - الذي عُقد في ٢٣ من يوليو إلى 31 من يوليو سنة ١٩٢١م، الحدث الأكبر في تاريخ الصين الحديث، ويشير إلى صعود الحزب الشيوعي الصيني رسميًا إلى المسرح التاريخي للثورة الصينية، وهو أيضًا بداية لتاريخ تطور السياسات المنهجية للحزب الشيوعي الصيني تجاه الديانات والقوميات.

إن فترة الحرب الثورية الأهلية الأولى من يوليو عام ١٩٢١م إلى يوليو عام ١٩٢٧م "فترة نمو لسياسة الحزب الشيوعي الصيني ومنهجيته تجاه القوميات والعمل القومي"[٥٢٠].

كانت درجة اتساع نشاط الحزب الشيوعي الصيني وعمقه ونطاق منطقة نشاطه

٥٢٠- تينبينغجاو وواننتيه جي: (لمحة عامة على السياسة المنهجية القومية للحزب الشيوعي الصيني)، ص٩٩، دار نشر التعليم بهيلونغتيانغ، الطبعة الثانية، ديسمبر عام ٢٠٠٢م.

ومجالـه الاجتماعي في النشاط المتفتح محدودًا جدًا في هـذه الفترة، وأعماله تجاه الأقليات محدودة كذلك. لذلك، تتركز وثائق الحزب الشيوعي الصيني المتعلقة بقضايا الدين والقوميات بشكل أساسي في المناقشات المنهجية، لكن السياسات الملموسة قليلة.

كان تأثير سياسة الحزب الشيوعي الصيني ومنهجه تجاه العمل الوطني للأقليات، وشرح ماركس وإنجلز ولينين وستالين والتطبيق العملي القومي والديني لروسيا السوفيتية، تأثيرًا عظيمًا. إن وثائق هذه الفترة المتعلقة بقضايا الدين والعرق هي في الأساس المضمون المتعلق بـ(بيان المؤتمر الوطني الثاني للحزب الشيوعي الصيني)، وظلت أفكارها الأساسية وأسلوبها مستمرة حتى المؤتمر السادس.

في هذه الفترة، قام الحزب الشيوعي الصيني بتحليل الصين والعالم في ذلك الوقت من وجهة نظر التحليل الطبقي ونظرية لينين المتعلقة بمرحلة الإمبريالية، وقسّم العالم إلى شعوب مضطهِدة وشعوب مضطهَدة من الاستعمارية وغير الاستعمارية، ويرى أن الطبقات البرجوازية والفلاحين والعمال، وغيرهم، تتعرض للاضطهاد والكبت بدرجات مختلفة من حكم أمراء الحرب الإقطاعيين في الصين.

لذلك واجهت الثورة الصينية مهمة مزدوجة للثورة الديمقراطيّة والقومية؛ وهي الإطاحة بالاضطهاد الإمبريالي في الخارج، وتحقيق الاستقلال الكامل للقومية الصينية؛ والقضاء على الصراع الداخلي، والإطاحة بأمراء الحرب، وبناء السلام الداخلي. وإن قضية القومية الصينية جزء من الثورة الديمقراطيّة.

من ناحية القرار الذاتي والحكم الذاتي- ظهر تأثير نموذج الاتحاد السوفيتي- عند تحليل الحزب الشيوعي الصيني للقضايا القومية، قام بتقسيمها إلى "القيادة العامة" و"الإدارة الحدودية". ويرى أن المغول والتبت وشينجيانغ المسلمة تتبع الإدارة الحدودية، وثمَّة اختلاف أساسي بينهم وبين القيادة العامة لجميع المقاطعات الصينية[521].

٥٢١- القيادة: كان الحزب الشيوعي الصيني يطلق على المناطق الداخلية التي تضم المقاطعات الثلاث في الشمال الشرقي القيادة العامة، كما بالنسبة إلى الوضع الانفصالي لأمراء الحرب في ذلك الوقت، إذ اقترحوا أولاً توحيد القيادة العامة إلى الجمهورية الديمقراطية الحقيقية.

من الناحية الاقتصادية، ووفقًا "للاختلاف الاقتصادي" ومبدأ "احترام الشعوب الحدودية"، ينبغي "الإسهام في نجاح بلدان الحكم الذاتي للقوميات الثلاث المغول والتبت والمسلمين، ثم تتحد لتصبح الجمهورية الصينية المتحدة، وهذا هو الاتحاد الديمقراطي الحقيقي"[522].

وهذا الأسلوب "يعكس عدم المعرفة العميقة للحزب الشيوعي الصيني تجاه أوضاع القوميات داخل الصين في المرحلة الأولى، والتأثير الكبير نسبيًا لاتحاد روسيا السوفيتية، وفي الوقت نفسه تأثر بأفكار الكومنتانغ ' جمهورية القوميات الخمس ' (الهان والمان والمغول والمسلمين والتبت)"[523].

◆ من ناحية المساواة القومية:

إن المساواة القومية أحد المبادئ الأساسية للماركسية في القضايا القومية. كما تتمثل سياسة المساواة القومية وأفكارها في وثائق الحزب الشيوعي الصيني في المرحلة الأولى. على سبيل المثال، يمثل البرنامج الأول للحزب الشيوعي الصيني عام ١٩٢١م أفكار المساواة القومية القوية، وينص على "عدم التمييز القومي" و"قبول أعضاء في الحزب"[524]. وقد قال لي داجشاو - أحد القادة الأوائل في الحزب الشيوعي الصيني - بشكل خاص في مقال: "لا يمكن أن يقوم (الحظ الديواني القديم) لي شو على أربع قوميات فقط من الخمس قوميات الكبيرة، الهان والمان والمغول والمسلمين والتبت"[525].

٥٢٢- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص١٥-١٧، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

٥٢٣- تينيينغجاو ووانغتيه جي: (لمحة عامة على السياسة المنهجية القومية للحزب الشيوعي الصيني)، ص١٠٠، دار نشر التعليم بهيلونغجيانغ، الطبعة الثانية، أكتوبر عام ٢٠٠٢م.

٥٢٤- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٣، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

٥٢٥- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٥٦، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى عام ١٩٩١م.

◆ من ناحية احترام المصالح القومية واعتقاداتها:

في وثائق هذه الفترة، ذُكر أكثر من مرة، احترام حقوق القوميات المسلمة وقضايا المصالح القومية. وقد تم التأكيد في وثائق سنة ١٩٢٦م: "ضرورة أن تكون ثمّة سياسة مناسبة للمسلمين، وعدم الإضرار بحقوق الحياة للأقليات من الناحية السياسية والاقتصادية"، "ويجب احترام حقوق الأقليات كالمغول والمسلمين"[٥٢٦]. وأشار في المؤتمر الثاني إلى: "عدم اتحاد القيادة العامة الصينية الحالية مع الإدارة الحدودية، يرجع ذلك إلى اختلاف الأحوال الاقتصادية لهذه المناطق مع القيادة العامة الصينية، والاختلاف التكاملي"[٥٢٧].

◆ فترة الحرب الثورية الثانية: قبل المسيرة الكبرى للجيش الأحمر:

كانت عشية المسيرة الكبرى للجيش الأحمر من يوليو سنة ١٩٢٧م إلى أكتوبر ١٩٣٤م، هي الفترة الجديدة للحزب الشيوعي الصيني لإقامة قاعدة ثورية ريفية. في هذه الفترة، أنشأ عشرات القواعد في أنحاء البلاد كافة، وأسس الجمهورية السوفيتية الصينية في جيانشي ورويجين. ومع تأسيس السلطة الحاكمة وبَدء العمل الثوري في بعض مناطق الأقليات، تعمّق فَهم الحزب الشيوعي الصيني تجاه الأقليات، وثمّة تطور ثابت في مجال السياسة والمنهج الديني القومي. وبدأت بعض السياسات التي طُرحت في الفترة السابقة تكتمل تدريجيًا، وفضلًا عن ذلك اقترحت سياسات دينية وقومية تم تناولها في الماضي.

وثمّة ثلاثة جوانب رئيسية للوثائق المهمة المتعلقة بالقضايا الدينية والقومية لهذه الفترة:

---

[٥٢٦]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٤٦-٤٩، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى عام ١٩٩١م.

[٥٢٧]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٨، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعية الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

أولًا: (قرار المؤتمر الوطني السادس للحزب الشيوعي الصيني المتعلق بشأن القضايا القومية) الذي وافق عليه المؤتمر السادس الذي عُقد في موسكو في شهري يونيو ويوليو سنة ١٩٢٨م، قام بوضع "وحدة الصين والاعتراف بحق تقرير المصير الوطني" أحد الشعارات السياسية العشرة الكبرى، ويعد أول قرار خاص يتعلق بشأن القضايا القومية في تاريخ الحزب الشيوعي الصيني.

ثانيًا: إن (مُوجز دستور الجمهورية السوفيتية الصينية) الذي وافق عليه المؤتمر الوطني الأول للجمهورية السوفيتية الصينية من العمال والفلاحين والجنود سنة ١٩٣١م، وضع المزيد من مبادئ المساواة القومية من خلال درجات عالية للقوانين الأساسية للدولة.

ثالثًا: إن (القرار المتعلق بشأن قضايا الأقليات داخل الصين) يشرح بالتفصيل وجهة نظر ومعرفة الحزب الشيوعي الصيني تجاه القضايا القومية داخل الصين. ويطرح هذا القرار – لأول مرة – مساعدة الأقليات في التنمية الإنتاجية، وتدريب الكوادر القومية، "وأسس دولة من العمال والفلاحين ليس بها أي حواجز قومية، من أجل القضاء على الحقد والتحيز بين القوميات".

في هذه الفترة، ظهر التوسع في النطاق الجغرافي لأنشطة الحزب الشيوعي الصيني، وزيادة الاتصال مع الأقليات، واتساع النطاق الجغرافي الذي يتناول السياسات القومية والمنهجية القومية، لا سيما فيما يتعلق بيوننان وشنشي وقانسو، وغيرها من المناطق التي يتركز فيها المسلمون.

إن ممارسة العمل القومي ليس فقط توفير قاعدة واقعية لرسم السياسات القومية ومنهجها؛ بل إثراء المحتويات ذات الصلة تدريجيًا وتحسينها. لكن، خلال هذه الفترة، ليست ثمّة سياسات محددة بشأن الأقليات التي تعتنق الإسلام.

◆ فترة الحرب الثورية الأهلية الثانية: خلال المسيرة الكبرى للجيش الأحمر

كانت مرحلة التحقيق في هذه الفترة انسحاب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني والمقر العام للجيش الأحمر من رويجين، حتى بداية حرب المقاومة الكلية، واندلع "حادث جسر أوغوكياو" في ٧ من يوليو ١٩٣٧م.

خلال المسيرة الكبرى للجيش الأحمر، ومرورًا بالمناطق التي تعيش فيها الأقليات في الشمال الغربي والجنوب الغربي، قام الجيش باتصالات متكررة مع أكثر من ١٠ أقليات كالهوي والمغول ومياو وبي والتبت، وعالج الكثير من العلاقات القومية والقضايا القومية، وقام بالكثير من الأعمال للقوميات، لإكمال الكثير من السياسات المنهجية وطرحها لمعالجة القضايا القومية.

كما تم الفحص والتطوير والإكمال لسياسة الحزب الشيوعي الصيني ومنهجه تجاه القوميات في هذه الفترة من خلال التطبيق العملي؛ خاصةً بعد اجتماع تسونيي، فقام الحزب الشيوعي الصيني تدريجيًا بالسير نحو حالة التقليد لنظريات العقيدة الدينية والقومية للاتحاد السوفياتي، وبدأ يفكر بشكل مستقل وبمبادرته الذاتية في جميع أنواع القضايا، بما في ذلك القضايا القومية والدينية داخل الصين.

بالتالي، فإن الخبرة العملية المتراكمة والسياسة المنهجية للقوميات التي صاغتها هذه الفترة تحمل معنى مهمًا في التشكيل الأوليّ للحزب الشيوعي الصيني تجاه نظام النظريات القومية.

بدأ الحزب الشيوعي الصيني برسم سياسة مستقلة للدين الإسلامي، خلال المسيرة الكبرى؛ بسبب الاحتياجات الفعلية للنضال، وفي الوقت نفسه يواصل الحزب الشيوعي الصيني استكشاف السياسة المنهجية الدينية والقومية واستكمالها، وفقًا لبعض المبادئ والسياسات.

وفي سبتمبر ١٩٣٥، وصلت الجبهة الأولى من الجيش الأحمر إلى قرية هدابو

وبيتونغ في مقاطعة قانسو وغيرها من مناطق المسلمين؛ فأصدرت الهيئة السياسية للجيش الأحمر (لائحة العمل السياسي لمناطق المسلمين)، كما أعلنت "حماية الحرية الدينية للمسلمين، وعدم التعدي على المساجد، وعدم الإضرار بالكتب الإسلامية المعظّمة". وفي ٢٧ من يوليو من العام نفسه، وفي أثناء مرور الجبهة الرابعة من الجيش الأحمر بمنطقة القوميات شمال غرب، أعلنت لجميع الجنود الالتزام والانضباط بـ"حرية الاعتقاد الديني وحماية المساجد"، "واحترام الإسلام واحترام الإمام واحترام عادات الطوائف الدينية"[٥٢٨].

وفي مايو ١٩٣٦م، أعلن الرفيق ماو تسي تونغ، بحزم: "إننا سنحمي المساجد، وسنحمي الإمام، ونكفل الحرية المطلقة للاعتقاد الديني للمسلمين، وفقًا لمبدأ حرية الدين"[٥٢٩]، ووضعت الجبهة الخامسة والعشرون للجيش الأحمر "ثلاثة محاذير كبرى وأربع نقاط هامة" في بلدة لوند:

حظر التمركز في المساجد وحظر ضرب الطغاة من الهوي، ومنع أكل اللحوم بكثرة في بيوت المسلمين، ومراعاة عدم إلقاء دلو مياه المسلمين في البئر، والابتعاد عن الشابات المسلمات، ومراعاة تطبيق المساواة في البيع والشراء، والاهتمام بتوحيد الهان والهوي.

وأصدرت الهيئة السياسية العامة للجنة العسكرية التابعة للجنة الحزب الشيوعي الصيني المركزيّة (تعليمات تتعلق بشأن عمل المسلمين)، وطالبت بـ"دراسة العادات الحياتية للمسلمين وطرقها وسياساتهم، وضرورة تعلُّم بعض من ألفاظهم، فيستطيع كل مقاتل أن يقول على الأقل ثواب (وداعًا وشكرًا لكم) حينما يرى مسلمًا"[٥٣٠].

---

[٥٢٨]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٤٩٧، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

[٥٢٩]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٣٦٧، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

[٥٣٠]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٢٦٤-٢٦٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

بالنسبة لانضمام الجنود المسلمين إلى الجيش الأحمر، اهتم الجيش الأحمر اهتمامًا كبيرًا بعادات المسلمين وتقاليدهم"، تُراعى الكثير من الشروط الخاصة من حياتهم (على سبيل المثال، عدم تناول لحم الخنزير)، وضرورة الاتصال أو الترتيب أو التنظيم مع المجموعات المستقلة من المحاربين المسلمين الجدد، وقيامهم بطهي الطعام بأنفسهم، ولا يجب حظر معتقداتهم الدينية وعاداتهم"[521].

وعلاوة على ذلك، من ناحية تدريب الكوادر، فقد حققت هذه الفترة نتائج ملاحَظة. فقام الجيش الأحمر بتعزيز تدريب الكوادر العسكرية للهوي خلال المسيرة الكبرى، من أجل "تسليح المسلمين في ظل حكم أمراء الحرب"، "وتوسيع قاعدة التسليح للمسلمين في المستقبل"، "والهدف من إقامة عمل كامل للمسلمين طبيعة فريق التدريب، لتعلمهم، لتدريب مجموعة كبيرة من كوادر عمل المسلمين (خاصة عمل القوات المسلحة من المسلمين) لفترة محددة"[522].

وفي مايو سنة ١٩٣٦م، كانت (التعليمات المتعلقة بشأن عمل المسلمين) الصادرة عن الهيئة السياسية العامة للجيش الأحمر تحتاج إلى "ضم كل المواهب المسلمة المستعدة للنضال من أجل تقرير مصير قومية الهوي، خاصة بالنسبة للقادة المؤمنين من المسلمين، وإرشادهم نحو القيام بحركة تقرير مصير قومية الهوي في جميع المجالات، وضمهم للمشاركة في نضال تقرير المصير وفي الهيئات الإرشادية للسلطة الحاكمة، وتنظيم دورات تدريبية قصيرة الأجل إذا لزم الأمر، من أجل توفير كوادر قيادية قوية من المسلمين. وفي الوقت نفسه، ترقية كوادر جديدة منهم وتدريبها"[523].

[521] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٤١٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

[522] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٤٠٦، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

[523] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٣٦٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

وكانت سياسة كوادر القوميات في هذه الفترة ناجحة جداً، وتدرّبت – تباعًا – مجموعة كبيرة من المسلمين، من أجل تقديم إسهامات عظيمة في انتصار الثورة الديمقراطية الجديدة.

خلال المسيرة الكبرى، كان للجيش الأحمر أبلغ الأثر على حركة الثورة في مناطق المسلمين، ودفعها إلى الأمام. ويتمثل هذا بشكل ملموس في مساعدة الجيش الأحمر لحكومات المناطق ذاتية الحكم للهوي، وإقامة جيش بشكل منظم لحماية حكومة المناطق ذاتية الحكم.

وفي أغسطس ١٩٣٥م، عقدت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني الحزب اجتماعًا للمكتب السياسي في مدينة ماورجاي في سيتشوان، تعتقد أن ظروف التنمية الاقتصادية ودرجة التقسيم الطبقي في كل مناطق الأقليات مختلفة، بالتالي يمكن إقامة سلطة سياسية للقوميات بشكل منظم ومميّز طبقًا للنموذج السوفياتي، واتخاذ جميع أشكال السلطة السياسية وفقًا للأحوال الملموسة بين جميع القوميات.

وفي مايو ١٩٣٦م، بدأ اتحاد الجبهة الأولى للجيش الأحمر واتحاد الجبهة الخامسة عشر للجيش الأحمر في الزحف غربًا نحو معركة قانسو ونينغشيا، من أجل استقبال القوات الرئيسية الثلاث للجيش الأحمر وإقامة قاعدة عسكرية ثورية لمقاومة اليابان في شنشي قانسو نينغشيا.

وفي ٢٧ من يونيو من العام نفسه، حرر القسم الشرقي لشوهاي (بالجيش الأحمر) مركزيّة مناطق المسلمين ويو وانغ وهايوان، وأنشأ حكومة سوفياتية في بلدة يو وانغ. فأصدرت الهيئة السياسية العامة للجيش الأحمر سلسلة من الوثائق، من أجل تثبيت النتائج التي حصلت عليها، وشددت الهيئة على ضرورة إقامة حكومة للمسلمين، ووضع مبادئها الأساسية، كما أرسلت الكوادر لتعزيز قوة القادة في تطبيق الحكم الذاتي الإقليمي.

وفي بداية شهر أغسطس عام ١٩٣٦م، بعد موافقة ما تسي تونغ وتشوانلاي، نعم

ليفوتشون سكرتير الحزب الشيوعي الصيني عن مقاطعة شنشي وقانسو ونينغشيا

المساعدة بكل جهد في تحضير حكومة المسلمين ذاتية الحكم في يوهاي، وتأسيس لجنة

تحضيرية تتشكل من ليفوتشون ووانغ شوداو وتشتنهوا وهوانغتجن، وغيرهم. وفي أول

أكتوبر أرسلت اللجنة التحضيرية لأنحاء البلاد كافة (برقية المجلس التمثيلي للحكم

الذاتي الذي عقد في بلدة يوهاي).

وفي ٢٠ من أكتوبر أقامت حكومة المسلمين ذاتية الحكم في يوهاي حفلة الافتتاح

وفي الحفلة تمت الموافقة على (قوانين تقليل الإيجار وتقليل الفوائد) و(قوانين الأراضي)،

وتم انتخاب كل من ماهقو وليتسوندا وماتشيغتيان وليتشنهوا وتشوشنغلو ويانغتيتشاو

وبايشنتساي[٢٣] وغيرهم أعضاءً في الحكومة على انفراد الرئيس ونائب الرئيس ووزير

الشؤون العسكرية وعضو لجنة الدعاية وعضو لجنة المواد الغذائية وعضو لجنة الدفاع

وعضو لجنة المالية، وكان ذلك باستخدام ختم حكومي محفور عليه منجل وفأس

ومكتوب عليه باللغتين العربية والصينية.

أقامت حكومة يوهاي ذاتية الحكم للمسلمين قوات العصابات المسلمة بقيادة ماهقو،

من أجل حماية ثمار الانتصار. وبعد هجوم الجيش الأحمر واستيلائه على بلدة في

تينغتياوليانغ، أسس رسمياً فرقة مستقلة من المسلمين، وتولى كل من ماتشيتغنان وأويانغ

على انفراد قائد الفرقة ومفوّضًا سياسيًا. وهذه هي القوات المسلحة للمسمى الهوي

التي أنشئت رسمياً لأول مرة في تاريخ الجيش الصيني.

وتُعد حكومة الهوي ذاتية الحكم في يوهاي، وتأسيس فرقة مستقلة من المسلمين،

تطبيقًا عمليًا ناجحًا لسياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام. وكان إعدادها

وإنشاؤها وتطورها السياسة الملموسة والكاملة التي وضعها الحزب الشيوعي الصيني

تجاه الإسلام، كما قدمت تجربة مهمة.

---

[٢٣] - إن ماهقو وليتسوندا وماتشوتيان وليتشنهوا وتشوشنغلو ويانغتيتشاو وبايشنغتساي من قومية الهوي.

◆ فترة حرب المقاومة ضد اليابان:

في ٧ من يوليو ١٩٣٧، خلقت الإمبريالية اليابانية "حادث ٧ من يوليو ١٩٧٣م" الذي صدم العالم الصيني والأجنبي، فبدأت الصين الدخول في فترة الحرب المقاومة ضد اليابان. وبعد "حادثة ٧ من يوليو ١٩٣٧م"، أرسل الحزب الشيوعي الصيني رسائل إلى أنحاء البلاد كافة، ينادي فيها إلى التعاون الوثيق بين الحزب الشيوعي والكومينتانغ لمقاومة هجوم الجيش الياباني.

وفي ٢٢ من سبتمبر ١٩٣٧م، أصدرت وكالة الأنباء المركزية للكومينتانغ "بيان اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني عن تعاون الحزب الشيوعي الصيني مع الكومينتانغ"، وأعرب شيانغ كاي شيك في كلمة عامة عن الاتحاد من أجل مقاومة العدوان الخارجي، وأقر بالشرعية للحزب الشيوعي الصيني في البلاد. ويشير البيان وكلمة شيانغ كاي شيك إلى بداية التعاون بين الكومينتانغ والحزب الشيوعي الصيني. منذ ذلك الحين، تشكّلت رسمياً الجبهة الوطنية المتحدة ضد اليابان التي نادى بها الحزب الشيوعي الصيني.

خلال حرب المقاومة، حاولت الإمبريالية اليابانية استخدام القضايا القومية والدينية لتقسيم الصين، وإضعاف قوة المقاومة ضد اليابان. لكن خففت الطبقة الحاكمة شيانغ كاي شيك سياستها تجاه القوميات التي تعتنق الإسلام، من خلال مظاهر التودد إلى الطبقة العليا من المسلمين المُقيمة في مناطق المسلمين، خاصة بعد فضح مؤامرات اليابان التي تدبرت لتأسيس "دولة الهوي"، ومما عجّل الكومينتانغ للعمل مع جموع المسلمين الصينيين، لكن في المقابل، كانت سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام أفضل بكثير من الكومينتانغ.

◆ تدخُل الإمبريالية اليابانية في الإسلام في الصين:

تدخلت الإمبريالية اليابانية في شؤون الإسلام في الصين واستغلتها لفترة طويلة.

ففي أواخر القرن التاسع عشر إلى أوائل القرن العشرين، بعد النهوض السريع للإمبريالية اليابانية، عبّرت عن اهتمامها الشديد بقضية الإسلام في الصين. وقبل فترة طويلة من اندلاع حرب مقاومة اليابان، كانت الإمبريالية اليابانية تبثُّ بذور الشقاق بين العلاقات القومية الصينية وتمزق وحدة الصين باعتبارها واحدة من سياساتها الرئيسية تجاه الصين. على سبيل المثال، ثمَّة يد لوكالات الاستخبارات الإمبريالية اليابانية في "حكومة هتيان الإسلامية" التي ظهرت في أبريل ١٩٣٣م في كاشغر بإقليم شينجيانغ، و"جمهورية تركستان الشرقية الإسلامية" في نوفمبر ١٩٣٣م، وغيرها من السلطات الانفصالية للقوميتين.

حاولت اليابان إبعاد القوميات الجديدة عن المقاومة، من خلال رؤيتها لحدوث الكثير من الصراعات والحروب في التاريخ الصيني بين القوميات الشمالية الغربية، خاصة أنها تبحث عن كل فرصة لبثّ بذور الشقاق في العلاقات بين الأقليات التي تعتنق الإسلام والهان، كما نشرت: "إن الهوي ليسوا صينيين، وبعد مجيء الهوي إلى الصين، تعرضوا للظلم والإهانة، ولم ينالوا شيئًا" وغيرها من النظريات الخاطئة، وذكر نماذج من عمليات القتل العرقية منذ عهد أسرة تشينغ، من أجل تحقيق انفصال الشمال الغربي عن الصين، وإضعاف الصين وفي النهاية تدبير مؤامرة لاستعباد الصين.

بعد "حادثة ٧ من يوليو ١٩٣٧م"، ومع نكسة الإمبريالية اليابانية في الهجوم العسكري، وصلت الأنشطة الانفصالية وبثّ بذور الشقاق تجاه جميع المسلمين الصينيين إلى ذروتها. وأسسوا منظمة عسكرية في الأراضي المحتلة، وأنتجت انقسامًا تجاه المسلمين الصينيين من ناحية، ومن ناحية أخرى خططت أيضًا لإقامة "دولة للهوي" في الشمال الغربي.

ولم ينتشر الإسلام في تاريخ اليابان، لكن في أواخر حكم أسرة مينغ، بدأت جميع المجموعات المختلفة التي تمثلها جمعية التنين الأسود وجمعية لرنغرن في دراسة قضايا الإسلام في الصين.

وفي عام ١٩١٤م، جاء تاو هيديو من لرنغرن الياباني باسم مستعار إلى الصين، وذهب خاصةً لجميع المقاطعات في الشمال الغربي والشمال الشرقي، وشارك في حركة الاستقلال للدين الإسلامي.

ونظّم أولاً جمعية التنين الأسود في لياونينغ، وحاول تشجيع ' دولة الهوي الكبيرة ' وتنظيمها. بالرغم من أنه عاد أدراجه بسبب تعرضه للضرب، كما جفّت منابع الدعم الحكومي والشعبي لهذه المؤامرات"[535]. ورفع تشونتسونايما - الذي أرسلته جمعية التنين الأسود - شعار دراسة الإسلام، قال: "جئت إلى الصين من بلدة داليان، ومررت بثلاث مقاطعات في الشمال الشرقي، ثم دار حول بكين، وطلب من أحد المسلمين الدخول في الإسلام"، "وسار بمحاذاة قانسو وليانغشان وسوتشو حاملاً الحبوب إلى شنجيانغ[536]، وتجول بطول نهر تاريم[537].

وبعدما عاد إلى آنشي، واتجه إلى تشينغهاي عبر السفح الجنوبي لجبل تشليان، ومكث في هتشو (وتسمى اليوم مدينة ينكشيا في مقاطعة قانسو) مركز المسلمين في الشمال الغربي"، وظل تشونتسونايما يمارس نشاطه في الصين طوال ٣٠ عامًا، "وبحث بشكل خاص في جميع أنواع قضايا الإسلام"[538].

وضع الجيش الياباني العمل تجاه الإسلام بصفته جزءًا مهمًّا من أعمال الشؤون العسكرية، وفي ١٩١٥م، أرسلت رولين خريجًا من المشاة إلى الصين للقيام بأنشطة ما، إذ اتخذ من هونان ونهر اليانغستي مركزًا، لمصاحبة "الحكومة والشعب الصيني تجاه

---

[535]- يانغتينغجي: (سياسة اليابان تجاه الدين الإسلامي)، المطبعة التجارية، الطبعة عام ١٩٤٤م.

[536]- منطقة شينجيانغ ذاتية الحكم أو شينجيانغ اختصارًا، وهي تعني «التخوم الجديدة»، باللغة الصينية، مقاطعة صينية تتمتع بنظام إداري خاص، تقع في أقصى شمال غرب البلاد. عاصمتها مدينة أورومتشي. التسمية التاريخية للمنطقة تركستان الشرقية، وهي ذات أغلبية مسلمة.

[537]- نهر يقع فى منطقة شينجيانغ الصينية، ويصل طوله إلى ٢٠٠٠ كم مربع تقريبًا.

[538]- يانغتينغجي: (سياسة اليابان تجاه الدين الإسلامي)، المطبعة التجارية، الطبعة عام ١٩٤٤م.

الإسلام، واستمرت أكثر من عشر سنوات"؛ وأرسلت تيانتشونغ[539] "للاتصال بالمسلمين الذين يعيشون في المنطقة المتخلّفة على ضفاف النهر الأصفر، وليتفقّد الأمور ويبحث الاتجاهات الأيديولوجية والحياتية للمسلمين المقيمين في خبي وشاندونغ وخنان"[540].

استغلت الحكومة اليابانية قضية الإسلام من أجل التدخل في الصين، وأمرت أعضاء من جمعية التنين الأسود إلى اعتناق الإسلام، وأنشأت مسجدًا في طوكيو، وأسست ما يعرف بجمعية المسلمين.

في أوائل القرن العشرين، بدأت اليابان في القيام بدراسات وأبحاث مخابراتية استراتيجية بشكل مخطط ومدبر سلفًا تجاه الإسلام في الصين. وضعت اليابان الخطوط العريضة للدراسات والأبحاث المخابراتية الاستراتيجية، تحت دعم لمحاضرات البحث والتحقيق لهيئة الشؤون العامة للسكة الحديد جنوب منشوريا.

تشمل بشكل أساسي:

أولاً: إحصاء السكان، وما يتعلق بالمقاطعات والأقاليم، والمحافظات والاسم والعمر والجنس والمهنة ومستوى التعليم، وغيرها من التفاصيل.

ثانيًا: التحقيقات العسكرية، وما يتعلق بمحل ميلاد الجنود المسلمين في شمال غرب الصين، وأفكارهم، وبيئتهم الأسرية، وعدد قادتهم، والشخصيات المقربة منهم، ومستوى التعليم، وهواياتهم وشخصياتهم، وغيرها من أمور.

وكان في المجلة الأسبوعية (شؤون الإسلام) – التي نشرتها إدارة التحقيقات في وزارة الخارجية اليابانية في وقت لاحق – مقالة بعنوان (تحليل اتحاد الخيول الخمسة)، التي تشرح بشكل خاص أمراء الحرب المسلمين المقيمين في شمال غرب الصين، كما أن مادة المقالة غنية، ومحتواها محدد، وتحليلها عميق، مما جعل الناس تكبت أنفاسها من الدهشة.

[539] – قائد الأسطول البحري الشمالي، ولد في خبي، في ديسمبر ١٩٥٦م.

[540] – يانغتينغجي: (سياسة اليابان تجاه الدين الإسلامي)، المطبعة التجارية، الطبعة عام ١٩٤٤م.

كما أدرج في البحث تاريخ بناء المساجد، والوضع العام وأسماء الأئمّة، حتى المعدات ومكانها وغير ذلك. وبالإضافة إلى ذلك، تاريخ جميع الطوائف. فضلاً عن تطور النزاعات، وما إلى ذلك، تم جمعها بلا استثناء.

ثالثًا: الدراسة والبحث في موضوع خاص. وقاموا بدراسات وأبحاث منظمة وسرية حول كل من قومية أويغور، وقومية الدونغان، وقومية التتار، وقومية القازاق، وقومية سالا، وغيرها من الأقليات التي تعتنق الإسلام في الصين، ويعد (دراسة دعم المسلمين) الذي كتبه داتذاي[541] سونغسانلنغ في عام ١٩٢٤م من أبرز المؤلفات الدراسية المتخصصة، بالإضافة إلى ذلك، تعد الإدارة التجسسية التابعة للجيش كوانتونغ الياباني واحدة من المؤسسات التي تقوم بالبحث والدراسة الاستخباراتية الاستراتيجية.

وفي عام ١٩٣١م، عندما كان رئيس أركان قيادة الجيش كوانتونغ تشينغسلانغ أمَرَ توفيوان أن يتولى منصبًا في حكومة أمراء الحرب في البحر الشمالي، لكن الشخصيات الرفيعة من المسلمين التي وظّفتهم حكومة نانجينغ الوطنية عملت على الاستغلال الحوادث من خلال البحث والدراسة"[542].

وفي أثناء حرب المقاومة ضد اليابان، وضع الجيش الياباني محاضرات بحث متخصصة للشؤون الإسلامية في كل المقاطعات التي احتلها، خاصة المقاطعة في تيانجين وبكين، وتشانغجياكو، وتايوان، وسوييوان، وباوتو، وجينان، وتشينغداو، ونانجينغ، وتشينغ، وهانكو، ونانتشانغ، وقوانغتشو، وغيرها من الأماكن، ومن خلال تمويلها الخاص، جمعت كل المعلومات عن الإسلام في الصين التي جمعتها كل الدروس، وأعدت جريدة (وضع الإسلام) إلى مستوى سري، وتم توزيعها على جميع الهيئات العليا اليابانية المعنيّة باتخاذ القرار.

[541] – مسمى وظيفة قديمة.

[542] – يوان كوباياشي (اليابان): (هوي هوي) – دار طوكيو الثقافية – طبعة عام ١٩٤٠م، ترجمة الهيئة الصينية لتحرير مجموعة كتب الهوي القديمة عام ١٩٩٢م.

وقد علّق بعض العلماء على التعامل مع قضايا الإسلام، من منطلق أنه بالمقارنة مع

حكومة نانجينغ الوطنية، نجد أن اليابانيين "اهتموا بالإسلام اهتمامًا كبيرًا، وهذا ليس

حبًّا فيه، لكن لأنهم يعرفون استمالة الإسلام واستغلاله، والإفادة فيما يُعرف بـ"دولة

الهوي" لتقسيم الصين وحكم دولة المسلمين بالاحتلال.

إن ما يُعرف بـ"دائرة شرق آسيا الكبرى الإسلامية"، وما يُعرف بـ"أواصر الصداقة

مع الهوي" من نتاج سياسة العدوان الإمبريالي الياباني"[٥٤٣]. وفي هذا الصدد، مزق

اليابانيون وحدة المسلمين الصينيين من خلال عمل منظمة حكومية يابانية وإضعاف قوة

المقاومة.

على سبيل المثال، بعد سقوط شمال شرق البلاد في يد الاحتلال الياباني، في يوم ٢

من يوليو١٩٣٤م، أسس اليابانيون جمعية منشوريا الإسلامية، تضم كل المناطق الشمالية

الشرقية، وأعلنوا بشكل عام أن هدفها "نشر روح شرق آسيا الكبير، وتحقيق الوفاق

القومي".

بعد سقوط بكين وتيانجين في يد الاحتلال، أنشأ اليابانيون في عام ١٩٣٧م جمعية

تيانجين الإسلامية، وفي العام نفسه أسسوا جمعية بكين الإسلامية، ونشروا الكثير من

المنشورات الدعائية للإسلام في جميع المساجد في منطقة جي تشونغ من خلال هاتين

المنظمتين الزائفتين، كذلك نشروا الأعلام اليابانية، وادّعوا أن رفع العلم الياباني من

أجل الحصول على الحماية اليابانية"[٥٤٤].

وثمّة مثال آخر: خطط اليابانيون لإقامة جمعيات إسلامية مزيفة على أوسع نطاق،

وفي الوقت نفسه أقاموا جمعيات إسلامية مزيفة في المناطق كافة، من أجل تحقيق مؤامرات

سياسية لاحتلال الصين لفترة طويلة. وفي فبراير ١٩٣٨م، في ظل تلاعب لواء الجيش ليوتين

---

[٥٤٣]- جيانغليشيونغ: (الدين في بكين)، ص٢٦٠، دار نشر تيانجين للكتب القديمة، الطبعة عام ١٩٩٥م.

[٥٤٤]- ليو دونغ شنغ، ليو شنغ لين: (نيوجيه بكين)، ص ٩٩-١٠١، دار النشر بكين، طبعة ١٩٩٠م.

بياو لدولة مانشوكو[٥٤٥] المزيفة، أُقيم حفل تأسيس الاتحاد العام الصيني الإسلامي في قاعة

هوايرن تشونغنانهاي، وتم لصق شعارات في كل مكان بقاعة الاجتماع "تدعو إلى تماسك كل

من الصين واليابان ومنشوريا يدًا بيد، لإسقاط الحزب الشيوعي السيئ".

بالإضافة إلى ذلك، مع تقدم اليابانيين في الحرب، تمت إقامة الاتحاد الشمالي

الغربي الإسلامي في مقاطعة سوييوان، وتم إنشاء جمعية قوانغتشو الإسلامية في جنوب

الصين، وأُشيع "أن ذلك من أجل إحياء الدين والقضاء على الشيوعية، والدفع نحو دائرة

الازدهار المشتركة لشرق آسيا، وتماسك المسلمين في العالم يدًا بيد".

وبعد أن ضمت اليابان المنطقة الشمالية الشرقية للصين أقامت دولة مانشوكو، وفي

سبتمبر ١٩٣٩م، دبرت بكل جهد ودقة إقامة حكومة الحكم الذاتي المتحدة في منغوليا

وشينجيانغ، وعجّلت من تجميع أنشطة التآمر فيما يُعرف بـ"دولة الهوي" في المنطقة

الشمالية الغربية.

وقبل هذا، بدأ اليابانيون في تعبئة الرأي العام وإعداد الموظفين؛ مثل استخدام

اليابانيين لجهلة المسلمين الصينيين، وأسسوا "الأنباء اليابانية الجديدة" في طوكيو، يتم

توزيعها في كل من شينجيانغ وقانسو ونينغشيا؛ واستغلت اليابان المنظمات الإسلامية

المزيفة التي أنشأتها في الصين، في نشر (الصحيفة الشهرية للنور الإسلامي) و(الإسلام)

و(الصحيفة الشهرية للدين الإسلامي) و(نور البرج) وغيرها من المنشورات، للترويج إلى

فكرة "اتحاد الأشقاء المسلمين جميعًا، وإقامة حواجز مناهضة للشيوعية" لتُخدع غالبية

المسلمين وكي يُضلّوا.

---

[٥٤٥]- مانشوكو: عاصمتها تشانغتشون، كانت دولة عميلة، تأسست في منشوريا وشرق منغوليا الداخلية، وحكمت تحت شكل من أشكال الملكية الدستورية. كانت تلك المنطقة الوطن التاريخي لقومية المانشو، التي أسست سلالة تشينغ في الصين. وفي عام ١٩٣١، استولت اليابان على المنطقة بعد حادثة موكدين، وفي عام ١٩٣٢، تشكلت حكومة عميلة تحت حكم بوئي الإمبراطور الأخير من أسرة تشينغ. وانتهت حكومة مانشوكو عام ١٩٤٥، بعد هزيمة اليابان في نهاية الحرب العالمية الثانية، أمام قوات الاتحاد السوفييتي بعد الغزو السوفييتي لمنشوريا في أغسطس ١٩٤٥، ومن ثم عادت للإدارة الصينية بعد عام.

وقام اليابانيون بتربية ماموتيه من المتمردين الانفصاليين في شينجيانغ، وتلاعبوا لتأسيس جمعية تركستان الشرقية لتعزيز الاستقلال التي يرأسها ماموتيه في طوكيو؛ وإرسال الشباب المسلم للتدريب في أكاديمية الشرطة اليابانية؛ وحاولت إقناع ماهونغكوي وغيرهم من أمراء الحرب في الشمال الغربي بالاستسلام.

ووفقًا لشرح كتاب (هوي هوي) الذي ألّفه يوان كوباياشي، بالنسبة لـ"دولة الهوي"، ثمّة تصوّران لليابانيين في هذه الأرض.

أولاً: تأسيس "دولة الهوي" في مقاطعتي نينغشيا وسوييوان في وقت مبكر، ثم الاتساع تدريجيًا.

وثانيًا، تخطيط ما تبقى من الحدود الجنوبية لحوض نهر تاريم، حتى المنطقة الشمالية لجبل تشيليان، والمناطق الشرقية لمنطقة جبل هيلان، بالإضافة إلى علاش وايتناتشي، لإقامة "دولة الهوي".

أما هذان التصوّران، فالأول طرحه جيش كوانتونغ، والآخر طرحته وزارة الاتصالات اليابانية لمعهد نهوض آسيا للمغول وشينجيانغ، وليس ثمّة فرق جوهري بين التصوُّرين، لكن الفرق الوحيد هو تأسيس "دولة الهوي"، ثم التوسع المستمر، أو التأسيس المباشر لـ"دولة الهوي الكبرى".

فضح وتحطيم مؤامرات الإمبريالية اليابانية:

خلال حرب المقاومة ضد اليابان، تعامل الكومينتانغ والحزب الشيوعي الصيني بحذر شديد تجاه السلطة العميلة التي دبرتها الإمبريالية اليابانية لتأسيس "دولة الهوي"، في الشمال الغربي على غرار دولة مانشوكو المزيفة. في ذلك الوقت، عندما التقى الجنرال باي تشونغ شي[546] – الذي شغل منصب رئيس جمعية الإسلام الصينية

[546]– اسمه المسلم: عمر.

لإنقاذ الدولة – مع ممثلي المغول والهوي والتبت، أشار: "بعد حادثة ١٨ من سبتمبر ١٩٣١م، أطلق العدو مؤامراته الخسيسة، وبذر بذور مشاعر الشقاق بين جميع القوميات الصينية المختلفة، وحاول تحريض المغول بتأسيس دولة المغول الكبيرة، كما حرّض المسلمين على تأسيس دولة للإسلام، وقام بجميع أنواع المؤامرات، في محاولة لتقسيم وحدة القومية الصينية، وإضعاف قوة المقاومة الصينية، من أجل المضي قدمًا في تحقيق أضغاث أحلام مثل قرض الديدان حينًا وابتلاع الحيتان حينًا آخر"[547].

وقد بدأت السلطة السياسية لشيانغ كاي شيك في تعديل سياستها تجاه الإسلام؛ في محاولة لتوحيد الطبقة العليا من المسلمين في الشمال الغربي، وأملاً في إيقاظ مشاعر الوطنية عند جماهير عوامّ المسلمين، لكن كانت صعبة التحول في فترة قصيرة بسبب سياسات الشوفينية الهانية التي انتهجتها حكومة الكومينتانغ منذ فترة طويلة، وفوق ذلك تأسيس اليابان "دولة الهوي" في الشمال الغربي للبلاد، مما ساعد أيضًا في كبح تطور الحزب الشيوعي في المنطقة الشمالية الغربية. لذلك نرى من النظرة الكليّة، عدم إدراك حكومة الكومينتانغ مؤامرات اليابانيين، واتخاذها تدابير ليست فعالة تجاه هذه المؤامرات.

بالنسبة للنظر والشعور بالقلق تجاه مستقبل القومية الصينية، كانت رؤية الحزب الشيوعي الصيني تجاه مؤامرات اليابانيين أكثر وضوحًا ودقة.

ففي عام ١٩٤١م، قاد الحزب لجنة العمل شمال غرب – التابعة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني – القوميات الصينية، كما أن كتاب (قضايا قومية الهوي) الصادر عن لجنة بحوث يانان للقضايا القومية، أجرى تحليلًا عميقًا حول هذه المسألة: "من حادثة ١٨ من سبتمبر ١٩٣١م إلى حادثة ٧ من يوليو ١٩٣٧م" عانت القومية الصينية من أزمة غير مسبوقة، كما وقعت قومية الهوي وجميع القوميات الصينية

[547]– (دورية جمعية الدين الإسلامي الصينية لإنقاذ الدولة)، العدد ٢ من الجزء ٣، سنة ١٩٤١م.

الأخرى في المحنة نفسها، كما تعرّض الهان والمسلمون المقيمون في المناطق المحتلة وغيرهم من القوميات الأخرى إلى الظلم والاضطهاد والإهانة القاسية.

كان من إحدى المؤامرات الإمبريالية اليابانية للقضاء على الصين تقسيمُ وحدة القوميات الصينية المقاومة لليابان، واستغلال سياسة الشوفينية الهانية المضطهدة للقوميات، واستغلت التحامل وسوء التفاهم بين قومية الهان والهوي، وهي ظروف مفيدة استغلها العدو الياباني لزرع بذور الشقاق.

واقترح العدو الياباني أولًا تقديم مساعدة لقومية الهوي للحصول على "الاستقلال والحرية"، وتأسيس "دولة الهوي" عن طريق النفاق وغيرها من الشائعات المثيرة، لتقسيم الوحدة بين الهان والهوي. وبناءً على هذا الفهم، اتخذ الحزب الشيوعي الصيني سلسلة من الأعمال الهادفة؛ من أجل سحق مؤامرة الاستسلام للإمبريالية اليابانية.

أولًا: بالنسبة للنضال من أجل كسب ثقة غالبية المسلمين من الناحية السياسية:

في يناير ١٩٤٠م، وافق مكتب سكرتارية اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني على (الخطوط العريضة المتعلقة بقضايا قومية الهوي)، التي صاغتها لجنة العمل بشمال غرب، وتشير هذه الخطوط العريضة إلى "نشر أعمالنا (الحزب) الدعائية، من أجل توسيع النفوذ السياسي للحزب تجاه قومية الهوي، وتبديد الخدع اليابانية، ودحر الشوفينية الهانية للكومينتانغ والسياسة الخاطئة "الدفاع المشترك"، لتوحيد الأيديولوجية لقومية الهوي لدخول جبهة المعركة بحزم"، وضرورة الاهتمام بالإسلام وتحويله إلى شعار لتوحيد الهوي لمقاومة اليابان.

وهذه قضية استراتيجية مهمة جداً، "ووفقًا لتعليمات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، شنت منظمات الحزب - بجميع مستوياتها على الفور - أنشطة دعائية واسعة النطاق؛ مثل قيام بنغ تيالون وشياتيذاي بصفة التمثيل عن مكتب الحزب الشيوعي الصيني في لانشو، بالاتصال مع جميع طبقات المسلمين على نطاق واسع،

لدعوتهم إلى مقاومة اليابان وإنقاذ الدولة، ولضم الشباب المسلم للمشاركة في المجموعات المقاومة لليابان، مما أثار رد فعل قوي في مجتمع قومية الهوي شمال غرب.

تحت تعليم الحزب الشيوعي الصيني ودعايته، اتحد غالبية المسلمين مع جميع القوميات، وناضلت من أجل بقاء القومية وتحريرها، وإطلاق العنان كاملاً لحكمتهم وذكائهم، واستخدموا جميع الوسائل المختلفة، واتخذوا جميع الأشكال المختلفة، لضرب العدو بقوة.

ونظّم مسلمو بكين "جمعية إمداد مسلمي بكين للدفاع عن أرض الوطن ضد العدوان"، وأرسلت رسالة إلى أنحاء البلاد كافة: "ولكل إنسان نصيب من المسؤولية في مصير بلاده، وعليه أن يقدِّم روحه للتضحية حتى النهاية". وبالإضافة إلى ذلك، تأسست مجموعات من الشباب المسلمين للخدمة في أرض المعركة، وجمعية إمداد لمقاومة العدو، وجمعية الشباب المسلم لإنقاذ الدولة، وجمعية مسلمي شمال غرب لإنقاذ الدولة، وغيرها من المنظمات، أو جيش معاون لمقاومة اليابان، أو جمع الهبات وتقديم الهدايا، أو القيام بالأنشطة الدعائية، بالتوالي في كل من خنان، وهونان، وهوبي، ونينغشيا، وسيتشوان، وقوانغشي، ويونان، وغيرها من المقاطعات.

ثانيًا: كشف مؤامرة الإمبريالية اليابانية بوضوح:

وانطلاقًا من الحقيقة القومية الكبرى، قام الحزب الشيوعي الصيني بكشف ما قام به اليابانيون من بذر بذور الشقاق تجاه المسلمين، والقيام بأنشطة للتحريض "ضد الشيوعية والدفاع المشترك"، وكشفتها مادة مادة، وجزئية جزئية، فتكشّفت أعين غالبية المسلمين على الحقيقة.

يشير كتاب (قضايا قومية هوي) إلى: "إن (دولة الهوى) التي كانت في فم اليابان هي في الحقيقة استسلام لقومية الهوي، مما يجعل من قومية الهوي عميلًا يحميها، ويستسلم لاضطهاده، ويسقطها في وضع (لا يمكن الرجوع عنه).

إن لم يقاوم الهوي اليابانيين اليوم، فسيقتلهم اليابانيون، ولن يستطيعوا الحصول على حريتهم واستقلالهم من يد اليابانيين مطلقًا، كما أن شعارات العدو الياباني "احترام الإسلام" و"حماية الإسلام" و"الدعوة للدين الإسلامي" من أجل خداع الهوي الصينيين وإغرائهم.

ومن ناحية أخرى، كان الهدف الخبيث للعدو التسلل إلى الإسلام والتستر خلفه، واستخدام أسلوب "استغلال الهوي للسيطرة عليها"، وأطلقت حيلة التقسيم؛ لتمزيق الوحدة الداخلية للدين الإسلامي، "ويعرف العدو الياباني جيدًا أن الحزب الشيوعي الصيني والجيش الطريق الثامن هو القوة والركيزة الكليّة للقومية الصينية في حرب المقاومة"، "وفي الوقت نفسه، تدرك جيدًا أن جميع العناصر التي تسعى إلى الاتفاق والاستسلام والعناصر المناهضة للاشتراكية تحاول بشتى الطرق والسُبل تمزيق وحدة الكومنتانغ والحزب الشيوعي، وتقوم بأنشطة (مناهضة للشيوعية) ومناهضة لجيش الطريق الثامن"، لذا، فإن المؤامرة الشريرة للعدو لتقسيم الهوي هي بثّ الفوضى والبلبلة وتحريض الهوي ضد "الدفاع المشترك وضد الشيوعية".

ثالثًا: شن عمل جبهة موحدة بشكل إيجابي:

في نوفمبر ١٩٣٨م، صاغت لجنة الحزب الشيوعي الصيني في المنطقة الحدودية شانشي وقانسو نينغشيا (القرار المتعلق بعمل سومنغ)؛ وهو يشير إلى "ضرورة بذل الجهد من أجل كسب ود جميع الجيوش الصديقة"، "وأهم شيء إقامة علاقات جيدة مع فوتذواي وماهونغكوي، ولا بد من التفكير في كل الطرق من أجل الاتحاد مع مابو، مهما كان من تخلفه وتردده، ولا ندعه أن يكون اتجاهًا لعدونا، وبهذا نصمد في حرب المقاومة في مقاطعة سوييوان، وندافع عن نينغشيا وسوييوان، وندافع عن الشمال الغربي، كما أنها تحمل معنى مهمًا جدًا".

وفي (الخطوط العريضة المتعلقة بقضايا الهوي)، تم طرح "التقريب الشديد وتوحيد الأوساط العليا من الهوي في حرب المقاومة، والقيام بأعمال مع الطبقة الدنيا من الهوي لفترة طويلة"، ووفقًا لهذه الروح، قام الحزب الشيوعي الصيني بعمل جبهة موحدة شاقة لمابوفانغ ومابوتشين وماخونكوي وغيرهم من أمراء الحرب الهوي في الشمال الغربي.

من أجل تقوية عزم تشوما تجاه مقاومة اليابان، اقترح الحزب الشيوعي الصيني أن يشرف والاتحادُ السوفيتي على شينجيانغ القريبة من أجل ازدهارها ورخائها، وأملاً أن يقدم الاتحاد السوفيتي مساعدات لجيش تشوما في أثناء تعرضها لهجوم من اليابان.

◆ الممارسة والسياسة تجاه الإسلام خلال حرب المقاومة:

في الاجتماع الكليّ السادس للدورة السادسة للجنة المركزية - الذي عُقد في سبتمبر ١٩٣٨م - اقترح الرفيق ما تسي تونغ مهمة "إعمال الماركسية في الصين"، طالبًا من الأحزاب كافة "معرفة استخدام النظريات الماركسية واللينينية في بيئة صينية ملموسة"[٥٤٨]. وبعد هذا الاجتماع، درست الأحزاب جميعها الماركسية بشكل واقعي ومُتصل، وحققت تقدمًا ملاحَظًا، كما هو الحال في المجال السياسي والمنهجي تجاه الإسلام، كما اقترح بوضوح "أن نُغير سياسات الصين التقليدية الخاطئة في الماضي بسياستنا الصحيحة تجاه الأقليات".

قامت لجنة الحزب الشيوعي الصيني للعمل شمال غرب بصياغة (الخطوط العريضة المتعلقة بقضية قومية الهوي) تجاه التطبيق العملي لروح الاجتماع الكليّ السادس للدورة السادسة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني. ولعبت السياسة والمنهج اللذان طرحتهما هذه الخطوط العريضة تجاه الإسلام دورًا عظيمًا في تعبئة غالبية المسلمين لمقاومة اليابان والنضال من أجل تحرير القوميات.

٥٤٨– الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٦٠٢، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

وتعرض سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام وبعض جوانبه الأساسية في هذه الفترة فيما يلي:

أولاً: الدعوة إلى اتحاد جميع القوميات والمساواة بينها

في تقرير عام ١٩٣٨م أكد الرفيق ماو تسي تونغ في كتاب (البحث عن المراحل الجديدة) المساواة بين جميع القوميات مع الهان داخل الصين، وفي أبريل عام ١٩٤٠م [illegible] الكثير من التطورات الجديدة في سياسة الحزب الشيوعي تجاه المساواة القومية كما [illegible] تحقيق الوحدة القومية من أجل مقاومة اليابان بشكل أساسي [illegible] القومية وإدارة الأقليات لشؤونهم الذاتية [illegible] في السياسة والاقتصاد والثقافة [illegible] الهوي حقوقاً متساوية مع الهان في مجال السياسة [illegible] الذاتية في ظل مبدأ المقاومة المشتركة ضد اليابان.

ونص (البرنامج الإداري للمنطقة الحدودية في شنشي وقانسو ونينغشيا) على تحقيق المساواة بين المغول والهوي مع الهان في مجال السياسة والاقتصاد والثقافة، وإنشاء منطقة الحكم الذاتي للهوي والمغول [illegible] مبدأ المساواة القومية"[١٥١]. ومما يستحق ذكره أن الحزب الشيوعي الصيني بدأ ينظر بعين الاهتمام إلى ضبط العلاقات بين القوميات، كما أشار (الخطوط العريضة المتعلقة بقضايا قومية الهوي) إلى ضرورة قيام السلطات المدنية والعسكرية بمنح جميع القوميات المحلية حقوقاً متساوية، وضبط العلاقات بين القوميات واحترام عاداتهم وتقاليدهم ولغتهم وكتابتهم وتعليم أهل الهوي المحليين وسائر القوميات الأخرى روح الحب والمساواة للتغلب على النزعة القومية الضيقة"[١٥٢].

---

(١٥١) الهيئة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٦٧٧، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

(١٥٢) الهيئة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٦٥٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

ثانياً: السماح للقوميات بحكمهم في الحكم الذاتي

إن السماح للأقليات بحكمهم في الحكم الذاتي هو المحتوى المهم لسياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الدين والقوميات، لكن قبل حرب مقاومة اليابان، كان الكثير حكم ذاتي قومي هو الحكم الذاتي الذي يقوم على الانفصال مع تكوين المصير الوطني وإقامة دولة كونفدرالية وطنية.

وبعد الاجتماع الكلي السادس للدورة السادسة للجنة المركزية عام ١٩٣٨م، بدأ مفهوم الحكم الذاتي القومي يعدل ويتطور نحو الأفضل، وأشار الرفيق ماوتسي تونغ في كتاب (البحث عن المراحل الجديدة) إلى ضرورة إعطاء المغول والهوي والتبت وماو وياو ويي وفان وغيرهم من القوميات حقوقاً متساوية مع الهان، في ظل مبدأ المقاومة المشتركة ضد اليابان، وإعطائهم حق إدارة الشؤون الذاتية، وفي الوقت نفسه أسست دولة موحدة من خلال ترابطهم مع الهان"[١٥٣].

وفي هذا الوقت، ربط الحزب الشيوعي الصيني حق الحكم الذاتي القومي مع الدولة الموحدة، لذا فإن الحكم الذاتي في الواقع حكم ذاتي إقليمي للأقليات داخل الدولة الموحدة، ويحمل معنى واضحاً للحكم الذاتي الإقليمي القومي.

ثالثاً: معارضة الشوفينية الهانية، والحفاظ على الحقوق الديمقراطية:

خلال فترة حرب المقاومة، عارض الحزب الشيوعي الصيني بحزم الشوفينية الهانية التي ظلت موجودة لفترة طويلة من الزمن، خاصة سياسة طغمة شيانغ كاي شيك تجاه الدين والقوميات، من أجل تحقيق المساواة القومية والوحدة الوطنية. وأشار رفيق ليوشاوتشي في (بعض القضايا الأساسية في حرب العصابات لمقاومة اليابان) إلى: أنه يجب أن تكون سياسة الحكومة الناهضة لليابان تجاه جميع الأقليات الصينية وضع

---

(١٥٣) الهيئة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٥٩٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

مبدأ: توحيد جميع القوميات من أجل المقاومة المشتركة ضد اليابان، ودعم جميع القوميات في تقرير مصيرها، ومعارضة الشوفينية الهانية".

ويجب تغيير صارم لسياسة حكومة الكومينغ الحالية، ومن الخضوع لحكم الملك، الذي اتبعته الصين عبر التاريخ لمحاولة كسب جميع الأقليات"[552].

أشار الرفيق ماو تسي تونغ في كتاب (مرحلة النظرية الجديدة) إلى "تصحيح الشوفينية الهانية الموجودة، ودعا الصينيين إلى تبني موقف المساواة والاندماج مع القوميات كافة، مما يعزز الصداقة يوماً بعد يوم، وفي الوقت نفسه منع أيَّة لغة مكتوبة أو منطوقة أو سلوك ازدراء وإهانة تجاههم"[553].

أكدت (الخطوط العريضة المتعلقة بقضايا قومية الهوي) - بشكل كامل - أن الهوي إحدى القوميات في جميع القواعد العسكرية المناهضة لليابان، من أجل ضمان حقوق الأقليات بما فيها الهوي، كما منحهم الحزب الشيوعي الصيني أفضلية خاصة في الانتخابات الديمقراطية، مثل المطالب في البرنامج الإداري في المنطقة الحدودية لجين تشا جي عام ١٩٤٠م، "في الانتخابات الديمقراطية، ولا بد من منح الهوي والمغول والتبت والمان وغيرهم من الأشقاء أفضلية خاصة"، وتقرر المنطقة الحدودية لشانشي وقانسو ونينغشيا، و"أن الأقليات مثل المسلمين والمغول لهم مصالحهم الخاصة، ويجب عمل انتخابات وطنية مستقلة"[554].

باختصار، خلال فترة حرب المقاومة ضد اليابان، عارض الحزب الشيوعي الصيني الشوفينية الهانية، ليضمن جانب الحقوق الديمقراطية للأقليات بما فيها الهوي، كما طرأ تطور جديد من ناحية التطبيق العملي والنظري والسياسي.

---

[552] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٥٦٣، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[553] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٥٩٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[554] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٦٦٨، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

رابعاً: احترام حرية اللغة والكتابة، والاعتقاد الديني، والعادات والتقاليد:

أشار الرفيق ماوتسي تونغ في (البحث عن المراحل الجديدة) إلى "احترام الثقافة والدين والعادات لجميع القوميات، ولا يجب إجبارهم على دراسة اللغة والكتابة الصينية؛ بل تجب مساعدتهم في تطوير التعليم والثقافة المستخدمة في اللغات المنطوقة والمكتوبة لجميع القوميات"[555]. وقال ليو شاو تشي[556] في كتاب (بعض القضايا الأساسية في حرب العصابات لمقاومة اليابان): إن "تنمية ثقافة الأقليات، واحترام الاعتقاد الديني لهم حجر زاوية لوحدة وطننا"[557].

يعد هذا الشرح تفسيراً ملخصاً لسياسة الحزب الشيوعي تجاه الثقافة والاقتصاد للأقليات واللغة المكتوبة والمنطوقة لهم والاعتقاد الديني، والعادات والتقاليد خلال حرب المقاومة ضد اليابان. وبالنسبة إلى جميع القوميات التي تعتنق الإسلام، وتشير بعض الوثائق المهمة خلال حرب المقاومة بشكل خاص إلى "ضرورة الاهتمام بالإسلام، كما أصبح الإسلام راية لتوحيد المسلمين لمقاومة اليابان".

"احترام حرية الاعتقاد الديني لشعب الهوي"، "ومعارضة أي أفعال وأقوال تحتقر وتستخف بالإسلام ومنعها"، "واحترام جميع العادات الفكرية والأخلاق الدينية لجميع القوميات، وتنمية تقاليدهم الممتازة في الماضي"[558].

والمحاولة إلى توحيد الظروف الواقعية المحلية لجميع المنطقة الحدودية في شنشي وقانسو ونينغشيا والمنطقة الحدودية في شانشي وتشا وجين والمنطقة الحدودية في

---

[555] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٥٩٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[556] - كان ليو شاو تشي ماركسياً عظيماً، وثورياً بروليتارياً كبيراً، وسياسياً، وأحد قادة الدولة والحزب.

[557] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٥٦٤، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[558] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٥٥٣،٦٠٥،٦٥٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

شانشي وجين وخنان، كما وضعت تفسيرًا ملموسًا لسياسة الحزب تجاه الإسلام في البرنامج الإداري الذاتي، وقدمت إجراءات عملية، وأكد احترام العادات والتقاليد والاعتقاد الديني لجميع القوميات. كما تطورت هذه الإجراءات وأكملت سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام بشكل متقدم.

خامسًا: إنشاء فرقة عسكرية وقوات مسلحة من المسلمين:

في ممارسة للحزب الشيوعي الصيني في النضال الثوري خلال المسيرة الكبرى، اهتم الحزب اهتمامًا كبيرًا بمساعدة الأقليات، بما فيها القوميات التي تعتنق الإسلام في الصين، لإنشاء فرقة عسكرية وقوات مسلحة، وخلال حرب مقاومة اليابان كانت هذه السياسة أكثر ما أكدها الحزب الشيوعي.

وفي ١٢ من أغسطس عام ١٩٣٧م، أشارت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني (المبادئ المتعلقة بالعمل في مناطق حرب المقاومة) إلى: "تنظيم جميع الكوريين والمغول والمسلمين وتسليحهم، للمشاركة في حرب المقاومة، في ظل تقرير المصير الوطني والاستقلال الوطني، والمقاومة المشتركة ضد اليابان".

أكد ليوشاوتشي في كتاب (بعض القضايا الأساسية في حرب العصابات لمقاومة اليابان) "حق الأقليات في إنشاء قوات مسلحة ذاتية". وفي ٤ من أبريل ١٩٤٥م، اقترح الرفيق ماو تسي تونغ في التقرير السياسي السابع (الحكومة المتحدة نظريًا) "تأسيس فرقة عسكرية تحمي مصالح الأقليات أنفسها"[٥٥٩].

ويمكن أن نرى من بعض الوثائق والشرح أن الحزب الشيوعي الصيني ساعد المسلمين في إنشاء قوات مسلحة ذاتية، من أجل زيادة القوة المقاومة ضد اليابان، ومن أجل حماية مصالح المسلمين. وفي ظل قيادة الحزب الشيوعي الصيني، تدفقت القوات

٥٥٩- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٦٦٨ و٥٤٤ و٧٤٣، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

المسلحة من المسلمين في ميدان الحرب ضد اليابان، مثل مفرزة المسلمين في المنطقة العسكرية في تشونغجي التي يقودها مابنجي. وخاض ٨٧٠ معركة كبيرة وصغيرة، وقضى على أكثر من ٣٦ ألفًا و٧٠٠ جندي من جيش العدو الياباني، حتى أُطلق عليه "الجيش الحديدي الذي لا يُهزم ولا يُكسر"؛ كما أن خصائص القاعدة العسكرية لبوهاي على السهول ووضع قوة العدو ووضع الضعف أفرزت الكثير من المعارك النموذجية لانتصار القلّة على الكثرة، وسُحق العدو الياباني؛ ويبدو أن قوات عصابات السكك الحديدية المشهورة في أنحاء البلاد على السكة الحديد الفرعية لينذاو على خط تينبو التي تظهر وتختفي كأنها شبح، تنتصر على العدو بحركاتها الخاطفة، فترتعد فرائص العدو عند سماع ذلك الخبر.

سادسًا: تأسيس هيئة متخصصة، وتعزيز دراسة القضايا الإسلامية:

ومن أجل منع غزو العدو للمناطق الشمالية الغربية، تم إنشاء قاعدة ثورية ثابتة في الشمال الغربي، وقام الحزب الشيوعي الصيني بزيادة القوة المحركة للدراسة والقيادة تجاه عمل الأقليات في الشمال الغربي.

في يوليو ١٩٣٧م، قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني إقامة لجنة لعمل الأقليات، وإقامة وزارة عمل للمسلمين، ووزارة عمل للمغول، وتولى قاوشنغ[٥٦٠] السكرتير، وتولى تشاوتونغرو[٥٦١] الأمين العام.

وهذه أول هيئة يؤسسها الحزب الشيوعي الصيني لإدارة عمل الأقليات، من أجل دراسة القضايا الإسلامية بشكل جيد، وتوفير ضمانات منظمة لرسم سياسة مناسبة لحل قضايا الإسلام وتنفيذها.

وفي ١٠ من أغسطس ١٩٤١م، قررت اللجنة الدائمة ٧٣ لحكومة المنطقة الحدودية

٥٦٠- من المسلمين، من مدينة شنشي.

٥٦١- من المغول.

شنشي وقانسو ونينغشيا إنشاء لجنة الحكومة الحدودية لشؤون الأقليات، وحددت مهامها الأساسية؛ وهي الإدارة الخاصة "للأمور المتعلقة بالحكم الذاتي لمناطق الهوي والمغول وغيرها من القوميات داخل الدولة"، و"إنشاء أمور تتعلق بالسياسة والدفاع الذاتي والاقتصاد والثقافة والتعليم والصحة، وغيرها من المجالات، في المناطق ذاتية الحكم للأقليات كالهوي والمغول داخل المنطقة الحدودية"[562].

بعد الاجتماع الكليّ السادس للدورة السادسة للجنة المركزية، تم إنشاء لجنة عمل شمال غرب، وفي عام ١٩٤١م، تم دمج لجنة العمل شمال غرب مع مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بالمنطقة الحدودية شنشي وقانسو ونينغشيا، وتأسس مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني بشمال غرب، وهو الهيئة الأساسية للحزب الشيوعي الصيني لعلاج القضايا القومية خلال حرب المقاومة ضد اليابان.

وقد قال الرفيق ليويهان: "إن تاريخ حزبنا تجاه عمل الأقليات طويل جداً، لكن اتخذ من نظريات الماركسية واللينينية المتعلقة بالقضايا القومية سلاحًا، لدراسة قضايا الأقليات الداخلية بمنهجية، بالإضافة إلى اعتبار عمل الأقليات بداية لجنة عمل الغرب"[563].

أنشأت لجنة عمل الغرب منظومة دراسية لقومية الهوي بشكل خاص، وأجرت دراسات وأبحاثًا منهجية على تاريخ الهوي وسياستها واقتصادها وثقافتها وغيرها من الأحوال، وعلى هذا الأساس ألفَّت كتاب (قضايا قومية الهوي).

وفي ظل حالة إنكار الكومنتانغ على الهوي وطنيتهم، يؤكد كتاب (قضايا قوميات هوي) وطنية قومية الهوي، وأن قضاياهم قضايا وطنية، صحيحة جداً، وأعلن عن

[562] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٩٢٤، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[563] - ليويهان: الجزء الثاني من (الاجتماع والدراسة)، ص ٤٥٢، دار نشر تاريخ حزب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة عام ١٩٨٦م.

احترام الحزب الشيوعي الصيني القوميات التي تعتنق الإسلام في الصين واهتمامه بها. خاصة أن كتاب (الخطوط العريضة لقضايا قوميات هوي) تم طبعه وتوزيعه بعد موافقة مكتب السكرتارية للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، وأصبح من الوثائق المنهجية الإرشادية تجاه عمل الإسلام.

بالإضافة إلى تأليف (سوييوان في حرب المقاومة) و(قانسو ونينغشيا وتشينغهاي في حرب المقاومة) و(وشنشي في حرب المقاومة) وغيرها من الكتيبات، فضلًا عن أنها وفَّرت مادة علمية لسياسة الحزب الشيوعي الصيني التي رسمها تجاه الإسلام، في الوقت نفسه وضعت أساسًا لتشكيل سياسة الحكم الذاتي الإقليمي القومي. وفي الأعمال البحثية ظهر من داخل الحزب خبراء في النظريات القومية وفي قضايا الإسلام؛ مثل ليويهان وياخانتشنغ وتياتوفو وغيرهم.

سابعًا: الاهتمام بتدريب كوادر المسلمين:

في ٢٤ من مايو ١٩٣٦م، أكدت (توجيهات الهيئة السياسية العامة للجيش الأحمر الصيني من العمال والفلاحين المتعلق بعمل الهوي) "ضرورة تركيز الرفاق الهوي الموجودين في جميع الفرق والهيئات المحلية بكل جهد على وزارة الأعمال المحلية التابعة لجميع الهيئات السياسية، لتعزيز تدريبهم، ليصبحوا كوادر قيادية قوية من المسلمين.

وفي الوقت نفسه تمت ترقية كوادر جديدة من المسلمين وتدريبها، من خلال النضال والعمل، وضم - بكل جهد - جميع المواهب من الهوي المستعدة للنضال من أجل تقرير المصير، خاصة بالنسبة للقادة المؤمنين من المسلمين، وإرشادهم لعمل حركة تقرير المصير من المسلمين من خلال جميع الطرق، وضمهم للمشاركة في السلطة السياسية للمسلمين والنضال من أجل تقرير المصير والهيئات الإرشادية، لذا يجب تنظيم دورات تدريبية قصيرة الأجل"[564]. وفي نوفمبر من العام نفسه، تشير (بعض القضايا في عمل

[564] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٣٦٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

المسلمين) إلى "تدريب كوادر من المسلمين للقيام بأعمالهم، والعمل يحمل معنى محدداً، و"يعد تدريب كوادر المسلمين من أكثر الأعمال إلحاحاً في الوقت الحالي"[565].

من أجل القيام بأفضل الأعمال للمسلمين، تعبئتهم للمشاركة في الموجة المناهضة لليابان، فاهتم الحزب الشيوعي الصيني اهتماماً كبيراً بتدريب كوادر المسلمين، بالإضافة إلى إنشاء فصول قومية في مدرسة الحزب للجنة المركزية في يانآن، وإنشاء معهد يانآن للدراسات القومية وغيرها، وتدريب كوادر الأقليات بما فيها الهوي، بجانب عمل دورات تدريبية لكوادر الهوي بشكل خاص في مدرسة الحزب للجنة المركزية في يانآن عام ١٩٣٩م.

خلال حرب التحرير كانت هذه الفترة أهم فترة للحزب الشيوعي الصيني، قاد فيها الصينيين للنصر في الثورة الديمقراطية الجديدة. في هذه الفترة أكد الحزب الشيوعي الصيني بوضوح "أن اتحاد العمال والفلاحين والجنود والعلماء والتجار شكلوا جبهة وطنية موحدة من الطبقات المظلومة، ومن جميع المجموعات الشعبية والأحزاب الوطنية والأقليات والمغتربين الصينيين وغيرهم من محبي الدولة، لإسقاط حكومة شيانج كاي شيك الاستبدادية وتأسيس حكومة ائتلافية موحدة"[566].

وفي فترة حرب التحرير، وضع الحزب الشيوعي الصيني المنهج السياسي الأساسي لسياساته تجاه الدين والقوميات، بما فيها سياساته تجاه الإسلام. وخلال حرب التحرير يتجسد برنامج الحزب الشيوعي الصيني تجاه الدين والقوميات بشكل مركز في التقارير السياسية السبعة الكبرى للحزب (نظرية الحكومة الائتلافية) و(البرنامج المشترك للمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني)، ويعد الأول هو المبدأ العام لسياسة

٥٦٥- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص٥٣١، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

٥٦٦- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١١٣٦، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

الحزب الشيوعي الصيني الذي وضعها تجاه الدين والقوميات، ويعد الثاني إكمالاً وتلخيصاً لسياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الدين والقوميات خلال الثورة الديمقراطية الجديدة.

إن سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الدين والقوميات خلال حرب التحرير تقوم بشكل أساسي على وحدة القوميات والحكم الذاتي الإقليمي القومي، وتدريب كوادر من الأقليات واختيارها، وتطوير الثقافة والاقتصاد لمناطق الأقليات، واحترام اللغة المنطوقة والمكتوبة للأقليات والاعتقاد الديني والعادات والتقاليد وغيرها من السياسات.

من الخصائص الرئيسية للسياسة الدينية والقومية في هذه الفترة:

أولاً: توسيع معنى المساواة القومية.

ثانياً: تأكيد المضمون الأساسي للحزب الشيوعي وتدعيمه تجاه الحكم الذاتي الإقليمي القومي.

ثالثاً: تدريب كوادر من الأقليات واختيارها، ورسم سياسة ملموسة.

رابعاً: وضع مساعدة الأقليات في التطوير والتحرير لثقافتها واقتصادها سياسةً مهمة.

خامساً: تطوير السياسة المتعلقة باللغة المنطوقة والمكتوبة، والعادات والتقاليد، والاعتقاد الديني بشكل متقدم وإكمالها. وهذه الخصائص تحمل انعكاساً وتعبيراً لسياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام.

إن فترة حرب التحرير فترة مهمة في تطور سياسة الحزب الشيوعي الصيني وتشكيله تجاه الدين والقوميات، بما فيها سياسته تجاه الإسلام، كما وضع أساساً متيناً لعمل الحزب وسياسته تجاه الدين والقوميات، لما بعد قيام الجمهورية الصينية الجديدة.

◆ سياسة المساواة القومية:

خلال حرب التحرير، اشتملت سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه المساواة القومية لجميع القوميات التي تعتنق الإسلام في الصين - بشكل أساسي - على ما يلي:

التمسك بالمساواة ذاتها بين جميع القوميات. وطبقًا لروح التقارير السبعة الكبرى، وضَع الحزب الشيوعي الصيني التمسك بالمساواة القومية وتوحيد جميع القوميات سياسةً مهمة من أجل الحصول على الديمقراطية والسلام. وأعلن (مشروع وبرنامج بناء دولة سلمية) في ١٦ من يناير ١٩٤٦م: "ضرورة الاعتراف بالمكانة والمساواة بين جميع القوميات وحقها في الحكم الذاتي"[٥٦٧].

في سبتمبر ١٩٤٩م، أقرّ بوضح (البرنامج المشترك للمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني) الذي وافق عليه اجتماع الدورة الأولى للاجتماع الاستشاري السياسي للشعب الصيني، و"المساواة نفسها بين أطياف الشعب المختلفة داخل جمهورية الصين الشعبية، وتنفيذ الوحدة والمساعدة التبادلية، ومعارضة الوطنية الكبيرة والوطنية الضيقة، ومنع سلوك التميز العنصري بين القوميات، والاضطهاد وانقسام الوحدة القومية"[٥٦٨].

وضَع الحزب الشيوعي الصيني الكثير من الإجراءات الملموسة، من أجل تحقيق المساواة القومية؛ مثل ١١ من يوليو ١٩٤٨م كان (قرار حكومة المنطقة الحدودية جين وجي ويو واللجنة الإدارية للمنطقة الحدودية جين وجي ويو المتعلقة بعقد إجراءات انتخابات النواب ومجلس الشعب المؤقت بشمال الصين) ينُصّ بشكل خاص: "أن يمثل المسلمين سبعةُ أفراد: على أن ترسل جميع مكاتب التمثيل الإداري للمقاطعات وجميع أحزاب مدينة شيهتياتجوانغ"، وفي الوقت نفسه تنص على "اختيار ممثلين من المسلمين من جميع مكاتب التمثيل الإداري للمقاطعات ومن مجموعات المسلمين من مدينة شيهتياتجوانغ"[٥٦٩].

---

[٥٦٧]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٩٩١، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[٥٦٨]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١٢٩٠، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[٥٦٩]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١١٤٠، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

وفي ١٩ من فبراير ١٩٤٦م، تشير (تعليمات مكتب شرق الصين التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني المتعلق بعمل المسلمين) إلى أن "بالنسبة لكوادر المسلمين، ينبغي تعزيز الطبقية والتعليم، للقضاء على أيديولوجية القومية الضيقة، أما بالنسبة للهان، فينبغي القضاء على الشوفانية الهانية"[٥٧٠].

وفي يوليو ١٩٤٩م، في أثناء بَدْء الجيش الميداني لجيش التحرير الشعبي الصيني في القتال لتحرير كل المقاطعات في الشمال الغربي، طرح شعار "توحيد جميع القوميات الصينية ومعارضة الإمبريالية الأمريكية في غزوها الصين".

في هذه الفترة، بدأ الحزب الشيوعي الصيني يؤكد أهمية تطوير الثقافة والاقتصاد للأقليات لتحقيق المساواة القومية، واقترح أنه "إذا لم نسعَ للحاق بقومية الهان في مجال الثقافة والاقتصاد، فتلك ما يسمونه بالمساواة القومية، لكنها هباء منثور"، "ولا يمكن تحقيق المساواة القومية من ناحية الجوهر إلا من خلال رفع مستوى الثقافة والاقتصاد بشكل حقيقي، وإلا ستكون مساواة قومية من الناحية الشكلية فقط"[٥٧١].

◆ سياسة الحكم الذاتي الإقليمي القومي:

قبل حرب التحرير، قد اقترح الحزب الشيوعي الصيني رسميًا وضع الحكم الذاتي الإقليمي القومي طريقةً لحل قضايا القوميات. وخلال حرب التحرير، أصبح الحزب الشيوعي الصيني له خبرة وفيرة نسبيًا في مجال العمل تجاه الدين والقوميات، تمثل تحولاً كبيرًا في طريقة حل قضايا الدين والقوميات، ولم يعد ينادي بنظام الاتحاد الفيدرالي الوطني، ودعا إلى تطبيق الحكم الذاتي في مناطق القوميات داخل الدولة ذات النظام الموحَّد، وفي الوقت نفسه، يؤكد تدريجيًا السياسة والنظريات للحكم الذاتي الإقليمي القومي ويعززها.

---

[٥٧٠]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١٠٥٠، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[٥٧١]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١١٤٤-١١٤٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

وفي ٧ من سبتمبر ١٩٤٩م، قبل انعقاد الاجتماع الكليّ للدورة الأولى للجنة الاستشارية السياسية للشعب الصيني، فسَّر الرفيق تشوانلاي لجميع ممثلي المجلس السياسي الاستشاري للشعب الصيني سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الحكم الذاتي القومي، وقال: "برغم أننا لسنا اتحادًا فيدراليًا، إلا أننا ندعو إلى الحكم الذاتي الإقليمي القومي، وممارسة حق الحكم الذاتي القومي"[٥٧٢].

وفي ٢٩ من سبتمبر ١٩٤٩م، أكد بوضوح (البرنامج المشترك للاجتماع الاستشاري السياسي للشعب الصيني) - الذي وافق عليه الاجتماع الكليّ للدورة الأولى للاجتماع الاستشاري السياسي للشعب الصيني - ضرورة تطبيق الحكم الذاتي في جميع مناطق الأقليات، وإنشاء هيئات للحكم الذاتي القومي على حدة، وفقًا لعدد سكان القوميات، وحجم المناطق، داخل أماكن التعايش القومي ومناطق الحكم الذاتي القومي.

"أن يكون ثمَّة ممثلون من جميع القوميات بنسب متساوية في هيئات السلطة السياسية المحلية"[٥٧٣]. ووضع مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي والمناطق المحررة سلسلة من الإجراءات السياسية الملموسة تتعلق بالحكم الذاتي لمناطق الأقليات، وفقًا للسياسة الكلية للحكم الذاتي لمناطق الأقليات.

كما تشير (تعليمات مكتب شرق الصين التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني المتعلق بعمل المسلمين) في ١٩ من فبراير ١٩٤٦م إلى: "إقامة قرى للحكم الذاتي للمسلمين، وإقامة مناطق لهم في المدن، وإنشاء فرق حماية منهم وشرطة في هذه المناطق"، و"تعزيز توجيهات الحزب تجاه سياسة المسلمين، والاهتمام بانتخاب أعضاء مسلمين في المجلس الاستشاري لجميع الحكومات.

[٥٧٢]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١٢٦٧، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

[٥٧٣]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١٢٩٠، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، ١٩٩١م.

إن اشتراك المسلمين في الأنشطة السياسية والحكم الذاتي، يعد شعارًا قويًا بالنسبة لاتساع رقعة المسلمين الذين يعيشون في الأراضي المحتلة"[٥٧٤].

وفي ١٨ من مايو من العام نفسه، اقترح بشكل متقدم "وقد حقق لمنطقة المسلمين نظام الأرض لمن يفلحها، وهي تمثل العمود الفقري لجمعية المسلمين، وإقامة سلطة سياسية للحكم الذاتي الإقليمي والقروي للمسلمين. وعلى سبيل المثال في المناطق التي يمثل فيها المسلمون أعدادًا قليلة مقارنة بأعداد الهان، يمكنهم إقامة سلطة سياسية ائتلافية، كما يتم تعيين رئيس المنطقة من المسلمين أو نائب رئيس المنطقة أو نائب رئيس المحافظة أو نائب رئيس المدينة، في حكومات هذه المناطق، عن طريق الانتخاب من جمعية المسلمين.

كما يجب وجود أعضاء من المسلمين في المجلس الاستشاري، من أجل تحقيق سياسة حزبنا في تقرير المصير الوطني بشكل صحيح، ومن أجل سحق الدعاية الخادعة (الحكم الذاتي الوطني) للحزب الكومينتانغ الرجعي"[٥٧٥]. وفي أغسطس ١٩٤٩م، قررت اللجنة السابقة في الجيش الأول الميداني لجيش التحرير للشعب الصيني في (التعليمات لعمل المسلمين في لينشيا) "إقامة حكومة مؤقتة ذاتية الحكم للمسلمين، في المناطق الصافية التي يعيشون فيها، كما يمكن ضم الناشطين لكل من الهان والهوي للمشاركة في العمل، وفقًا لعدد المقيمين في المناطق التي يعيش فيها الهان والهوي"[٥٧٦].

في حرب التحرير، تم إنشاء سلطة سياسية ذاتية الحكم للمسلمين أو سلطة سياسية ديمقراطية تتألف من الهان والهوي في المنطقة الوسطى المحررة لمقاطعة

[٥٧٤]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١٠٠١، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام١٩٩١م.

[٥٧٥]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١٠٤٩، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

[٥٧٦]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١٢٥٨، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

شاندونغ، وإقامة بلدية ذاتية الحكم للمسلمين في قرية خبيمانغ وتذاوتجوانغ بمقاطعة شاندونغ، وإقامة منطقة ذاتية الحكم للمسلمين في المنطقة الثانية بمدينة شوانخوا بمقاطعة خبي.

وفي عام ١٩٤٥م، بعد اندلاع الثورة في ثلاث مناطق؛ أيلي وتاتشنغ وأرتاي بمقاطعة شينجيانغ. أكد الرفيق ماوتسي تونغ نضال قوميات شينجيانغ لعدة سنوات؛ في برقية أعطاها لآهاماتجيانغ قائد الثورة في المناطق الثلاث، ويعتقد أن الثورة في هذه المناطق "جزء من حركة الديمقراطية للشعب الصيني كله"، وأشار في (التعليمات المتعلقة بحل قضايا شينجيانغ) إلى "أن مفتاح حل قضايا شينجيانغ هو التعاون الوثيق بين حزبنا والويغور"، بالإضافة إلى إعلان "ضرورة أن تكون هيئة القادة بشينجيانغ لجنة من الجيش والحكومة بشينجيانغ"، "وأن تكون غالبية أعضاء اللجنة من اليوغور والقوميات الأخرى، والأقلية من الهان"[٥٧٧].

باختصار، خلال حرب التحرير، حوّل الحزب الشيوعي الصيني طريقة التعبير العادية لحق الحكم الذاتي القومي إلى حكم ذاتي واقعي لبعض المناطق، وأقام سلطة سياسية ذاتية للحكم للأقليات، من أجل الحصول على إنجازات عظيمة، خاصة أن تقديم أي توجيه ومساعدة ليست من الحزب الشيوعي الصيني، فلن تستطيع الأقليات الحصول على فكرة الحكم الذاتي والتحرير الصحيح، وتراكمت خبرة الحزب الشيوعي الصيني تجاه التطبيق والشكل النظري للحكم الذاتي في أقاليم القوميات، مما زفّر ظروفًا مواتية له.

◆ سياسة تدريب واختيار كوادر من الأقليات:

إن كوادر الأقليات هي القوة والركيزة لحركة الثورة في المناطق القومية، وإن تدريب

[٥٧٧] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، انظر على حدة كلًا من ص ١٢٥٦ و١٢٧٣ و١٢٧٤، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

كوادر الأقليات واستغلالها حلقة مركزية لتصحيح العلاقات القومية، وهو مفتاح النضال من أجل التحرّر القومي. وخلال حرب التحرير، رسم الحزب الشيوعي سلسلة من السياسات لتدريب الكوادر من الأقليات واختيارها وتعيينها، من أجل تعزيز القيادة في مناطق الأقليات، وتوحيد غالبية القوة الثورية من الأقليات.

مثل قضية تدريب كوادر من الهوي وتعيينها، أعلن الحزب الشيوعي الصيني توزيع كوادر المسلمين في جميع مستويات السلطة السياسية، وتدريب كوادر المسلمين وترقيتهم وتمرينهم بدنيًا وتعلمهم بشكل مخطط. كما أن (تعليمات مكتب شرق الصين التابع للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني المتعلق بعمل المسلمين) تشير إلى "كوادر المسلمين: ذات مستوى متدنٍّ عادي من حيث الجودة، أو من ينقصهم الجودة، ينبغي تحديدهم، وتدريبهم وترقيتهم بشكل مخطط. وتزويدهم بقدر الإمكان بممارسة الرياضة والتعليم، خاصة التعليم السياسي، في مراكز العمل"[٥٧٨].

وفي ٢٠ من سبتمبر ١٩٤٩م، طرحت لجنة الحزب الشيوعي الصيني بوهاي "ضرورة الانتباه إلى توزيع كوادر المسلمين في السلطة السياسية لمناطق المسلمين وبلدياتهم"[٥٧٩].

قدّم الحزب الشيوعي الصيني الكثير من الطرق والأساليب الملموسة، من أجل تدريب كوادر الأقليات؛ فمثلًا ينبغي على كوادر الهان العمل بجدية، بل الصبر وعدم الهروب مثل كاهن يترك القدّاس ليعمل مكان الطباخ الغائب، وإلا سيكون جزاؤه اللوم والعتاب بعد الجهود الكبيرة، على العكس سيكون عمله سيئًا"، "ويجب ألا يكون ذلك تعاونًا سطحيًا مع المستشارين والموجهين السياسيين والموظفين الاستشاريين، وهذا احتكار فعليّ للسلطة أو أسلوب لسيادة المبعوث الإمبراطوري".

[٥٧٨] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص 1056، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

[٥٧٩] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١٢٥١، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

بالنسبة لتدريب كوادر الأقليات، "فإن تدريب الكوادر الحالية بدنيًا ورفع مستواهم، واكتشاف الكوادر الجديدة واختيارها هي من الطرق الأساسية لتدريبهم من خلال الحركة الجماهيرية"، "وتجب رعايتهم جيدًا، والصبر كثيرًا لتعليمهم، وتقليل استخدام النضال في الاجتماعات، والإكثار من قراءة الكتب الثورية من أجل تنوير أفكارهم"[580].

◆ تطوير السياسة والثقافة والاقتصاد للقوميات:

تشير التعليمات السبعة الكبرى إلى "ضرورة مساعدة جماهير الشعب الفقيرة من الأقليات، بما فيها جميع الشخصيات القيادية المتصلة بالجماهير، للنضال من أجل الحصول على تنميتهم وتحررهم في مجال السياسة والاقتصاد والثقافة". ومع اتساع رقعة المناطق المحررة، أعطى الحزب الشيوعي اهتمامًا كبيرًا وعناية لائقة لتنمية الأقليات، ورسم سياسات ذات صلة، وطوّر اقتصاد الأقليات، وحسّن سياسة الأقليات، وبذل جهودًا عظيمة في إقامة قضايا التعليم والثقافة وتطويرها بجميع أشكالها، من أجل رفع المستوى السياسي الثقافي والوعي الثوري عند القوميات.

في أثناء التطبيق العملي، قام الحزب الشيوعي الصيني برفع هذه السياسة العالية، لتحسين حياة الأقليات بشكل حقيقي، ولا يمكن أن تكون الجبهة الموحدة ركيزة يمكن الاعتماد عليها، وأن تكون لها درجة عالية من الأساس، إلا من خلال تعبئة الأقليات.

كما هو الحال في سياسة الإصلاح الزراعي، أعلن إلغاء النظام الإقطاعي الزراعي، وتطبيق سياسة الأرض لمن يفلحها، وأكد "حصول الغالبية الأساسية من المسلمين على أراضٍ زراعية يستحقونها، بالإضافة إلى مساعدتهم في التنمية الصناعية والتجارية، في حركة الإصلاح الزراعي"[581].

---

[580]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١٠٦٥ و١٠٧١ و١٢١٠، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

[581]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ١٠٤٩ ، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

بالإضافة إلى القيام بحركات مساعدة تبادلية، ودفع تنمية الإنتاج لمناطق الأقليات نحو الأمام، ومن ناحية تنمية قضايا التعليم والثقافة للأقليات، في أكتوبر ١٩٤٥م، أشار مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني جين تشا جي، إلى "تنمية قضايا التعليم والثقافة للشعب، واجتثاث ضرر العدو تجاه الثقافة والروح الشعبية، ودفع الثقافة الجديدة للمغول والمسلمين نحو الأمام، وإعادة إنشاء جميع أنواع المدارس للمغول والهان والهوي، وتقديم المعونة للطلاب الفقراء. ومن ناحية تنمية التعليم والثقافة أقرّ بأحقية جميع القوميات في استخدام لغاتها المنطوقة والمكتوبة"؛ وتشير (تعليمات مكتب شرق الصين التابع للجنة الحزب الشيوعي الصيني المتعلق بعمل المسلمين) إلى "تعليم المسلمين ومساعدتهم في إقامة مدرسة"، وتشير بشكل خاص ومؤكد لـ"ضرورة إضافة مادة تاريخ المسلمين ولغتهم، بجانب المواد الدراسية العادية. لرفع كرامتهم الوطنية"[582].

◆ السياسة تجاه اللغة المنطوقة والمكتوبة للأقليات وعاداتهم وتقاليدهم واعتقادهم الديني:

خلال حرب التحرير، أكمل الحزب الشيوعي الصيني المزيد من سياسته تجاه احترام اللغة المنطوقة والمكتوبة للأقليات، وتدعيم استخدامها.

وفي فبراير ١٩٤٥م، أرسلت مسودة الاقتراح العملي المتعلق بمنطقة شمال شرقي الصين لمكتب منطقة شمال شرق اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني تشير إلى "احترام اللغة المنطوقة والمكتوبة للمغول والمسلمين وغيرهم من الأقليات"؛ ويشير الرفيق تشوانلاي في كتاب (بعض القضايا المتعلقة بالمجلس السياسي الاستشاري للشعب الصيني) إلى أن الصين دولة متعددة القوميات، تمثل غالبية سكانها قومية الهان، ومن ثم "ينبغي على الهان احترام دين القوميات الأخرى ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم"[583].

---

[582]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، انظر كلًّا على حدة، ص ٩٧٠ و١٠٥٦، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

[583]- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، انظر كلًّا على حدة، ص [illegible] و٩٧٨، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

في هذه الفترة، قام الحزب الشيوعي الصيني بمزيد من الإثراء لمحتوى سياسة احترام عادات الأقليات وتقاليدها، وطورها من خلال التطبيق العملي. ونصّ (البرنامج المشترك للمؤتمر الاستشاري السياسي للشعب الصيني) على حرية الأقليات في الحفاظ على عاداتها وتقاليدها أو تغيرها، وأشارت التقارير السبعة الكبرى إلى احترام الاعتقاد الديني للأقليات؛ بل "السماح بوجود جميع المذاهب الدينية في المناطق المحررة في الصين، وفق مبدأ حرية الاعتقاد الديني. سواء المسيحية أو الإسلام أو البوذية أو غيرها من الديانات الأخرى، فعلى المؤمنين احترام قوانين حكومة الشعب، وعلى الحكومة أيضًا توفير الحماية لهم.

والحرية مكفولة للجميع سواءً للمؤمن أو الكافر، وعدم اضطهادهم أو التمييز بينهم"[584]. وحرية الدعوة الدينية مكفولة لجميع المجموعات الدينية مثل اللامية والإسلام والكاثوليكية والمسيحية، في ظل احترام شروط المراسم الحكومية، وحرية اختيار الاعتقاد الديني مكفولة للجميع وفق رغباتهم الشخصية، وعليهم حماية المعابد والمساجد والكنائس وغيرها".

وفي فبراير ١٩٤٥م، أعلن مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني شمال شرق "احترام الاعتقاد الديني للمغول والمسلمين وغيرهم من الأقليات"[585].

باختصار، فخلال حرب التحرير، تتمثل خصائص سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الدين فيما يلي: احترام الاعتقاد الديني لجميع القوميات التي تعتنق الإسلام؛ فحرية اختيار الاعتقاد الديني مكفولة لجميع الأقليات؛ والمساواة بين جميع الأديان،

584- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٩٧٣، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

585- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، انظر كلًا على حدة، ص٩٧١ و٩٧٨، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعية الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

وحرية النشر الديني، في ظل احترام شروط المراسم الحكومية؛ والفصل بين الدين والسياسة.

الخبرات الأساسية لسياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الإسلام خلال الثورة الديمقراطية الجديدة، إذ دمج الحزب الشيوعي الصيني الماركسية واللينينية مع ممارسة الثورة الصينية، ورسم سلسلة من السياسات تجاه الدين والقوميات، ومن خلال النضال الثوري العارم للشعب الصيني تحت قيادة الحزب الشيوعي الصيني، قام بأعمال مليئة بالإنجازات في غالبية المناطق الوطنية الواسعة، كما حقق الشعب الصيني تحت قيادة الحزب انتصارًا عظيمًا للثورة الصينية الديمقراطية الجديدة، وتراكمت خبراته الوفيرة. من بينها، ما يتعلق بخبرة التطبيق العملي والنظري والسياسي تجاه الإسلام، حتى اليوم قدمت أعمالًا مهمة تجاه جميع القوميات التي تعتنق الإسلام خلال الفترة الجديدة، ومازالت تحمل معنى الاقتباس والإلهام.

◆ تعزيز وحدة قادة الحزب:

يثبت تاريخ الحزب الشيوعي الصيني في فترة الديمقراطية الجديدة، أن القيادة الصحيحة للحزب خط الحياة لتحقيق التحرر الوطني والمساواة الوطنية وغيرها من الحكم الذاتي. وإن تعزيز وحدة قادة الحزب الضامن الأساسي تجاه عمل الأقليات التي تعتنق الإسلام.

وقام الرفيق ماو تسي تونغ بتحليل عميق لقضايا الصين تجاه الدين والقوميات، وأشار إلى "أن العلاقات بين جميع القوميات الصينية لم تكن متساوية، منذ مئات السنوات"، "وهذه هي نتيجة حكم حكومة شيانج كاي شيك وحكومة أسرة تشينغ الرجعية"، "ونتيجة بذور الشقاق التي بثتها الإمبريالية"[586]، وعلى هذا الأساس شرح علميًا أن الحزب الشيوعي الصيني يُعد القوة المركزيَّة للوحدة الوطنية، "لا يمكن الوصول

586- (جريدة الشعب اليومية)، ٢٨ من مايو ١٩٥١م.

إلى الوحدة الوطنية الشاملة بجميع طبقاتها إلا من خلال وحدة الحزب الشيوعي الصيني"[٥٨٧]. وقد قال ماركس: "يحدث تغير في أفكار الناس وآرائهم، مع كل طفرة في النظام الاجتماعي، وهذا يعني أيضًا حدوث تغير في المفهوم الديني عند الناس"[٥٨٨]. لذلك في فترات التنمية المختلفة، قام الحزب الشيوعي الصيني بتعزيز الطرق والنُظم لقيادة الدين والقوميات بشكل كامل ومعدل باستمرار، طبقًا لنظريات الماركسية، وطبقًا لتغيرات الوضع وتطوراته، وفي النهاية مرّ بممارسات واكتشافات لعدة سنوات، شكلت نظامًا علميًا يعزز من عمل الحزب تجاه الدين والقوميات، خلال حرب التحرير. وعلى سبيل المثال، من أجل ضمان تنفيذ سياسة الحزب وتطبيقه تجاه الدين والقوميات، وضع الحزب نظامًا يسمح للجنة المركزية بالإمساك بالمشاكل الدينية والقومية التي تتعلق بالصالح العام، ويُحمّل الهيئات العسكرية وجميع المناطق مسؤولية المناطق والأعمال الدينية والقومية، وأقر بوضوح السياسة الأساسية لقضايا الدين والقوميات والسلطة التقريريَّة الواجبة في اللجنة المركزية، لتعزيز وحده قادة الحزب، وضمان مرونة السياسة، ومن ثم حل القضايا القومية بفاعلية، ومنع الأخطاء في الأعمال الوطنية.

ومثال آخر، أنه في أكتوبر ١٩٣٦م أعلنت (البرقية التي أرسلت إلى كل من تشودا وتشانغقوداو وشوشيانغ تشيان وتشين تشانغهاو وهلونغ وغيرهم، المتعلقة بآراء ماوتسي تونغ ويانغ شانغ كون حول تقرير قضايا المسلمين) "ضرورة وجود منظمة للحزب داخل قوات المسلمين، مع مراعاه تدريب كوادرهم"[٥٨٩].

تدريب وتعيين كثير من كوادر الأقليات:

إن سياسة الكوادر القومية جزء مهم لسياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه الدين

٥٨٧- (جريدة الشعب اليومية)، ٢٥ من مايو ١٩٥٥م.

٥٨٨- الجزء السابع من (الأعمال الكاملة لماركس وإنجلز)، ص٢٤٠، دار نشر الشعب، الطبعة عام ١٩٧٩م.

٥٨٩- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص ٤٣٥، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

والقوميات. كما أثبتت الممارسة أن تدريب الكثير من كوادر الأقليات وتعيينهم المفتاح للتعامل مع الدين والقوميات. وفي المراحل الأولى للثورة الديمقراطية الجديدة، أدرك الحزب الشيوعي الصيني أهمية تدريب كوادر من الأقليات، وأدرك أن الثورة الديمقراطية الجديدة ثورة مشتركة لجميع القوميات الصينية، وتحتاج إلى النضال الموحد لجميع القوميات الصينية.

إن دفع النضال الثوري في مناطق الأقليات نحو الأمام يحتاج إلى الاعتماد على غالبية الكوادر المؤهلة من الأقليات. وتأتي كوادر الأقليات من الجماهير القومية، تجيد لغتها وكتابتها وأسلوب حياتها وعاداتها وتقاليدها، وتعرف تاريخها ووضعها الحالي، خاصة أنها تستطيع معرفة مشاعر قوميتها وآمالها ومتطلباتها وأفكارها، فهم يتمتعون بدور خاص في تنظيم جماهير قومياتهم وقيادتها للقيام بالثورة.

ولا تستطيع كوادر الهان مهما كان أن تحل محل كوادر الأقليات التي تحمل مشاعر طبيعية تجاه قومياتها. كما اهتم الحزب الشيوعي الصيني بالدور الخاص الذي قامت به كوادر الأقليات، لذا خلال الثورة الديمقراطية الجديدة، ظل يهتم بالعمل في هذا المجال ويعززه، ورسم مجموعة سياسات تتعلق بتدريب كوادر الأقليات وتعليمها واختيارها، بجانب تطورهم وإثرائهم باستمرار من خلال الممارسة الثورية.

وفي المرحلة الأولى لتأسيس الحزب وقيام الثورة الكبرى، اهتم الحزب الشيوعي الصيني اهتمامًا كبيرًا بتعليم كوادر الأقليات المختلفة وتدريبها، بجميع طبقاتها، من خلال الأشكال المختلفة والقنوات المختلفة، منذ بداية ١٩٢١م، أرسل الحزب تباعًا ماجين وقوهلونغتشن وغيرهما من الأقليات المسلمة إلى فرنسا والاتحاد السوفيتي والمغول للدراسة، ولتعلّم نظريات الثورة.

علَّم عددًا كبيرًا من كوادر الأقليات ودرَّبها، بما فيها الهوي، داخل الدولة، من خلال المدرسة العسكرية خوانغبو ومؤسسة تدريب حركة الفلاحين في قوانغشتو، ومؤسسة

تدريب حركة الفلاحين في قوانغشي، والمدارس العامة في شمال شنشي، ومعهد يانآن لشؤون القوميات، ودورات تدريبية قصيرة الأجل بأشكالها المختلفة وفصول تأهيلية وغيرها. وخلال حرب المقاومة ضد اليابان، وفي ظل تدريب الحزب وتعليمه، تدفقت مجموعة من كوادر الأقليات التي لها تأثير ولها وعي ولها إسهامات، مثل تعيين إمام منطقة تين تشيوان شياوفوتشين رئيس لجنة المسلمين، كما انتخب ماهفو أول رئيس حكومة للمسلمين ذاتية الحكم في المحافظات في تاريخ بلدنا؛ وقد تولى ماتشينغنيان من الهوي قيادة فرقة مستقلة من المسلمين، وبعد التحرير أصبح من كبار الكوادر القيادية الوطنية في الحزب.

كان مابنجاي قائد مفرزة المسلمين في جي تشونغ، وقائد المناطق الثلاث لجيش الطريق الثامن في جي لو يي، يجمع بين الذكاء والشجاعة، وخاض مئات المعارك، وقدم إسهامات عظيمة من أجل بناء سلطة سياسية راسخة لمقاومة اليابان في منطقة جي لو يي وغيرها.

خلال حرب التحرير، وفي ظل التدريب الدقيق للحزب الشيوعي الصيني، أصبح بعض كبار الكوادر القيادية وكبار الجنرالات (كرأس النصل يشق الجعبة). مثل رئيس الاتحاد الديموقراطي الشعبي بشينجيانغ سوفيدين عزيزي (الويغور)، وقائد الثورة للجيش الثالث بشينجيانغ بورهان شاشي (الويغور)، وآهامات قاسيم (الويغور)، وعبد كليم عباسوف (الويغور)، وقائد المجموعة القومية في الجبهة المتحدة للجنة المركزية يانغتينرن (الهوي)، وغيرهم.

وبالنظر إلى سياسة الحزب الشيوعي الصيني تجاه كوادر الأقليات خلال الثورة الديمقراطية الجديدة وممارساته، نرى أن تدريب الحزب لكوادر الأقليات كان لحل قضايا الأقليات مع الحزب، كما أنه أمر لا ينفصل عن الحاجة إلى تطور الوضع، وأصبحت كوادر الأقليات قوة مركزية للحزب في قيادة الأقليات وتوحيدها للنضال الثوري، كما أنها نظمت النضال الثوري لها من خلال إيقاظ وعيهم، وتنفيذ سياسة

طريق الحزب ومبادئه، وأصبحت الطليعة والرابط والجسر لجماهير القوميات، كما دفعت العمل الثوري بقوة في مناطق القوميات، وقدمت إسهامات عظيمة لانتصار الثورة الديمقراطية الجديدة.

◆ الاهتمام بالبحث والدراسة:

خلال الثورة الديمقراطية الجديدة، خاصة فترة ما بين حرب مقاومة اليابان وحرب التحرير، أكد الحزب الشيوعي الصيني ضرورة دراسة النظريات الماركسية واللينينية المتعلقة بالقضايا الدينية والقومية، كما أكد أيضًا ضرورة بحث القضايا القومية في الصين ودراستها، وتبنّي سياسة الحذر في القضايا القومية.

وقد أشار الرفيق ماوتسي تونغ إلى: "ضرورة التوحيد المناسب والتام للحقيقة العامة الماركسية واللينينية مع الممارسة العملية للثورة الصينية، أو بتعبير آخر دمجها مع الخصائص القومية، ولن تكون مفيدة، ولا يمكن استخدامها مطلقًا بشكل علني وذاتي، إلا من خلال المرور بالشكل القومي المحدد"[٥٩٠].

في ٢٥ من ديسمبر ١٩٤٥م، لم تضع اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني سياسة قومية وشعارًا إلا بعدما كتبت جوابًا بشكل خاص لكل من الرفيق لينبياو وهوانغكتشنغ وليفوتشون وتنزهوا وغيرهم، تطلب منهم دراسة السياسة والاقتصاد والشؤون العسكرية والثقافة وغيرها من الأحوال.

وعلى أساس التأكد من البحث والدراسة، اهتم الحزب الشيوعي الصيني اهتمامًا كبيرًا بالتمسك بسياسة الحذر في الشغل الملموس لعمل القوميات، ودعا إلى التغير وفقًا لتطور الوضع، وتعديل سياسة الحزب ومبادئه تجاه عمل القوميات استنادًا إلى الوقائع، والتمسك بمبدأ "الحذر في الوقت المناسب".

٥٩٠- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص 641، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

وعلى سبيل المثال، في حرب التحرير، قام الحزب الشيوعي الصيني بالكثير من الأبحاث والدراسات تجاه الوضع الحالي والتاريخي للمغول والهوي وغيرهم من الأقليات، مما قلّل من التهور في رسم السياسات تجاه القوميات، وزاد من العقلانية.

ولأن الحزب الشيوعي الصيني يتمسك بسياسة الحذر والبحث عن الحقيقة في العمل الواقعي، فعالج - بشكل ناجح - قضايا الثورة في المناطق الثلاث بشينجيانغ، ودمج بشكل واقعي بين الماركسية والصين، فرسم السياسة الأساسية للصين تجاه حل القضايا القومية وسياسة الحكم الذاتي الإقليمي القومي.

◆ تعزيز العمل التعليمي والدعوي لنظريات الماركسية القومية وسياسة الحزب تجاه القوميات:

خلال الثورة الديمقراطية الجديدة، خاصة الفترة ما بين حرب مقاومة اليابان وحرب التحرير، من أجل مناهضة تدبير مؤامرة الإمبريالية اليابانية بتأسيس "دولة الهوي"، وتفنيد الشائعات المختلفة لمجموعة شيانغ كاي شيك، اهتم الحزب الشيوعي الصيني اهتمامًا كبيرًا بالرأي العام تجاه الاحتلال ونشره في الأراضي المرتفعة، ونشر على نطاق واسع سياسة الحزب تجاه الدين والقوميات، فقبله العقل والقلب.

وثمّة مسألتان أساسيتان:

الأولى: العمل التعليمي بالنسبة للكوادر العسكرية والسياسية للحزب؛ على سبيل المثال، أعلن مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني في جين تشا جي "ضرورة تعليم كوادر الحزب القضايا القومية والسياسية القومية ومعارضة أسلوب الشوفانية الهانية وأيديولوجيتها، ثم تقوم الكوادر بتعليم الجماهير"[٥٩١].

وفي سبتمبر ١٩٤٩م، ألقى الرفيق تساوديتشو الذي تولى منصب سكرتير اللجنة في

٥٩١- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص 1091، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

مدينة تشينغدو - بشكل خاص - محاضرة قومية لكوادر الكتائب، وما يعلوها في الجيش الثاني الميداني. وإن التعليم السياسي ونظريات الماركسية القومية رفعت بشكل فعال قدرة العمل والمزايا السياسية لكل الكوادر، ووضعت صورة جيدة للكوادر التي أُرسلت لمناطق القوميات، ومن ثم وصلت إلى هدف كسب القوميات وتوحيدها.

الأخرى: التعليم الدعوي بالنسبة للأقليات؛ أهم شيء نشر سياسة الحزب تجاه القوميات، وكشف جريمة حزب الكومينتانغ والإمبريالية اليابانية، والقضاء على وهم الأقليات تجاههم. ولتستوعب الأقليات سياسة الحزب الشيوعي تجاه الأقليات، نشر الحزب والجيش التعليم في كل مكان بجميع الطرق المختلفة. كما أن أنشطة النشر الفعالة رفعت المشاعر الثورية والوعي الثوري عند الأقليات، وأصبحت دعمًا مهمًا وقوة ضامنة للثورة الصينية.

◆ عمل جبهة قومية موحدة على نطاق واسع:

حقق عمل الجبهة الموحدة من الأقليات إنجازًا عظيمًا خلال حرب مقاومة اليابان، وقدمت إسهامات عظيمة لمقاومة الإمبريالية اليابانية وضربها. وبعد انتهاء حرب مقاومة اليابان، ومع التغيرات التي طرأت على العلاقات المحلية الداخلية، بدا شعور بالحيرة والارتباك داخل الحزب، إيذاء المشاكل التي تواجه الجبهة الموحدة وكيفية حلها. لذلك، أشار الرفيق ماوتسي تونغ، وهو يتحكم في مركز استراتيجي ممتاز: "الظاهر، من خلال مقارنة الفترة الحالية بفترة حرب مقاومة اليابان، نرى تقليص الجبهة القومية الموحدة لثورتنا. لكن في الواقع، في الفترة الحالية، كان شيانغ كاي شيك يبيع المصالح القومية للإمبريالية الأمريكية، وبعد أن شن حربًا أهلية في جميع أنحاء البلاد ضد الشعب، وبعد أن انكشفت جريمة الطغمة الحاكمة الرجعية لشيانغ كاي شيك أمام أعين الناس، توسعت فعليًا جبهتنا القومية الموحدة"[٥٩٢].

٥٩٢- الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، ص 1136، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

خلال فترة حرب التحرير، وضع الحزب الشيوعي الصيني الجبهة القومية الموحدة التي تأسست على نطاق واسع مهمةً مركزية لعمل الأقليات في ذلك الوقت، وأكد ضرورة "عمل جبهة موحدة من الطبقة العليا والطبقة الدنيا على نطاق واسع"، "ومن خلال الطبقتين، تتعاون الجبهة الموحدة للطبقة العليا مع الجبهة الموحدة للطبقة الدنيا"[593].

من أجل إتقان عمل جبهة موحدة، في سبتمبر ١٩٤٨م، قررت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني تغيير اسم هيئة العمل المدينة إلى هيئة الجبهة الموحدة، وتم اعتبارها هيئة متخصصة في إدارة عمل الجبهة الموحدة للأقليات داخل الصين.

تمكن الحزب الشيوعي الصيني من توحيد جميع القوى التي يمكن توحيدها، بفضل إدارته لعمل الجبهة الموحدة بفاعلية، كما تمكن من توسيع معسكر الثورة، وقدم ظروفًا مناسبة ليستولي حزبنا على السلطة السياسية في أرجاء البلاد كافة، وتراكمت تجاربه المحنكة تجاه عمل الجبهة القومية الموحدة.

[593] - الجبهة المتحدة للجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني: (مجموعة وثائق القضايا القومية)، انظر ص ١٠٠٦ و١٠٠٨، دار نشر مدرسة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني، الطبعة الأولى، عام ١٩٩١م.

الباب الثامن

تأملات حول قضايا التعامل الصحيح مع الإسلام

لقد قال الرفيق دنغ شياو بينغ كبير مهندسي الإصلاح والانفتاح في الصين: "كان تطور الاشتراكية العلمية[٥٩٤] من خلال النضال التطبيقي، كذلك كان تطور الماركسية التينية وأفكار ماو تسي تونغ من خلال النضال التطبيقي. ومن الطبيعي لا يمكننا الرجوع عن الاشتراكية العلمية إلى الاشتراكية الطوباوية، ولا يمكننا الوقوف عند مستوى الفرضيات الفردية التي سبقت الماركسية بعشرات الأعوام أو بمئات الأعوام.

لذا، نكرر القول، إن تحرير العقول المبدأ الأساسي الذي اتبعته الماركسية التينية وأفكار ماو تسي تونغ، في دراسة الأحوال الجديدة والقضايا الجديدة"[٥٩٥].

ومازال الجوهر الأساسي لهذه الكلمة يشيع بنور الحكمة من خلال واقعنا اليوم، وتحرير العقول ومعالجة قضايا الإسلام بشكل أفضل يومًا بعد يوم.

يتمتع الإسلام بتأثير واسع على المستوى العالمي، باعتباره ديانة دولية، ويُعد إحدى القوى المهمة على المسرح الدولي.

مرّ الإسلام بتطور واندماج لآلاف السنوات في الصين، باعتباره جزءًا مهمًا من الحضارة الصينية، وقد أصبحت عقيدة جماعية للأقليات العشر الصينية، ويبلغ عددهم أكثر من عشرين مليون نسمة. لذلك، كان لا بد من التعامل السليم الكليّ مع قضايا الإسلام، بغض النظر عن العمل الداخلي أو العمل الخارجي، فهي تحمل مغزى عمليًا واستراتيجيًا قويًا جدًا.

ونظرًا لأن الصين دولة موحدة متعددة القوميات والعقائد الدينية، وكثيرًا ما تحتاج سياستها المتعلقة بالإسلام إلى الاندماج داخل السياسات الدينية والقومية الكليّة. لذلك،

---

[٥٩٤] - الاشتراكية العلمية: نظام يبدأ برأس مالية الدولة، ليبدأ بالسيطرة على وسائل الإنتاج، لتبدأ الفترة الشيوعية، إذ تبدأ الدولة بالاضمحلال، وتصبح الملكية لوسائل الإنتاج، ملكية عامة، والاشتراكية العلمية، هي نتاج أعم للثورية، تفرضها التطورات الاقتصادية للرأسمالية، حين تدخل في مرحلة الاحتكار.

[٥٩٥] - (مختارات من نصوص دينغ شياو بينغ) - الجزء الثاني - ص ١٧٩ - دار نشر الشعب - طبعة أكتوبر لعام ١٩٩٤م.

تسهيلاً لدراسة النص على أساس الفصول العشرة السابقة، نقوم بدراسة قضايا الإسلام والمسلمين في الصين من خلال السياسة الكليّة للحزب والدولة تجاه الدين والقوميات، لتعكس صورتها الكلية.

أولاً: تأملات تاريخية حول بضع قضايا نظرية هامة:

◆ لا يزال تأثير التقاليد الدينية على المجتمع لفترة طويلة:

إن مسيرة تطور الإسلام خلال آلاف الأعوام في الصين مجرى اندماج فيه باستمرار ...ع الحضارة الصينية، وهي أيضًا مجرى تشكّلت خصائصه الجديدة من خلال مسيرة ...تصيين. ومن خلال هاتين المسيرتين اللتين قامتا معًا في الوقت نفسه، تشكّلت ...جموعات دينية من مسلمي الصين وعشر مجموعات من الأقليات التي تعتنق الإسلام.

وبعد أن تشكّلت هذه المجموعات بصورة أساسية، أثّرت عقيدتهم الدينية وسلوكهم ...ني ودعوتهم الدينية وغيرها على المحيطين بهم. على سبيل المثال، فقد تأثّر بالدين ...ن عاشوا في أسرة دينية أو جو ديني لفترة طويلة. وفي ظل التأثير الثقافي التقليدي ... الصين، أعطى مسلمو الصين اهتمامًا كبيرًا للحياة الأسرية.

... يمثل رب البيت أو الأب والأم مكانة مهمة داخل الأسرة، فقد تقبّل الذين تربوا ...سرة مسلمة قيود المعايير الدينية والتعليم الديني، لتعودهم على الإسلام في ...وبصرهم لفترة طويلة، ولتأثير الإسلام على سلوكهم تأثيرًا دقيقًا، وتأثروا ...ن اللاوعي إلى الوعي.

... آخر أنه بالرغم من أن الإيمان بالإسلام في المناطق التي يتركز فيها مسلمو ... إجبارًا، فلا يعني بالضرورة أن أفراد القومية كلهم مسلمون، لكن كان تأثيره ... عادات حياة هذه القوميات وتقاليدها وأسلوبها، المتصلة اتصالاً وثيقًا ...ليدي للدين الإسلامي والديانات بشكل عام، فلا يمكن تغيير جذوره في فترة

ومثال آخر، لم يزد النظامُ والتنظيمُ الحسن للدين الإسلامي وسلسلة معايير آدابه ومراسمه الدينية من إيمان المسلمين وتلاحمهم فحسب، بل كان له تأثير وإشعاع محدد على غير المسلمين المحيطين به.

وما يستحق الإشارة إليه هو أن الوصايا والأخلاق الدينية الإسلامية تتطلّب من المسلم الانضباط الذاتي لسلوكه، وهذا يتفق مع ما تتطلبه العلاقة الكليّة بين الإنسان والمجتمع، ومن ثم، يتمتع بعض الناس في المجتمع بجاذبية محددة.

بالإضافة إلى ذلك، مع الانفتاح والإصلاح لبلدنا، زادت الاتصالات المتكررة بين الناس يومًا بعد يوم، ومن الطبيعي أن تزداد الاتصالات المتكررة بين المسلمين الأجانب والمسلمين الصينيين، فمن ثم يتسع تأثير الإسلام بشكل موضوعي.

في ٨ من مارس عام ١٩٥٥م، أكد الرفيق ماو تسي تونغ في أثناء حديثه مع الدلاي لاما[٥٩٦] في التبت: "أن البوذية رفعت المعاناة عن كل المخلوقات الحية والجماهير، وهذه نقطة اتفاق بيننا"[٥٩٧].

وفي ٢٥ من مايو عام ١٩٦٤م، قال الرفيق ماو تسي تونغ في أثناء استقبال ممثلي الحزب الشيوعي من بيرو ودارسيه، وغيرهم من أمريكا اللاتينية: "ما إن بدأت حتى دعوت الجماهير لمعارضة الدين، ونشر ' إننا كافرون، ونكفر بما تؤمنون '، فمن المستحيل أن تحدث مشاحنات بيننا وبين الجماهير.

فوعي الجماهير يزداد تدريجيًا، ويجب عليهم ترك الدين، فهو يحتاج إلى مسيرة طويلة جدًا، فالإيمان الديني لا يساوي عدم مناهضة الإمبريالية والإقطاعية

٥٩٦- الدلاي لاما: القائد الديني الأعلى للبوذي ينالتبينو حتى عام ١٩٥٩م، مكان الدالايلا ما يمثل القيادتين الروحية والدنيوية في إقليم التبت.

٥٩٧- سون باو بي وليو تشون زنغ (قراءة في حياة ماو تسى تونغ) – ص٣٥٦ – دار نشر اللجنة المركزية للوثائق الأدبية – الطبعة الخامسة، نوفمبر سنة ٢٠٠٧م.

والرأسمالية البيروقراطية"[598]. وقد قال الرفيق تشوانلاي: "ليس ثمة مؤمنون داخل الدولة الاشتراكية فحسب، فسيدخلون مجتمع الشيوعية مستقبلاً، أليس هذا من الكمال؟ ولا يمكن القول حاليًا إنه شيء صعب جدًا".

لذا، فإن دراسة جذور الإسلام الموجود في ظل ظروف المجتمع الاشتراكي، وعلاقة الإسلام بالاشتراكية، والوظيفة الاجتماعية للدين الإسلامي في المجتمع الاشتراكي، كل هذا من القضايا المهمة الواجب معرفتها والتعامل معها بشكل سليم خلال مسيرة بناء الاشتراكية ذات الخصائص الصينية".

◆ إن احترام الاعتقاد الديني يساعد على حماية الوحدة السياسية للدولة ودفعها للأمام:

فالصين واسعة المساحة كثيرة السكان. ويعيش فيها ٥٦ قومية صينية معًا في انسجام، فقد دفعهم الاتصال التاريخي الطويل إلى تشكيل نسيج "متكامل متعدد"، أنت تشعر بي وأنا أشعر بك، ولا ننفصل عن بعضنا. وفي الوقت نفسه بالنظر إلى الوحدة المتكاملة، يجب النظر إلى اختلاف مصدر الثقافة وتطورها، نظرًا لاختلاف ظروف المكان والزمان المحدد في الحياة، إذ شكلت الـ٥٦ قومية كيانًا مشتركًا متعدد الأشكال والألوان. وهذه التعددية تمثل الشرط الأساسي لصيانة نسيج "الوحدة المتكاملة" للقومية الصينية.

وقدم كتاب الكلاسيكية الماركسية عرضًا دقيقًا وواضحًا جدًا لخصائص تطور الديانات وقوانينه. مثل كتاب (نقد برنامج غوتا)، في أثناء نقد برنامج العمال في ألمانيا، فذكر أنه يجب فهم حرية العقيدة الدينية على أساس أنه "يجب على كل فرد أن تكون لديه حاجة دينية لتحقيق الذات؛ مثل حاجة جسم الإنسان لتحقيق الذات، دون قبول التدخل الشرطي"[599].

---

[598]- سون باو بي وليو تشون زنغ (قراءة في حياة ماو تسى تونغ) - ص٢٥٦ - دار نشر اللجنة المركزية للوثائق الأدبية - الطبعة الخامسة، نوفمبر سنة ٢٠٠٧م.

[599]- ماركس: (نقد برنامج غوتا) - نقلاً عن (الأعمال المختارة لماركس وإنجلز) - الجزء الثالث - ص٢٣ و٢٤ - دار نشر الشعب - طبعة سنة ١٩٩٥م.

وبعد فشل كومونة باريس، اقترح مجموعة من أوغاد مذهب البلنكي[600] الفرنسي وجهة نظر تقوم على الحكم بمنع كل الدعايات الدينية والتنظيمات الدينية في كُتيب (أعضاء الكومونة)، فانتقدها إنجلز بحزم: "إن أسلوب التحريم يمثل أفضل وسيلة لترسيخ الاعتقاد الديني السيئ! وبعض هذه الوسائل بلا شك هي: أن العمل الوحيد لخدمة الإله في عصرنا، إعلان اللا دين بأنه رمز الدين الإلزامي، وحظر كل الأديان للانتصار على قوانين بسمارك[601] المناهضة للكنيسة المتعلقة بالنضال الثقافي"[602].

وتحمل القوميات العشر التي تعتنق الإسلام في الصين عادات الوطنية القديمة، وهي تمثل قوة مهمة في الحفاظ على الوحدة السياسية للدولة. ومهما كانت قومية الهوي ودونغشيانغ وسالار والبونان، أو قومية اليوغور والقازاق والقرغيز والطاجيك والتتار، فهم يمثلون أعضاء في الأسرة الصينية الكبيرة، من اليوم الذي وطأت أقدام أسلافهم أرض الصين، حتى سار نصيبهم التلاحم مع الحضارة الصينية التي حملت في طياتها أرض الشرق الكبير القديم وهذه الأرض الواسعة.

---

[600]- لويس أوجوست بلانكي (٨ من فبراير ١٨٠٥ - ١ من يناير ١٨٨١م) (بالفرنسية: Louis Auguste Blanqui) شيوعي اشتراكي خيالي فرنسي. اشترك في كل من ثورة ١٨٣٠ في فرنسا وثورة ١٨٤٨، وحكم عليه بالإعدام مرتين، وقضى ما يقارب نصف حياته مسجونًا. تأثر بالمذهب العقلي للقرن الثامن عشر والاشتراكية الخيالية. كان بلانكي ماديًا في فلسفته إلا أنه أعطى تفسيرًا مثاليًا للتقدم التاريخي، وأثرت فلسفته على الحركات الثورية في بلدان أخرى خاصة في روسيا القيصرية.

[601]- أوتو إدوارد ليوبولد فونبسمارك (أبريل ١٨١٥ - ٣٠ من يوليو ١٨٩٨) رجل دولة وسياسي ألماني، شغل منصب رئيس وزراء مملكة بروسيا بين عامي ١٨٦٢ و١٨٩٠، وأشرف على توحيد الولايات الألمانية وتأسيس الإمبراطورية الألمانية، أو ما يسمى بـ"الرايخ الألماني الثاني"، وأصبح أول مستشار لها، بعد قيامها في عام ١٨٧١، حتى عزله في - عام ١٨٩٠، ولدوره الهام خلال مستشاريته للرايخ الألماني أثرت أفكاره على السياسة الداخلية والخارجية لألمانيا في نهاية القرن التاسع عشر، لذاعرف بسمارك بلقب "المستشار الحديدي".

[602]- إنجلز: (وثائق الأوغاد) - نقلا عن (الأعمال المختارة لماركس وإنجلز) - الجزء الأول - ص ٤٢٥ - ٤٢٦٢ - دار نشر الشعب - طبعة سنة ١٩٩٥م.

إن نقطة تحول في حب الثقافة الصينية، والشروط التي شجعت على التبادل الثقافي والتجاري الخارجي والعلاقات الوثيقة التي تشكلت تاريخيًا مع القوميات الأخرى، خاصة قومية الهان الكبيرة التي اشتركت معها في السراء والضراء، حتى غُرِست في عروق الأقليات العشر التي تعتنق الإسلام في الصين وروحها مشاعر الوطنية، منذ ولادة هذه القوميات - اجتازت مراحل التنمية القومية من البداية حتى النهاية، وكتبت بذلك فصلًا رائعًا في تاريخ الوطنية الصينية.

ونظرًا لأن الإسلام يضم بعض عناصر التقدمية، فجعلته يمتلك قدرة على الانتشار الواسع بين القوميات، إذ خفف الإيمان الديني المشترك من التعارض السياسي، وعمل على حل الصراعات، في فترة الصراع الداخلي الحاد بين القوميات، ووضع حجر الأساس النفسي للاندماج بمستوى عال.

وإن الإفادة من دراسة التجارب التاريخية تحمل مغزى واقتباسًا قويين في معالجة العلاقة بين احترام التعددية الدينية والحفاظ على الوحدة السياسية للدولة.

ويثبت التطور التاريخي الصيني مرارًا وتكرارًا أن الأسر الملكية التي تسامحت مع الإيمان الديني للأقليات وأحسنت استقباله، وفّرت وضعًا مزدهرًا من الوفاق الوطني والوحدة السياسية. وعلى العكس، فقد ظهرت نتيجة الانقسام الوطني والتراجع السياسي.

على سبيل المثال، عالج الإمبراطور كانغ شي الأنشطة الدينية للمسلمين في نيوجيه ببكين، ولعب دورًا جيدًا في تعزيز الوحدة الوطنية واستقرار النظام الاجتماعي. وبسبب تطبيق سياسة التمييز والتقليل من شأن الإسلام، بحلول نهاية أسرة تشينغ، أدى إلى إثارة مقاومة عنيفة متعاقبة من المسلمين، وإلى انهيار الوحدة الوطنية وسقوط أسرة تشينغ.

وفي فترة الكومينتانغ اتبعت سياسة الاندماج تجاه الإسلام، ويمكن القول من خلال

معنى محدد إنها قدمت ذريعة وظروفًا لتدخل الإمبريالية اليابانية واستغلال الإسلام لتقسيم الصين.

◆ السياسة الدينية واتباع وخدمة السياسة الوطنية:

إن القومية أمة ذات فئة تاريخية، باعتبارها أسرة ثقافية واجتماعية، في العموم هي تحمل أساسًا لغويًا مشتركًا ومنطقة مشتركة واقتصادًا مشتركًا وعوامل نفسية وثقافية مشتركة، وغيرها من العوامل.

وفي كثير من الأحيان يكون الدين المحتوى المهم لتكوين العوامل النفسية والثقافية الوطنية. لذلك، تتمتع القضايا القومية والدينية بتوافق وترابط مع السياسات القومية والدينية، سواء كانت نظرية أو عملية. وفي الصين القديمة، يمثل الهان غالبية السكان، وقد طرأ تحول علماني لدينهم وعاداتهم في فترة الربيع والخريف وفترة الأسر المتحاربة، واختفى تدريجيًا مضمونها النظري، وأصبحت إحدى الشعائر الدينية.

وتقريبًا دخلت كل الأديان - ومن بينها الإسلام الذي يحمل مغزى حديثًا وشكلًا ناضجًا من الدول الأجنبية - إلى الصين، لذا ينظر الشيدافو (الأدباء والحكا) إلى الدين على أنه "طريق البرابرة" و"عادات مختلفة وتقاليد خاصة".

ومن أواخر أسرة هان الشرقية وصولاً إلى أسرة واي وأسرة جي والأسر الشمالية والجنوبية، كان (الجدل بين أي وشيا) الذي يدور حول نشر الديانة البوذية وممارستها، يعالج القضايا الدينية باعتبارها قضايا قومية من الناحية النظرية.

ومع الانتشار الواسع للبوذية، حصل الهان على أحد مفاهيم القومية المتسامحة، من خلال الجدل طويل الأجل. لم يعادِ الإسلام الثقافة الصينية، بعد أن دخل الصين، فلم يتأثر بأي ضرر مباشر بصفة عامة في (الجدل بين أي وشيا) المتكرر، لكن تأثر بعض الشيء - خاصة - بمفهوم القومية الهائلة الكليّة، وكانت قضية الإسلام منذ فترة طويلة معالجة القضايا القومية والتعامل مع توابعها.

لكن، في الأسر الإقطاعية في العصور السابقة، تجاوز الحكام أصحاب العقول المستنيرة والدور القيادي مفهوم القومية العامة، وأنتجوا بيئة جيدة لتنفيذ سياستهم القومية، من خلال وضع السياسة الدينية المستنيرة وتطبيقها. وثمّة الكثير من الأمثلة التي تهدف إلى اتخاذ الحركة السياسة أساساً في حل القضايا القومية، في عهد الأسر الإقطاعية السابقة، من خلال تنفيذ سياستهم الدينية المستنيرة.

على سبيل المثال، بالنسبة للإسلام في عهد أسرة تانغ، فقد قام المسلمون من السمو (الأجانب من المسلمين) في أسرة يوان بدور في توسيع أساس الحكم وتوطيده. وثمّة الكثير من هذه الأمثلة. في العصر الحديث، فقد أكد الحزب الشيوعي الصيني من البداية حتى النهاية احترام عقيدة الإسلام والتمسك بها؛ بل اتخذه رايةً لتوحيد الجماهير التي تعتنق الإسلام وإرشادهم كافة، ووضع قاعدة جماهيرية عريضة لهزيمة الإمبريالية اليابانية وإسقاط حكم الكومينتانغ، خلال الثورة الديمقراطية الجديدة. لذا يجب ربط القضيتين عند دراسة السياسة القومية والسياسة الدينية من الناحية التاريخية. وكيفية تعزيز دراسة الأقليات العشر الصينية التي تعتنق الإسلام، من المنظور السياسي والديني، للإسهام بشكل جيد في معالجة القضايا القومية وتنفيذ السياسة القومية، ومن ثم تحمل معنى الواقعية.

◆ التسامح تجاه العقيدة الدينية والإدارة الحازمة تجاه الأنشطة الدينية:

من أجل الحفاظ على الوحدة السياسية الوطنية للقوميات المتعددة، اتخذت الشخصيات السياسية المستنيرة في الأسر الحاكمة السابقة من السياسة الدينية الوطنية أداة لتعليم القوميات المقيمة على الحدود وتقييد المناطق وربط المشاعر الوطنية، ولم تبذل جهداً في التودد والمؤاساة تجاه الشخصيات الدينية الرفيعة.

وقد لاحظ الصينيون القدماء أن كل قومية لها أسلوب حياة مختلف وثقافة مغايرة ولغة مختلفة وعقيدة دينية مختلفة، وخلاصة القول إنها "عادات وتقاليد". لذا أصبح

"الحكم بالعادات والتقاليد مبدأ عاماً للسلطة السياسية في معالجة القضايا القومية، ومنها ما يشمل الرعاية الكاملة تجاه العقيدة الدينية للقوميات.

ويمكن القول إن السياسة الدينية حلقة أساسية في تطبيق حكم الأقليات. وكان الإمبراطور تايزون[٦٠٣] (تايتسونغ) واسمه الحقيقي ليشيمين لا يؤمن بالدين، لكن ذلك لم يمنعه من تنفيذ سياسة "تشجيع دمج الديانات الثلاث"[٦٠٤] بما فيها الإسلام، وتشجيع أن يتسم برونق ملكي إمبراطوري.

وكتب الإمبراطور هونغو (المعروف بتشو يوان تشانغ)[٦٠٥] مقالة من مائة رمز يمدح فيها سيدنا محمداً (صلى الله عليه وسلم) مؤسس الإسلام؛ بأنه "سيد الخلق أجمعين وأشرفهم"، في محاولة منه لكسب المسلمين. ويمكن القول إن الشخصيات السياسية المستنيرة في العصور السابقة أبدت مرونة كبيرة وعملية، في التعامل مع قضايا الاعتقاد الديني بما فيها الإسلام، وتبنت سياسة التسامح معها.

لكن، كان تسامح السلطة السياسية القديمة تجاه الديانات ينحصر بشكل أساسي في جانب العقيدة، أما التعامل مع الأنشطة التي ينظمها الدين يكون باللين تارة والشدة تارة أخرى. ويعد أهم مبدأ ضرورة حماية السلطة السياسية لوحدة الوطن، وطاعة السلطة السياسية المركزية. لذا، استمر حكام الأسر السابقة في إكمال إدارة الأنشطة الدينية والتنظيمات الدينية وتعزيزها، لكن يُعاقب بشدة كل من يحاول إفساد وحدة الوطن وهو يلوح بالشعارات الدينية.

٦٠٣- الإمبراطور تايتسونغ من تانغ (٢٣ من يناير ٥٩٩ - ١٠ من يوليو ٦٤٩)، اسمه الحقيقي ليشيمين، وهو ثاني إمبراطور من أسرة تانغ في الصين، وقد حكم من عام ٦٢٦م.

٦٠٤- الديانات الثلاث: هي البوذية والكونفوشيوسية والطاوية.

٦٠٥- الإمبراطور هونغو، أو كما كان يعرف بتشويوانتشانغ، كان أحد أوائل المؤسسين لأسرة مينغ الصينية. ولد في ٢١أكتوبر ١٣٢٨ - ٢٤يونيو ١٣٩٨. وتعني كلمة هونغوو بالصينية القوة العسكرية الضخمة. وبحلول القرن ١٤، تمكن تشو من السيطرة على أغلب الصين، وطرد أسرة يوان، وطرد المنغوليين إلى منغوليا. ومع انتهاء المعركة بسيطرته على بكين، أنشأ محمية الجنة، وأسس أسرة مينغ عام ١٣٦٨.

وفي فترة الجمهورية الصينية، سيطر بصرامة يانغ زنغ شين من إقليم شينجيانغ على التدخلات الخارجية في الشؤون الإسلامية؛ لإحباط مؤامرات العناصر الإمبريالية الخارجية لتقسيم أراضي الصين. واليوم ننظر إلى هذه القضايا من المنظور التاريخي، مثل الشدة تارة واللين تارة أخرى، ومعاقبة رفع الشعارات الدينية والتواطؤ الداخلي والخارجي، والجهّال الذين يفسدون وحدة الوطن، كلها أعمال بعيدة المدى لا بد منها من أجل حماية وحدة الوطن.

سياسة حرية العقيدة التي تقوم على التفهم والتنفيذ الشاملين والتاريخيين والمنطقيين من قبل الحزب الشيوعي الصيني.......... ....

ظلّ الدين لفترة طويلة في المجتمعات الاشتراكية، وهذه هي الحقيقة الموضوعية. هكذا، فإن كيفية تعامل الدول الاشتراكية مع الدين، واتخاذ أيّة سياسة تجاهها، قضية مهمة جداً. ووضع الحزب الشيوعي الصيني الأسس للسياسات الدينية والقومية، وثمّة مادتان:

الأولى: استخدام المفاهيم الدينية للعلوم الماركسية والمادية التاريخية دليلًا على احترام القوانين الموضوعية لتطور الأشياء، وخدمة المصالح العليا للقضايا الاشتراكية.

الأخرى: استقرار الظروف الداخلية للصين، ومعالجة الأمور من الواقع، وتحرير العقول والنمو يومًا بعد يوم والاستمرار في تلخيص التجارب العملية.

قام الحزب الشيوعي الصيني باستكشاف سلسلة من الملخصات الجديدة والفرضيات الجديدة حول قضية "الاشتراكية والدين" باعتباره الحزب الحاكم، مما كوّن تدريجيًا العلاقة الجديدة بين السياسة والدين في الصين.

◆ مصدر ومحتوى سياسة الحرية الدينية:

إن سياسة الحرية الدينية للحزب الشيوعي الصيني بُنيت على أساس نظري عميق،

واندمجت مع واقع الصين، وهي خلاصة الممارسة الوفيرة. فمحتواها ومعناها: لكل مواطن حرية الإيمان الديني، وحرية عدم الإيمان الديني؛ وله حرية الإيمان بهذا الدين، أو بذلك؛ وفي الدين الواحد، له حرية الإيمان بهذا المذهب أو ذلك؛ وله حرية الإيمان حاليًا بعد الكفر في الماضي، وله حرية الكفر حاليًا بعد الإيمان في الماضي.

إن محتوى سياسة الحرية الدينية في الصين غنيٌّ ومتعدد الطبقات. والخلاصة العامة تضم بشكل أساسي أربعة محتويات:

الأول: أن تحترم الدولة حرية الإيمان الديني للمواطن، وحماية الأنشطة الدينية الطبيعية؛ وممارسة الأنشطة الدينية داخل النطاق الذي تسمح به قوانين الدولة وسياستها، ولا يجب تدخل الدين في تنفيذ مهام الدولة مثل الإدارة والقضاء والتعليم وغيرها.

الثاني: أن تعامل الدولة جميع الديانات بالمساواة، وعدم التمييز بينها، ولا يجوز للسلطة السياسية للدولة قمع ديانة ما وتدعيم ديانة أخرى، ولا يجوز لأيّة ديانة تخطي المكانة الخاصة لديانة أخرى حسب القانون.

الثالث: من أجل ضمان المصالح العامة والمصالح الأساسية لجميع شعوب القوميات بما فيهم المؤمنون، قامت الحكومة بإدارة الشؤون الدينية وما يرتبط بها من مصالح وطنية ومصالح عامة للمجتمع حسب القانون، لكن لا تتدخل في الشؤون الداخلية للمجموعات الدينية؛ ولا يجوز للتنظيمات الدينية عدم طاعة إدارة الحكومة المستندة إلى القانون بحجة فصل الدين عن السياسة.

الرابع: بالرغم من تنفيذ فصل الدين عن السياسة، إلا أن المؤمنين كغيرهم يتمتعون بحقوق سياسية متساوية واقتصادية واجتماعية وثقافية، وغيرها من المجالات، ولا ينبغي إيجاد مظاهر عدم المساواة في الحقوق بسبب اختلافات دينية. ويمكن لممثلي التنظيمات الدينية أن يعبروا عن آراء المجتمع، وتقديم آراء ومقترحات

حول إدارة شؤون الدولة استناداً إلى القانون وإدارة القضايا الاقتصادية والثقافية خاصة الشؤون الدينية، وتنفيذ الرقابة الديمقراطية، من خلال القنوات الشرعية، كالمشاركة في الحياة السياسية، ومن خلال المشاركة في مجلس نواب الشعب بكل مستوياته المختلفة، والمجلس السياسي الاستشاري للشعب الصيني.

ونرى من النقاط الأربع السابقة، أن سياسة الحرية الدينية والعلاقة بين الدين والسياسة في الصين الجديدة اقتبست ممارسة الدول الغربية المعاصرة والصين القديمة، لكن الاختلاف عن سياسة الدول الغربية المعاصرة والصين القديمة، إنما في نموذج توافقي جديد يتناسب مع الاشتراكية بخصائصها الصينية، ويحمل خصائص جديدة لنفسه، يقوم على "الاحترام المتبادل من ناحية العقيدة، والتعاون والوحدة من الناحية السياسية".

ومن الناحية التاريخية، نرى في وقت مبكر أن شعارات الحرية الدينية الحاجة الأولى التي نادت بها البرجوازية الأوروبية، انطلاقاً من تطور الرأسمالية من أجل تحطيم الحكم السياسي الذي يخلط السياسة بدين الكنيسة المسيحية والتخلص من القيود الدينية، وتحمل خواص مناهضة للحكم الإقطاعي، كما قامت بدور متقدم وواضح خلال المسيرة التاريخية لبناء مجتمع رأسمالي.

لكن لا يستطيع النظام الرأسمالي تحقيق سياسة الحرية الدينية وفصل الدين عن السياسة بشكل سليم، ومازال يدعم الدين الذي يناسب احتياجاته ويستغله، ويميز بين الكفّار، ويستخدم الدين باستمرار سلاحاً نفسياً للحكم. وقد أشار ماركس بوضوح إلى "أن حرية الإيمان الديني عند البرجوازية ما هي إلا التغاضي عن حرية الإيمان الديني بكل أنواعها، بينما سعى حزب العمال إلى تحرير الإيمان من السحر الديني"[606]، وثمّة

٦٠٦- (الأعمال المختارة لماركس وإنجلز)، الجزء الثالث – ص ٢٤ – دار نشر الشعب – الطبعة ١٩٩٥م.

اختلاف جوهري بين الحرية الدينية التي دعا إليها الحزب السياسي الماركسي، والحرية الدينية عند الطبقة البرجوازية.

بالرغم من أن ماركس وإنجلز لم تكن لديهما خبرة في حياة المجتمع الاشتراكي، إلا أنهما عرضا شرحاً نظرياً دقيقاً حول جذور الدين وجوهره، وقوانين نشأة الدين وتطوره وزواله، والوظيفة الاجتماعية للدين، من خلال المادية التاريخية. وبعد ذلك شرح لينين موقف الطبقة البروليتارية وسياستها في تعاملها مع الدين من خلال قيادة الطبقة البروليتارية الروسية للقيام بأول نضال ثوري لدولة البروليتارية، وفقاً للتجارب التاريخية.

ويدعو قادة الثورة دائماً وأبداً إلى تنفيذ الحرية الدينية وفصل السياسة عن الدين، والمعارضة بكل حزم للمحاولات والطرق التي تستخدم التحريم أو أساليب الإدارية في التعامل مع الدين، من أجل مصالح القضايا الثورية وتطورها.

وقد مرّ الحزب الشيوعي الصيني بالثورة الديمقراطية الجديدة والثورة الاشتراكية، وتراكمت تجاربه الوفيرة في معالجة القضايا الدينية والقومية. وأكد الرفيق ماو تسي تونغ - في حواره عام ١٩٥٧م - في كتاب (المعالجة السليمة لقضايا الصراع الداخلي الشعبي): "نحن لا نستطيع إزالة الدين بالأوامر الإدارية، ولا نستطيع إجبار أحد على ترك الدين. ولا يجوز إجبار أحد على ترك المثالية، ولا يجوز إجبار أحد على الإيمان بالماركسية"[607]، ويرى أن استخدام الطرق البسيطة في التعامل مع القضايا الداخلية الفكرية للشعب والتعامل مع قضايا العالم النفسي ليست له فاعلية، بل له ضرر كبير جداً.

٦٠٧- ماو تسي تونغ: (نوعان من التناقضات الخاصة المختلفة) – نقلاً عن مكتب اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني للدراسات الوثائقية (مختارات من طرق العمل وأساليب التفكير لكل من ماو تسي تونغ وتشوان لاي وتشوده وليو شاو تشي ودنغشيا وبينغ تشن يون) – ص ٢٥٧ – دار اللجنة المركزية للوثائق – الطبعة الثالثة، مارس لعام ١٩٩٧م.

◆ الأسس النظرية الأساسية لسياسة حرية العقيدة الدينية:

من خلال تجميع أفكار قادة الثورة والممارسة طويلة الأجل للحزب الشيوعي الصيني، طبّقت الاشتراكية أسس سياسة حرية العقيدة الدينية؛ وهي:

أولاً: إن الإيمان الديني قضية العالم النفسي والعالم المعرفي عند الناس، وهو النشاط الروحي بحرية كاملة في أثناء التعامل مع جوهرها، واللجوء فقط إلى الاختيار الحر للناس، وبالنسبة إلى صوابه أو خطأه، يمكن حلّه فقط بالأساليب الروحية. وإن تحريم الدين أو منعه بالأوامر الإدارية أو بالأساليب الفظّة البسيطة، وإعلان الحرب على الدين، حركة غباء ومخاطرة من الناحية السياسية، وستكون عواقبها اختفاء مؤقتًا للأفكار والمعتقدات الدينية عند الناس، وتحرك مزيدًا من مشاعر التعصب الأعمى للدين، وهي "تُزيد من رغبة الناس للدين، وهي أفضل وسيلة لمنع زوال صحيح الدين"، وهي نظرة ثقافية سطحية وبرجوازية وضيقة[٦٠٨].

ثانيًا: إن العقيدة الدينية بالنسبة للدولة من الأمور الخاصة. وللناس الحرية الكاملة للإيمان والكفر، دون إجبار، ودون تمييز، ولا بد من الاحترام المتبادل. ونظرًا لأنها من الأمور الخاصة، فهذا يعني حتمًا فصل الدين عن الدولة، وفصل الدين عن التعليم العام.

لكن "بالنسبة إلى الحزب السياسي لطبقة البروليتارية الاشتراكية. فالدين ليس من الأمور الخاصة"[٦٠٩]، والدين بالنسبة للمواطن من الأمور الخاصة، لكن لا يناسب أعضاء الحزب الطبقة العاملة، لأنهم ليسوا من المواطنين العاديين، فهم لا بد أن يحملوا أفكار طبقة البروليتارية الحديثة، ويجب أن يكونوا لا دينيين (مشركين/ملحدين).

٦٠٨- لينين: (نظرة على موقف حزب العمال تجاه الدين الإسلامي)، نقلاً عن الجزء الثاني (الأعمال المختارة للينين)، ص ٣٨٠، دار نشر الشعب، طبعة ١٩٩٥م.

٦٠٩- (الأعمال الكاملة للينين) – الجزء العاشر – ص ٦٤ – دار نشر الشعب – الطبعة الثانية، لعام ١٩٩٥م.

ثالثًا: إن الإيمان أو الشرك، اختلاف في المعرفة الفكرية الداخلية عند الناس، ولا يرتبط بالقضايا السياسية. إن الاختلاف في مفهوم رؤية العالم لا يعرقل الهوية السياسية لأحد، سواء كان كافرًا أو موحِّدًا، وسواء كان ماديًا أو مثاليًا، "فلا تجب عرقلة الجبهة الديمقراطية الموحدة للشعب الصيني وحدتها واتساعها، ولا تجب عرقلة بناء الاشتراكية للصين"[٦١٠].

ولا داعي مطلقًا للمبالغة بدرجة كبيرة في الفاصل الديني بين جماهير الشعب، ويجب أن يتبع الفاصل الديني الفاصل السياسي، "إن اتفاق الطبقات المضطهدة على النضال الثوري الحقيقي لدخول الجنة التي يؤمنون بها، وهو أهم بكثير من اتفاق رأي البروليتاري المتعلق بالجنة"[٦١١].

وإلا، فإن تأكيد الاختلاف حول قضايا الاعتقاد الديني، ثم التحول نحو الاتفاق حول القضايا الثورية المشتركة الحقيقية، ستقوم بدور في إضعاف قوة الثورة وتقسيمها.

رابعًا: إن الدين له قوانين موضوعية لنشأته وتطوره وزواله، وفي النهر الطويل لتاريخ الإنسانية، يعد زوال الدين مسيرة طبيعية، وهو أمر بعيد جدًا في المستقبل، ومازال وجود الدين في المجتمع الاشتراكي أمرًا حتميًا، وضرورة التمسك بموقف "الحذر الشديد" "الصارم جدًا" و"التفكير الدقيق" في التعامل مع الدين.

ويجب الخضوع للمهام الأساسية للحزب والدولة في معالجة القضايا الدينية والقومية، وتوحيد غالبية المسلمين وضمهم للدخول في قضية النهوض العظيم للأمة الصينية، ولا يجوز إقصاؤهم خارج القضية العظيمة.

"إن القيام بتوحيد غالبية المؤمنين والكفار، وتركيز قوتهم وعزيمتهم على هدف مشترك لبناء دولة اشتراكية عصرية قوية، نقطة توقف ونقطة انطلاقة أساسية

٦١٠- (الأعمال المختارات لتشوانلاي) الجزء الثاني – ص ٤٠١ – دار نشر الشعب – طبعة عام ١٩٨٤م.

٦١١- (الأعمال الكاملة للينين) – الجزء العاشر – ص ٦٥ – دار نشر الشعب – الطبعة الثانية، لعام ١٩٩٥م.

لتطبيقنا وتنفيذنا سياسة الحرية الدينية لمعالجة القضايا الدينية كافة"[٦١٢].

وفي الوقت نفسه، كان الاستخدام الجيد لوجهة النظر المادية التاريخية والمادية الجدلية يوضح جذور الإسلام وإيمان غالبية المسلمين "لا يجب القيام بالنضال المناهض للدين وفقًا للدعاية التجريدية والنظرية البحتة والثابتة من البداية حتى النهاية"[٦١٣]، والعمل باستمرار في التنمية يومًا بعد يوم، وفقًا لخصائص العصر وخلاصة التجارب، "قد وصَّلنا حاليًا إلى هذه اللحظة التاريخية: تحويل النظريات إلى التطبيق العملي، وإكساب النظريات حيوية من خلال التطبيق العملي وإصلاحها من خلال التطبيق العملي وفحصها من خلال التطبيق العملي"[٦١٤]، ودراسة الأحوال الجديدة والتطور الجديد للدين الإسلامي في الصين، من النظرة التاريخية والتنموية، والاستمرار في حل القضايا الجديدة ومعالجة الصراعات الجديدة.

والذي لا يمكن إنكاره أننا سرنا في طريق متعرج في أثناء التعامل مع الإسلام وغيره من الأديان، خلال مسيرتنا في بناء الاشتراكية.

ومن عام ١٩٥٨م إلى ١٩٦٠م، بسبب اتساع "مناهضة اليمين"، زاد باستمرار خطأ اتساع النضال الطبقي، وامتد هذا إلى النطاق الديني، وخُلِطت القضايا السياسية بنظيرتها الدينية، حتى أصبح يُنظر إلى الدين على أنه هدف الثورة؛ مما أدى إلى إعاقة سياسة الحرية الدينية، فظهرت الأخطاء في الأعمال الدينية.

وخلال "الثورة الثقافية"، شوه لين بياو وجيانغ - المجموعة المناهضة للثورة -

[٦١٢] (وجهة النظر الأساسية والسياسة الأساسية المتعلقة بالقضايا الدينية خلال فترة الاشتراكية الصينية) - نقلاً عن (مختارات لأهم وثائق مؤتمرات الحزب ما بعد المؤتمر الثالث) - ص ١١٥٠ - دار نشر الشعب - طبعة عام ١٩٨٢م.

[٦١٣] لينين: (نظرة على موقف حزب العمال تجاه الدين الإسلامي)، نقلاً عن الجزء الثاني (الأعمال المختارة للينين)، ص ٣٨٠، دار نشر الشعب، طبعة ١٩٩٥م.

[٦١٤] (الأعمال الكاملة للينين) الجزء ٣٢- ص ٢٠٣- دار نشر الشعب - الطبعة الثانية، لعام ١٩٩٥م.

النظريات العلمية للماركسية المتعلقة بالدين تشويهًا لا يقره ضمير، وأنكروا كليًا السياسة السليمة لعمل الحزب والدولة تجاه الدين وفترة الثورة الديمقراطية الجديدة.

إن هذا الطريق المتعرج دروسُه قاسية مؤلمة جداً. وبعد المؤتمر الكليّ الثالث للدورة الحادية عشرة للحزب الشيوعي الصيني، كوّن حزبنا وثائق (وجهة النظر الأساسية والسياسة الأساسية المتعلقة بالقضايا الدينية خلال فترة الاشتراكية الصينية)، ولخّص التجارب التاريخية المتعلقة بسلبيات العمل الديني وإيجابياته لأكثرمن ثلاثين عامًا لما بعد قيام الصين، وعرض شرحًا دقيقًا لنظريات وملخصات علمية عالية المستوى، تجاه القضايا الدينية بما فيها الدين الإسلامي في الصين، وذلك يرمز إلى الاكتمال والنضوج في السياسة الدينية للدولة وحزبنا.

◆ الخصائص السياسة لحرية العقيدة الدينية في الفترة الجديدة:

تحمل سياسة الحرية الدينية للدولة والحزب عدة خصائص بارزة في الفترة الجديدة؛ وهي كالآتي:

أولاً: هذه هي السياسة طويلة الأجل والسياسة الأساسية للحزب والدولة تجاه القضايا الدينية، وهذه ليست إجراءات وقتية، وليست مقالة سطحية. لأنها "النصوص الاستراتيجية التي قامت على الأسس النظرية والعلمية للماركسية التينية وأفكار ماو تسي تونغ، لتوحيد الشعب على هدف مشترك لبناء دولة اشتراكية عصرية قوية"[٦١٥].

ثانيًا: أن تكون سياسة الحرية الدينية كاملة، وتناسب المواطنين كافة، ليست للمسلمين وغيرهم من المؤمنين فقط. وأن تكون لها علاقة بجماهير المؤمنين، وترتبط أيضًا

[٦١٥]- (وجهة النظر الأساسية والسياسة الأساسية المتعلقة بالقضايا الدينية خلال فترة الاشتراكية الصينية) - نقلاً عن (مختارات لأهم وثائق مؤتمرات الحزب ما بعد المؤتمر الثالث) - ص ١١٦١- دار نشر الشعب- طبعة عام ١٩٨٢م.

بجماهير الكفار؛ وتؤكد ضمان حرية الإيمان للناس، كذلك تؤكد ضمان حرية الكفر للناس. وهذان الجانبان في هذه المسألة لا يمكن الفصل بينهما. لا بد من الاحترام والحماية لقانون الإيمان والكفر.

ثالثًا: يجب أن يكون الإيمان الديني مسألة اختيار حر للفرد وللمواطنين، ويصبح من الأمور الخاصة للفرد بشكل حقيقي. وفي الوقت نفسه الذي يتمتع فيه المواطن بحقوق حرية العقيدة الدينية، يجب أن يؤدي واجباته. وعدم السماح مطلقًا للدين بالتدخل في إدارة الدولة والقضاء والتعليم المدرسي والتعليم الاجتماعي العام، وعدم السماح لأي شخص باستغلال الدين لمعارضة قادة الحزب والنظام الاشتراكي، وإفساد وحدة الوطن واستقراره والوحدة بين القوميات. ولا يجب الإضرار بصحة المواطنين وعرقلة الحقوق الشرعية لهم. ولا يجب اتباع السلطة السياسية للدولة لأي دين من الأديان، ومنع أي تدخل في الإيمان الديني والحياة الدينية الطبيعية للمواطنين.

وأن تكون وظيفة السلطة السياسية القيام بالرقابة والإشراف الإداري على تنفيذ سياسة الحرية الدينية حسب القانون، وحماية الأنشطة الشرعية، والحد من الأنشطة غير الشرعية، ومعاقبة الأنشطة المخالفة للقانون، وليس التدخل في الأنشطة الدينية الطبيعية والشؤون الداخلية للمجموعات الدينية.

رابعًا: أن تكون المجموعات الدينية والشؤون الدينية مستقلة، ولا تكون تحت سيطرة القوى الأجنبية أو تحكُّمها. وباختصار، فإن سياسة الحرية الدينية للدولة والحزب تعكس المصالح المشتركة ورغبات غالبية جماهير الشعب، وتجسد الخط الفكري للماركسية استنادًا إلى الوقائع.

"إن القيام بتوحيد غالبية المؤمنين والكفار، وتركيز قوتهم وعزيمتهم على هدف مشترك لبناء دولة اشتراكية عصرية قوية، نقطة توقف ونقطة انطلاقة أساسية لتطبيقنا وتنفيذنا

سياسة الحرية الدينية لمعالجة جميع القضايا الدينية"[٦١٦]. وقد قامت هذه الخصائص السياسية بدور عظيم في الأعمال الدينية والقومية السابقة، وتجب المراعاة الشديدة من الآن فصاعدًا في فهم هذه الخصائص وتنفيذها بشكل كامل وتاريخي وجدلي خلال مسيرة التنفيذ، خاصة يجب الانتباه إلى التغلب على ظاهرة الجمود العقائدي في بعض المناطق والقطاعات والاتجاه اليميني خلال مسيرة التنفيذ العملية.

ثالثًا: المغزى الثري وراء التفهم والإدراك العميقين حيال التكيف المتبادل بين الدين والاشتراكية........

"إن العلاقات الدينية علاقات مهمة لا يمكن تجاهلها في المجال الاجتماعي والمجال السياسي الصيني، كما أن توافق العلاقات الدينية يحمل معنى مهمًّا تجاه بناء مجتمع اشتراكي توافقي"[٦١٧]. ولا تزال الظواهر الدينية بما فيها الإسلام باقية لفترة طويلة في ظل الظروف التاريخية الاشتراكية، وهذه ليست قضية نظرية فقط؛ بل هي قضية حقيقية موجودة موضوعًا، فهي قضية توافق الدين مع المجتمع الاشتراكي.

◆ المحتوى الأساسي لتوافق الدين مع الاشتراكية:

المقصود بالتوافق في الحقيقة يشير إلى التنسيق والتكيّف والتعاون المتبادل بين الأشياء التي تحمل خصائص مختلفة، من أجل الحصول على هدف مشترك أو تحقيقه في ظل ظروف محددة. ومن هذا فالظروف هي الشروط المنطقية، والهدف المشترك هو القاعدة. والتوافق ذاته نوع من العلاقات المزدوجة، وهي نتيجة التفاعل. وفي الوقت نفسه يوضح التوافق ذاته أن ثمَّة نقاط اختلاف بين الجانبين على أرض الواقع، وإذا كان ثمَّة اتفاق كلي بين الجانبين، فلا حاجة إلى التوافق والانسجام مرة أخرى.

---

[٦١٦]- (مختارات لأهم وثائق مؤتمرات الحزب ما بعد المؤتمر الثالث) – ص ١١٥٠ – دار نشر الشعب – طبعة عام ١٩٨٢م.

[٦١٧]- وانغ تزوان (ما يتعلق بالعلاقات السياسية والدينية الصينية المعاصرة) – (جريدة الدراسة) – ٢٣ من نوفمبر ٢٠٠٩م – الطبعة الأولى.

والتوافق يأتي بالتغلب المستمر على عدم التوافق، فالتوافق وعدم التوافق هما عبارة عن حركة من التناقضات، وهما علاقة جدلية. وفي الوقت نفسه، فالتوافق لا يعني ترك الصفات والخصائص الذاتية من أجل التقارب مع الآخر، إنما يعني الوصول إلى هدف مشترك في ظل السعي لإيجاد نقاط مشتركة وترك نقاط الخلاف جانبًا.

"الصين دولة متعددة الأديان، تحتاج إلى معالجة العلاقة بين الأديان ببعضها؛ فمعظم سكان الصين لا يؤمنون بالأديان، لكنَّ ثمَّة عددًا معقولًا من الناس يؤمنون بالأديان، ومن ثم ثمَّة حاجة إلى معالجة العلاقة بين المؤمنين والكفار.

في الفترة التي شهد فيها المجتمع الصيني تغيرًا جذريًا، شهدت الأديان نموًا كبيرًا، واتسع تأثيره على الحياة الاجتماعية، ومن ثم ثمَّة حاجة إلى معالجة العلاقة بين الأديان وجميع مجالات المجتمع، فالصين دولة اجتماعية، فالحزب الشيوعي الصيني يهتدي بالماركسية باعتباره الحزب الحاكم، ويدعو إلى اللاتينية، فهو يحتاج بشكل خاص إلى معالجة العلاقة بين الدين والسياسة"[618].

لذا، من الواضح أن الموضوع المتعلق بتوافق الأديان والمجتمع الاشتراكي في الصين المعاصرة، لا يشير إلى انسجام المثالية الدينية مع نظام الفكر الاشتراكي العلمي. تعد المثالية والمادية نظامَين متعارضين كل المعارضة، في المجال الأيديولوجي.

بعد نشر كتاب (يوتوبيا[619]) الذي ألفه توماس مور منذ عام ١٥١٦م، أثار باستمرار الأفكار التي تجمع بين الأديان والاشتراكية من كل شكل ولون، فيما يقرب من ٥٠٠ سنة، لكنه لم يجنِ ثمار النجاح. ويشير مرشد الثورة في كتاب (بيان الحزب الشيوعي) - بشكل يضع النقاط على الحروف - إلى: "أن الاشتراكية في الدين المسيحي، ليست فقط استخدام الماء المقدس لتقديس آلة الغضب عند طبقة الارستقراطية"[620].

618- وانغ دزوو آن: (فيما يتعلق بالعلاقة بين السياسة والدين في الصين المعاصرة)- منقول عن (جريدة الدراسة تايمز) - ٢٣ من نوفمبر عام ٢٠٠٩- الطبعة الأولى.

619- المدينة الفاضلة: أو (يوتوبيا) ضربٌ من التأليف أو الفلسفات التي يتخيل فيها الكاتب الحياة في مجتمع مثالي لا وجود له، مجتمع يزخر بأسباب الراحة والسعادة لكل بني البشر.

620- ماركس وإنجلز: (بيان الحزب الشيوعي) - منقول عن (الأعمال المختارة لماركس وإنجلز) - الجزء الأول - ص ٢٧٥ - دار نشر الشعب - طبعة عام ١٩٩٥.

وانتقد لينين بشدة الذين يؤمنون بالخالق داخل حزب العمال الروسي، وأشار إلى أن الذين يؤمنون بالخالق يحاولون إكساب الاشتراكية العلمية صفات العقيدة الدينية، ويعدون أن الاشتراكية هي الدين، وهي خيانة مكشوفة للماركسية، ويشير إلى أن الاشتراكية هي الدين، أو هي إحدى طرق الشخصيات التي حولت الدين إلى اشتراكية، تحت الشرط التاريخي الواضح، بينما تراجعت بالنسبة للماركسية، وتحولت من الاشتراكية إلى العقيدة الدينية.

لكن لم يكن ثمَّة نموذج محدد وإجابة نموذجية، بالنسبة لقضية التوافق بين الدين والاشتراكية، "وما شكل العلاقة بين الدين والسياسة التي يجب تأسيسها، بشرط حكم الحزب الماركسي؟

يتصور كتاب المصادر والمراجع الماركسية أنه يجب تطبيق فصل الدين عن السياسة، لكن ليست ثمَّة إجابة واضحة بالنسبة لكيفية تطبيق فصل الدين عن السياسة، فلا بد من الاعتماد على أنفسنا بصورة كاملة في البحث بالتطبيق العملي"[621].

منذ خمسينيات القرن الماضي، كانت الأفكار المتعلقة بالاشتراكية الاجتماعية شائعة، ولا يزال تأثيرها واضحًا على الدول العربية حتى يومنا هذا.

تعكس هذه الأفكار التطلعات السياسية في ظل الخلفية التاريخية المحددة، لكن لا يمكن أن تعكس الوحدة من ناحية الاسم أو الاتفاق من ناحية الجوهر. على سبيل المثال، اعترف جمال عبد الناصر - الرئيس المصري الداعي إلى الاشتراكية الإسلامية - بالفروق الخمسة الأساسية[622] بين الاشتراكية الإسلامية والاشتراكية العلمية، في خطابه

621- وانغ دزوو آن: (فيما يتعلق بالعلاقة بين السياسة والدين في الصين المعاصرة)- منقول عن (جريدة الدراسة تايمز) - ٢٣ من نوفمبر عام ٢٠٠٩- الطبعة الأولى.

622- يشير جمال عبد الناصر إلى: "الفرق الأول أننا نؤمن بالأديان، أما الماركسية لا تعترف بالأديان. الفرق الثاني أننا يجب أن ننتقل من الدكتاتورية الرجعية إلى الديمقراطية الوطنية، بينما الشيوعية تنتقل من الدكتاتورية الرجعية إلى الدكتاتورية البروليتاريا. الفرق الثالث أن الماركسيين يقررون تأميم الأراضي، أما=

في الجمعية العامة لممثلي القوى الشعبية الوطنية في ٣٠ من مايو عام ١٩٦٢م.

وترتكز الاشتراكية الإسلامية على الدين، لكنها لا تنتمى إل فئة الاشتراكية العلمية نفسها، فلا يمكن أن نجمع بين الاثنين في حديث واحد. وما يستحق الحذر منه المقارنة التي عقدها بعض علماء الغرب من خلال الشكل السطحي، فقد زعموا أن الاشتراكية والماركسية نوعان من الأديان أو هما دين صحيح ولهما قيمة الدين، فهذه الآراء تحتوي على أهداف سياسية ونوايا سياسية عميقة، لذا يجب أن تثير اهتمامنا ويقظتنا.

بالإضافة إلى ذلك، بعض شخصيات الأوساط الأكاديمية المحلية الحالية، تنشر وتروّج ما يسمى "بالدين الاشتراكي" و"الدين الثوري" و"دين البروليتارية" و"دين الشعب المقهور" إلخ، كل هذا تفسير ثوري للدين، أو تفسير ديني للماركسية، وهذا مضر جداً بالنسبة لفَهم التوافق بين الاشتراكية والدين واستيعابه بشكل صحيح.

◆ الشروط الأساسية للتوافق بين الاشتراكية والدين:

طرأ تغير جذري في دور الدين ومكانته وجوهره، في ظل الاشتراكية. إن الإسلام وغيره من الأديان قائمة بصورة عامة في العالم الداخلي للتقاليد الثقافية والتاريخية والوعي الاجتماعي. ويعبر الإسلام بصفة عامة عن قضية العادات والتقاليد والمعتقدات الفكرية للأفراد والمواطنين، في الحياة الاجتماعية.

لذلك، فإن قضية التوافق بين الدين والاشتراكية، تتطلب منا ألا نبالغ في الخلافات الدينية، ويجب علينا إيجاد البحث عن أوجه التشابه بين الاختلافات ومعرفة التشابهات الكبيرة الكامنة في الاختلافات الصغيرة.

=نحن نؤمن بنظام الملكية الخاصة للأراضي التي تدخل في نطاق التعاون. الفرق الرابع أن الشيوعية لا تؤمن بنظام الملكية الخاصة، أما نحن نؤمن بنظام الملكية الخاصة، لكن لا نؤمن بنظام الملكية الخاصة الاستغلالية. الفرق الخامس أن الماركسية تنص على سحق الطبقة البرجوازية أو ما نسميهم الرجعيين، وتدميرهم بلا رحمة أو شفقة بالعنف.

"بعد قيام الصين الجديدة، من ناحية أُعلن أن المواطنين يتمتعون بحق الحرية في الاعتناق الديني، ومن ناحية أخرى، أيدت جميع الأديان إصلاح نظامها الديني الذي لا يتوافق مع متطلبات التغيير الاجتماعية العميقة.

قامت أديان الإسلام والطاوية والبوذية بإصلاح ديمقراطي في النظام الديني، وألغت الاضطهاد الديني واستغلاله والدرجات الإقطاعية، وتخلصت من سيطرة الطبقة الحاكمة الرجعية واستغلالها؛ وسارت الكاثوليكية والمسيحية في طريق الكنيسة الذاتية المستقلة، من خلال ممارسة الحركة الوطنية المناهضة للإمبريالية، وتخلصت من سيطرة الإمبريالية واستغلال القوى الأجنبية.

شهدت الملامح السياسية لجميع الأديان في الصين تغيراً كبيراً، بتحقيق (التخلص من الاثنين)، وتقدمت خطوة مهمة في طريق التوافق مع الصين الجديدة وخدمة المجتمع الجديد، ووضع حجر الأساس المهم في إقامة علاقة جديدة بين الدين والسياسة"[٦٢٣].

يمكننا أن ندرك – بعمق – أن التوافق بين الدين والاشتراكية، له أسس عميقة وشروط فطرية، عند ممارسة الصين للاشتراكية، من خلال التطبيق العملي الوفير منذ إقامة الدولة.

أولاً: آلية التجديد وتعديل ذاته، من الناحية الدينية:

يعد الدين البناء الفوقي، وشهد تغيراً توافقياً من ناحية المضمون مع تغير الأساس الاقتصادي، "ومع التغير الهائل في النظام الاجتماعي في كل مرة، سيحدث تغيير في أفكار الناس وآرائها، مما يعني أن آراء الناس الدينية سوف تتغير أيضاً"[٦٢٤].

إن مسيرة تطور الإسلام – التي استمرت أكثر من ألف عام في الصين – توضح

[٦٢٣]- وانغدز ووآن: (فيما يتعلق بالعلاقة بين السياسة والدين في الصين المعاصرة)- منقول عن (جريدة الدراسة تايمز) – ٢٣ من نوفمبر عام ٢٠٠٩– الطبعة الأولى.

[٦٢٤]- (الأعمال الكاملة لماركس وإنجلز) – الجزء السابع – ص ٢٤٠ – دار نشر الشعب – طبعة عام ١٩٦٠م.

تمامًا هذه المسألة. إن جوهر الإسلام وغيره من أفكار اللاهوت الديني ووظائفها الاجتماعية الواضحة لا يتغير مطلقًا، لكن طرأت بعض التغيرات على تفسير بعض المحتويات الملموسة لأفكار اللاهوتية وشرحها وفهمها وشكل التعبير الديني وبعض العلاقات بين الدين والمجتمع، كما يمكن التصحيح مع تغير الظروف التاريخية، لكي يتوافق مع تطور المجتمع وتغيره.

أصبح الإسلام مسيرة دينية عالمية بعد ظهوره، فهو مسيرة من التطور والتغير المستمر. استوعب الحضارة الصينية التي تتمثل في الثقافة الكونفوشيوسية بعد أن دخل الصين، كما ظهرت به أيضًا مسيرة من الاندماج والتحول.

مثل ما قام به كل من وانغ داي يوو وليوتشي من علماء الصين في الإسلام: من دمج فكرة "الإخلاص للحاكم من طاعة الله" في سنة الإسلام الصيني، وسعيهما وراء الحماية السياسية من أجل تطور الإسلام في الصين.

ثمة نص في (القرآن الكريم) يقول: "أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا"[٦٢٥]، وأصبح شعارًا واضحًا لكثير من المسلمين للنضال ضد الغزو الإمبريالي الياباني، خلال حرب المقاومة؛ فالمسلمون الصينيون رفعوا شعارات كـ"إرادة الله للدولة" و"الوطنية جزء من الإيمان" و"حب الوطن وحب الدين هما المهمة نفسها" و"الدفاع عن الوطن هو الدفاع عن الدين" وغيرها من الأشكال الفكرية، وهذا يوضح الروح الوطنية العريقة لمسلمي الأقليات العشر الصينية وتقاليدهم. وشارك المسلمون بإيجابية في التطبيق العملي للبناء العصري الاشتراكي، وهذا خير دليل على التوافقية للدين الإسلامي في ظل الاشتراكية.

ثانيًا: رسم سياسة حرية الاعتناق الديني، ووضعها على طريق القانون والدستور، جعلها تتمتع بالاستقرار وطول الأجل، بالنسبة للدولة والحزب. هذا هو الشرط

[٦٢٥]- (القرآن الكريم) – السورة ٢٢ – الآية ٢٩ – مطبعة (القرآن الكريم) الملك فهد، المملكة العربية السعودية – المدينة المنورة، طبعة عام ١٩٩٠م.

الأساسي للتوافق بين الدين والاشتراكية، وهذا هو الطريق الصحيح الوحيد للتعامل مع القضايا الدينية وعلاجها، في ظل المجتمع الاشتراكي.

إن القيادة السياسية للدولة والحزب التي تعمل على الدين والقومية، تسيطر على التوجه السياسي العام والاتجاهات الرئيسية، وتحشد جميع الأحزاب والحكومة بمستوياتها ومجالاتها الاجتماعية كافة، إلى الاهتمام بالعمل الديني ومساندته ومراعاته، لتقديم الضمانات القوية للتوافق بين الدين والاشتراكية.

♦ الاجتهاد في ممارسة العمل التوافقي بين الدين والاشتراكية:

لا يجب إنكار – أو إهمال – المسائل التي لا تتوافق بين الدين والاشتراكية، وفي الوقت نفسه نرى بوضوح التيار الرئيسي الذي يؤكد التوافق بين الدين والاشتراكية. ويُعد البناء الاشتراكي هو التغير التاريخي العظيم الذي لم يكن له مثيل من قبل، وهو النشاط العملي الاجتماعي المعقد، فمن الطبيعي أن تظهر باستمرار موضوعات وقضايا جديدة في طريق التقدم، فهو يحتاج إلى تلخيص باستمرار وبحث وممارسة عملية.

يُعد الإسلام البناء الفوقي، ومن الطبيعي أن يتخلف عن ركب التغيرات الاجتماعية، فلا بد من مسيرة للتوافق بين المجتمع الاشتراكي الذي يتطور باستمرار والدين، وإلا ستكون ظاهرة عدم التوافق قائمة عاجلة أم آجلة. وإن معرفة المجتمع والدولة بالإسلام وتصحيح علاقتهما في حاجة إلى مسيرة طويلة الأجل، فلا غرابة في ظهور نقاط الخلاف بينهما.

وخلاصة القول، يجب على الاثنين العمل على التوافق والانسجام الكامل والمطلق، فمن المستحيل عدم مسايرة التغيرات والتطورات المادية الموضوعية، لكنَّ الممكن عمله إزالة ظاهرة عدم التوافق أو تقليصها من خلال بذل المزيد من الجهد في ظل شروط محددة، فالمصلحة الكبرى لا يمكن القيام بها إلا بالتوافق بين الاثنين.

أولاً: ثمّة تعارض بين المفهوم الديني للإسلام والأيديولوجية الاشتراكية. وهذا أحد الشروط الأساسية لتقوم بعمل توافقي بين الدين والاشتراكية.

إن الإسلام يقوم على الأساس الفكري الديني والمادي، وإن النظام الفكري المركزي للدين الإسلامي ليست به تغيرات جوهرية. وإن أفكار العلوم الإلهية للدين الإسلامي وتعاليمه وآدابه هي محتوى تقليدي تشكّلت من التطور التاريخي لفترة طويلة، وإذا تغيّر كليًا فسيفقد القيمة والقواعد الموجودة فيه نفسه.

لذلك، أظهرت عناصرها السلبية التناقض النسبي بين الناس والمناطق المحددة. على سبيل المثال، إن غرق بعض الناس في الحياة الدينية، يؤثر على الإنتاج والعمل والحياة. كذلك بعض النزاعات الطائفية تهدد استقرار المجتمع وحياة الناس وممتلكاتهم وسلامتهم، وتؤدي إلى الانقسام وعدم الوحدة بين القوميات أو داخل القومية الواحدة. ويرتدي عدد قليل من المجرمين أو المغرضين عباءة الدين، لاستغلاله في تحريض - أو تضليل - بعض الناس للسخط على المجتمع، ونشر فوضى أو اضطرابات داخل النطاق المحلي؛ وثمّة عدد قليل من الانفصاليين يستغلون الدين للقيام بأنشطة لتقسيم الوطن وتمزيق وحدة الأمة ووحدة الوطن.

هذه القضية موجودة منذ قديم الأزل، لكن اليوم لها أشكال تعبيرية مختلفة، وهي مسألة صعبة وقضية تجب مواجهتها والصبر في حلها، من خلال القيام الجيد بعمل توافق بين الدين والاشتراكية.

ثانيًا: قيام المنظمات الدينية والقوى الدينية الخارجية بأنشطة تسلليّة باستغلال الكثير من الطرق والقنوات الدينية، لإضرار مصالح الصين. وانتهزت المنظمات الدينية والقوى الدينية الأجنبية فرصة الإصلاح والانفتاح الصيني، لتوسيع القوى المحركة التسلليّة تجاه الصين، تحت ستار نشر الدين والمبادرات الذاتية أو التواصل الشعبي وغيره.

وما يستحق ذكره أنه في الفترة الجديدة، استغلت القوى الخارجية المعادية الدينَ للتوغل في الصين، وأصبحت إحدى الوسائل المهمة للدول الغربية للتسلل إلى مجال الأيديولوجية الصينية. ودائمًا لا يسعى هذا التسلل وراء نتائج قصيرة الأجل لتحقيق نجاحات سريعة ومنافع عاجلة؛ بل هو هدف استراتيجي للبقاء فترة طويلة، والتأثير في سلوك الآخر أو تفكيره تأثيرًا ناعمًا، وجمع المكاسب، والتركيز على منافسة جيل الشباب والموظفين في الحكومة والمثقفين، والتحلي بصفات صعبة ومُحيّرة. فكان علينا اتخاذ أقصى درجات اليقظة والحذر تجاه العدو، وعدم الاستخفاف بالأمر وعدم الذعر من أقل حركة، وتنفيذ السياسة بصرامة، وتمييز الحدود الفاصلة بين الأنشطة الدينية الطبيعية والأنشطة التسلليّة بكل حزم وصرامة، وعدم التبسيط أو الخلط بينهما.

بالنسبة إلى الاتصال الديني الطبيعي، لا بد أن يكون كالسابق، ويستمر في التقدم والاتساع. أما بالنسبة إلى الأنشطة التسلليّة، لا بد من مقاومتها بحزم، ومعالجتها حسب القانون.

ثالثًا: مازالت ثمّة الكثير من نقاط عدم التوافق على مستوى تنفيذ السياسات. يظهر ذلك بشكل واضح في عدم وجود حساسية بشكل كاف من الناحية السياسية، وعدم الوضوح الكافي من الناحية المعرفية وعدم المرونة الكافية من الناحية التكتيكية.

على سبيل المثال، ثمّة سوء واضح لنموذج الجمود العقائدي الفكري، في التعامل مع قضايا الإسلام، فالفرضيات العلمية التي طرحها قادة الثورة في ظل ظروف وخلفيات تاريخية في ذلك الوقت - دون تحليل - يُنظر إليها بوصفها نسخة حقيقية مطلقة لا تتغير أبدًا، أو أنها استشهادات بعبارات منفصلة عن النص، تخالف روح الحياة الماركسية.

مثال آخر: إن الدراسة والبحث اللذين ينقصهما الارتباط بالأنظمة، في العمل

الواقعي، كظهور ظاهرة إغماض عين وإمساك بعصفور، وإمساك الأعمى بسمكة، إن الأمثلة لا تعد ولا تحصى على حدوث نزاعات كانت بسبب نقص المعرفة الأساسية او بسبب بساطة أسلوب العمل عند الموظفين الوطنيين الذين يمارسون الأعمال الإسلامية؛ اما في المجتمع، بسبب وجود حكم مسبق وفهم خاطئ إلى جانب الجهل تجاه الإسلام، ادى ذلك إلى ظهور حوادث تجرح مشاعر المسلمين، وتؤثر بشدة على استقرار المجتمع والسياسة.

وتأثرت بعض المناطق بالتيار الفكري "اليساري"، ورأت الدين يتعارض مع الأديان من جانب واحد واتخذت سياسة المبالغة تجاه الإسلام والمسلمين، وثبّطت همة معظم المسلمين ومشاعرهم الوطنية؛ بينما في مناطق أخرى، كان العمل في ما يسمى المسرح الديني والغناء الاقتصادي أمرًا عاديًا، وترك الحبل على الغارب للأنشطة الدينية غير الشرعية، وظهور قضايا عدم الالتزام بالقانون.

وما يستحق ذكره أن إشاعة شخصيات الأوساط الأدبية الداخلية وأصحاب الرأي العام موافقتهم، بقصد أو دون قصد، على ما يسمى (نظرية الخطر الأخضر) من الدول الغربية منذ "حادثة ١١ من سبتمبر"، بسبب نقص نظرتهم التاريخية والمعيارية، لكنها لا تتوافق تمامًا مع السياسة الدينية للحزب، ولا تُفيد في توفير بيئة اجتماعية توافقية.

أثبتت التطبيقات العملية، أنه لا بد من التغلب على نقاط عدم التوافق بين الدين والمجتمع الاشتراكي، ولا بد من اجتهاد الأوساط الدينية وغالبية جماهير المسلمين، في البحث عن موقع صحيح وتصحيح العلاقات، والتغلب تدريجيًا على العناصر السلبية التي لا تتفق مع متطلبات تطور المجتمع والعمل على تقليلها، والاستمرار في التطوير والاستخراج للعناصر التي تتفق مع احتياجات المجتمع والعصر، كما تحتاج إلى الاجتهاد المشترك نفسه بين الدولة والجماهير غير المسلمة في المجتمع، لتوحيد المستوى العالي من المعرفة في مبادئ الحزب وسياساته، وتنفيذ سياسة الحرية الدينية بشكل كامل وصارم، والقيام بالأعمال حسب القانون.

وبالطبع، إن الاتجاه العام لتوافق الدين مع المجتمع الاشتراكي شرط تاريخي حتمي، لكن هذا التفاعل عملية تاريخية طويلة. ولا يجوز إنجاز عمل ما دفعة واحدة، ولا يجوز أيضًا أن يكون مرة واحدة وإلى الأبد، فهو يتطلب من الاثنين ضرورة بذل الجهد الشاق لفترة طويلة.

رابعًا: دراسة ومعالجة القضايا المتعلقة بالإسلام انطلاقًا من أمن ومصلحة الوطن.....

إن الإسلام دين دولي، يتعامل مع قضايا الإسلام ويعالجها، ويجب أن يحمل رؤية للعالم. حاليًا يبلغ عدد المسلمين في العالم حوالي مليار و٢٥٠ مليون نسمة تقريبًا، يمثلون ٢١,٢٪ من إجمالي سكان العالم[١٢٦].

في النضال الدولي المعقد والمتشابك، علينا ألا نسير مع التيار، ويجب النظر إلى مصالح الوطن نفسه وأمنه معيارًا وحيدًا، والتعامل بجدية مع القضايا الدينية في ظل الظروف الدولية، وفحص قضايا الإسلام ومعالجتها بشكل كامل وسليم، وتوطيد الأسس المهمة وتطورها بشكل جيد لاغتنام الفرص الاستراتيجية.

ومنذ حوالي القرن الثامن عشر الميلادي، بدأت الدول الغربية الكبرى في احتلال الدول الشرقية. وحولت حرب الأفيون عام ١٨٤٠م الصين القديمة إلى أرض مستعمرة وشبه مستعمرة. وبحلول أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، تحولت معظم مناطق العالم الإسلامي إلى مستعمرة وشبه مستعمرة للإمبريالية الغربية.

ويجب القول إنه منذ القرن الثامن عشر الميلادي، كان تاريخ الصين والعالم الإسلامي تاريخ مقاومة الاحتلال الغربي وظلمه. حتى اليوم، مازالت الدول النامية بما فيها الصين والعالم الإسلامي تناضل لبناء نظام اقتصادي وسياسي دولي جديد.

وكانت التجارب التاريخية والسعي الزمني اللذان لهما الأساس نفسه قاعدةً

---

[١٢٦]- (الجريدة الرسمية للتبشير المسيحي الدولي) - بريطانيا- العدد الأول، لعام ١٩٩٥م.

سياسية مشتركة في تطور علاقة الصين بالدول الإسلامية. ومنذ تأسيس الصين الجديدة، كان موقف الجماعة والقادة في اللجنة المركزية السابقة التي يمثلها الرفيق ماو تسي تونغ – منذ القديم – واضحًا جليًا تجاه هذه القضية، ويثبت أيضًا مدى صحته الكاملة بالتطبيق العملي.

وبعد الحرب الباردة، تحديدًا بعد "حادثة ١١ من سبتمبر"، يعتقد صانعو القرار في أمريكا أن التطرف الإسلامي أكبر مصدر للإرهاب، "إن مقاومة الإرهاب تحتاج أولاً إلى اقتلاع جذور الإرهاب الإسلامي، انطلاقًا من السياسة والاقتصاد والثقافة، لإصلاح العالم الإسلامي بشكل كامل.

ويوضح تقرير (استراتيجية الأمن القومي) لعام ٢٠٠٢ بأمريكا أن المهمة الاستراتيجية الكبرى اقتلاع التربة التي تتكاثر فيها قوى التطرف الإسلامي"[٦٢٧]. وفي ظل إرشاد هذا الفكر الاستراتيجي، بدأ الرأي العام الغربي – بقيادة أمريكا – في جميع المجالات بحملة كبيرة "نظرية الخطر الأخضر" ضد الإسلام العفريت.

إن الذي لا يمكن أنكاره تقبّل رجال الأوساط الأدبية والأوساط الصحفية الداخلية – بوعي وبدون وعي – وجهة نظر "نظرية الخطر الأخضر" في ظل تأثير الرأي العام الغربي، دون النظر إلى الجانبين الموجودين لمقاومة الإرهاب في أمريكا؛ الجانب الأول مقاومة الإرهاب الدولي، والجانب الآخر التذرع بمحاربة الإرهاب للسعي وراء الهيمنة السياسية الجغرافية". ودون النظر إلى "السياسة الدولية، دائمًا ما تستخدم بعضُ القوى السياسية اسم الدين وسيلةً وورقةً رابحتَينِ وشعارًا وجبهةً لتحقيق أهدافها السياسية"[٦٢٨]. وهذا الاعتقاد قد يؤثر أو يضعف أساس تطور العلاقة بين الصين مع

[٦٢٧]- لوتشونغوي: "النظام الموصى به في سياسة المسلمين العابرة للحدود" – نقلاً عن بيتر ما نداوير (الإنجليزية) – ترجمة معهد الصين للعلاقات الدولية المعاصرة – ص ٧-٨.

[٦٢٨]- لوتشونغوي: "النظام الموصى به في سياسة المسلمين العابرة للحدود" – نقلاً عن بيتر ما نداوير (الإنجليزية) – ترجمة معهد الصين للعلاقات الدولية المعاصرة – انظر ص٨ وص٤، كل على حدة.

دول العالم الإسلامي، وقد تؤدي إلى تأثير كامن ومحدد على استقرار السياسة والمجتمع داخل الصين.

لذا، علينا اتخاذ الاحتياطات اللازمة، والرد بإيجابية، والاجتهاد في الدعوة إلى نشر المسائل السياسية المشتركة مع الدول الإسلامية ودراستها، في وسائل الإعلام والدراسات الأكاديمية، مما يضع أساسًا جيدًا للإرادة الشعبية والرأي العام تجاه تطور العلاقات بين الصين والدول الإسلامية، لضمان حماية الفرص الاستراتيجية المهمة وإطالتها.

ثبت المراجع

أولاً: مصادر باللغة الصينية:

١. (الأعمال المختارة لماركس وإنجلز) – دار نشر الشعب – طبعة عام ١٩٩٥.

٢. قوه ينغ ده: (موجز التاريخ العربي) – دار نشر الجريدة الاقتصادية اليومية – طبعة عام ١٩٩٧.

٣. (حولية الإحصاءات القومية الصينية) – دار نشر القوميات – طبعة عام ٢٠٠٤.

٤. (قراءات تعليمية تراثية حول المشاعر الوطنية لقومية هوى) – دار نشر الشعب بنينغشيا – طبعة عام ٢٠٠٢.

٥. تساو تشي وبينغ ياو: (الديانات العالمية الثلاثة في الصين) – دار نشر العلوم الاجتماعية – طبعة عام ١٩٩١.

٦. (الثقافة الإسلامية الصينية) – هيئة الكتب الصينية – طبعة عام ١٩٩٦.

٧. باي شو إي: (بحوث دينية قومية) – دار النشر التعليمية بخبى – طبعة عام ٢٠٠١.

٨. (الأعمال المختارة لماركس ولينين) – دار نشر مدرسة الحزب الشيوعي المركزية – طبعة عام ٢٠٠٢.

٩. نا تشونغ وتشو كاي وشه شي تونغ وآخرون: (التوارث والامتزاج: الثقافة العربية) – دار نشر الشعب بجيجيانغ – طبعة عام ١٩٩٣.

١٠.(سجلات التواصل لماركس وإنجلز) – المكتبة الثلاثية – طبعة عام ١٩٥٧.

١١.تشانغ ون جيان: (أحاديث تاريخية دينية) – دار نشر الشعب بجيانغ شي – طبعة عام ٢٠٠٣.

١٢.يانغ خوان تشونغ وييو تشن قوي: (الإسلام والثقافة الصينية) – دار نشر الشعب بنينغ شيا – طبعة عام ١٩٩٦.

١٣.ما مينغ ليانغ: (مختصر التاريخ الإسلامي) – دار نشر الجريدة الاقتصادية اليومية – طبعة ٢٠٠١.

١٤.(محاضرات حول المعارف الإسلامية) – دار نشر الثقافة الصينية – طبعة عام ٢٠٠٥.

15.١٥ – جين إي جيو: (الإسلام) – دار نشر الثقافة الدينية – طبعة عام ١٩٩٧.

١٦.شي تي (أمريكا)، ترجمة محمد مكين: (التاريخ العربي) – دار النشر التجارية – طبعة عام ١٩٩٥.

١٧.تشانغ شينغ لانغ، مراجعة تشو جيه تشين: (تصنيف المصادر التاريخية للمواصلات الصينية الغربية) – دار الكتب الصينية – طبعة عام ٢٠٠٣.

١٨.(تاريخ الفلسفة الغربية) – دار النشر التاريخية – طبعة عام ١٩٧٦.

١٩.جين إي جيو: (القاموس الإسلامي المصغر) – دار نشر المعاجم بشانغهاي – طبعة عام ٢٠٠٢.

٢٠.مي شو جيانغ و يوه جيا: (مختصر التاريخ الإسلامي بالصين) – دار الثقافة الدينية – طبعة عام ٢٠٠٠.

٢١.ترجمة باو ون آن ومأمأتي سألي: (مختارات من الحديث الشريف للبخاري) – دار نشر العلوم الاجتماعية الصينية – طبعة عام ١٩٨١.

٢٢.دي.بور(أمريكا)، ترجمة محمد مكين: (تاريخ الفلسفة الإسلامية) – دار الكتب الصينية – طبعة عام ١٩٥٨.

٢٣. ما مينغ ليانغ: (مختصر التاريخ الإسلامي) - دار نشر الجريدة الاقتصادية اليومية - طبعة عام ٢٠٠١.

٢٤. ليو جينغ: (مختارات حركة نهضة الإسلام) - (مجموعة إفريقيا - غرب آسيا) - جمعية الدراسات الصينية الآسيوية الإفريقية - جمعية الصين والشرق الأوسط - مركز دراسات إفريقيا وغرب آسيا بكلية العلوم الاجتماعية الصينية - طبعة عام ١٩٨٩.

٢٥. جمعية العلاقات الدولية الصينية: (تاريخ العلاقات الدولية) - الجزء الحادي عشر - دار نشر المعرفة العالمية - طبعة عام ٢٠٠٤.

٢٦. لي شياو شيان ووانغ لينغ جوا: (العرب أسطورة هادرة) - دار نشر الزمان - طبعة عام ١٩٩٧.

٢٧. هيربرت جوتشالك (ألمانيا) - ترجمة يان روي سونغ: (الإسلام الذي صدم العالم) - دار نشر الشعب بشانشي - طبعة عام ١٩٨٨.

٢٨. بنغ شو دجه: (الإسلام وعملية عصرنة الشرق الأوسط) - دار نشر جامعة شمال غرب الصين - طبعة عام ١٩٩٤.

٢٩. بيتر ماندوير (بريطانيا): (سياسة المسلمين عبر القارات) - نشر من خلال ترجمة المعهد الصيني لدراسات العلاقات الدولية الحديثة.

٣٠. (حولية معارف العالم ١٩٩٤-١٩٩٥) - دار نشر المعرفة العالمية - طبعة عام ١٩٩٥.

٣١. مركز أبحاث إفريقيا وغرب آسيا، التابع لكلية العلوم الاجتماعية الصينية - (أرشيف إفريقيا وغرب آسيا) - طبعة عام ١٩٩٣ - الدورية الأولى.

٣٢. تساي جيا خه: (الحركة الأصولية الإسلامية المعاصرة) - دار نشر الشعب بنينغشيا - طبعة عام ٢٠٠٣.

٣٣. تشانغ ره مينغ (فرنسا): (الصين في عصر أسرة تانغ وعلاقتها بمسلمي العرب والفرس) - دار نشر الشعب بنينغشيا - طبعة عام ٢٠٠٢.

٣٤. خانغ شه جيون: (مختارات داو جوو تانغ).

٣٥. ٣٥- خه تشياو يوان: (مين شو) - كتاب يبحث في أحوال الصين السياسية والاقتصادية والقومية والثقافية وغيرها - بأجزائه التي تعدت المئة والخمسين.

٣٦. جين جي تانغ: (أصول هوي هوي).

٣٧. مجلس أعمال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي بشمال غربي الصين: (الخطوط العريضة لقضايا قوميات هوي هوي) - دار نشر التحرير بيانآن - طبعة عام ١٩٤١.

٣٨. بيو جنغ قوي، ليه شياو جينغ: (سجل قومية هوي الصينية) - دار نشر الشعب بنينغشيا - طبعة عام ٢٠٠١.

٣٩. ليو سان جيه: (أصول هوي هوي).

٤٠. (تونغ ديان): (أول عرض تاريخي متخصص في تاريخ الصين يختص بالنظام السياسي).

٤١. جين وو تانغ: (دراسات تاريخ الإسلام بالصين) - طباعة دار بي بينغ تشنغ دا للمعلمين - طبعة عام ١٩٣٥.

٤٢. باي شو إي: (مختصر تاريخ الإسلام بالصين) - دار نشر تشونغتشينغ التجارية.

٤٣. (مينغ شه): كتاب يضم عرضًا تاريخيًّا للتراجم والسير - يضم ٣٣٢ جزءًا.

٤٤. (كتاب تانغ القديم) -

٤٥. تشو شيه بان و شا تشيو تشن: (الإسلام في الصين) - دار نشر الثقافة الصينية - طبعة عام ٢٠٠٢.

٤٦. (السجلات الإمبراطورية): سجل ينقل الخبرات السياسية من الإمبراطور الحالي لمن يخلفه.

٤٧. (الإدراك الشامل لمساعدة الحكومة) -

٤٨. (الخريف والربيع في دولة بوو) -

٤٩. (تاريخ سونغ) -

٥٠. (الكتاب الجامع لنظام دولة سونغ) -

٥١. (مخطوطات عن تاريخ الإسلام في الصين) -

٥٢. مؤلفات دجوو وون جونغ "الفجر" -

٥٣. جوو يان وو، (كتاب مزايا وعيوب دولة تيان شيا جيون)، نسخة مصورة عن دار النشر التجارية -

٥٤. دجوو يوو، (نوادر دجوو يوو في عهد أسرة سونغ الشمالية) -

٥٥. راشد الدين، المترجم يوو داجيون ودجوو تشيان تشي، (جامع التاريخ) - دار النشر التجارية - طبعة عام ١٩٨٠ وطبعة عام ١٩٨٣.

٥٦. لينجلوسر: (إمبراطورية السهول) - دار نشر الشعب بتشينغ هاي - طبعة عام ١٩٩٦.

٥٧. (تاريخ جين) -

٥٨. الجفيني "إيران"، المترجم خيجاو جي، المصحح واينغ دوو جيان - (تاريخ فاتحي العالم) - دار نشر الشعب بمنغوليا الداخلية، طبعة عام ١٩٩٩.

٥٩. (سجل وقائع مينغ تاي تزو) -

٦٠. (تاريخ مينغ) -

٦١. المؤلف تشيو شوو لين، (تاريخ قومية هوي في الصين)، دار نشر بينينغ شيا - طبعة عام ١٩٩٦.

٦٢. (سجل طرق حياة خوانغ مينغ) -

٦٣. (سجل استفسارات شوو يوو دجوو) -

٦٤. ليودجي، (الحفلة العربية) -

٦٥. (مجلد أسرة لي القاطنة بمنطقة سونغ شان) -

٦٦. (رونغ شان لي شيتزو بو) -

٦٧. (سجل وقائع مينغ شياو زونغ) -

٦٨. (أخبار قانسو) -

٦٩. باي شو إي، (شخصيات من قومية هوى) - دار نشر الشعب بنينغ شيا - طبعة عام ١٩٨٨.

٦٩.٧٠- وانغ داي يوو، (الإسلام) - دار نشر الشعب بنينغ شيا، طبعة عام ١٩٨٧.

٧١. (سجل وقائع تشينغ شيتزو) -

٧٢. (مختصر تاريخ قومية هوي) - دار نشر الشعب بينينغشيا - طبعة عام ١٩٧٨.

٧٣. (كتاب شارع نيو في بكين) - دار النشر ببكين - طبعة عام ١٩٩١.

٧٤. فان تشانغ جيانغ - (زاوية الشمال الغربي في الصين) - دار نشر شينخوا - طبعة عام ١٩٨٠.

٧٥.بيو تشن قوي – (السياسات الصينية عبر التاريخ والإسلام) – دار نشر الشعب بنينغشيا، طبعة عام ١٩٩٦.

٧٦. (الأعمال المختارة لمالي) – دار نشر الحزب الشيوعي المركزي الصيني – طبعة عام ٢٠٠٦.

٧٧.باي شو إي – (مخطوطات عن تاريخ الإسلام في الصين) – دار الشعب بنينغشيا – طبعة عام ١٩٨٣.

٧٨.تشيان إي – (الكتاب الجديد في الجنوب) –

٧٩. (تاريخ تشيان لونغ في تشوان دجوو) –

٨٠.خاجوانغ يوان، (سجل الدروس والعبر) –

٨١. (إضافات مطولة الإدراك الشامل لمساعدة الحكومة) –

٨٢.(مخطوطات الجامع لنظام دولة سونغ) –

٨٣.ليانغ فانغ دجونغ – (إحصائيات ضريبة الأرض الإقطاعية والأرض والسكن في الصين عبر التاريخ) – دار نشر الشعب بشنغهاي – طبعة عام ١٩٨٠.

٨٤. (رحلات مارك بولو) – دار النشر التجارية – طبعة عام ١٩٧٢.

٨٥.دجانغ جيان وتشي جين شوان – (سياسة الصين الدينية والقومية عبر التاريخ) – دار نشر جامعة المعلمين بالعاصمة – طبعة عام ١٩٩٩.

٨٦.جيانغ وون هان (المسيحية القديمة في الصين واليهود كاي فينغ) – دار المعرفة العالمية - طبعة عام ١٩٨٢.

٨٧.يانغ دجي جيوو، (الآراء الثلاثة في تاريخ يوان) – دار نشر الشعب – طبعة عام ١٩٨٥.

٨٨. (تاريخ يوان) –

٨٩.دوو سانغ (السويد)، فينغ تشينغ جيون (تاريخ منغوليا دوو سانغ) - الهيئة الصينية للكتاب – طبعة ٢٠٠٤.

٩٠.سيتيان لونغ شين، المترجم دجوانغ جين هووي، (دنغ خه ـ البحار الذي ربط الصين بالعالم الإسلامي) – دار النشر الأجنبية – طبعة عام ١٩٨٨.

٩١. (دنغ خه والثقافة الإسلامية لقومية هوي) – دار الشعب بنينغشيا – طبعة عام ٢٠٠٥.

٩٢.علي الكبير، المترجم دجانغ دجي شان – (رحلة إلى الصين) – دار نشر الثلاثية، طبعة عام ١٩٨٨.

٩٣. (مختارة من توحيد الجبهة لدجوو إن لاي) – دار نشر الشعب ببكين – طبعة عام ١٩٨٤.

٩٤. (سجل وقائع تشينغ شينغ تزو) –

٩٥.(سجل وقائع تشينغ جاو تزونغ) –

٩٦. (مخطوطات عن تاريخ تشينغ) –

٩٧. (مذكرات أسرة يونغ دجينغ في القصر) - الجزء الثالث -

٩٨. (سجل وقائع تشينغ شيزونغ) –

٩٩. (مذكرات دجوو بي)، أصناف القوميات –

١٠٠.جونغ جينغ هان – (شوان خوا) –

١٠١. (التاريخ الجديد لمقاطعة قانسو) –

١٠٢.باي شو إي – (الطلبة الجدد من قومية هوي) – دار الشرق للنشر، طبعة عام ١٩٥١.

١٠٣. (سجل وقائع تشينغ رين جونغ) –

١٠٤. (القانون المؤقت لجمهورية القومينغ الصينية) –

١٠٥. (قاموس قومية هوي الصينية) – دار نشر دجيانغ سو للكتب القديمة، طبعة عام ١٩٨٠.

١٠٦. (الأعمال الكاملة للكاتب لوشون) – دار نشر الشعب للأدب، طبعة عام ١٩٨١.

١٠٧. (الأعمال الكاملة لماركس وإنجلز) – دار نشر الشعب، طبعة عام ١٩٦٠.

١٠٨.مادا لينغ، (الدين: الظاهرة الثقافية) – دار نشر الشعب بشنغهاي، طبعة عام ١٩٩١.

١٠٩. (الإسلام في الصين) – دار نشر الشعب بنينيغشيا – طبعة عام ١٩٨٢.

١١٠. (النصوص المنقوشة على مسجد تشوان دجوو منذ عام ٣٧ في عهد مينغ وان لي) –

١١١.دالي دزان – (تاريخ المذهب الكاثوليكي في الصين) –

١١٢.كانغ بوو هوي – (ترجمة وتفسير الإسلام) –

١١٣.ليو دجي، (تفسير حفلة العرب) –

١١٤.ماتشو، (المرشد في الإسلام) –

١١٥.وانغ داي يوو ومقالة الطاعة (شرح الإسلام) – دار نشر الشعب بنينغشيا – طبعة ١٩٨٨.

١١٦.ليو دجي، (سجل وقائع العرب ورسالتهم) –

١١٧.هاردونغ (ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الصينية) – مخزن الكتب بشنغهاي – طبعة مارس للعام ٢٠ لجمهورية الصين.

١١٨. (ما جيان تشوان) – دار نشر الشعب بنينغشيا – طبعة عام ٢٠٠٠.

١١٩.يانغ تشي تشن ويانهوا (الوضع الحالي والتطور التاريخي للدين الإسلامي في الصين) – دار نشر الشعب بنينغشيا- طبعة عام ١٩٩٩م.

١٢٠.هيغل (مبادئ الفلسفة والقانون) – دار النشر التجارية – طبعة عام ١٩٦١.

١٢١.تساو تشي وبينغ ياو (الديانات العالمية الثلاثة في الصين) - دار نشر العلوم الاجتماعية الصينية – طبعة عام ١٩٩١.

١٢٢. (الثقافة الإسلامية الصينية) – دار الكتاب الصيني – طبعة عام ١٩٩٦.

١٢٣.ماتسبو (الإسلام في الصين) – دار نشر تانغشان تايبي – طبعة عام ٢٠٠١.

١٢٤.المراقب خوداوتين- (مقالات) - دار نشر شنغهاي للوثائق والكتب الكلاسيكية.

١٢٥.جويانوو – (مذكرات يومية) –

١٢٦.بارتولد – (المحاضرات الثانية عشرة في تاريخ تركستان الوسطى) - دار نشر العلوم الاجتماعية الصينية – طبعة عام ١٩٨٩.

١٢٧.وانغ يون – (الأعمال الكاملة للسيد تشيوتيان).

١٢٨.يوان (الأنظمة والقوانين) –

١٢٩. (أنظمة يوان) – مجموعة الكتب الكلاسيكية في قرية خاوانغ - مكتبة الصين – طبعة ١٩٩٠.

١٣٠. (الأعمال الكاملة لستالين) – دار نشر الشعب – طبعة ١٩٥٣.

١٣١. (المواد والمراجع البحثية لزهي) – دار نشر الشعب بفوجيان – طبعة ١٩٧٥.

١٣٢. باي شو إي – (بحوث دينية قومية) – دار نشر خهبي التعليمية – طبعة عام ٢٠٠١.

١٣٣.باي شو إي – (الأوضاع الحالية والتاريخية لقومية الهوي هوي) – دار نشر الشعب – طبعة عام ١٩٥٨.

١٣٤.مركز الدولة لدراسة القضايا القومية والعرقية – (القومية الصينية) – دار نشر الجامعة القومية المركزية – طبعة عام ٢٠٠١.

١٣٥.شويورن – (النصب التذكاري للحاج حسين)

١٣٦.يانغ خواي تشونغ – (مخطوطة تاريخية لقومية هوي) – دار الشعب بنينغشيا – طبعة عام ٢٠٠٢.

١٣٧.المجلد الأول – (دراسة يونان لتاريخ ومجتمع قومية الهوي) –

١٣٨.وانغ تشونغ خان – (تاريخ قومية هوي) – طبعة عام ١٩٩٤.

١٣٩.وانغ تشي لاي – (تاريخ آسيا الوسطى) – دار نشر العلوم الاجتماعية الصينية – طبعة عام ١٩٨٠.

١٤٠. (مختصر تاريخ قومية سالا) – دار نشر الشعب بتشينغ خاي – طبعة عام ١٩٨٠.

١٤١. (النقاط الأساسية التاريخية للقومية الصينية) – دار نشر الاقتصاد والمال في الصين – طبعة عام ١٩٩٩.

١٤٢. (تكملة النصوص التاريخية لشينجيانغ) – دار نشر الشعب بشينجيانغ – طبعة عام ١٩٨٢.

١٤٣.تين بينغ جاو ووانغ تيه جيه – (النظرية السياسية والمنهجية القومية للحزب الشيوعي الصيني) – دار نشر هيلونغجيانغ – طبعة أكتوبر لعام ٢٠٠٢.

١٤٤. (الأعمال المختارة تشوانلاي) – دار نشر الشعب – طبعة عام ١٩٨٤.

١٤٥. (أعمال لينين المختارة) – دار نشر الشعب – طبعة عام ١٩٩٥.

١٤٦.الجبهة الموحدة المركزية للحزب الشيوعي الصيني – (مجموعة وثائق القضايا القومية) – دار نشر مدرسة المركزية للحزب الشيوعي الصيني – طبعة ١٩٩١.

١٤٧. (أعمال ماو تسي تونغ المختارة) – دار نشر الشعب – طبعة عام ١٩٩٦.

١٤٨.داي كانغ شنغ وبنغ ياو: (الاشتراكية والديانة الصينية) – دار الشعب بجيانغشي – طبعة عام ١٩٩٦.

١٤٩.إدغار سنو (أمريكا) – (مذكرات رحلة حول الغرب) – المكتبة الثلاثية – طبعة عام ١٩٧٩.

١٥٠.جيا روي هاي وقوة لين – (مجموعة المواد التاريخية والدينية للقوميات الحدودية في شان جان نينغ) – دار نشر بشانشي – طبعة عام ١٩٩١.

١٥١. (الأعمال المختارة من خطابات ماو تسي تونغ) – دار نشر جيش التحرير الصيني – طبعة عام ١٩٨٤.

١٥٢.يانغ تين – (السياسية الدينية لليابان) – دار النشر التجارية – طبعة عام ١٩٤٤.

١٥٣.جيانغ لي وي وغيره (دين بكين) – دار نشر الكتب القديمة بتيانجين – طبعة عام ١٩٩٥.

١٥٤.ليو دونغ شن وليو شنغ لين (نيوجية بكين) – دار نشر بكين – طبعة عام ١٩٩٠.

١٥٥. (قضايا قومية هوي هوي) – دار نشر الشعب – طبعة عام ١٩٨٠.

١٥٦. ١٥٥- لي وي خان – (الذكريات والدراسة) – دار نشر الحزب الشيوعي الصيني – طبعة عام ١٩٨٦.

١٥٧. إدوارد سعيد (أمريكا) – ترجمة يان تي يو – (الإسلام المستور: عالم المسلمين في أعين وسائل الإعلام الغربية) – شركة تايوان المحدودة للقضايا الثقافية – طبعة عام ٢٠٠٢.

١٥٨. (نصوص مختارة لدنغ شياو بينغ) – دار نشر الشعب – طبعة أكتوبر عام ١٩٩٤.

١٥٩. (نصوص مختارة لأساليب تفكير وعمل ماو تسي تونغ وتشوانلاي وليوشاوتشي وتشودا ودنغ شيا بينغ وتشن يوان) – دار نشر الوثائق المركزية – طبعة عام ١٩٩٧.

ثانيًا: مصادر باللغة الإنجليزية:

١. الإمام الخميني – الإسلام والثورة – صحافة ميزان – بيركلي – عام ١٩٨١.

٢. شاؤول بخش – حكم آيات الله –

٣. ماري آن ويفر – بلوباك (الذكاء) – المحيط الأطلسي – مارس عام ١٩٩٦.

٤. ب.ر. روبين – تكسير أفغانستان –

٥. ج. آربري – تفسير القرآن الكريم: الترجمة. نيويورك: ماك ميلان – عام ١٩٥٥.

٦. ت . بوخاردت – مدخل إلى الصوفية – يلينغبورو: صحافة أكواري/ بوتقة – عام ١٩٩٠.

٧. فـ.ماثر. التقاليد الإسلامية – المقدمة – نيويورك – دار الوتلم – عام ١٩٨٨.

٨. ج.إيتون – الإسلام ومصير الإنسان – ألباني: مطبعة نيويورك بجامعة الولاية – عام ١٩٨٥.

٩. ج. إسبوسيتو. إسلام. الصراط المستقيم. نيويورك: مطبعة جامعة أكسفورد. عام ١٩٨٨.

١٠. م. لينكز. مويلماد: لندن: النصوص الاجتماعية في الإسلام. ألين وأنوين. عام ١٩٨٨.

١١. س. موراتا. تاو ألباني مطبعة نيويورك بجامعة الولاية، عام ١٩٩٢.

١٢. س.ح. نصر. مثل وحقائق الإسلام. لندن: ألن وكيغان بول. عام ١٩٨٧م وعام ١٩٩١.

١٣. ف. شوان. فهم الإسلام. ترجمة د.م. ماثيون. لندن: ألن وأنوين. عام ١٩٦٣.

١٤. ألمبتون. الدولة والحكومة في القرون الوسطى للإسلام. مطبعة جامعة أكسفورد. عام ١٩٨١.

١٥. يوان كوباياشي(اليابان): (هوي هوي) – دار طوكيو الثقافية – طبعة عام ١٩٤٠.

١٦. (صحيفة القضايا الأسبوعية – باللغة العربية) – (بريطانيا)

١٧. (شباب إفريقيا – باللغة العربية) – صحيفة شهرية – (فرنسا)

١٨. (صحيفة الأهرام) – مصر

١٩. (صحيفة العالم) – مصر

٢٠. (جريدة الشعلة) – الكويت

إن تطور الإسلام وتحوله في الصين قضية من الصعب جدًا اهمالها في دراسة تطور الإسلام بشكل كامل وتطور الأمة الصينية على حد سواء. وقد أدرك المختصين داخل الصين وخارجها بدرجات مختلفة مدى أهمية تلك القضية، وأجروا أبحاثًا في هذا الصدد انطلاقا من جوانب ومجالات مختلفة.

ولكن، في الوقت الراهن وقبل ظهور هذا الكتاب، كانت الأبحاث في تلك القضية ركيكة للغاية وغير مكتملة الجوانب. كما يتضح أن الأبحاث السابقة كانت منتشرة بشكل رئيسي في مجالين رئيسيين وهما الإسلام وتاريخه من ناحية، وقومية هوي الصينية المسلمة من ناحية أخرى. ونظرًا لمحدودية مادة البحث والمواضيع الرئيسية في هذا المجال، فإن النقاط الخاصة بالإسلام وانتشاره في الصين تفتقر إلى الشرح المنظم والمتكامل، وبالنسبة للإسلام والأبحاث التي أُجريت عليه، فإن انتشار الإسلام في الصين يُعد جزء مهم من انتشاره في أنحاء العالم، ولم تُقِدم تلك الأبحاث توضيحًا كافيًا للعلاقة بين الإسلام وحضارة الصين؛ وحتى في الأبحاث حول قومية هوي الصينية لم تتعمق تلك الأبحاث في الإسلام بشكل كافي ومراحل تطوره وثرائه الشديد داخل الصين.

وهناك عشر قوميات صينية تعتنق الإسلام، ولكن الأبحاث انحصرت حول قومية هوي فقط وهذا يُعد عرضا لقضية من منظور واحد. وهذا الكتاب يوضح أنه أثناء دراسة الإسلام في الصين، ينبغي الانتباه إلى خلفية كون الإسلام دين جاء من خارج الصين وامتزج وتطور فيها؛ أما بالنسبة للبحث حول الإسلام كدين عالمي يوجد في كل مكان بالعالم أجمع، فينبغي الاهتمام بشكل كبير بخصائص الإسلام في الصين ومميزاته الجلية والتي تحمل سمات لم تتواجد في أي مكان أخر انتشر فيه الإسلام. لذلك، تميز هذا الكتاب في الوقوف على النتائج التي توصلت إليها أبحاث العلماء داخل الصين وخارجها عن كل ما يخص الإسلام في الصين، وقام بمحاولة تطبيق بحث استكشافي محايد متعدد الجوانب. كما أنه يضم معلومات تنشر لأول مرة عن الإسلام في الصين ووثائق كانت إلى وقت قريب من الأسرار داخل الصين، وهو كتاب موضوعي إلى حد كبير قلما يتواجد مثله في المكتبة العربية عن الإسلام في الصين.

بيت الحكمة
智慧宫

五洲传播出版社
دار نشر انتركونتننتال الصينية

أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي ش.م.م.

9 789773 993740